



٣٠١٠٢٠٠٠٠٠٠١٣٨

المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية

الأثر العلمي في المدينة المنورة
وأثرها على الحياة العامة
في العصر المملوكي
(٦٤٨-٩٢٣هـ / ١٢٥٠-١٥١٧م)

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي

أحمد

حورية عبد الإله سعيد السلمي

(٤٢٤٨٠١٧٧)

أحمد

الأستاذ الدكتور / ضيف الله بن يحيى الزهراني

١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م



بسم الله الرحمن الرحيم

مختصر الرسالة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه. فلقد من الله عليّ بإكمال هذا البحث الذي وضعته لنيل درجة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية تحت عنوان [الأسر العلمية في المدينة المنورة وأثرها على الحياة العامة في العصر المملوكي (٦٤٨هـ - ٩٢٣هـ / ١٢٥٠ - ١٥١٧م)]، وقد جعلته في مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة.

* فأما المقدمة:

ففيها بيان موجز لمكانة المدينة المنورة وأسباب اختيار الموضوع وأهميته، ثم تناول لأهم المصادر المتعلقة بالبحث وعرض لخطة البحث.

* الفصل الأول: الأسر العلمية:

وقد انتخبت دراسة عشر أسر علمية هي: (أسرة المطري، أسرة الزرندي، أسرة ابن فرحون، أسرة الخجندي، أسرة ابن صالح، أسرة الكازروني، أسرة المراغي، أسرة السمهودي، وأسرة التستري "الششتري"، أسرة السخاوي). وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: نسبهم. المبحث الثاني: نشأتهم. المبحث الثالث: تعليمهم ورحلاتهم العلمية.

* الفصل الثاني: النتائج العلمي للأسر العلمية.

وقد بحثت فيه مؤلفات العلماء من أفراد الأسر العلمية في فروع الشريعة واللغة العربية والعلوم الاجتماعية، وذلك في ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: العلوم الشرعية. المبحث الثاني: العلوم اللغوية والأدبية. المبحث الثالث: العلوم الاجتماعية.

* الفصل الثالث: أثر الأسر العلمية على الحياة العامة.

وقد بحثت فيه تأثير الأسر العلمية على الحياة الدينية من تقلدهم الوظائف من خطابة وقضاء وتدريس، وغيرها، وكذلك تأثيرهم على الحياة السياسية وتعاملهم مع أمراء المدينة من جهة، وبين سلاطين المماليك في القاهرة من جهة أخرى، وتأثيرهم على الحياة الاجتماعية والخدمات التي يقدمونها للمجتمع المدني، وتأثيرهم على الحياة الاقتصادية كذلك، وذلك في ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أثرها في الحياة الدينية. المبحث الثاني: أثرها في الحياة السياسية. المبحث الثالث: أثرها في الحياتين الاجتماعية والاقتصادية.

* الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث. وذيلت الرسالة بوضع ثبوت للمصادر والمراجع، ثم فهرس للموضوعات.

ومن أهم ما أضافه البحث من نتائج:

— أن النسب مطلب جليل حضت الشريعة على معرفته وتعلمه، والتعرف على نسب الأسر العلمية يفيدنا فوائد عديدة، منها معرفة الأسر التي قدمت من الشرق والغرب للمدينة المشرفة طلباً للجوار في المدينة والحرم النبوي الشريف.

— أشار البحث إلى أهمية المسجد النبوي ودوره في مسيرة التعليم في المجتمع المدني، بل تصدى هذا الدور إلى خارج المدينة، إذ كان هذا المسجد جامعة مفتوحة لنشر العلوم الإسلامية، وقد اجتمع فيه العلماء من يمثل مختلف المذاهب.

— وتبين من البحث أن الوارد إلى المدينة من علماء الآفاق كثير، وذلك لمكانتها الدينية، فلا نجد حاجاً لبيت الله الحرام أو معتمراً إلا وهو زائر لمسجد رسول الله ﷺ وهذا يجعل المدينة تغص بعلماء الآفاق طيلة العام.

— ومن خلال دراسة النتائج العلمي للأسر العلمية دلّ البحث على أن النتائج العلمي للأسر المدنية استوعب العلوم الشرعية من التفسير والقراءات والحديث والفقه والتوحيد، فلم يطلّع فرع على فرع، وكل حسب ميوله واهتماماته.

— وقد تميزت الكتابة التاريخية المدنية بأن أصحابها كان عندهم الدافع لتحديد الأماكن الجغرافية بدقة تفوق غيرهم ممن يصنف في تاريخ المدينة، لمشاهداتهم الآثار والأماكن، ولذا نجد منهم من يثبت على بقاء المكان أو اندثاره، وهذا الأمر مما تميزت به كتاباتهم.

— وعن أثر الأسر في الحياة العامة: تبين مدى التكاتف الذي ظهر بين العلماء، ولاسيما من الأسر المدنية التي مهدت للتوطيد للمذهب السني بالمدينة، وأثرت الأسر العلمية في تغيير وضع القضاء والخطابة وغيرها وتبعتها لسلطان بمصر.

وبعد، فإني أتوجه إلى المولى تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وينفعني به في الدارين آمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

عميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

المشرف

الباحثة

أ. د. سعود بن إبراهيم الشريم

أ. د. ضيف الله بن يحيى الزهراني

حورية عبد الإله سعيد السلمي

Abstract of message

Thanking for Allah and prayers and peace be on our prophet Mohammed and on all his friends and who is wallah . Allah was presented me with all supplementation of this research which I put to get Master's degree on History and Islamic culture it's address [scientific families in Medina and its effect on public life in Mamluke age (١٤٨-١٢٣٨ / ١٢٥١-١٥١٧)] and I put it in preface, three chapters and closure.

**The preface:*

contains of short of Medina consequence, the reasons of choosing the topic and its importance, then taking in the important sources which is associated with the research and show the research plan.

**The first chapter: The scientific families:*

It was picked ten scientific families for study are: (Almatary family, Alzrandy family, Ibn Fayhon family, Alkhegandy family, Ibn Saleh family, Alkazarony family, Almraghy family, Alsamhody family, Altestary "Alsheshtary" family, Alsakhawy family).And it has three subjects:

The first subject: Their parentage. The second subject: Their beginning. The third subject: Their education and scientific travels.

**The second chapter : The scientific results for the scientific familie:*

And I searched in it scientist's writings from the scientific families individuals in branches of The Legislation, The Arabic language, The Social sciences, and this in three subjects:

The first subject: The Legitimacy sciences. The second subject: The Lingual and Moral sciences. The third subject: The Social sciences.

**The third chapter: The scientific families effect on the public life:*

And I searched in it the scientific effect on the religious life in holding jobs from declamation, judgeship, teaching and another, and so their effect on political life and their relating with the city lords from one side, and among the authorities of Mamlukes in Cairo from another side, and so their effect on the social life and the services which presented to the civil society, and their effect on the economical life as well, and this in three subjects:

The first subject: Its effect in the religious life. The second subject: Its effect in the political life. The third subject: Its effect in both of the social and economical life.

**The closure: In it the important research results. And the message ended by putting list of the sources and recourses, and then glossary for the topics:*

And the most important of results added by the research:

- The parentage is exalted request which the legislation exhorted on knowing and learning it, and the recognizing on the scientific family's parentage profits us many advantages one from them knowing the families came from the east and the west to Medina wanted for vicinity in Medina and Alharam Alnabawy Alshareef.
- The research referred to the important of Almasged Alnabawy and its role in the educational demonstration in the civil society but this role outreaching to the city outside then was this mosque open university for Islamic sciences overspread, and in it the scientists met who was act difference doctrines.
- It was appeared from the research that the arrival to the town from the horizons scientists a lot, and this for its religious consequence so we don't find any pilgrim to Mecca or visitor other than he visits the mosque of Allah's prophet and this make the town jam with horizons scientists during the year.
- And through studying the scientific results for scientists families the research referred to that the results for the civil families absorbed the legitimacy sciences from the exegesis, the readings, AlHadeeth, the jurisprudence and the unification, and there isn't lord branch on another branch, and every one in order of its attitudes and its importance.
- And The civil historical writing was severalty that its owners had the cause for the geographic places exactly more than the others who categorize in the town history, for their watching the instruments and the places, so we find who stimulate on the place immortality or its obsolete, and this matter which their writing was severalty.
- And about the effect of the families in the public life: It appeared the unite which appeared among the scientists from the civil families which smoothed for settled for Sunnism in the town, and the scientific families effected in the changing the situation of the judgeship, the declamation and another and be inferior to majesty in Egypt.

And then I proceed along Allah that make this work clear for his generous face and profit me with it in both of worldly existence and after world Amen, and Allah prayed on our prophet Mohammed, on his family and his friends and peace be upon them.

The Student

Horeya Abd Al Elah Saeed Alsomaly

The director

A.D. Daif Allah Ibn Yehya Alzahrany

The Rector of The Legislation and Islamic studies faculty

A.D. Saoud Ibn Ebraheem Alshareem

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إلى كل محب للعلم ، راغب في الاستزادة منه ...

إلى كل محب لمدينة رسول الله ﷺ ...

إلى أهل مدينة النبي ﷺ ...

أهدي رسالتي هذه ...

حورية السمللي

شكر ووفاء

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .. الحمد لله على ما أنعم ووفق لإنهاء هذا البحث ،
أشكره سبحانه على جزيل نعمه وعظيم امتنانه .

وحيث لا يشكر الله من لا يشكر الناس ^(١) ، فلإني أتوجه بالشكر بعد الله سبحانه لوالدائي امتثالاً
لقوله : ﴿ أَنْتَ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ ﴾ ^(٢) ، فشكراً لهما على ما حيياني من عطف وحرص وكما ربياني
صغيرة ، وبعثاني في روح الصبر ، أقدم لهما ثمرة من ثمار غرسهما ، وزهرة من روض عطفهما ، وأدعوا الله عز
وجل أن يمدد في عمريهما . كما أشكر الأستاذ الدكتور / ضيف الله بن يحيى الزهراني المشرف على الرسالة ،
حيث أنه لم يدخر وسعاً في سبيل خروج هذا البحث إلى النور ، والذي ما يخل عليّ بنوع مساعدة قط ، و
فتح لي آفاق العلم والمعرفة ، فالرسالة بما فيها هي من ثمرات توجيهه ونتاج فضله فله جزيل الشكر ، فقد كان
لحسن رعايته وصدق نصحه وكرم توجيهاته الأثر البالغ في أن أحال الحلم إلى حقيقة والفكرة إلى واقع ، فهذا
البحث وما فيه إنما هو حسنة من حسناته ، وفضل من أفضاله ، بارك الله له في علمه ونفع به ، وجعل كل
ذلك في ميزان حسناته . كما أتقدم بشكري وتقديري لزوجي الذي شد على يدي وأعانني على أمري وكان
لي خير سند ودعم ، فجزاه الله عني خير الجزاء ... وأخص بالشكر كذلك شقيقي الفاضل / فؤاد السلمي الذي ما
برح يشجعي على إتمام دراستي ، وساهم معي بجهده ووقته مما خفف عني العبء الكثير فجزاه الله خيراً ... والشكر
موصول لجامعة أم القرى على ما أتاحت لي من فرصة طلب العلم في أروقتها ، كما أشكر كلية الشريعة متمثلة في
عميدها الشيخ الدكتور / سعود الشريم ، ورئيس قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية الأستاذ الدكتور /
عبد الله الغامدي ، وأشكر قسم الطالبات متمثلة في العميدة الأستاذة الدكتورة / وفاء المزروع ، كما أشكر سعادة
الأستاذة الدكتورة / أميرة بنت علي المداح ، وكيلة القسم ، ومن أعضاء هيئة التدريس بالكلية وعمادة المكتبات ،
كما أشكر كل من ساعدني أو أرشدني أو وجهني ولو بكلمة أو مشورة ، أو غير ذلك ، كما أضم شكري لأعضاء
لجنة المناقشة الموقرة والمتمثلة في سعادة الأستاذ الدكتور / عبد العزيز بن عبد الله السلومي وسعادة الأستاذ الدكتور /
عدنان بن محمد الحارثي على موافقتهم مناقشة الرسالة وتحملهم عبء قراءتها ، فجزاهم الله عني خير الجزاء ، وجعل
ذلك في ميزان حسناتهم .

كما يطيب لي أن أشكر مكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة وأخص بالشكر والعرفان
مديرها الدكتور / عبد الرحمن المزيني لما قام به من تزويدي من بعض فيض معلوماته وتوفير لي الكثير
من المصادر والتي مثلت دعماً وإضافة لهذا البحث .

(١) أبو داود : سليمان ابن الأشعث ، سنن أبي داود ، تحقيق : محمد جمال الدين عبد الحميد ، (لبنان ، دار إحياء
التراث العربي) ج ٤ ، ص ٢٥٥ ، ح ٤٨١١ ؛ الترمذي : محمد بن عيسى ، سنن الترمذي ، تحقيق : كمال
الحوت ، (لبنان ، بيروت ، دار الكتب ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م) ، ج ٤ ، ص ١٩٨ - ٢٩٩ ، ح ١٩٥٤ .

(٢) القرآن الكريم : سورة لقمان ، آية : (١٤) .

مُتَكَلِّمًا

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾^(١) .

أما بعد ..

فلا يخفى على إنسان نور الله قلبه بالإيمان ما للمدينة المنورة من فضل عظيم ومكانة في هذا الدين القويم ، إنها مدينة رسول الله ﷺ ومثواه ، دار الإسلام الأولى ، أحبها النبي ﷺ وبني على أرضها المسجد النبوي ودفن فيها ، ثم صارت بعده مدينة الخلافة الراشدة ، منها انبعث نور الهداية إلى شتى الأصقاع ، وهوت إليها القلوب والأفئدة ، وأعلى الله سبحانه ذكرها ، وشرف أرضها ، وفتح بالإيمان قلوب أهلها .

حرّم رسول الله ﷺ حرّمها ، فمن أحدث حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين^(٢) . إنها قرية تأكل القرى^(٣) ، أي تغلبهم ، ويفتح أهلها القرى وتضمحل الفضائل ، في جنب عظيم فضلها حتى تكون علماً يأرز الإيمان إليها كما تآرز الحية إلى جحرها^(٤) ، فانتشر منها الإيمان ، وكل مؤمن له من نفسه سائق إلى المدينة لحبة النبي ﷺ لا يكيّد أهل المدينة أحد إلا إن ماع كما ينماع الملح في الماء^(٥) ، تبقى شائخة على مرّ العصور ، تنفي خبيثها وتضع طيبها^(٦) ، فتعطي طيبها لمن سكنها ، ضاعف الله فيها البركة

(١) القرآن الكريم : سورة النساء ، آية : (١) .

(٢) البخاري : محمد بن إسماعيل ، الصحيح ، (ط١) ، (بيروت ، دار الفكر ، ١٤١١هـ / ١٩٩١م) ، ج٤ ،

ص٨١ ، ح١٨٦٧ .

(٣) المصدر السابق ، ج٤ ، ص٨٧ ، ح١٨٧١ .

(٤) المصدر السابق ، ج٤ ، ص٩٤ ، ح١٨٧٦ .

(٥) المصدر السابق ، ج٤ ، ص٩٤ ، ح١٨٧٧ .

(٦) المصدر السابق ، ج٤ ، ص٩٦ ، ح١٨٨٣ .

بدعاء النبي ﷺ : ((اللهم اجعل بالمدينة ضعف ما جعلت بمكة من البركة)) ^(١) ، يطلب الناس الدنيا فيرغبون عنها والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ^(٢) ، تظل على مر الزمان شامخة ، حرسها الله وجعل على أنقابها ملائكة لا يدخلها الطاعون ، ولا الدجال ^(٣) ، وليس على وجه الأرض (روضة) من رياض الجنة إلا بالمدينة ، وأن منير النبي ﷺ على حوض ^(٤) .

أسباب اختيار الموضوع وأهميته :

إنها بلدة طابة طيبة ، طيب ما فيها ، مبارك من بها ، تنفي الخبث وتصنع الطيب ، وأطيب الطيب ما كان من إيمان وعلم فهو حياة للقلوب ، نزل الإيمان فتجدر في قلوب أهلها منذ أن تعلموا من رسول الله ﷺ العلم والإيمان ، ولم يزل هذا العلم خير ميراث تتوارثه الأجيال ، قال تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ ^(٥) ، وقال تعالى : ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ ﴾ ^(٦) ، قال المفسرون : (المراد بذلك وراثة الملك والنبوة فان الأنبياء لا تورث أموالهم) ^(٧) ، وقال ﷺ : ((إن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر)) ^(٨) .

(١) البخاري : الصحيح ، ج ٤ ، ص ٩٧ ، ح ١٨٨٥ .

(٢) المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٩٠ ، ح ١٨٧٥ ؛ مسلم : أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري :

الصحيح ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، (مكة ، المكتبة الفيصلية) ، ج ٢ ، ص ١٠٠ ، ح ١٣٨٨ .

(٣) المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٩٥ ، ح ١٨٨٠ .

(٤) المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٩٩ ، ح ١٨٨٨ .

(٥) القرآن الكريم : سورة فاطر ، آية : (٣٢) .

(٦) القرآن الكريم : سورة النمل ، آية : (١٦) .

(٧) ابن كثير : إسماعيل الدمشقي ، تفسير القرآن العظيم ، (د. ط) ، (القاهرة ، مكتبة دار التراث ، د. ت) ،

ج ٣ ، ص ٣٥٨ .

(٨) أبو داود : سنن أبي داود ، ج ٣ ، ص ٣١٧ ، ح ٣٦٤١ .

ومن هنا نبتت الأسر العلمية التي توارث أبنائها العلم ، ذلكم الميراث النبوي العظيم الذي لا يستغني عن جيل مسلم على مرّ الأزمان .

ولمكانة المدينة العلمية والدينية ، ولكونها محط رحال العلماء والأدباء وعامة المسلمين ، كل ذلك أثر في تنشيط الحياة العلمية بها ، وبذلك برزت هذه الأسر العلمية بها طيلة قرون الإسلام بها ، وقد كتب الكثير من المؤرخين عن الأحداث السياسية التي مرت بها المدينة عاصمة الإسلام في عصر النبوة والخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم ، وكذلك ما كان من دور سياسي لها إبان الخلافة الأموية والعباسية ، وما كان من فتن وقعت بها مصداق قول النبي ﷺ : ((هل ترون ما أرى إني لا أرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر))^(١) ، وهذا من علامات النبوة ، وظهر مصداق ذلك من قتل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ثم الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنهما ثم وقعت الحرة وهلم جرا^(٢) .

ولقد كانت المدينة أعمر ما يكون حيث كانت بعد الخلافة بضع الناس وملجأهم ، وحملت إليها خيرات الأرض ، وصارت من أعمر البلاد ، فلما انتقلت الخلافة عنها إلى العراق والشام وتعلبت عليها الأعراب تناوبت عليها الفتن^(٣) ، فاتجهت همم المؤرخين إلى تسطير ما وقع من ذلك وتناوله بالتحليل والدراسة ، فكتبوا عن الثورات وقضايا الحكم والحروب ، وقلما اهتموا بالحديث عن الحياة العلمية والجوانب الحضارية الأخرى إلا ما كان على شكل إشارات عابرة وشذرات متفرقة بين الأحداث .

لأجل ذلك كانت همي منبعثة إلى دراسة شيء من ذلك ، فاخترت البحث في (الأسر العلمية) ، واخترت (العصر المملوكي) ، حداً زمانياً للبحث رغبة في إبراز الدور العلمي الذي قامت به الأسر العلمية في هذا العصر في المدينة النبوية المشرفة .

وقد تفاعل الزمان والمكان في تفعيل الدور العلمي بالمدينة ، وذلك لعدة عوامل لعل من أبرزها :

- المكانة الدينية والعلمية للمدينة النبوية ، والتي تقدم بعض الشيء من ذلك لها .

(١) البخاري : الصحيح ، ج ٤ ، ص ٩٤ ، ح ١٨٧٨ .

(٢) ابن حجر : محمد بن أحمد ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، (دار المعرفة ، بيروت ، د. ت) ، ج ٤ ، ص ٩٥ .

(٣) المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٩٠ .

- الرخاء الاقتصادي الذي نعم به أهل المدينة خلال العصر المملوكي والذي تسابق فيه الناس إلى وقف الأوقاف الخيرية على ساكني الحرمين الشريفين ، ولقد كانت الصرة المملوكية تأتي من مصر إلى المدينة تكف أهلها عن الطلب ، وتمنع ذل سؤال المحتاج .
- اهتمام السلاطين والولاة والحكام بالعلم والعلماء ، وتنشيط بناء دور العلم من مدارس والإغداق على العلماء ، وتنسيق حلقات الوعظ بالمسجد النبوي الشريف .
- المطالب الدينية التي تدعو إلى الرحلة في طلب العلم ، وكون الحرمين الشريفين خير مرحول له ، يترل به العلماء ويستزيدون من العلم ويطلبون الإجازات العلمية ، ويتحملون العلم ينقلونه لمن بعدهم .
- قهية المناخ الديني للمجاورة بحرم رسول الله ﷺ ، ومن ثم استيطان المدينة إلى هذه العوامل وغيرها أثر ولاشك في تنشيط الحركة العلمية بالمدينة في هذا العصر الذي كان من أبرزها ظهور (الأسر العلمية) ، فحظيت كثير من البيوتات بأكثر من عالم في علوم الشريعة واللغة والعلوم التطبيقية ، وصارت عبارة (الإمام بن الإمام) ، مشهورة في التراجم ، مكررة على الألسن .
- ويمكن أن يضاف إلى هذه العوامل التي أدت إلى ظهور الأسر العلمية ، حب العلماء إلى توريث العلم لمن يحبونه ، ولا أحب للعالم من ولده ، كما أن المكانة التي يصل إليها العالم في أسرته ومجتمعه ، والتميز الذي يلقاه من الاحترام والمحبة ، بل والمركز المالي ، كل ذلك يكون دافعاً لعدد من أفراد أسرته أن يحذو حذوه .
- ولعله يمكن أن يقال أيضاً : (إذا كان العلم ميراثاً ، فإن العاقل يطلب ميراثه المستحق من أبيه وأجداده) ، وربما كان ذلك بتلقي الإجازات العلمية والتي تدفع الابن إلى اللحوق بأبيه وذويه لما يرى من نور العلم وبركته .
- وربما كان للتنافس المحمود دوره في ذلك أيضاً ناهيك عن الانتعاش الاقتصادي للأسر الذي أدى إلى تفرغ أبنائها لطلب العلم ، ومن ثم نشرها (باعتبارها أسراً) .

كل هذه العوامل وغيرها أدى إلى ظهور الأسر العلمية بالمدينة النبوية ، والتي كان لها التأثير الإيجابي في تنشيط الحياة العلمية بها ^(١) .

ومن أبرز مظاهر هذا التأثير :

- استمرار النشاط العلمي بتوارثه عبر الأجيال ، وحفظ المسائل والمذاهب عبر الأزمان.

- التنافس في بناء المدارس ودور العلم وتحبيس الأوقاف عليها .

- التأثير في القرار السياسي بتولية المناصب والقضاء ، وذلك أن الأمراء إذا استقضوا فرداً من أفراد الأسرة ، فصلح به القضاء ، فإن هممهم تتجه غالباً إلى تولية أفراد من أسرته القضاء بعده ، وهذا يؤثر في النواحي العلمية مما يعرف بـ (تاريخ القضايا) ، حيث يحفظ القاضي الشاب التاريخ العلمي لقضاء والده أو جده ويعيش عليه ، وربما استشار والده أو جده بأن كان منهم أحداً على قيد الحياة في بعض هذه القضايا ، فيكون ميراثاً أسرياً للعلم التطبيقي في القضاء .

وهذه العوامل وغيرها مما يبين أهمية هذا الموضوع واستحقاقه بالدراسة في مدينة رسول الله ﷺ ، وهو ما قمت به ، وآمل أن يكون في صورة مشرفة مقبولة .

وقد ظهرت الأسر العلمية في المدينة المنورة في العهد المملوكي ، مع توفير الممالك للدعم المادي والمعنوي للحركة العلمية ومع توارد رحلات الرحالة والعلماء والحجاج الذين يعرجون على المدينة لزيارة المسجد النبوي بعد حجهم ، وتباينت اهتمامات هذه الأسر العلمية ، فمنهم من اهتم بالحديث وآخر بالفقه وثالث باللغة وهكذا .

وقد تحسّل للباحثة جملة كبيرة من المادة العلمية المتعلقة بذلك وكثير من البيوتات بالمدينة كان فيها أكثر من عالم ، إلا أنني انتخبت الأسر التي ذخرت بعدد من العلماء أو كان لها التأثير الكبير على الناحية العلمية في هذا العصر ^(٢) .

(١) أي تأثير الأسر باعتبارها تجمعات علمية ، أما تأثير أفراد الأسر في الحياة العامة (الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية) ، فهذا محل بحث وتفصيل في الفصل الثالث من هذه الرسالة ، والمراد هنا الإشارة إلى نتائج عامة لظهور الأسر بالمدينة المنورة مما يظهر أهمية دراسة الموضوع.

(٢) لم أدخل في دراسي الأسر التي يظهر فيها عالمان فقط في فترة الدراسة إذ تأثير هذه الأسر العلمي يكون محدوداً بأفراد الأسرة كاجتهاد شخص من العلماء خارج المسار الأسري.

وقد تحصّل لي بعد البحث والمطالعة والتقيب في صفحات المصادر وكتب التراجم ، عشرة من الأسر العلمية التي أنجبت كل واحدة منها عدداً من العلماء ممن كان لهم الباع في النشاط العلمي وهي : (أسرة المطري ، أسرة الزرندي ، أسرة ابن فرحون ، أسرة الخجندي ، أسرة ابن صالح ، أسرة الكازروني ، أسرة المراغي ، أسرة التستري " الششتري " ، أسرة السمهودي ، أسرة السخاوي) .

وأما أهم الصعوبات التي واجهتني في البحث :

فلا شك أن كل دراسة لا تخلو من صعوبات وعوائق تصادفها ، ومن هنا تأتي حلاوة وطعم النجاح ، فكل عمل لا يبذل فيه المرء جهداً ولا يصارع صعوبة ، لا يتذوق ثمرته ولا يشعر بطعم نجاحه ، وقد جعلت الصبر ديدني وسمو الهدف والغاية التي أنشدها نصب عيني .

ومما يجدر ذكره أنني حينما أذكر بعض الصعوبات التي واجهتني ، فلست أذكرها ضناً مني بوقت أو جهد أبذله في سبيلها ، فمثل هذه الدراسة يبذل المرء من أجلها كل غالٍ ونفيس ، وقد كان سلف هذه الأمة من العلماء يشدون إلى العلم الرحال وينهون في سبيل نيله الآجال ، وإنما أذكر هذه المصاعب لما يكون هناك من تقصير شاب بحثي أو خطأ أو سهو وقعت فيه ، فأسأل الله التجاوز عن أخطائي ، وعجز البشر فما من عمل لابن آدم إليه إلا وفيه نقص ، وإنما الكمال لله وحده سبحانه وتعالى .

ومن المصاعب التي صادفتني :

- صعوبة الوصول إلى بعض الكتب التي لم أتحصل عليها ، فسعيت لها بشق السبل ، فحصلت على بعضها والحمد لله .

- تشتت المادة العلمية في المصادر ، وقتتها في كثير من التراجم ، وتكرارها الواضح فيمن اتسعت ترجمته ، فنجد أن ما يذكره المقرئزي ، ربما يأتي بلفظه في الضوء والتحفة للسخاوي ، وفي الشذرات لابن العماد ، وهكذا ، فما كنت فرحت به أثناء جمع المادة في بطاقات ، لم أستفد منه الكثير لهذا السبب .

- كما أن طبيعة البحث (الأسر العلمية) هو في جزئية مهمة من الحياة العلمية ، إلا أن تحديدها يجعل الباحث يدور حول هذه النقطة ، مما يمنعه من الانطلاق في بحث بقية الجوانب العلمية تجنباً للحشو والإطالة ، مما جعل المادة العلمية في الجملة عزيزة المنال .
- تحديد المكان بالمدينة المشرفة ، وهي دار الحجر وموضع المسجد ، والروضة ، مما جعل أكثر من أرّخ لها يهتم بهذه النواحي أكثر مما يهتم بتراجم من كان بها من العلماء ، كذا كان لوجود الأحداث الكثيرة المختلفة والمتغيرة أثره في جعل المؤرخين يهتمون بالنواحي السياسية أكثر من غيرها ، كما يظهر من تراجم الأشراف مقارنة بتراجم العلماء .
- قلة المصنفات المتنوعة التي أرّخت لهذه الفترة علمياً بالمدينة المشرفة ، فباستثناء كتابي السخاوي (التحفة والضوء) فإننا لا نجد الاتساع الواضح في التراجم التي تعكس الحالة العلمية للأسر المدنية بوضوح .
- الاتساع في التسمية باسم (محمد) للأشقاء وأبناء العم ، بل في الجملة لا تخرج أسماء الأسرة الواحدة عن عدد محدد من الأسماء بل والألقاب والكُنى ، بل منهم من سُمى أولاده بفلان الأول ، وفلان الثاني ، وهذا التشابه الكبير أجهدني في التعرف على شجرة النسب ، والتي استغرقت وقتاً طويلاً ؛ رغبة مني في الاستقصاء ما أمكن لكل علماء الأسرة الواحدة ، يظهر ذلك في نحو أسر المراغي والزرندي وابن فرحون ، وغيرها .
- وجود الكثير من المشاكل الفقهية في بعض التراجم ، فبعض المصنفين كان يرى أن التصوف ولبس خرقة التصوف والسفر لزيارة القبور من الممادح التي تزين بها التراجم ، فأطال في ذلك وأسهب ، ولما كان البحث تاريخياً ، ومحل مناقشة ذلك في بحوث الفقه والعقيدة ، لذا فقد كنت أستخلص المعلومة التي يحتاجها البحث دون الدخول في تفاصيل ذلك ، وربما ذكرت التصوف باسم السلوك ، باعتبار أنه أول ما نشأ كان مذهباً سلوكياً لتهديب النفوس ثم طرأ عليه الانحراف في كثير من قضاياه لاحقاً ، وإن كان البحث لا يخلو من إشارة لما أراه الصواب في ذلك .

خطة البحث :

وقد ظهر لي الكتابة في هذا البحث تحت عنوان :

(الأسر العلمية في المدينة المنورة

وأثرها على الحياة العامة في العصر المملوكي)

(٦٤٨هـ - ٩٢٣هـ / ١٢٥٠م - ١٥١٧م).

وقد جعلت البحث في مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة.

* فأما المقدمة:

ففيها بيان موجز لمكانة المدينة النبوية وأسباب اختيار الموضوع وأهميته، والدراسات السابقة فيه، ثم تناول لأهم المصادر المتعلقة بالبحث وعرض لخطة البحث.

* الفصل الأول: الأسر العلمية

(أسرة المطري، أسرة الزرندي، أسرة ابن فرحون، أسرة الخجندي، أسرة ابن صالح، أسرة الكازروني، أسرة المراغي، أسرة السمهودي، و أسرة التستري "الششتري"، أسرة السخاوي).

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: وهو بعنوان (نسب الأسر العلمية)، وقد بحثت فيه ما يتعلق بنسب الأسر العلمية المدنية موضع الدراسة، والتعريف بالبلدان التي ينسبون إليها قبل مقدمهم إلى المدينة النبوية، ثم بينت أن تأثيرهم في المدينة لم يتأثر بكونهم قد أتوا من شرق أو غرب، فقد قاموا بدورهم العلمي فيها، كما أوضح البحث أن كثيراً من هذه الأسر يرجع نسبهم إلى أصول عربية نزحت من الجزيرة في عهد سابق لقدومهم المدينة النبوية.

المبحث الثاني: (نشأة الأسر العلمية)، وهو يبحث في نشأة هذه الأسر في المدينة النبوية، ابتداءً من نزول مؤسسها بالمدينة، وأبان البحث عن التسلسل التاريخي لعلماء الأسر ودورهم العلمي في المدينة، بحيث تظهر شجرة النسب العلمية من جهة وحياتهم العامة في المدينة من جهة أخرى، و تحديد سني وفاتهم، مع الإشارة إلى مكانتهم العلمية ومكانتهم عند العلماء والمؤرخين.

المبحث الثالث: وهو بعنوان: (تعليم الأسر، ورحلاتهم العلمية)، وقد ناقش البحث فيه التعليم الذي تلقاه أفراد الأسر داخل المدينة أو خارجها، مع بيان شيوخهم وتلاميذهم، والعلوم والكتب التي كانوا يدرسونها، ثم رحلاتهم العلمية إلى أقطار العالم الإسلامي، وما حصلوه هناك من علوم ومعارف، وأبرز شيوخ هذه الرحلات العلمية.

* الفصل الثاني: النتاج العلمي للأسر العلمية.

وفيه بيان ما أنتجه علماء الأسر العلمية من مصنفات في العلوم الشرعية واللغوية والأدبية والاجتماعية، وقد قسّم البحث ذلك إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: بعنوان (العلوم الشرعية)، ويناقش البحث فيه المؤلفات التي للأسر العلمية في مجال العلوم الشرعية من علوم القراءات والتفسير وعلوم القرآن، وكذا مصنفاتهم في أصول الدين، ومصنفاتهم الحديثية، والفقهية، وغير ذلك، وقد بين البحث التعريف بكل هذه المصنفات ما أمكن.

والمبحث الثاني: وكان بعنوان (العلوم اللغوية والأدبية)، ويوضح الإنتاج العلمي للأسر في مجال العلوم اللغوية والأدبية، من المصنفات النحوية والعروضية، وأشعارهم، وما وضعوه في علوم البلاغة وغيرها.

المبحث الثالث: بعنوان (العلوم الاجتماعية)، ويناقش ما كان من آثارهم في مجالي التاريخ والجغرافيا، من مصنفات، وأبان البحث عن اهتمام منهم في الجملة بتاريخ المدينة المشرفة وجغرافيتها.

* الفصل الثالث: أثر الأسر العلمية على الحياة العامة.

وفيه بيان ما أحدثه وجود هذه الأسر في المدينة من تأثير على الحياة الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، وقد قسم الفصل إلى ثلاثة مباحث هي:

المبحث الأول: وهو بعنوان (أثر الأسر في الحياة الدينية)، ويناقش تأثير الأسرة في عقد الحلقات العلمية بالمسجد النبوي الشريف، وبيان العلوم والدروس التي كانت تلقى به، والعلماء من الأسر الذين اضطلعوا بهذه المهمة، ثم بيان أثرهم

في التدريس بالحلقات الخاصة؛ وهي الدروس التي يقيمها بعض الأمراء والوجهاء ابتغاء الأجر من الله تعالى ونشراً للعلم الشرعي الشريف، ثم يناقش البحث أثر الأسر في تولي المناصب الدينية المختلفة من القضاء في المدينة وخارجها، والخطابة والإمامة بالمسجد النبوي الشريف، ثم الأذان والفتيا والحسبة، والتدريس في المدارس داخل المدينة وخارجها، والتدريس بالمنازل، ثم أثرهم في عقد مجالس الإملاء بالمسجد النبوي الشريف، ثم ناقش البحث دور المرأة في مجالس العلم وأخيراً ناقش المذاهب السنية الفقهية المختلفة ودورها في التصدي لانتشار المذهب الإمامي.

والمبحث الثاني: وهو معنون بـ (أثرها في الحياة السياسية)، وقد ناقش التركيبة السياسية للمدينة النبوية من وجود حكامها الإمامية، وتسلطهم على أهل البلاد ولاسيما من المجاورين أهل السنة، وبين رغبة المماليك في التمكين لأهل السنة بالمدينة شيئاً فشيئاً، وبين مكانة العلماء من الأسر في هذا الخضم السياسي متنوع الأفكار والاتجاهات، ودورهم السياسي في تقوية مذهب السنة بالمدينة، ومحافظة على هيبة العلم ضد سطوة الأمراء ممن جار، بل صار العلماء إجمالاً مقياساً للهوية والمنطلق السياسي الذي التف حوله أهل السنة.

والمبحث الثالث: وكان بعنوان (أثرها في الحياتين الاجتماعية والاقتصادية)، ويناقش في الحياة الاجتماعية: تقسيم المجتمع المدني إلى فئات اجتماعية، وبيان الرابط الاجتماعي الذي كان يربط الأسر العلمية كالزواج، والمساعدة الاجتماعية، ومشاركة الأسر العلمية في بعض المشاريع الخيرية، وكذلك يناقش الرابط الذي يكون في الأتراح، وما يكون من أسباب الموت المختلفة، كما يناقش البحث دور الأسر العلمية في بناء وإصلاح الأربطة بالمدينة، ويبين بعض الحرف والمهن الاجتماعية من مهنة شهود الحرم، والإصلاح بين الخصوم، وتأديب الأطفال، ومهنة المؤقت، وتحصيل أوقاف الحرمين.

أما في الحياة الاقتصادية فيناقش البحث الحرف الاقتصادية كالزراعة، وخدمات الزائرين، والصناعات والتجارة بالمدينة النبوية، وأفراد الأسر العلمية الذين عملوا فيها، كما يناقش البحث مهنة خازن الكتب، والنساخة، والتجليد، وهي

كلها من المهن التي ترعى العلم وتحفظه، وقد عمل فيها الكثير من أفراد الأسر العلمية، كما أشار البحث إلى غير ذلك من المهن كالدهان والطب التي عمل بها بعض أفراد الأسر العلمية.

* الخاتمة : وفيها أهم نتائج البحث.

* ثم ذيلت البحث بثبت المصادر والمراجع، وفهرس للموضوعات.

أهم المصادر التي استفاد منها البحث:

وحيث لم يكن هناك دراسة متخصصة في (عنوان البحث)، لذا كان لزاماً أن تقوم الباحثة بجمع شتات المادة من المصادر المختلفة، ولعل أهم هذه المصادر ما كان من مؤلفات عظيمة دونت في العصر المملوكي، التي كانت بمثابة سجل التراث العلمي لتلك الحقبة الزمنية المتألفة، وبعض هذه المصادر التي اختصت بتاريخ المدينة، وبعضها عام... فمن قائمة المصادر التي اختصت بتاريخ المدينة، مما دُوّن في العصر المملوكي:

— "نصيحة المشاور وتعزية المجاور"، لعالم المدينة وقاضيه؛ البدر عبد الله بن محمد بن فرحون (ت ٧٦٩هـ / ١٣٦٧م) حيث ترجم لعدد كبير من العلماء والفقهاء، والقضاة، والمؤذنين، والصلحاء، والقائمين على خدمة المسجد النبوي، كما تحدث عن أمراء المدينة من الأشراف، ووزرائهم، والكتاب يعطي صورة عن الأوضاع السياسية والحياة الاجتماعية في عصر المؤلف، وعن العلاقات بين فئات المجتمع المختلفة.

وهو كتاب حافل، اعتمد عليه من جاء بعده، إضافة إلى مشاهدات وذكريات الشيخ عن أحواله وأحوال عصره، وأهل المدينة ممن عاصروهم، وخير أحوالهم، فهو تاريخ شاهد عيان على هذه الحقبة والتي انتهت قبل وفاته بقليل.

— كَتَبَ أبو بكر بن الحسين الزين المراغي (ت ٨١٦هـ / ١٤١٣م) "تحقيق النصره بتلخيص معالم دار الهجرة"، وقد سَدَّ هذا الكتاب ثغرة في تاريخ المدينة فهو (يُتم) النقص الذي يوجد في بعض المؤلفات التاريخية عن المدينة، كما حفظ لنا بعض ما فقد من تواريخ كتاريخ ابن زباله والحسن العلوي والعبدري، وأيضاً فقد أرَّخ للحوادث التي سبقت عصره بقليل كالنار التي ظهرت في سنة (٦٥٤هـ / ١٢٥٦م)، ثم يحدد الآثار التي نجمت عنها، وقد وثق المراغي الحادثة بسؤال شيوخ الحرم عن ذلك إضافة إلى ما ذكره المطري في تاريخه.

- "المغامم المطابة في معالم طابة": للفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ / ١٤١٥م)، تحدث فيه عن الرسول ﷺ وعن حياته، وكذلك عن أمراء المدينة في العصر الأموي، والعباسي، ثم في العصر المملوكي، وقد حوى الكتاب مجموعة ضخمة من التراجم رتبها المؤلف على حروف الهجاء، إلا أن التزامه أسلوب السجع كان حائلاً أحياناً دون وصف المعلومة بصفة دقيقة مقارنة بغيره، وقد تملّ الأذن كثرتة وتشعر بشيء من تكلفه.

٤ - "الضوء اللامع لأهل القرن التاسع" المؤلف: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت ٩٠٢هـ / ١٤٩٦م)، وهو كتاب قيم حوى العديد من التراجم لشخصيات كثيرة، انفرد بالترجمة عنها خصوصاً الشخصيات التي كانت لها علاقة بالدولة المملوكية في مصر، والتي أسهمت بدورها الحضاري.

وقد اتسم أسلوب الكتاب بالشمولية في حديثه عن الشخصيات، والإشادة بمن كتب عن الشخصيات التي يتحدث عنها المؤلفين المعاصرين والسابقين له.

- وله كتاب آخر هو "التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة" ترجم فيه لكل ما وصل إلى علمه من أهل المدينة والوافدين إليها، منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم حتى عصره.

وكان اعتمادي على هذين الكتابين أكثر من غيرهما في الجملة، من حيث إن السخاوي كان معاصراً للأسر العلمية تتلمذ على بعض أفرادها، وصار شيخاً لآخرين، ولاسيما وقد جاور بالمدينة ثلاث مرات، حتى صار أعلم بدقائق تاريخها من أهلها المقيمين بها.

- "وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى" لنور الدين عبد الله السمهودي (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م)، الذي لخص فيه ما اطلع عليه من تواريخ المدينة، ومعالمها، وأثارها، ويقدم الكتاب صورة طيبة عن بعض أوجه الحياة الاجتماعية، والاقتصادية، والأحوال العمرانية، للمسجد النبوي، وما طرأ على تلك المعالم من تغير خلال العصر المملوكي، كما فيه لفتات علمية متميزة استفدت منها في بحثي.

ومن أهم المصادر في هذه الدراسة أيضاً:

قائمة المصادر العامة فقد حفلت بالعديد من المؤلفات المفيدة في هذا الباب ككتب التراجم نحو "الدور الكامنة في أعيان المائة الثامنة" لحافظ ابن حجر (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م)، والموسوعة العلمية "صبح الأعشى في صناعة الإنشا" لأحمد بن علي القلقشندي (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م)، و"السلوك لمعرفة دول الملوك" للمقريزي (ت ٨٤٥هـ/١٤٤٢م)، وكتابه الآخر الذي وضعه لمعاصريه المعنون بـ"درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة"، وكذا استفاد البحث من كتاب "النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة"، لابن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م)، ومن كتاب "شذرات الذهب في أخبار من ذهب" لابن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م)، وكتاب "البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع" للشوكاني (ت ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م) وغيرها كثير من كتب التراجم.

كما أفاد البحث من كتب المصادر المكية والمشيخات، فقل أن يكون عالم مدني إلا وبث علمه في مكة إبان الحج والمجاورة، ومن أهم هذه الكتب: "العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين" لتقي الدين الفاسي (ت ٨٣٢هـ/١٤٢٨م)، وكتاب "معجم الشيوخ" للنجم عمر بن فهد (ت ٨٥٥هـ/١٤٨٠م).

وقد من الله عليَّ بعدد من المخطوطات التي استطعت أن أعثر عليها من "مكتبة الملك عبد العزيز" بالمدينة النبوية، لبعض علماء الأسر، في موضوعات مختلفة، كالفقه أو الحديث وغيره، والتي أضفت بظلالها على البحث، فأثرت المادة العلمية، ولا سيما في الفصل الثاني.

ومن ذلك مخطوط "بغية المراتح على طلب الأرباح" للشيخ محمد بن يوسف الزرندي، ومخطوط "رسالة عن صلاة الرغائب" للشيخ محمد بن أحمد الحجندي، ومخطوط "تفسير اليسير" للشيخ أحمد بن محمد الكازروني، وغيرها.

هذا بالإضافة إلى العديد من كتب العلوم الشرعية والتاريخية المختلفة التي احتاج لها البحث.

كما أفاد البحث كثيراً في مجال التعريف بالكتب والمصنفات بكتاب "كشف الظنون في أسامي الكتب والفنون" لحاجي خليفة (ت ١٠٦٧هـ / ١٦٥٦م)، ومن ذيليه "إيضاح المكنون في الدليل على كشف الظنون" و"هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين" وكلاهما لإسماعيل باشا البغدادي (ت ١٣٣٩هـ / ١٩٢٠م)، وقد طبعت هذه الكتب جميعاً تحت مسمى الأول !! في ست مجلدات.

وقد استفدت من كتاب "معجم البلدان" لياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) في التعرف على أهم المعالم الجغرافية التي مرّت بنا في البحث. كما استفاد البحث من العديد من المعاجم اللغوية وأهمها : "لسان العرب" لابن منظور (ت ٧١١هـ / ١٣١١م).

أما كتب الأنساب، فتعد من المصادر الهامة لهذا البحث، حيث استفدت منها كثيراً في تأصيل نسب كل أسرة من الأسر العلمية، فأفاد البحث من كتاب "الأنساب" للسماعي (ت ٥٦٢هـ / ١١٦٦م)، وكتاب "اللباب في تهذيب الأنساب" لابن الأثير (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م).

كما أفاد البحث أيضاً من المراجع المتأخرة التي بحثت الحياة العلمية المختلفة في العصر المملوكي والدراسات التي كانت على الشخصيات المهمة لفترة البحث ولاسيما ما كان من شخصيات (مدنية)، وغير ذلك كثير، ومن هذه الدراسات نذكر مايلي:

- المدينة المنورة في العصر المملوكي: عبد الرحمن مديرس المديرس.

- الحياة العلمية في الحجاز خلال العصر المملوكي "٦٤٨ - ٩٢٣هـ / ١٢٥٠ -

١٥١٧م" لخالد الجابري.

الحياة الثقافية في المدينة المنورة عصر سلاطين المماليك "٦٤٢ - ٩٢٣هـ" لعلي

السيد علي.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،،،

الفصل الأول الأسر العلمية

وفيـــــــــــــــــه:

- المبحث الأول: نسبهم.
- المبحث الثاني: نشأتهم.
- المبحث الثالث: تعليمهم ورحلاتهم العلمية.

المبحث الأول: نسبهم.

معرفة الأنساب مطلب شرعي، فإن الله تعالى خلق الناس شعوباً وقبائل للتعارف بالأنساب، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾^(١).

ومن خصيص مهمات الشرع التعرف على نسب النبي ﷺ، فمعرفة النبي ﷺ واجبة للإيمان والتأسي به، ومعرفته من لوازم محبته وهي واجبة على كل مسلم، ومن هنا كان الاهتمام بعلم الأنساب عامة، وبالنسب الشريف خاصة.

ثم إن الروايات التاريخية والأحاديث النبوية والآثار السلفية تفتقر إلى تحديد أنساب الرواة والتعرف عليهم؛ ولذا كان الإسناد من خصائص هذه الأمة، وهو سنة بالغة مؤكدة، كما قال العلماء^(٢)، وليس المراد معرفة (قال فلان - وحدثنا فلان) دون التعرف على الراوي ونسبه وحاله، بل المراد معرفة الرواة وأنسابهم ومحلهم من العدالة والإتقان، وبهذا يتضح لنا أهمية علم الأنساب، ولأجل ذلك انصرف هم العلماء إلى ضبطه وتحريره والتصنيف فيه، وعلم الأنساب هو فرع من فروع علم التاريخ، ثم ما لبث أن صار علماً مستقلاً له أصوله وفنونه وأربابه، واشتغل به كثيراً من مؤرخي الأمة امتداداً لاشتغالهم بعلم التاريخ الذي لا يستغني عن علم الأنساب، والإحاطة به لمن أراد أن يعرف أمته وأعلامها من الصحابة والتابعين والقواد الفاتحين والعلماء والمحدثين وغيرهم.

ويُعرف علم النسب بأنه "العلم الذي يتعرف من خلاله على أنساب الناس وقواعده الكلية والجزئية، للاحتراز من الوقوع في الخطأ في نسب شخص ما"^(٣).

وقد يكون النسب إلى قبيلة وهو الأصل، أو إلى بلد أو حرقة ونحو ذلك.

(١) القرآن الكريم: سورة الفرقان، آية: (٤٥).

(٢) النووي: أبي زكريا محي الدين بن شرف، تقريب النووي، مطبوع مع تدريب الراوي للسيوطي، تحقيق:

عبد الوهاب عبد اللطيف، (بيروت، دار الفكر، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م)، ج ٢، ص ١٥٩ - ١٦٠.

(٣) حاجي خليفة: مصطفى بن عبد الله القسنطيني الرومي الحنفي، كشف الظنون عن الأسامي في كتب الفنون،

(دار الفكر، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)، ج ١، ص ١٧٨ - ١٧٩.

وتمثل هذا تحدد أنساب الأسر العلمية في المدينة النبوية في العصر المملوكي، فمنهم من نسب إلى قبيلة كالمراغي، أو إلى رجل كأسرة ابن فرحون اليعمري، وابن صالح، وسائرهما كانت نسبهم إلى أماكن من بلاد أو مدن أو قرى.

وقد وفدت هذه الأسر إلى المدينة المنورة من أماكن مختلفة من العالم الإسلامي، فجاءت من مصر كل من أسرة (المطري، والمراغي، وابن صالح، والسمهودي، والسخاوي)، وترجع أصول ثلاثة من الأسر إلى بلاد فارس وهي أسرة: (الزرندي، والكازروني، والتستري "الششتري")، بينما كانت أسرة (الحجندى) تركية الأصل، في حين نجد أسرة (ابن فرحون) ترجع لأصول مغربية.

وهذا الاتساع الجغرافي يشير إلى أن المدينة كانت تجذب العلماء، وكان المناخ مهياً لنشوء الأسر من كافة الجهات.

كما تفيد دراسة النسب إلى وجود التآلف الإسلامي في المدينة المشرفة في العصر المملوكي، بحيث يتزل الرجل فيجد القبول بحيث يكون تعظيمه بقدر ما يحمله في صدره من العلم، وبقدر صلاحه وتقواه، ومن ثم يترقى في المناصب ويذيع صيته دون النظر في أصوله الواردة على المدينة.

أن الأسر العلمية كانت كلها والحمد لله على السنة، ولم يكن لوجود الحكام الأشراف^(١) من غير السنة تأثير مانع من نشوئها، وهذا لأمر يقدره الله تعالى. ومن أجل التعرف على أصول تلك الأسر، فلا بد من معرفة أنسابهم، وذلك على النحو التالي:

أسرة المطري:

المطري: بفتح الميم والطاء المهملة وفي آخرها راء^(٢)، والمطرية إحدى قرى مصر^(٣)

(١) انظر تعريفهم في الفصل الثالث المبحث الثالث الآثار الاجتماعية : ص ٣٩٢.

(٢) السمعاني : أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي ، الأنساب ، تحقيق : عبد الرحمن بن يحيى العلمي اليماني ، (د. ط) ، (بيروت ، لبنان ، د. ت) ، ج ٥ ، ص ٣٢٥ ؛ ابن الأثير : عز الدين أبي الحسن علي بن محمد ، اللباب في تذيب الأنساب ، (د. ط) ، (القاهرة ، عني بنشره مكتبة القدس ، حسام الدين القدسي ، ١٣٥٧ هـ) ، ج ٣ ، ص ١٥٠ .

(٣) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، (ط ١) ، (بيروت ، دار صادر ، ١٩٩٣ م) ، ج ٥ ، ص ١٤٩ .

بقرب عين شمس القديمة إلى لشمال الشرقي من القاهرة^(١)، وتنسب هذه الأسرة إلى سعد بن عبادة الخزرجي^(٢)، وأول من قدم من هذه الأسرة إلى المدينة المنورة هو أحد أفرادها واسمه أحمد بن خلف بن عيسى بن عشاش بن يوسف بن بدر بن علي الأنصاري الخزرجي^(٣) العبادي الساعدي المطري^(٤)، كان أبوه خلف من بلدة الطور^(٥)، ثم انتقل إلى

(١) المقرئ: تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي، السلوك لمعرفة دول الملوك، (ط٢)، صححه ووضع حواشيه: محمد مصطفى زيادة، (القاهرة، مطبعة لجنة التأليف، ١٩٥٧م)، ج٢، ق١، ص٦٣٥.

(٢) هو الصحابي سعد بن عبادة الخزرجي الأنصاري، سيد الخزرج، كان ملكاً شريفاً مطاعاً في قومه، توفي سنة (١٦هـ/٦٣٧م)، الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، (ط٢)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٢هـ/١٩٩١م)، ج١، ص٢٧٠.

(٣) أصل الأنصار من الأوس والخزرج، قبائل من اليمن تنتهي إلى قحطان، أقاموا بالمدينة، بايعوا الرسول ﷺ في بيعة العقبة الأولى. المباركفوري: صفى الرحمن، الرحيق المختوم، (د. ط)، (دار المؤيد، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م)، ص١٨٤-١٨٥؛ ذكر الله فضلهم في كتابه، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْأَيْمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾. القرآن الكريم: سورة الحشر، آية: (٩).

(٤) السخاوي: شمس الدين عبد الرحمن، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، (ط١)، (لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م)، ج١، ص١٠٧؛ المدير: عبد الرحمن، المدينة المنورة في العصر المملوكي ٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٧١٧م، (ط١)، (مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م)، ص٢٦١.

(٥) طور: بالضم ثم السكون، بالقرب من مصر عند موضع يسمى مدين وهو جبل يسمى طور سينا وقال بعضهم بقرب أيله. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٤٧؛ القزويني: ذكريا بن محمد بن محمود، آثار البلاد وأخبار العباد، (د. ط)، (بيروت، دار صادر، ١٩٩٨م)، ص٢٠٧؛ الحميري: محمد عبد المنعم، روض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، (ط١-٢)، (بيروت، لبنان، ١٩٧٥، ١٩٨٤م)، ص٣٩٧. وهو الجبل الذي ذكره الله تعالى عند حديث سيدنا موسى عليه السلام له، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾. القرآن الكريم: سورة الأعراف، آية: (١٤٣).

المطرية؛ فولد له ابنه أحمد، الذي انتقل في أوائل العصر المملوكي إلى المدينة المنورة واستوطنها^(١).

أسرة الزرندي:

ضبط النسّابون لفظة (زرنند) والنسبة إليها (زرنندي)، بفتح الزاي وسكون النون، وإهمال الدال في آخرها^(٢).

ومع اتفاق المؤرخين على أن الأسرة الملقبة بذلك تنسب إلى بلدة (زرنند)، إلا أنه وقع نزاع في تحديد مكان هذه البلدة، فقليل هي من أصبهان^(٣) وساوة^(٤)، أو من مدن إقليم كرمان ببلاد فارس من أعمال الري، وإليه ذهب جمعٌ من المؤرخين^(٥).

بينما ذكر الفيروز آبادي أنها موضع بقرب المدينة المنورة أو من أعمالها، ذكر ذلك في كتابه المغامم المطابة وكذلك في قاموسه، وسنده في هذا القول ما أخبره به أبو عبد الله محمد بن يوسف الزرنندي^(٦)، إلا أنه لا يُعرف اسم موضع بالقرب من المدينة بهذا الاسم،

(١) المطري : محمد بن أحمد ، التعريف بما آنتست الهجرة من معالم دار الهجرة ، (د.ط) ، (د.م ، ١٤٠٢هـ) ، ص٧.

(٢) رضوان المدني : عباس بن محمد بن أحمد ابن السيد ، مختصر رب الأرباب بما أهمل في لب الباب من واجب الأنساب ، (د.ط) ، (مصر، مطبعة المعاهد، ١٣٤٥هـ / ١٩٢٦م)، ص٢٥.

(٣) أصبهان: اسم للإقليم بأسره، وكانت مدينتها جيّاً ثم صارت اليهودية من نواحي الجبل، فتحت في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ١م، ص٢٠٨.

(٤) ساوة: هي مدينة تقع بين الري وهمدان. المصدر السابق، ٣م، ص١٧٩.

(٥) السمعاني: الأنساب، ج٥، ص٢٧٢؛ الفيروز آبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب، المغامم المطابة في معالم طابة،

(ط١)، (د.م ، ٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م)، ج٢، ص٨٢٩؛ البغدادي: صفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق، مراصد

الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق: علي محمد البجاوي، (ط١)، (بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر، ١٣٧٤هـ / ١٩٥٥م)، ج٣، ص٦٦٤.

(٦) الفيروز آبادي: القاموس المحيظ، (د.ط)، (دار الجليل، د.ت)، ج١، ص٣٠٨؛ الأنصاري: عبد الرحمن بن

عبد الكريم، تحفة الخبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من أنساب، تحقيق: محمد العروسي المطوي، (د.ط)، (تونس، المكتبة العتيقة، ١٩٧٠م)، ص٧.

وليس ثمة أثر يذكر أنما اسم موضع بالمدينة إلا ما ذكر من (زقاق^(١) الزرندي)، وهو أحد أزقة المدينة غير النافذة، التي كانت موجودة إلى عهد قريب من جنوب غرب باب السلام، مما أزيل مع توسعة المسجد النبوي الحديثة^(٢).

وهذا لا يعني أن هذا المكان كان يطلق عليه (زرنند) قديماً، بل غايته أن يكون قد أطلق عليه اسم الأسرة تخليداً لذكراها، لما كانت عليه من دور بارز في إثراء الحياة العلمية في المدينة المنورة طيلة العصر المملوكي^(٣).

ولم تزل الدول تطلق أسماء العلماء والمشاهير على المناطق والأزقة والشوارع حتى يومنا هذا، لذا فكون النسبة إلى البلدة الفارسية هي الأقرب إلى الصواب^(٤).

وترجع أصول أسرة الزرندي إلى (الأنصار)، ولذلك فهم يعرفون بـ (بيت الزرندي)^(٥)، وقد نقل لنا أحد علماء هذه الأسرة النسب في مقامته المشهورة بـ: "المرور بين العلمين في مفاخرة الحرمين"، حيث ذكر أبو الحسن نور الدين علي بن أبي المظفر يوسف بن الحسن بن محمد بن محمود بن الحسن بن محمد بن يوسف بن الحسن بن محمد ابن عكرمة بن أنس بن مالك، وبذلك تكون هذه الأسرة أنصارية ترجع في نسبها إلى بني النجار من الخزرج^(٦).

ويتطابق ذلك مع ما ذكره أحد أحفاد هذه الأسرة، وهو صاحب كتاب "تحفة المحبين والأصحاب"، حيث ذكر أنه: (عبد الرحمن بن عبد الكريم بن يوسف بن عبد الكريم بن أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب بن علي بن

(١) زقاق: بضم الزاي، والجمع منه أزقة وهو طريق نافذ وغير نافذ وهو أضيق من الطرق العادية دون السكة. ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين مكرم، لسان العرب، (ط١)، (لبنان، بيروت، دار صادر، ١٩٩٧م)، ٣م، ص ١٩٠.

(٢) الجاسر: حمد، رسائل في تاريخ المدينة، (ط١)، (المملكة العربية السعودية، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م)، ص ٤٧.

(٣) الزرندي: نور الدين علي بن محمد، المرور بين العلمين في مفاخرة الحرمين، تحقيق: محمد العيد الخطراوي، (ط١)، (المدينة المنورة، دار التراث، ١٤٠٧هـ/١٩٩٨م)، ص ٦-٧.

(٤) ويحتمل كذلك أن الأسرة لما وردت من فارس للمدينة نزلت بمكان فاشتهر بها، لذا ذكر الشيخ محمد الزرندي ذلك للفيروز آبادي النسبة الأخيرة لا الأولى.

(٥) الأنصاري: (عبد الرحمن)، تحفة المحبين والأصحاب، ص ٧.

(٦) الزرندي: (نور الدين علي)، المرور بين العلمين، ص ٥.

يوسف بن الحسن بن محمد ابن محمود بن الحسن بن محمد بن يوسف بن الحسن بن محمد بن
عكرمة ابن انس بن مالك الأنصاري الخزرجي النجاري^(١).

وبذلك تكون نسبة (الأنصاري)، ونسبة (الزرندي)، نسبتين لهذه الأسرة العلمية
المباركة ولا تعارض بينهما، فإنه يحتمل أن أحد أجدادهم نزل في (زرنند)، الفارسية، ثم عاد
الأحفاد إلى بلد آبائهم في المدينة في أواخر القرن السابع الهجري، ويترجح ذلك بأن عدداً
من العلماء الأوائل لهذه الأسرة تردد على تلك الديار وتولوا بها بعض الوظائف المهمة^(٢).

وتعد أسرة الزرندي ثاني أقدم الأسر استقراراً بالمدينة المنورة^(٣)، وقد تمتعت بوجاهة
ومكانة مرموقة، وتاريخ طويل مع العلم والوظائف الشرعية.

وتنسب هذه الأسرة إلى عميدها الشيخ يوسف بن محمد بن محمود بن الحسن
الأنصاري عز الدين أبو المظفر الزرندي، المدني (٦٤٠-٧١٢هـ/١٢٤٢-١٣١٢م)^(٤).

وقد رحل الزرندي المتقدم ذكره، في طلب العلم إلى مدن كثيرة، ثم استقر به المقام
في المدينة المنورة في أواخر القرن السابع الهجري/ الثاني عشر الميلادي^(٥)، وسكن رباط^(٦)

(١) الأنصاري: (عبد الرحمن)، تحفة المحبين والأصحاب، ص ٢٧.

(٢) الزرندي: (نور الدين علي)، المرور بين العلمين، ص ٦-٧؛ بدر: عبد الباسط عبد الرزاق، الحياة الثقافية في
المدينة المنورة في العصر المملوكي، (مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ربيع الثاني، ج ١، ص ١٠٠).
١٤٢٤هـ / يونيو، أغسطس، ٢٠٠٣م)، ع ٥٤، ص ٧٣.

(٣) المدريس: المدينة المنورة في العصر المملوكي، ص ١٦٤.

(٤) الزرندي: (نور الدين علي)، المرور بين العلمين، ص ٨؛ ابن حبيب: حسن بن عمر بن الحسن عمر، تذكرة النبيه
في أيام المنصور وبنيه، تحقيق: محمد محمد أمين، (د. ط)، (د. م)، ١٩٨٢م، ج ٢، ص ٢٢٨؛ ابن حجر: الدرر
الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد سيد جاد، (د. ط)، (مطبعة المدني، د. ت)، ج ٥، ص ٢٢٨. وفي
المصادر اختلاف في اسمه زيادة ونقصاً أو تقديماً وتأخيراً.

(٥) ابن فرحون: أبو محمد عبد الله بن محمد المالكي، نصيحة المشاور وتعزية المجاور، قابل أصوله وأعتنى به: حسين
محمد شكري، (ط ١)، (المدينة المنورة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م)، ص ١٠٤.

(٦) الرباط: زاوية إسلامية محصنة، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ
قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾. القرآن الكريم: سورة الأنفال، آية: (٦٠)؛ ومعنى الرباط في الأصل مكان يجتمع
فيه الفرسان استعداداً لحرب العدو، وقد كان الرباط أيضاً مأوى يلجأ إليه الرحالة والعلماء وطلاب العلم
يتنقلون في أرجاء العالم الإسلامي وخاصة الحرمين الشريفين طلباً للحديث، أو علوم الدين الأخرى، وعادة ما
توقف هذه الربط على الفقراء والمحتاجين من أهل الصلاح، ولها مدرسون وشيوخ لتعليم القراءة والكتابة. -

الأصبهاني بالمدينة المنورة، فما كان يعرف هذا الرباط إلا به، وبعد استقرار الشيخ يوسف الزرندي بالمدينة، أنجب ثلاثة أبناء أصبحوا فيما بعد من كبار العلماء وهم: شمس الدين محمد بن يوسف ولد بالمدينة سنة (٦٩٣هـ/١٢٩٣م)^(١)، وشهاب الدين بن أحمد بن يوسف؛ ولد بالمدينة سنة (٧٠١هـ/١٣٠١م)^(٢)، ونور الدين علي بن يوسف، وقد اختلفت المصادر في سنة ولادته ما بين (٧٠٣ و ٧١٠هـ/١٣٠٣ و ١٣١٠م)^(٣)، إلا أنه قد أضفى على هذه الأسرة شهرتها باعتباره أول من تولى منصب القضاء في المدينة المنورة، واستمر هذا المنصب بين أبناء هذه الأسرة طوال العصر المملوكي يتوارثه جيل بعد جيل، وكذلك اشتهر بمقامته: "المرور بين العلمين في مفاخرة الحرمين"^(٤).

وقد استمر عطاء هذه الأسرة طيلة فترة البحث، بل امتد حتى عهد الدولة العثمانية حيث ظهر بعض علمائهم ممن له مؤلفات في تلك الفترة^(٥).

= ابن منظور: لسان العرب، م ٣، ص ٢٢؛ الأنصاري: ناجي محمد حسن عبد القادر، التعليم في المدينة المنورة من العام الهجري الأول إلى ١٤١٢هـ، (ط ١)، (د.م)، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ص ٢٤٧.

(١) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج ٥، ص ٦٣؛ رضا كحالة: عمر، معجم المؤلفين تراجم مصنفى الكتب العربية، (ط ١)، (مؤسسة الرسالة، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م)، ج ٣، ص ٧٨١؛ البغدادي: إسماعيل باشا، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون، (د. ط)، (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م)، م ٦، ص ١٥٧؛ الزركلي: خير الدين، الأعلام، (ط ٥)، (د. م)، ١٩٨٠م، م ٧، ج ٧، ص ١٥٢.

(٢) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١٥٩؛ حسن: منى عبد الغني، أهم معالم الحضارة الإسلامية في مجتمع المدينة المنورة في العصر المملوكي ٦٤٨ - ٩٢٣هـ/١٢٥٠ - ١٥١٧م، "مجلة كلية الدراسات الإنسانية"، ص ٢٠٠٤، ع ٢٢، ص ٢٢٧. وانظر عن هذا الرباط الفصل الثالث، بحث الآثار الاجتماعية والاقتصادية، ص ٤٠٥.

(٣) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ١٠٥؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ج ٣، ص ٢١٦ - ٢١٧؛ رضا كحالة: معجم المؤلفين، ج ٢، ص ٥٤٦.

(٤) انظر المزيد في الفصل الثاني النتاج العلمي، ص ٢٥٧، ٢٧٥.

(٥) ككتاب تحفة المحبين للأنصاري.

أسرة ابن فرحون:

ترجع أصول هذه الأسرة إلى المغرب الإسلامي ، فأصولها تعود إلى الأندلس إلى قرية أبيان من أعمال مدينة (جيان)^(١) ، المشهورة بالعلم والآداب^(٢) .

وقد رحل أفراد هذه الأسرة إلى تونس^(٣) ، واستقروا بها ، وبها ولد عميد الأسرة المدنية الشيخ أبو عبد الله محمد بن أبي الفضل بن أبي القاسم ، بن محمد بن فرحون اليعمري الأبدى المحدث الجياني ، التونسي المولد ، المدني الوفاة ، المالكي المذهب^(٤) .

واليعمري ، نسبة إلى يعمر (بفتح الياء وسكون العين وفتح الميم) ، وهو يعمر بن مالك بن بخته بن حرب بن وهب بن جلياً بن أحس بن ضبيعة بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان ، وسموا باليعمري تفاقماً بطولة العمر ، والأبدئي ، (بضم الهمزة وتشديد الياء وسكون الدال) ، نسبة إلى بلدة في الأندلس من كورة جيان .

وقد قدم هذا الشيخ المدينة المنورة ، واستقر بها قبل عام (٦٩٢هـ / ١٢٩٢م) ، وهو العام الذي تزوج فيه من إحدى شريفات المدينة ، كان والدها عبد الواحد الحسيني شريف النسب^(٥) ، فتزوج من كبرى بناته^(٦) ، وهي صالحة وأمها زينب ابنة داود الأنصارية من

(١) جيان: مدينة مشهورة بالأندلس، في شرقي قرطبة، وتجمع قرى كثيرة، ينسب لها عدد من العلماء. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ٣م، ص ١٨٥.

(٢) ابن فرحون: إبراهيم بن علي بن محمد، الديباج المذهب في معرفة علماء المذهب، تحقيق: علي عمر، (ط١)، (مكتبة الثقافة الدينية، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م)، ١م، ص ٣.

(٣) المديرس: المدينة المنورة في العصر المملوكي، ص ٢٦٧.

(٤) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ٦٣؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٥٦٢.

(٥) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ٢٦٤ - ٢٦٥.

(٦) عدوان: أحمد محمد، عادات وتقاليد الزواج في مكة المكرمة والمدينة المنورة زمن سلاطين المماليك "٦٤٨-

٩٢٣هـ / ١٢٥٠ - ١٥١٧م"، "مجلة الجمعية التاريخية السعودية"، (ذو القعدة، ١٤٢٢هـ / يناير، ٢٠٠٢)،

س ٣، ع ٥٥، ص ٤٦.

قدامي الصالحات^(١)، وهذا الزواج المبارك ألحق أفراد أسرته بنسب النبي ﷺ، لذلك لُقّب أبناؤه بالحسيني، وذلك من جهة الأم، فذريته بذلك شرفاء عند أكثر العلماء^(٢).

أسرة الخجّندي:

الخجّندي نسبة إلى بلدة خُجّند، بضم الخاء المعجمة، وفتح الجيم، وسكون النون، وفي آخرها دال مهملة^(٣)، ويقال لها خجّندة بزيادة التاء المربوطة، وهي بلدة كبيرة مشهورة، تميزت بأن طولها أكبر من عرضها، تقع فيما وراء النهر على طرف سيحون، من بلاد المشرق^(٤)، وهي أول مدن فرغانة، طابت تربتها فنبتت فيها الفواكه التي تفضّل على فواكه سائر النواحي، واشتهر أهلها بالجمال والمروءة^(٥)، فتحت سنة (١٠٣هـ / ٢٤١م)، في خلافة يزيد بن عبد الملك^(٦)، مدحها العقلاء ونعتها الشعراء^(٧).

وبما أن لأسرة الخجّندي فروعاً كثيرة سواء في خجند أو في أصبهان، إلا أن ما يهمنا هو فرع أسرة الخجّندي في المدينة المنورة في العصر المملوكي.

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٨٦؛ وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام، تحقيق: بشار معروف و عصام فارس الحرساني و أحمد الخطيمي، (ط ١)، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م)، ج ١، ص ٧٨.

(٢) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ٢٦٤ - ٢٦٥. يكون لأبناء البنت هو الراجح لقوله ﷺ ((ابن أخت القوم منهم))، ثم إن النسب الشريف يرجع إلى الحسن والحسين أبناء فاطمة بنت النبي ﷺ، وبذلك يكون أولاد البنت لهم النسب. البخاري: الصحیح، ج ١٢، ص ٤٨.

(٣) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٤٧؛ السخاوي: عبد الرحمن، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، (د. ط)، (دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د. ت)، م ٦، ج ١١، ص ١٩٩.

(٤) السمعاني: الأنساب، ج ٥، ص ٥٢؛ ابن الأثير: اللباب في تهذيب الأنساب، ج ١، ص ٣٤٨؛ البغدادي: مراصد الإطلاع، ج ١، ص ٤٥٣.

(٥) ابن حوقل: أبي القاسم النصبي، صورة الأرض، (د. ط)، (القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، د. ت)، ص ٤١٩.

(٦) هو يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ويكنى بأبي خالد، ولد بدمشق سنة (٧١هـ / ٦٩٠م)، كان يكثر من مجالسة العلماء قبل تولي الحكم، بويع بالخلافة سنة (١٠١هـ / ٧١٩م) بعد عمر بن عبد العزيز، وكانت وفاته بدمشق سنة (١٠٥هـ / ٧٢٣م). ابن الأثير: الكامل في التاريخ، راجعه: محمد يوسف الدقاق، (ط ١)، (لبنان، بيروت، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م)، م ٤، ص ٣٣١، ٣٦٧؛ الوكيل: محمد السيد، الأمويون بين الشرق والغرب، (ط ١)، (دار القلم، ١٤١٦ - ١٩٩٥م)، ق ١، ص ٥١٩.

(٧) المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، (ط ٢)، (لیدن، ١٩٠٩م)، ص ٢٧٢.

و أقدم جد لهذه الأسرة بالمدينة المنورة هو محمد بن ثابت بن حسن بن إبراهيم بن الزبير بن مغلد بن معاوية بن يزيد بن المهلب بن أبي صفرة، جمال الإسلام أبو بكر الخجندي (ت ٤٨٢هـ/١٠٨٩م)^(١)، إلا أنه لم يقطن بالمدينة المنورة، نسبت هذه الأسرة المدنية إلى مؤسسها في المدينة، أحمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد، الجلال أبو الطاهر بن الشمس ابن الجلال بن الجمال الخجندي ثم المدني الحنفي، ويعرف بالأخوي؛ لكون جده الأعلى جلال الدين هو جد والده وجد والدته في آن واحد^(٢).

ولد الجلال الخجندي بسرى بركة بما وراء النهر سنة (٧١٩هـ/١٣١٩م)^(٣)، ورحل إلى بلاد كثيرة لطلب العلم، ثم حطت به الرحال في المدينة المنورة واستوطنها سنة (٧٦٦هـ/١٣٦٤م)^(٤)، فكان أول من قدمها من أفراد هذه الأسرة واستقر بها أكثر من أربعين سنة واشتغل بالعلوم الشرعية^(٥)، وسكن بالكرا^(٦) خوفاً من سكتى الرباط^(٧)، وقد أنجب الجلال الخجندي عدداً من الأبناء؛ منهم عز الدين طاهر محمد بن أحمد بن محمد

(١) الصفدي: صلاح الدين خليل بن أيلك، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط و تركي مصطفى، (ط١)، (دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م)، ج ٢، ص ٢٠٦.

(٢) الشماع: زين الدين عمر بن أحمد بن علي بن محمود الحلبي، القبس الحاوي لغرر ضوء السخاوي لأهل القرن التاسع، تحقيق: حسن إسماعيل مروة و خلدون حسن مروة، (ط١)، (بيروت، دار صادر، ١٩٩٨م)، ج ١، ص ٢٢٩.

(٣) ابن حجر: إنباء الغمر بأبناء الغمر، تحقيق: حسن حبشي، (د. ط)، (القاهرة، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م)، ج ٢، ص ١٥٦؛ السخاوي: الضوء اللامع، ١م، ج ٢، ص ١٩٤ - ١٩٥؛ الزركلي: الأعلام، ج ١، ص ٢٢٥.

(٤) الشماع: القبس الحاوي، ج ١، ص ٢٣٠ - ٢٣١؛ الأنصاري: (عبد الرحمن)، تحفة الخجين والأصحاب، ص ٢٠٧؛ الزركلي: الأعلام، ج ١، ص ٢٢٥ - ٢٢٦.

(٥) الصيرفي: الخطيب الجوهري علي بن داود، نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، تحقيق: حسن حبشي، (د. ط)، (مطبعة دار الكتب، ١٩٧١م)، ج ٢، ص ١٢٨؛ المديرس: المدينة المنورة في العصر المملوكي، ص ٢٧٠.

(٦) الكرا ومنها الكروة والكراء: وهي أحر المستأجر. ابن منظور: لسان العرب، ٥م، ص ٣٩٨.

(٧) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ١٦٧. والمراد أنه تغف أن يسكن في الأريطة لثلا يلحقه شيء إن لم تكن شروط الوقف تنطبق عليه، لذا عمل على أن يسكن بالأجرة خروجاً من هذا الأمر، وهو أمر يدل على ورعه وعفته.

الخجندى (ت ٨٤١هـ / ١٤٣٧م)^(١)، وإبراهيم بن أحمد بن محمد الخجندى (ت ٨٥١هـ / ١٤٤٧م)^(٢)، وقد استمرت هذه الأسرة في المدينة المنورة خلال العصر المملوكي، وامتدت حتى بداية العصر العثماني، ثم انقرضت بموت آخرهم وهو حسن الخجندى (ت ١١٨٢هـ / ١٧٦٨م)^(٣).

أسرة ابن صالح:

تعود أصول هذه الأسرة إلى عميدها ومؤسسها صالح بن إسماعيل بن إبراهيم بن أحمد بن حسن بن علي بن صالح الكنانى، الشافعى المصرى ثم المدينى (ت ٧٠٧هـ / ١٣٠٧م)^(٤)، وكان مقدمه من مصر للمدينة في أواخر القرن السابع الهجرى^(٥). وقد أنجب ولدين هما علي ومحمد، ولد محمد بالمدينة سنة (٧٠٧هـ / ١٣٠٧م)، أي في سنة قدوم والده إليها، ويعد العميد الثانى للأسرة، فإليه ينسب بيت (ابن صالح)، وقد عمّر بالمدينة حتى توفي سنة (٧٨٥هـ / ١٣٨٣م)^(٦)، ورزق بالذرية التي حملت راية العلم والوجاهة، وتولت المناصب في القضاء ونشر العلم، كما يأتي ذكره لاحقاً.

أسرة الكازروني:

تنسب أسرة الكازروني إلى بلدة كازرون من بلاد فارس^(٧)، وقد ضبطوها بفتح الزاي بعدها راء مهمة مضمومة، وتقع بين البحر وشيراز، ويقال لها دميّاط

(١) ابن تغري بردي: جمال الدين أبي المحاسن يوسف، الدليل الشافى على المنهل الصافى، تحقيق: محمد شلتوت، (د.ط.)، (مكتبة الخانجي، د. ت)، ج ١، ص ٣٥٨؛ ابن فهد: عمر الهاشمى المكى، معجم الشيوخ، تحقيق: محمد الزاهي، (د. ط.)، (المملكة العربية السعودية، منشورات اليمامة، د. ت)، ص ١١٨ - ١١٩.

(٢) الشماخ: القبس الحاوي، ج ١، ص ٤٨؛ الزركلى: الإعلام، ج ١، ص ٢٩.

(٣) الأنصارى: (عبد الرحمن)، تحفة المحبين والأصحاب، ص ٢٠٨ - ٢٠٩.

(٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٤٤٩؛ المديرس: المدينة المنورة في العصر المملوكى، ص ١٦٦، ٢٧١.

(٥) الأنصارى: (عبد الرحمن)، تحفة المحبين والأصحاب، ص ١٦٦.

(٦) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ٩٠؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤٨٥.

(٧) البكرى: عبد الله بن عبد العزيز الأندلسى، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا، (ط ٣)، (عالم الكتب، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م)، ج ٤، ص ١١٠٨. فارس: هي ولاية واسعة وإقليم فسيح، أول

حدودها من جهة العراق أركان ومن جهة كرمان السرجان، ومن جهة ساحل بحر الهند سيرا، ومن جهة السند مكران. ياقوت الحموي: معجم البلدان، م ٤، ص ٢٢٦.

الأعاجم^(١)، و سبب هذه التسمية كونها تقع على مصب النهر، كما في حال دمياط مصر الواقعة على مصب فرع دمياط على البحر المتوسط، وكازرون بلدة حصينة كثيرة الغلات والثمار، تكثر بها القصور والبساتين، ولا يوجد في فارس أصحّ هواءً وتربةً منها، وتنسج بها ثياب الكتان، وينبت بها تمر يقال له (الجيلاني)، كان يحمل منه إلى العراق كهدايا^(٢)، في حين كان يعد العراق من أوائل دول العالم إنتاجاً للتمور سابقاً (وكذلك حالياً)، إلا أن هذا النوع لا يوجد بالعراق مثله مما يؤكد على تميز (كازرون) بمنتجاتها الغذائية.

وترجع أصول أسرة الكازروني المدنية إلى الصحابي عبد الله بن الزبير^(٣). وقد وفد جدهم الشيخ محمد إلى المدينة في القرن الثامن الهجري^(٤)، واسمه محمد بن روزبة بن محمود بن إبراهيم بن أحمد^(٥)، الملقب بالشمس، أبي الأيادي بن الجمال أبي الشاء

(١) ياقوت الحموي: معجم البلدان، م ٤، ص ٤٢٩؛ المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ٤٣٣ - ٤٣٤. البغدادي: مراصد الإطلاع، ص ١١٤٣.

(٢) ابن حجر: إنباء الغمر، ج ٣، ص ٤٧؛ القرماني: أحمد بن يوسف، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، تحقيق: أحمد حطيط وفهمي سعد، (ط ١)، (د. م، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م)، ج ٣، ص ٤٥٠.

(٣) الأنصاري (عبد الرحمن)، تحفة المحبين والأصحاب، ص ٤١١. وهو عبد الله بن الزبير بن العوام، وأمه أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهم جميعاً، ولد في العام الأول من الهجرة، وكان أول مولود ولد للمسلمين في المدينة المنورة بعد الهجرة، صحابي جليل روي عن النبي ﷺ أحاديث، شارك في الفتوحات الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب^(٦)؛ توفي بمكة سنة (٧٣ هـ / ٦٩٢ م). ابن كثير: البداية والنهاية، تحقيق: عبد الرحمن اللادقي و محمد غازي ييوضون، (د. ط)، (لبنان، بيروت، دار المعرفة، د. ت)، ج ٨، ص ٧٣٧ - ٧٣٨.

(٤) الأنصاري: (عبد الرحمن)، تحفة المحبين والأصحاب، ص ٤١٠ - ٤١١.

(٥) يوجد في بعض تراجم أولاده سياق نسبته هكذا: محمد بن محمود بن إبراهيم بن أحمد بن روزبة بتأخير (روزبة) إلى ما بعد (أحمد)، وهذا يدل أن (روزبة) لقب، ولذلك يمكن تقديمه أو تأخيره، إلا أنه إذا تأخر توضع الألف في (بن) فيقال (ابن روزبة) على القاعدة وهو ما لم أجده في كتب المصادر، إلا أن الحاصل أن الشيخ محمد هو عميد الأسرة بغض النظر عن مكان (روزبة)، في سياق نسبته، ولذا منذ جاء في ترجمة الجمال محمد بن أحمد بن محمد بن روزبة بن محمود بن إبراهيم بن أحمد أن السخاوي رأى نسبه بخط الجمال هو (محمد بن أحمد بن أحمد بن محمد بن محمود بن إبراهيم بن روزبة) أي بتأخر روزبة بعد إبراهيم. السخاوي: الضوء اللامع، م ٤، ج ٧، ص ٩٦.

المدني الشافعي، وعرف بالكازروني (ت ٧٥١هـ/ ١٣٦٢م^(١))، وقد وصف بأنه كان شيخاً صالحاً قدوة، رزقه الله عدداً من الأبناء^(٢).

وقد بقيت هذه الأسرة بالمدينة طيلة العصر المملوكي، وكان آخر من ضبطت وفاته من أحفادهم العلامة الخطيب والإمام عبد الرحمن الكازروني الشافعي (ت ١١١٥هـ/ ١٧٠٣م)، وأعقب من الأولاد عائشة وحفصة^(٣)، ولحفصة أولاد مشتهرون بالعلم^(٤).

أسرة المراغي:

ضبط النسابون لفظة المراغي بفتح الميم والراء في آخرها الغين المعجمة^(٥)، وهي نسبة لقبيلة أو لبلد.

فالقبيلة من القبائل العربية المشهورة (المراغ)، أو (المراغة) من الأزدي، تنسب إلى أبي أيوب يحيى بن مالك الأزدي المراغي.

وأما البلد (مراغة)، فهي بلدة من بلاد أذربيجان خرج منها جماعة من الأئمة والمحدثين^(٦).

(١) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ١١٣؛ المديرس: المدينة المنورة في العصر المملوكي، ص ٢٧٦؛ أما علي السيد علي: الحياة الثقافية في المدينة المنورة عصر سلاطين المماليك ٦٤٢-٩٢٣هـ، (ط١)، (عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م)، ذكر وفاته سنة (٧٦٢هـ/ ١٣٦١م)، ص ١٧٠، وهذا تاريخ وفات ابنه أحمد بن محمد؛ ذكر ذلك السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١٣٧، أن ابتداء مرضه كان عام (٨٦٣هـ/ ١٤٥٨م)، وتوفي في نصف (٨٦٤هـ/ ١٤٥٩م).

(٢) المديرس: المدينة المنورة في العصر المملوكي، ص ٢٧٦-٢٧٧.

(٣) الأنصاري: (عبد الرحمن)، تحفة المحبين والأصحاب، ص ٨٨-٨٩، ٤١١.

(٤) منهم زين العابدين بن حسن البرزنجي (ت ١١٦٩هـ/ ١٧٥٥م)، و جعفر بن حسن البرزنجي (ت ١١٦٦هـ/ ١٧٥٢م)، أبناء حسن البرزنجي (ت ١١٤٨هـ/ ١٧٣٥م)، وينسب بيت البرزنجي الى (برزنجة)، بلدة في بلاد الأكراد. انظر المصدر السابق، ص ٨٨-٨٩، ٤١١.

(٥) ابن الأثير: اللباب في تهذيب الأنساب، ج ٣، ص ١١٩؛ الهندي: محمد طاهر بن علي، المغني في ضبط أسماء الرجال ومعرفة كنى الرواة وألقابهم وأنسابهم، (د. ط)، (لبنان، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م)، ص ٢٤٦.

(٦) السمعاني: الأنساب، ج ٥، ص ٢٤٥؛ القرطبي: أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، م ٣، ص ٤٨٦.

وكذلك (مراغة)، قرية من قرى صعيد مصر^(١)، وهي منبت أسرة المراغي المدنية^(٢)، وعميد هذه الأسرة المدنية هو الزين أبو بكر بن الحسين بن أبي حفص عمر بن أبي عبد الله محمد بن يونس بن أبي الفخر بن محمد بن عبد الرحمن بن نجم بن طولو^(٣) الزين أبو محمد القرشي العبشمي الأموي العثماني المراغي المصري الشافعي (٧٢٧-٨١٦هـ / ١٣٢٦-١٤١٣م)^(٤).

ويعرف بابن الحسين المراغي، أو العثماني، ويقال اسمه عبد الله^(٥). وتعتبر هذه الأسرة واحدة من الأسر العلمية التي ذاع أمرها وانتشر في المدينة المنورة، فقد تحول راعي هذه الأسرة من مصر إلى المدينة واستوطنها نحو خمسين سنة^(٦)، إذ تعلق قلبه بمدينة الرسول ﷺ فاتخذها مثوى له، ولا يوجد بين أيدينا من المصادر ما ينص على تاريخ قدوم المراغي للمدينة للإقامة بها، ولكن من الممكن استنتاج ذلك مما ذكره السخاوي حينما أشار إلى سماع المراغي من ابن فرحون، في المدينة سنة (٧٥٧هـ / ١٣٥٦م)^(٧)، فيدل ذلك على وجوده بالمدينة في هذا التاريخ أو قبله، إلا أن ذلك يشكل على ما ذكره في ترجمته أنه استوطن المدينة خمسين سنة كما تقدم، لأن وفاته كانت في (٨١٦هـ / ١٤١٣م)، فتكون سنة مقدمه للاستيطان في سنة (٧٦٦هـ / ١٣٦٤م)، وهو نفس التاريخ الذي فرغ فيه من

(١) ابن العماد: أبي الفلاح عبد الحي الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: لجنة التراث العربي،

(د.ط)، (منشورات دار الأوقاف، بيروت، د. ت)، ج ٦، ص ٢٠١-٢٠٢.

(٢) المراغي: أبو بكر بن الحسين بن عمر بن محمد بن يونس أبي الفخر العثماني، تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار

الهجرة، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان، (ط ١)، (المدينة المنورة، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م)، ص ٩؛

السخاوي: الضوء اللامع، م ٦، ج ١١، ص ٢٢٥.

(٣) وردت ابن "طولون" عند السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤٥٣.

(٤) المراغي: (أبو بكر بن الحسين)، تحقيق النصرة، ص ٩؛ ابن حجر: إنباء الغمر، ج ٣، ص ٢٣؛ ابن العماد:

شذرات الذهب، ج ٣، ص ١٢٠؛ الزركلي: الأعلام، م ٢، ج ٢، ص ٦٣.

(٥) المراغي: (أبو بكر بن الحسين)، تحقيق النصرة، ص ٩؛ السخاوي: الضوء اللامع، م ٦، ج ١١، ص ٢٩-٣٠.

(٦) الأنصاري: (ناجي محمد)، التعليم في المدينة المنورة، ص ٢٤٧؛ الزركلي: الأعلام، م ٢، ج ٢، ص ٦٣.

(٧) السخاوي: الضوء اللامع، م ٦، ج ١١، ص ٢٩.

تبييض كتابه المسمى بـ: "تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة"^(١)، ويكون قد غادر مصر وهو في نحو الأربعين من عمره.

ولكن يحتمل أن مقدمه للمدينة في سنة (٧٥٧هـ / ١٣٥٦م) كان للسمع والزيارة وليس للاستيطان، وأنه بعد ذلك بنحو عشر سنوات قرر الاستيطان بها، حيث وجد بغيته ومهوى فؤاده^(٢).

وللمراغي أربعة من الأبناء كلاً منهم (محمد)، وإنما يفرق بينهم في الكُنى والألقاب^(٣).

أسرة التستري (الششتري):

تنسب أسرة التستري إلى بلدة (تُستَر)، بضم التاء الأولى، وسكون السين، وفتح التاء التأنيث الثانية، وكسر الراء^(٤)، وهي مدينة بقرى الأهواز من بلاد خوزستان^(٥)، وبها نمر كبير معروف، مما أدى إلى قيام المدينة قديماً، حتى قيل أنه لا توجد مدينة على وجه الأرض أقدم منها^(٦)، وقد دخلها الإسلام في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، إذ سار إليها أبو موسى الأشعري^(٧)، وحاصرها واستمد الخليفة فأرسل إليهم جيشاً ففتحتها سنة (١٧هـ / ٦٣٨م)^(٨).

(١) سيأتي الكلام عنه مفصلاً عند الحديث عن التاج العلمي للأسر. وانظر المراغي: (أبو بكر بن الحسين)، تحقيق النصرة، ص ١٨؛ السخاوي: الضوء اللامع، ٦م، ج ١١، ص ٢٩-٣٠.

(٢) المراغي: (أبو بكر بن الحسين)، تحقيق النصرة، ص ١٨-١٩.

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، ٦م، ج ١١، ص ٢٢٥.

(٤) السمعاني: الأنساب، ج ١، ص ٤٦٥؛ ابن أبي نقطة: أبي بكر محمد بن عبد الغني البغدادي الحنبلي، تكملة الإكمال، تحقيق: عبد القيوم عبد الرب الني، (ط ١)، (الملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م)، ج ١، ص ٤١٩؛ ابن الأثير: اللباب في تهذيب الأنساب، ج ١، ص ١٧٦.

(٥) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٩؛ النووي: أبي زكريا محي الدين بن شرف، تهذيب الأسماء واللغات، (د. ط)، (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، د. ت)، ج ١، ق ٢، ص ٤٢.

(٦) أبي الفداء: تقوم البلدان، (د. ط)، (د. م، د. ت)، ص ٣١٥.

(٧) هو عبد الله بن قيس بن سليم الأشعري، قدم إلى النبي ﷺ بمكة قبل الهجرة، وأسلم، ثم هاجر إلى الحبشة، وقد أرسله الرسول ﷺ إلى اليمن، وكذلك ولاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه الكوفة والبصرة، كان حسن الصوت، له العديد من الفضائل. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٢٨٠؛ العامري: يحيى بن أبي بكر اليماني، الرياض المستطابة في جملة من روي في الصحيحين من الصحابة، (ط ١)، ضبطه وصححه: عمر الديراوي أبو حجلة، (بيروت، مكتبة المعارف، ١٩٧٤م)، ص ١٨٨.

(٨) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٩-٣٠؛ ولزيد من التفاصيل انظر ابن كثير: البداية والنهاية، ٤م، ج ٧، ص ٩٢.

وتستر بلدة طيبة ، يرحل إليها من المشرق والمغرب، وتعد عاصمة إقليم الأهواز في القرن الرابع عشر الميلادي^(١)، واسم تستر يعني بالعربية الفضل في الطيب والتنزهه، فكأن معناها (البستان) أو ما أشبه ذلك، وتنسب إليها الثياب التسترية، ويسمونها العرب تستر، والفرس يسمونها شوشتر، ولذا نجد أن نسبة (أسرة التستري)، قد ترد باسم (الشوشتري)، لسهولة النطق بالشين^(٢).

وفدت هذه الأسرة إلى المدينة في بدايات العصر المملوكي، فقد هاجرت العديد من الأسر من بلاد فارس التي غلب عليها الحكم المغولي^(٣)، هذا من جهة، ومن جهة ثانية فقد كان من دوافع قدومها للمدينة التشجيع الذي وجد من سلاطين المماليك للأسر من أهل السنة بالقدوم إلى المدينة لتدعيم المذهب السني^(٤).

وعميد هذه الأسرة التي قدمت للمدينة المنورة في أوائل العصر المملوكي هو الشيخ أحمد بن عثمان بن عبد الغني التستري أو الششتري المدني (ت ٧٣٧هـ / ١٣٣٦م)، وهو والد العميد الثاني للأسرة محمد، وقد جاء الشيخ أحمد إلى المدينة المنورة مع صديقه أبي بكر الشيرازي، وكان من العلماء ذوي السكينة والوقار، فقام بخدمته، واكتسب منه آدابه، وتخلق بأخلاقه^(٥).

(١) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٩؛ البغدادى: مراصد الإطلاع، ج ١، ص ٢٦٢.

(٢) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ٤٠٩؛ البكري: معجم ما ستمعج من أسماء البلاد والمواضع، ج ١، ص ٣١٢.

(٣) المغول: هي إحدى قبائل الغز التركية الكثيرة والممتدة من حوض نهر سيحون بالصين وحتى شمال البحر الأسود مروراً ببعض قبائل متناثرة أخرى في أفغانستان وإيران، وقد كانت شديدة الكفر وعباداً للنار، فيهم خشونة البداوة وقوة الأبدان، ملكهم رجل شديد البطش هو جنكيزخان فحمل بهم من أواسط آسيا على العالم الإسلامي في أوائل القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي، واحتل بغداد عاصمة الدولة العباسية سنة (٦٥٦هـ / ١٢٥٨م). ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ١٠م، ص ٤٠١؛ الصياد: فؤاد عبد المعطي، المغول في التاريخ، (د.ط)، (مكتبة الشريف وسعيد رافت، ١٩٧٥م).

(٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١٢٠؛ علي السيد علي: الحياة الثقافية في المدينة المنورة، ص ١٧٠ - ١٧١.

(٥) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ١١٠ - ١١١؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١٦٣.

واستمر وجود هذه الأسرة من بعده، وذلك بامتداد ذريته في ابنه محمد الذي من نسله امتدت هذه الأسرة في أبنائه خلال العصر المملوكي.

أسرة السمهودي:

السمهودي نسبة إلى قرية سمهود بصعيد مصر، ويقال لها سَمْهُوط^(١)، بالفتح ثم السكون، وهي قرية كبيرة على شاطئ غربي النيل بالصعيد^(٢)، وتشتهر بزراعة قصب السكر، وبكثرة المعاصر التي يعصر فيها قصب السكر^(٣)، وأول من قدم المدينة المنورة من هذه الأسرة، الإمام العلامة الفهامة نور الدين أبو الحسن علي بن القاضي عفيف الدين عبد الله بن أحمد بن علي بن عيسى بن محمد بن عيسى بن محمد بن عيسى بن جلال الدين أبي العلياء بن أبي الفضل جعفر بن علي بن أبي الطاهر ابن الحسن ابن أحمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن حسن بن محمد بن إسحاق بن محمد بن سليمان ابن داود بن الحسن المثنى بن الحسن الأكبر بن علي بن أبي طالب الحسيني، ويعرف بالسمهودي (٨٤٤-٩١١هـ/١٤٤٠-١٥٠٥م)^(٤)، هو من أسرة ذات شهرة كبيرة بالعلم فكان لها دور بارز في إثراء الحياة العلمية، كما لا يفوتني التنويه بشرف نسبها وحسبها، فهي تنتسب إلى الخليفة الراشد علي بن أبي طالب عليه السلام الهاشمي القرشي^(٥)، وجاء اسم الحسيني نسبة إلى هذا النسب الشريف.

(١) الزبيدي: محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد العليم الطحاري، (د. ط)،

(د. م)، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)، ج ١٩، ص ٣٨٨.

(٢) ياقوت الحموي: معجم البلدان ج ٣، ص ٢٥٥؛ البغدادى: مراصد الإطلاع، ج ٢، ص ٧٣٩؛ رضوان: مختصر

رب الأرباب بما أهمل في لب الباب، ص ٢٨.

(٣) سندي: هدى محمد، موارد السمهودي ومنهجه التاريخي في كتابه وفاء الوفاء بإخبار دار المصطفى، (رسالة

ماجستير غير منشورة، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم

القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)، ص ٨٦.

(٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٢٨٠؛ السمهودي: علي بن أحمد، وفاء الوفاء بإخبار دار المصطفى،

تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، (د. ط)، (د. م. د. ت)، ج ١، ص ٤؛ ابن العماد: شذرات الذهب،

ج ٨، ص ٥٠-٥١؛ الزركلي: الأعلام، م ٤، ج ٤، ص ٣٠٧. (غير أنهم يختلفون في ذكر الأسماء زيادة ونقصاً

وترتيبها، تقديمًا وتأخيرًا).

(٥) الجاسر: رسائل في تاريخ المدينة، ص ٢٦؛ المدرس: التعليم في المدينة المنورة في العصر المملوكي، ص ٢٥٣.

وهكذا توجه نزيل الحرمين إلى طيبة بعد أدائه الحج فقطنها سنة (٨٧٣هـ - ١٤٦٣م)^(١)، وعن استقراره في المدينة المنورة قال السخاوي: (ولقيته في كلا الحرمين غير مرة، وغبطته على استيطانه المدينة، وصار شيخها، قل أن لا يكون أحد من أهلها لم يقرأ عليه)^(٢).

استقر الشيخ السمهودي في المدينة، ولم يرزقه الله من الذرية، فعوضه عن ذلك بالعلم الذي يعتبر صدقة جارية لقول رسول الله ﷺ: ((إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له))^(٣)، وبعد وفاته ورثه أخوته الذين وصل منهم إلى المدينة المنورة الشيخ عبد الكريم، واستوطن بها إلى أن توفي، وعقب العديد من الأبناء مؤسسين أسرة السمهودي العلمية في المدينة، وهم جميعهم أهل علم وسيادة^(٤)، وقد ذكر بعضهم أن أخوته جميعهم قدموا من سمهود واستوطنوا المدينة، وتناسلوا بها حتى صار بيتهم من أشهر البيوت فيها^(٥)، وإن كنت أرجح الرأي الأول وهو قدوم أخ واحد له إلى المدينة هو الشيخ عبد الكريم، ومن ثم كان نسله في أبنائه من بعده؛ لقدّم المصدر الذي ذكر ذلك.

وقد استمرت هذه الأسرة بتواجدها وعطائها إلى سنة (١١٩٤هـ - ١٧٨٠م)، العام الذي توفي فيه أحد أفرادها، وهو زين العابدين عن أولاد وبنات^(٦)، وكان ذلك في العهد العثماني.

(١) بدر: عبد الباسط عبد الرزاق، الحياة الثقافية في المدينة في العصر المملوكي، "مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة"، (ربيع الثاني، جمادي الآخرة، ١٤٢٤هـ/يونيو، أغسطس، ٢٠٠٣م)، ع ٥٤، ص ٧٨.

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، م ٣، ج ٥، ص ٢٤٧.

(٣) مسلم: الصحيح، ج ٣، ص ١٢٥٥، ح ١٦٣١.

(٤) الأنصاري: (عبد الرحمن)، تحفة المحبين والأصحاب، ص ٢٧٢.

(٥) الجاسر: رسائل في تاريخ المدينة، ص ٣٠.

(٦) الأنصاري: (عبد الرحمن)، تحفة المحبين والأصحاب، ص ٢٧٥.

أسرة السخاوي :

السخاوي (كالسخوي)^(١)، بفتح السين المهملة والخاء المعجمة، وهي منسوبة إلى سخا، وهي قرية مشهورة بجنوب مصر^(٢)، معروفة من قديم الزمان، فاسمها المصري القديم "خاسوخوت"، واسمها الرومي "أكسويس"، واسمها القبطي "سخوي"، أما اسمها العربي فهو "سخا"، كانت في عهد الفراعنة قاعدة لدولتهم، ويقال لها "سخا"، بالصاد بدلاً من السين^(٣)، وقد فتحت في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه^(٤)، وهي مدينة قديمة حسنة^(٥).

وينسب إلى سخا أناس كثيرون من أهل العلم، ويهمنا في هذا البحث أن نتعرف على أسرة السخاوي، التي جاءت إلى المدينة المنورة، واستقرت بها خلال فترة الدراسة. هذه الأسرة تنتمي إلى إحدى القبائل العربية التي هاجرت من بغداد إلى مصر، منذ الفتح الإسلامي لمصر وسكنت مدينة سخا^(٦)؛ وهي تنسب إلى الشيخ شهاب الدين أحمد بن أبي مؤيد بن نصر البكري السخاوي المالكي^(٧)، إلا أن أول من سكن المدينة المنورة من أفراد هذه الأسرة في العصر المملوكي هو الشيخ محمد بن أحمد بن موسى بن أبي بكر بن أبي العيد الشمس أبو عبد الله السخاوي ثم القاهري المالكي (٨١٩ - ٨٩٥ هـ / ١٤١٦ - ١٤٨٩ م)، ويعرف بابن القصي أو بابن أبي العيد^(٨)، انتقل من القاهرة إلى المدينة واستوطنها سنة

(١) رضوان المدني: مختصر رب الأرباب بما أهل في لب الباب، ص ٢٦.

(٢) السمعاني: الأنساب، ج ٧، ص ٥٦؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، م ٣، ص ١٩٦؛ ابن الأثير: اللباب في تهذيب الأنساب، ج ١، ص ٥٣٦. وينسب إلى مدينة سخا جمع من العلماء، لعل أشهرهم هو الإمام محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت ٩٠٢ هـ / ١٤٩٦ م)، وهو ممن جاور بالمدينة في العصر المملوكي ثلاث مرات، إلا أنه ليس من أسرة السخاوي المدنية، وإن اجتمع معها في النسبة إلى بلدة سخا. علي السيد علي: الحياة الثقافية في المدينة، ص ١٧١.

(٣) ابن تغري بردي: جمال الدين أبي المحاسن يوسف، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (د. ط)، (وزارة الثقافة والإرشاد القومي، د. ت)، ج ١٠، ص ٣١٩ - ٣٢٠.

(٤) ياقوت الحموي: معجم البلدان، م ٣، ص ١٩٦.

(٥) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ١٠، ص ٣١٩ - ٣٢٠.

(٦) السخاوي: وجيز الكلام، ج ١، ص ٧.

(٧) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤٣٩ - ٤٤٠؛ علي السيد علي: الحياة الثقافية في المدينة المنورة، ص ١٧١.

(٨) الضوء اللامع م ٤، ج ٧، ص ١١٠ - ١١١.

(٨٦٠هـ/١٤٥٥م)، متولياً منصب قضاء المالكية بها، وورث أبناؤه هذا المنصب، وتعد هذه الأسرة آخر الأسر العلمية التي نحن بصدد دراستها قدوماً للاستيطان في المدينة المنورة في العصر المملوكي^(١)، وهذا لا يتعارض مع امتداد بعض الأسر التي سبقت هذه الأسرة أو التي جاءت بعدها إلى وقت قريب.

(١) السخاوي: وجيز الكلام، ج ١، ص ٧؛ علي السيد علي: الحياة الثقافية في المدينة المنورة، ص ١٧١.

المبحث الثاني: نشأته.

البحث في نشأة الأسر العلمية له أهمية من جهة أن التأريخ لأخذ العظة والعبرة، فلربما توفرت ظروف نشأة أسرة في زمان ومكان تهيأت لأخرى في وقت آخر وجهة أخرى، فالسير على طريقته ينتج أسرة علمية غالباً، وإن كان العلم هبة من الله تعالى، إلا أن السنن الكونية لا تتبدل، ولهذا أمر الوالدان بتأديب الأولاد، ونحلهم الأدب الحسن، وإن كانت الهداية من الله مراعاة للسنن الكونية.

والأسر العلمية التي كانت بالمدينة النبوية لم تكن ظروف نشأتها واحدة، بل يكاد يكون لكل أسرة نشأة تختلف عن الأسرة الأخرى، ويجمع الجميع رباط الحرص على العلم والالتزام بأحكام الشريعة، فأحببت عرض ذلك بالتفصيل ليكون نبأاً وهدى لمن أراد أن يحذو حذوهم، ويسلك سبيلهم، وينظم في سلوكهم وبالله التوفيق.

أسرة المطري:

نشأة أسرة المطري بالمدينة المنورة مع مقدم عميدها المؤذن أحمد بن خلف بن عيسى بن عشاش بن يوسف بن بدر بن علي الأنصاري الخزرجي العبدي الساعدي المطري، إلى المدينة في أوائل العصر المملوكي^(١).

وأعجب الشيخ أحمد ابنه محمداً بالمدينة، وهو محمد بن أحمد بن خلف^(٢) الجمال أبو عبد الله الأنصاري (ت ٧٤١هـ / ١٣٤٠م)^(٣) بالمدينة نشأة دينية صالحة، وعرف بمحاسن الأخلاق والإحسان إلى الطلاب، ذكر السخاوي عنه أنه كان: "متخلقاً بأخلاق الصالحين، ليس منهم شيخ ولا كبير إلا وهو معه في حوائجه"^(٤)، ويضيف ابن فرحون بأنه: "لم نجد بعد والدنا مثله في الإحسان إلينا والشفقة علينا ... وكان كالأهل لكل قادم إلى المدينة في

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١٠٧؛ المدرس: المدينة المنورة في العصر المملوكي، ص ٢٦١.

(٢) جاء في ترجمته في الدرر الكامنة أنه: (محمد بن أحمد بن خالد). ابن حجر: الدرر الكامنة، ج ٣، ص ٤٠٣ - ٤٠٤.

(٣) حمدان: عاصم حمدان علي، المدينة المنورة بين الأدب والتاريخ، (ط ١)، (دار العلم للطباعة والنشر، المملكة العربية السعودية، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م)، ص ٩٩. وقد ورد تاريخ مولده على سبيل الغلط في سنة (٦٧٣هـ / ١٢٧٤م)، كما جزم به ابن فرحون واستدركه السخاوي في التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤١٣.

(٤) المصدر السابق، ج ٢، ص ٤١٤.

الإسكان والكسوة والتعريف، حسن المحاضرة، إذا جلست إليه لم تحب مفارقتها، لم يأت مثله من بعده ولا علمت فيمن كان بعصرنا من هو مثله، كان جامعاً للمحاسن والفضائل، صدرأ من صدور الأفاضل^(١).

ووصفه مترجموه أيضاً بأنه كان: "سالكاً سلك العلماء الصالحين المحققين متخلقاً بآداب الأتقياء، قائماً بحقوق الزائرين، صارفاً عمره في خدمة الفقراء الوافدين"^(٢).

وأنه كان: "أحسن رجال الكمالات في وقته"^(٣)، وقد كتب الله تعالى له البقاء في مهنة الأذان حتى وفاته، ثم بقيت في يد آله^(٤)، وقد قال رسول الله ﷺ: ((المؤذنون أطول الناس أعناقاً يوم القيامة))^(٥)، وكان الجمال المطري خيراً محباً لوجوه الخير كلها، ففضلاً عن كونه مؤذناً ومحدثاً، فهو كذلك صاحب زهد وعبادة^(٦)، مقدم على الصفات الاجتماعية الجميلة، معتقاً للعبيد، فمن أعنتهم عبداً له يدعى رجلاً^(٧)، وقد أورثه كل هذه الصفات محبة الناس والعلماء، فكان إخوانه وأقرانه لا يخرجون إلى زيارة ولا يجتمعون في تنزه إلا أخذوه معهم، وما ذلك إلا لطيب معشره وحسن أخلاقه، ولذا وصفه ابن فرحون بأنه: "إذا جلست إليه لم تحب أن تفارقه"^(٨).

فمن محبة الناس له أن الشيخ ابن فرحون أوقف داراً على جمال الدين المطري، سكن معه بها أولاد ابن فرحون^(٩)، كما دلّ على محبة الناس له أن الشيخ ناصر

(١) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ١٤٩.

(٢) الفيروز آبادي: المغامم المطابة، ج ٣، ص ١٢٨٩ - ١٢٩٠.

(٣) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤١٣.

(٤) حسن: منى، أهم معالم الحضارة الإسلامية في مجتمع المدينة في العصر المملوكي، "مجلة الدراسات الإنسانية"، ع ٢٢، ص ١٦٥.

(٥) مسلم: الصحيح، ج ١، ص ٢٩٠، ح ٣٨٧.

(٦) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤١٣.

(٧) امتحن بالضرب من ثابت بن حجاز، ليدلهم على ما زعموا أنه مودع عند ابن سيده العفيف عبد الله البغدادي الطواشي. المصدر السابق، ج ١، ص ٣٥١.

(٨) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ١٤٩.

(٩) المصدر السابق، ص ٥٥ - ٥٦.

الدين^(١) كان مؤاخياً للجمال لا يخرج عن رأيه ولا مشورته^(٢)، وكذا كان بين الشيخ عز الدين دينار^(٣) المؤذن وبين جمال الدين من المحبة وسماع الكلمة ما كان بينه وبين ناصر الدين وأكثر^(٤)، وكان إذا احتاج إلى الاستئابة عنه لا يمنع من يعينه من ذلك، كما استتاب الشيخ المقرئ الجود برهان الدين بن مسعود بن الجايي المسروري في الخطابة والإمامة سنة (٧٣٨هـ/١٣٣٧م)^(٥)، مما يدل على محبة العلماء له ونزولهم على أمره.

وكان رحمه الله جيد الرأي، ثابت العزيمة، ولا أدل على ذلك من أن الناس لما اشتغلوا بمحجي التتر، وأشيع أن لا حج في هذه السنة وصار خوف بالمدينة على المجاورين والخدام، إذ قال بعض الأشراف الشيعة: نقتلهم ونقتلهم ونطيب المدينة منهم وحال الكلام بين الناس حتى أرجفوا بالمجاورين والخدام، انطلق الشيخ جمال الدين إلى أبي الربيع يسأله عن ذلك الوعيد والتهديد، فأمنه وتفرس أن الحج آمن، فوقع على هذا النحو^(٦).

وهذا يدل على حزم الشيخ جمال الدين، فإن العاقل لا يطير خلف الشائعات في أزمنة الفتن، وإنما يستشير العلماء وأهل الفضل فيسعد بذلك، وهذا ما جاء في حديث النبي ﷺ: ((إن السعيد لمن جنب الفتن إن السعيد لمن جنب الفتن، إن السعيد لمن جنب الفتن))^(٧)، كما أن هذا الموقف ليس بغريب على الجمال المطري، إذ قد وهب نفسه لخدمة (المجاورين والخدام)، وذلك لكونهم من أهل السنة مختلطين بالعمرين وهم جماعة تنسب إلى

(١) هو الشيخ ناصر الدين نصر الله عطا الله شيخ الخدام بالمسجد النبوي، كان كثير الصدقة والإحسان، توفي سنة (٧٢٧هـ/١٣٢٦م). انظر: المقرئ: تقي الدين أحمد بن علي، درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان

المفيدة، تحقيق: محمد الجليلي، (ط١)، (بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م)، ج ٢، ص ٨٤.

(٢) الفيروزآبادي: المغام المطابة، ج ٣، ص ١٣٠٧-١٣٠٨.

(٣) هو عز الدين دينار الطواشي، شيخ الخدام بالمسجد النبوي، كان رجلاً عابداً كثير القيام والصيام، مع الجود والإحسان، توفي سنة (٧٦١هـ/١٣٥٩م). انظر: ابن حجر: الدور الكامنة، ج ٢، ص ١٩٤.

(٤) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ٤٦-٤٧.

(٥) هو إبراهيم بن مسعود برهان الدين أبو إسحاق، وُلِدَ بالقاهرة سنة (٦٦٢هـ/١٢٦٣م) كان من الشيوخ المتصدرين للإقراء، أقام بالمدينة المنورة بعد إقامته بمكة فترة طويلة، وانتفع الناس به توفي بالمدينة بعد أن فقد بصره سنة (٧٤٥هـ/١٣٤٤م). السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٨٩-٩٠.

(٦) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ٨١.

(٧) أبي داود: سليمان السجستاني الأزدي، سنن أبي داود، (ط.د)، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، د. ت)، ج ٣، ص ٢٦؛ ج ٤، ص ١٢.

أمير المؤمنين الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكان الشيخ جمال الدين المطري لهم خصيصاً، إذ كانوا حسنة زمانهم وزينة وقتهم^(١)، ولذا كان الشيخ مهتماً بهم، بل وصفه ابن فرحون بأنه: "كالأهل لكل قادم إلى المدينة في إسكانهم وكسوتهم"^(٢)، ووصفه الفيروزآبادي بأنه كان: "سالكاً مسالك الأولياء المتقين، متخلقاً بآداب الأتقياء المحققين، قائماً بحقوق الواردين، صارفاً عمره في خدمة كبار الفقراء الوافدين، ومسامرة دزية تستمقي ومحاورته سكرية تستبقي"^(٣). وهذا يدل على مكانته الاجتماعية ليس فقط عند الفقراء والمجاورين والواردين إلى المدينة، بل أيضاً عند العلماء ممن يحاوره أو يناظره.

وإننا نلاحظ في هذا الشيخ الجليل اهتمامه بالأخلاق تطبيقاً وسلوكاً، إن اهتمامه بالغرباء الوافدين و(صرف عمره في خدمتهم) أمر يدل على تواضعه، وشعوره بحاجات الأمة، فلم تمنعه وظيفته ومنزلته الاجتماعية من تفقد أحوال الفقراء، كما لم يشمل ذلك أهل البلاد، بل تعداه للوافدين من حجاج زائرين للمدينة، أو مجاورين بها ونحو ذلك. وقد اعتنى الشيخ بالحديث ودرسه واستحق فيه لقب (الحافظ)^(٤)، كما كانت له مشاركة في التاريخ، والفقه والعلوم^(٥).

ولم يكن الشيخ محمد منصرفاً عن طلبه العلم، بل كان محباً لهم مؤثراً خدمتهم، راعياً في تسهيل سبل إقامتهم بالمدينة، ولذلك وصف بأنه: "كان يلقي أهل العلم الواردين إلى المدينة على أتم الوجوه"^(٦).

وعلى الرغم من تواضعه ولين معشره، إلا أنه كان كذلك أبي النفس عالي الهمة، ويؤيد هذا القول تلك الحادثة التي تُروى عنه أنه: غاب عن الآذان يوماً إلى مسجد قباء

(١) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ١٨٧.

(٢) المصدر السابق، ص ١٤٩.

(٣) الفيروز آبادي: المغامم المطابة، ج ٣، ص ١٢٨٩ - ١٢٩٠.

(٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١٠٧. والحافظ عند المحدثين: من كانت معرفته بالرجال في كل طبقة من طبقات المحدثين ورواياتهم عالية بحيث لا يفوته إلا القليل. انظر: الطحان: محمود، تيسير مصطلح الحديث، (ط ٩).

(٥) (الرياض، مكتبة المعارف، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م)، ص ١٧.

(٥) المديرس: المدينة المنورة في العصر المملوكي، ص ٢١٦.

(٦) العراقي: ولي الدين أبي زرعة أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين، الذيل على العبر في خبر من غير، تحقيق: صالح مهدي عباس، (ط ١)، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م)، ق ١، ص ١٥٥ - ١٥٦.

فاستخلف عز الدين^(١) أحد أصحابه المؤذنين، فتعرض له عزيز الدولة شيخ الخدام ولامه على ذلك، وأذاه بالكلام، فالتزم يميناً أن لا يصعد هذه المئذنة لتأذين، حتى يموت عزيز الدولة وعز الدين، فأوفى بالتزامه ذلك رغم الإلحاح عليه، فلم يصعد إليها إلا بعد أن ماتا، وانحلت اليمين، وعاد إلى المئذنة رئيساً للمؤذنين، وقد ذكروا أن مراتب المؤذنين كانت قليلة، وكان الشيخ له حاجة، فعرضوا عليه حيلة فقهية حتى يتحلل من يمينه، ولاسيما وقد بنت مئذنة لم تكن وقت انعقاد يمينه، فأبى، واستمر على امتناعه حتى انحلت يمينه بموتهما^(٢).
وهنا نجد أيضاً ورعاً واضحاً من حيث لم يقبل الشيخ الحيل الفقهية، بغض النظر عن جواز الحيلة التي عرضت عليه أولاً، إلا أن هذه النفس الأبية والهمة العالية ما كانت لتقبل بذلك رحمه الله.

وكان الشيخ جمال الدين مع عظيم انشغاله بالخدمات الاجتماعية، إلا أنه كان ملازماً للعبادة في المسجد النبوي، لا يدخل أحد المسجد إلا وهو بالروضة المشرفة^(٣).
وقد أنجب الجمال المطري ذرية فاضلة، برز منهم في العلوم أولاده: عبد الله وعبد الرحمن وأحمد.

* أما عبد الله، فهو الحافظ عفيف الدين عبد الله بن جمال الدين محمد المطري ويكنى بأبي السيادة، حافظ وقته ومحدث عصره (٦٩٨-٧٦٥هـ/١٢٩٨-١٣٦٣م)^(٤)، وقد فاق والده بالمشيخة في الحديث، كما أنه ورث عنه مكارم الأخلاق والإحسان إلى الغرباء الواردين عليه، بل كان منجماً منقبضاً عن الناس ماعدا الغرباء الواردين عليه، فإنه كان لهم كالأب الشفيق^(٥)، وقد أجمع كل من ترجم له على هذه الخصلة فيه، فقال العراقي

(١) عز الدين المؤذن: قدم من مصر إلى المدينة لمعرفة الأوقات فكان حسن الهيئة، ذا رئاسة حليلة توفي سنة (٧٠٠هـ/١٣٠٠م). ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ١٥٠.

(٢) المصدر السابق، ص ١٤٩-١٥٢؛ الفيروز آبادي: المغنم المطابة، ج ٣، ص ١٢٩٠؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤١٤-٤١٥.

(٣) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ١٩٦.

(٤) السبكي: تاج الدين عبد الوهاب، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: عبد الفتاح الحلو، ومحمود الطناحي، (القاهرة، ١٩٦٤م)، ج ٦، ص ١٠٣؛ ابن فهد: تقي الدين محمد، لفظ الألفاظ بذييل طبقات الحفاظ، نشره:

محمد أمين دمع، (بيروت، د. ت)، ص ١٤٣.

(٥) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ١٥٠-١٥١.

عنه: "كان من أهل الصلاح والتقوى، وكرم النفس، والإحسان إلى الخلق، والإيثار، ويلقى أهل العلم الواردين إلى المدينة على أتم الوجوه"^(١)، وقال الفيروز آبادي عنه بعد أن ترجم لرحلته إلى بغداد وتبريز^(٢) ثم رجوعه إلى المدينة بأنه: (أقام في موطنه أشرف البلاد، منتحياً عن التعلّق بالأهل والأولاد، سالكاً مسالك المجردين، صارفاً أوقاته في مهمات أمر الدين، وخدمة الوافدين الواردين، وهو لهم كالأب الرؤوف، والمشفق العطوف، يتلقاهم من الإحسان بآتم الصنوف، فما منهم من أحدٍ إلا وهو بيرة محفوف، ومعروفه إليه معروف)^(٣).

وقد أمتحن العفيف بمحنة عظيمة اختصرها العراقي بقوله: "أمتحن في سنة (٧٤٢هـ/١٣٤١م)، ونهبت داره، وأخذ منها ما يبلغ نحو مئة ألف درهم فيما قيل، وحبس، ثم أطلق، ولطف الله به وقتل خصمه"^(٤).

توفي العفيف في المدينة المنورة في سادس عشر من ربيع الأول سنة (٧٦٥هـ/١٣٦٣م)^(٥)، وذهب بعض المعاصرين إلى أن العفيف لم يعقب^(٦)، وقد يكون أخذ ذلك من كون العفيف لم يتزوج، حينما ذكر ابن فرحون وقال: "بل كان عنده جوار يقومون بخدمته وخدمة أصحابه، ثم ذكر أنه مات من غير عقب"^(٧)، لكن عبارة ابن فرحون ونحوها في التحفة لا تعني أنه لم يولد له، بل نعني أنه لم يعقب بعد موته، وهذا لا يمنع أن يولد له من جواريه في حياته، وهذا الذي حدث فعلاً، فقد وُلد له: سعد بن العفيف، وقد تزوّج في حياة أبيه، وذكروا في ترجمته أنه عاد على الزوجة ضرر محنة دار زوجها بأخذ

(١) العراقي: الذيل على العبر، ق ١، ص ١٥٦.

(٢) تبريز: بكسر أوله، وسكون ثانيه، وكسر الراء، وياء ساكنة، وهي من أشهر مدن أذربيجان. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ٢م، ص ١٣.

(٣) الفيروزآبادي: المغانم المطاية، ج ٣، ص ١٢٣٢-١٢٣٣.

(٤) العراقي: الذيل على العبر، ق ١، ص ١٥٦؛ المقرئ: درر العقود الفريدة، ج ٢، ص ٣٣٢.

(٥) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ١٥٤؛ المقرئ: السلوك، ج ٣، ق ١، ص ٩٥؛ ابن فهد: معجم الشيوخ، ص ٢٠٦.

(٦) المدريس: المدينة المنورة في العصر المملوكي، ص ٢٦٢.

(٧) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ١٥١-١٥٢.

حاصل بها سنة (٧٤٢هـ/١٣٤١م)، إلا أنه مات في حياة أبيه^(١)، فلم تتح للعفيف فرصة الاعتناء بأولاده وأحفاده، إلا أن الله رزقه محبته لأخيه وأولاد أخيه فكفلهم، فإنه لما توفي والده جمال الدين، قام العفيف بخدمة أخيه أبي الحرم عبد الرحمن، الملقب بتقي الدين بن الجمال المطري (ت ٧٧٢هـ/١٣٧٠م)، وكفل أيضاً ابن أخته عبد العزيز بن يحيى بن العفيف^(٢)، سبط الجمال المطري، فرباهما جميعاً واشتغلا بالعلم على الشيوخ، وكان يلزمهما بالعكوف على كل شيخ ذي علم يرد المنفعة^(٣).

وهنا ندرك مدى حصافة رأي العفيف وصدق إخلاصه في التربية، فليست التربية هي تأمين المطعم والمشرب فحسب، بل ما نخل مؤدب ولداً مثل أدب حسن، وأحسن الأدب هو العلم النافع، وحيث كان الحرمان مرحولاً إليهما، فلا يحتاج طالب العلم فيهما إلا أن ينتظر مجيء العالم، لذا كان العفيف يلزم أخيه وأبن أخته بالعكوف على الشيوخ الواردة للمدينة، عوضاً عن الرحلة والطلب، فكان هذا من أعظم ما أسداهما من نعمة بقيت آثارها في علومهما على مرّ السنين، وكان الأجر متصلاً للدال على الخير.

* وأما أبو الحرم تقي الدين عبد الرحمن بن الجمال المطري (ت ٧٧٢هـ/١٣٧٠م)، فقد نفع الله به، وصار إماماً في الحديث، وقد وُلد بمكة عشية الخميس سادس عشر من ذي القعدة، سنة (٧٢٩هـ/١٣٢٨م)، وحصل علماً وأفاد، وتعلق بأهداب طريق والده ورياسته، ورزق أولاد نجباء، وقد استفاد كثيراً من تربية عمه له، وظل بالمدينة لم يخرج منها إلا قبيل موته لضيق حال ألباءه إلى ذلك، فنزل إلى (حلب)، وبعد إقامته ثلاثاً توفي في الاثنين عاشر جمادى الأولى عام (٧٧٢هـ/١٣٧٠م) ودفن بمقابر الشهداء، وكانت جنازته مشهورة، وقد كان حريضاً أن يموت بالمدينة، إلا أنه لم يتفق له ذلك، وقد قيل في معناه على لسانه:

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٣٨٩.

(٢) هو عبد العزيز بن يحيى بن عبد السلام بن محمد البصري المغربي المدني، رحل إلى دمشق طلباً للعلم والأخذ من علمائها توفي بها وعمره عشرون سنة وذلك في سنة (٧٥٢هـ/١٣٥١م). المصدر السابق، ج ٢، ص ١٩٠.

(٣) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ١٥١-١٥٢.

يا أهل البقيع^(١) قضيت عمري ولم أبرح لخير الخلق جارا
و كنت أخاف إن قاربت موتي غريباً والذي حاذرت صاراً^(٢).

وقد كان يفاضل بين العفيف والتقي الأخوين، فيقال كان العفيف أعلم بالحديث والتقي أعلم بالفقه^(٣)، فجمع الله لأبناء الجمال المطري العلوم مقسمة عليهم، رحمهم الله تعالى.

* وأما عبد العزيز بن يحيى سبط الجمال المطري، فقد وُلِدَ في سنة (٧٣٢هـ/١٣٣١م) في رجب منها، وكفله العفيف كما تقدم، ثم اشتغل بمذهب الحنابلة، وأتقنه، ثم اشتغل بالمذهب الشافعي من غير إعراض عن مذهبه بل ليجمع بين المذهبين^(٤)، وهذا إنما يدل على عزيمة قوية وإرادة صادقة، ويؤكد ذلك أنه رحل في الطلب إلى دمشق وهو ابن العشرين إلا أنه توفي بها سنة (٧٥٢هـ/١٣٥١م) وهو في مقتبل العمر^(٥)، رحمه الله تعالى.

* والابن الثالث للجمال محمد هو أبو البركات أحمد بن محمد بن أحمد بن خلف المطري^(٦).

وقد امتد عطاء هذه الأسرة العلمية في ولد التقي عبد الرحمن، فكان منهم أربعة ممن اشتغل بالعلوم، وأفاد وظل عطاؤه حتى موته، وهم: (محمد الرضي، ومحمد الشمس، وعلي، وأحمد).

(١) البقيع مقبرة أهل المدينة، ويقال له بقيع الغرقد لكثرة الشجر الذي كان فيه، دفن فيه كثير من الصحابة والتابعين، وما زال موجوداً حتى وقتنا الحاضر، يفصل بينه وبين سور المسجد النبوي شارع مخصص لمروور المشاة، وانظر: الخياري: أحمد ياسين أحمد، تاريخ معالم المدينة المنورة، قديماً وحديثاً، (ط ١)، (المدينة، نادي المدينة الأدبي، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م)، ص ٢٤٧.

(٢) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٤٧؛ علي السيد علي: الحياة الثقافية في المدينة، ص ١٦٧.

(٣) المصدر السابق، ج ٢، ص ١٤٨.

(٤) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ١٥١-١٥٢.

(٥) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٩٠.

(٦) المصدر السابق، ج ١، ص ١٣١.

وأشهرهم في علوم الشريعة هو الأول، وهو رضي الدين محمد بن تقي الدين عبد الرحمن بن الجمال المطري^(١)، ويكنى بأبي حامد، واشتهر بكنيته، وجده لأمه هو الجمال محمد بن يوسف الزرندي، من أساطين العلم بأسرة الزرندي^(٢).

وُلد أبو حامد في المدينة سنة (٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، بعد صلاة العصر في خامس ذي القعدة^(٣)، وقد ضبط أبو حامد هذا التاريخ كما رآه بخط أبيه^(٤)، اشتغل بالعلوم على العفيفين عمه العفيف المطري، والعفيف اليافعي^(٥)، وحصل علوماً وبرع في الحديث والفقه، وفاق غيره حتى وصف: بـ "الفقيه، العالم، العامل الرئيس"^(٦)، ولي رئاسة المؤذنين بالحرم النبوي كأبيه وجده، وولي وظائف دينية أخرى كالقضاء، وكانت العادة أن القاضي يقوم بالإمامة والخطابة بالمسجد النبوي^(٧)، كان خيراً، ديناً، له إقبال على الخير والعبادة، وعناية

(١) ابن فهد: معجم الشيوخ، ص ٤٦٨.

(٢) المقرئ: درر العقود الفريدة، ج ٣، ص ٢٠٩؛ الفاسي: تقي الدين محمد بن أحمد، ذيل التقييد في رواة السنن المسانيد، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٠م)، ج ١، ص ١٥٣.

(٣) وقد اختلف في تاريخ مولده اختلافاً يسيراً، فقليل في سنة (٧٤٨هـ/١٣٤٧م). السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٥١٢؛ وقيل سنة (٧٤٩هـ/١٣٤٨م)؛ الفاسي: محمد بن أحمد الحسيني، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق: فؤاد سيد، (د.ط.)، (القاهرة، ١٣٨١هـ/١٩٦٢م)، ج ٢، ص ١٠٥-١٠٦؛ وقيل في سنة (٧٤٦هـ/١٣٤٥م) ابن حجر: إنباء الغمر، ج ٢، ص ٤١٤. وإذا اعتمدنا أنه قد توفي في سنة (٨٤١هـ/١٤٣٧م) عن ٦١ سنة كما قال ابن حجر: المصدر السابق، ج ٢، ص ٤١٤؛ فيكون الأرجح أنه وُلد في سنة (٧٤٩هـ/١٣٤٨م) أو سنة (٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، ولهذا اعتمدته في تاريخ ولادته وأشار إلى ذلك السخاوي في التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٥١٣، والتواريخ متقاربة فلا يضر مثل ذلك في الجملة.

(٤) السخاوي: الضوء اللامع، م ٤، ج ٧، ص ٢٩٩؛ الشماخ: القيس الحاوي، ج ٢، ص ٢١٣-٣١٤.

(٥) هو عبد الله بن أسعد اليميني اليافعي، من علماء اليمن، جاور بمكة سنة (٧١٨هـ/١٣١٨م)، له العديد من المصنفات العلمية، انظر: ابن قاضي شعبة: أبي بكر بن أحمد بن محمد، طبقات الشافعية، تحقيق: عبد العليم خان، (بيروت، دار الندوة، ١٩٨٧م)، ج ٢، ص ٢٤٦.

(٦) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٥١٢.

(٧) الفاسي: العقد الثمين، ج ٢، ص ١٠٦-١٠٧.

بالعلم، ومعرفة حسنة بالفقه والعربية، يجيد نظم الشعر، وله حفظ جيد^(١)، ولي نظر الأوقاف في مكة مدة من الزمان^(٢).

ولذلك ذكره الفاسي في علماء مكة^(٣)، وقد اتفق المترجمون له على أنه توفي بعد أن ولي قضاء المدينة بعد سنة (٨١١هـ/١٤٠٨م) عَقِبَ منازعة صهره في ذلك، حيث مرض بعد حجه وتوفي في سادس عشر ذي الحجة عن إحدى وستين سنة وصلي عليه من الغد بعد صلاة الصبح، ودفن بمكة^(٤).

* **والابن الثاني للتقي عبد الرحمن هو الشمس محمد**، وقد اتفق مع أخيه في الاسم (محمد) وكانت العادة مشهورة في التسمية للأولاد باسم (محمد)، ويكون الاختلاف بينهم بالألقاب والكُنْيَ^(٥)، وقد يكون السبب في ذلك المحبة هو مجاورتهم بالمدينة للمسجد النبوي، وقد يكون سبب تعدد الأمهات، وتريد كل واحدة أن تسمي ولدها بهذا الاسم الشريف. والشمس محمد بن التقي عبد الرحمن، أبو عبد الله وأبو الهدى المطري، نقل أخوه عن أبيه من خطه أن الشمس وُلِدَ في صبيحة الأحد عاشر رجب سنة (٧٦٢هـ/١٣٦٠م)، ومات بمكة كأخيه الرضي، وكان ذلك قبل موت أخيه بخمس سنوات في ثاني عشر ذي الحجة سنة (٨٠٦هـ/١٤٠٣م)، ودفن بالمعلاة^(٦)، وقد وُلِّيَ الآذان بالحرم النبوي كأبيه وجده بمنازة الرياسة، وصف بأن له اشتغال بالعلم، وله نباهه، وسماع للحديث^(٧)، وقد أعقب الشمس ولداً أسماه عبد الله وهو ابن عم الحب المطري الآتي ذكره، كان بمن اشتغل بالعلم أيضاً^(٨).

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٥١٢-٥١٣.

(٢) الفيروزآبادي: المغام المطابة، ج ٢، ص ١٠٧؛ القيس الحاوي، ج ٢، ص ٢١٣-٢١٤.

(٣) الفاسي: العقد الثمين، ج ٢، ص ١٠٥؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٥١٣.

(٤) ابن حجر: إنباء الغمر، ج ٢، ص ٤١٤؛ ابن فهد: الهاشمي المكي، إتحاف الوري بأخبار أم القرى، تحقيق: فهم شلتوت، (د. ت)، (دار المدني، د. ت)، ج ٣، ص ٤٦٨.

(٥) وسأتي أن الشيخ محمد بن عبد الصمد بن صالح سمي أربعة من أولاده باسم (محمد) وكان هو يدعى (محمد) وكذلك العز عبد السلام الكازروني أنجب ثلاثة من الأولاد كل منهم سماه بـ(محمد).

(٦) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٥١٣؛ الضوء اللامع، م ٤، ج ٧، ص ٣٠٠.

(٧) ابن فهد: إتحاف الوري، ج ٣، ص ٤٤١.

(٨) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٨٢.

* وأما الابن الثالث للتقي عبد الرحمن فهو علي بن عبد الرحمن بن محمد أبو القسم أخو أبي حامد^(١)، وهو أيضاً من المشتغلين بالحديث والعلم.

* والابن الرابع للتقي عبد الرحمن هو أحمد بن عبد الرحمن المطري وُلِدَ سنة (٧٦٠هـ/١٣٥٨م)^(٢)، كان معتنياً بالعلم، إذ كان له اشتغال (بعلم الكيمياء)^(٣)، وقد توفي في أول ذي الحجة سنة (٨٢٢هـ/١٤١٩م)^(٤).

وقد رزق الله الرضي محمد أبو حامد بن التقي عبد الرحمن ثلاثة من الأبناء كل منهم ممن اشتغل بالعلم ونفع الله به.

وأشهرهم هو الحافظ الجليل المحب أبو المعالي محمد بن الرضي أبي حامد بن التقي بن عبد الرحمن المطري، وُلِدَ سنة (٧٨٠هـ/١٣٧٨م) بالمدينة الشريفة^(٥)، وهو سبط الزين أبي بكر المراغي^(٦).

وقد نشأ في طيبة وحفظ القرآن وكتباً، كان جليلاً، إماماً، عالماً محدثاً، مدرساً ناظماً، توفي في ليلة السبت رابع عشرين شعبان سنة (٨٥٦هـ/١٤٥٢م) بالمدينة ودفن بالبقيع بعد الصلاة عليه بالروضة النبوية، رحمه الله^(٧)، وكان من مشايخته لإبائه في العلم والفضل ربما لقبوه بألقابهم، فهو المحب وربما لقب بالعفيف كعم أبي السيادة عبد الله، وربما لقب بالشمس كلقب عمه، وبالجمال كلقب جده محمد بن أحمد المطري، وقد حج أكثر من ثلاثين مرة، وولي عدة وظائف^(٨).

وقد أنجب المحب المطري ولداً أسماه محمداً وهو أبو الفتح محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن المطري، سبط الزين أبي بكر المراغي، ولم تذكر المصادر تحديد تاريخ مولده

(١) المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٨٨.

(٢) الشماخ: القبس الحاوي، ج ١، ص ١٦١-١٦٢.

(٣) ابن العباد: شذرات الذهب، ج ٧، ص ١٥٤؛ الأنصاري: (ناجي محمد)، التعليم في المدينة المنورة، ص ٢٤٨.

(٤) ابن حجر: إنباء الغمر، ج ٣، ص ٢٠٤.

(٥) ابن فهد: معجم الشيوخ، ص ٢٦٧.

(٦) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٥، ص ٩، ص ١٠١.

(٧) السخاوي: وجيز الكلام، ج ٢، ص ٦٦٧.

(٨) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٥، ص ٩، ص ١٠١-١٠٢.

أو وفاته، كما ورد اسم ابن آخر له هو محمد الكمال أبو الفضل وهو أخو محمد هذا وشقيق أم كلثوم التي تزوج بها القاضي المالكي شمس الدين السخاوي، وأمهما خديجة بنت القاضي علي الزرندي، تلقى الإذن عن أبيه بطلب العلم إلا أنه لم يعمر، فقد مات في رجوعه من الحج في ليلة الحادي والعشرين من ذي الحجة سنة (٨٦٦هـ/١٤٦١م)، فجيء به إلى المدينة ودفن بالبقيع ولم يبلغ الأربعين^(١).

ترجم له السخاوي وذكر أنه: "خاتمة الذكور من بيت المطري"، حيث لم يعقب إلا ابنته خديجة^(٢).

* والابن الثاني لأبي حامد المطري هو أحمد وهو أبو الخطاب أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الشهاب المطري، وهو أخو المحب، وليس بين أيدينا تاريخ مولده أو وفاته أيضاً^(٣).

* والابن الثالث لأبي حامد هو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد المطري أخو المحب محمد، وقد اشترك هذا الابن في الاسم مع ولد الشمس المتقدم ذكره، فكل منهم عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن، ولذلك احتتمل السخاوي أن يكون ليس أخا المحب وإنما ابن عمه، أي يكون ولداً للشمس محمد وليس للرضي محمد^(٤).

وهكذا استمرت أسرة (المطري) في العطاء في الحرم النبوي طيلة عدة قرون، وكان لهم الأثر البالغ في تنشيط العلوم به.

أسرة الزرندي:

- عميد هذه الأسرة هو يوسف بن الحسن بن محمد بن محمود بن الحسن الزرندي المدني الأنصاري، الملقب بعز الدين، المكنى بأبي المظفر^(٥)، اختلف في تاريخ مولده، فذكر ابن حجر أنه وُلِدَ سنة (٦٤٠هـ/١٢٤٢م)^(٦)، في حين ذكر ابن حبيب أنه وُلِدَ في سنة

(١) ابن طولون وابن المبرد: متعة الأذهان من التمتع بالإقراء بين تراجم الشيوخ والأقراء، تحقيق: صلاح الدين خليل الموصلي، (ط١)، (بيروت، دار صادر، ١٩٩٩م)، ج ١، ص ١٣٠.

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، ٥م، ج ٩، ص ٢٢٦.

(٣) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١٣٩.

(٤) المصدر السابق، ج ٢، ص ٨٢-٨٣.

(٥) الفيروز آبادي: المغامم المطابة، ج ٣، ص ١٣٢٠؛ ابن حجر: الدرر الكامنة، ج ٥، ص ٢٢٨.

(٦) المصدر السابق، ج ٥، ص ٢٢٨.

(٦٥٦هـ/١٢٥٨م)^(١)، وليس هناك ما يؤكد أحد التاريخين، إلا أنه لما كان بالمدينة كان جداً كبيراً، وذلك يجعل ما ذكره ابن حجر أقرب، إضافة إلى دقة ابن حجر المعهودة، لذا فيترجح لدينا أنه وُلد سنة (٦٤٠هـ/١٢٤٢م) .

لم تسعفنا المصادر عن نشأة الشيخ يوسف الأولى خارج المدينة، إلا أنه لما جاور بالمدينة كان عالماً جداً، وقد نقل في ترجمته أنه رحل في طلب العلم مما يأتي في رحلاته لاحقاً إن شاء الله تعالى، فما وصل المدينة إلا وقد حصّل العلوم وبرع فيها، ولم تحدد لنا المصادر كذلك وقت نزوله المدينة، وإن كان ذلك قبيل عام (٦٩٣هـ/١٢٩٣م) عام مولد ابنه الأكبر محمد، وكان وقتها له ثلاث وخمسون سنة على القول بولادته سنة (٦٤٠هـ/١٢٤٢م)، فيكون زواجه في الجملة متأخراً غالباً.

وقد نزل المدينة في (رباط الأصفهاني) وهو الرباط الذي أنشأه جمال الدين محمد بن المنصور الأصفهاني المعروف بالجواد وزير بني زنكي، ويبدو أن مدة إقامته بهذا الرباط قد امتدت طويلاً، فقد نزل هذا الرباط وأصلحه وورده إلى أهله على شرط الواقف وهو (أن يكون ساكنه من فقراء العجم)، ولما كان يرى نفسه قد دخل في هذا الشرط سكن الرباط وفيه وُلد له أولاده ، وهذا يقتضي أنه بقي في الرباط إلى ما بعد ولادة ابنه الأصغر (علي) والذي اختلف في تاريخ مولده هل هو في سنة (٧٠٣هـ/١٣٠٣م)، أو سنة (٧٠٨هـ/١٣٠٨م)، أو سنة (٧١٠هـ/١٣١٠م)^(٢)، وهذا يقتضي أنه بقي أكثر من عشر سنوات بالرباط (أو أكثر من خمس عشر سنة)، وكان ذلك كفيلاً أن يُعرف هذا الرباط به، فكان يعرف هذا الرباط برباط الزرندي، بل ما كان يعرف الرباط إلا به، ولما كثر عيال الشيخ الزرندي، وتحسنت حاله وارتفع عنه فقره، وانتشر تلاميذه وطلابه، رأى أنه لا يدخل في شرط واقفه فانتقل عنه^(٣)، والذي يدفعه إلى اتخاذ هذا الرأي هو أن الشيخ رحمه الله كان حريصاً على تطبيق شرط الواقف، وإن كنا لا نستبعد السبب الآخر وهو (ضيق المكان)، وذلك لأن سكنه كان في (حجرة الرباط)^(٤)، وليس في كامل حجره.

(١) ابن حبيب: تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، ج ٢، ص ٤٨.

(٢) المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٨؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٣٠٥.

(٣) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١٦٤.

(٤) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ١٠٥.

كانت حياة الشيخ يوسف الزرندي حياة علم، فقد طلب العلم، واهتم بالحديث، وحج أربعين حجة^(١)، وقد ذكره ابن فرحون بأنه من المشايخ المعبرين بالروضة^(٢)، كان عدلاً، فاضلاً، عابداً، حسن الهيئة، له همة وعزم^(٣)، له المقامات الحميدة، والإقبال على العبادة، وعدم العناية بشيء من الأمور الدنيوية^(٤)، وفي آخر حياته قصد العراق مع الركب العراقي بطريق الحجاز فمات، وكان ذلك سنة (٧١٢هـ/١٣١٢م)^(٥).

وقد أنجب الشيخ يوسف ثلاثة من الأبناء هم محمد، وأحمد، وعلي، ممن اشتغل بالعلم وبرع فيه.

* فأما الابن الأكبر للشيخ يوسف، فهو محمد بن يوسف بن الحسن بن محمد بن محمود الزرندي، والملقب بشمس الدين، وقد يلقب بجمال الدين، والمكنى بأبي عبد الله، وهو أكبر إخوانه عمراً، وُلِدَ بالمدينة سنة (٦٩٣هـ/١٢٩٣م) في رباط الزرندي، واعتنى به أبوه، فأنشأه الله في تربية والديه نشأةً سالحة، فحفظ القرآن صغيراً، وطلب العلم وارتحل فيه حتى فاق أقرانه، وسافر إلى شيراز ثم نزل إلى منازل الفيروز آبادي وتزوج ثانية هناك^(٦)، أما زواجه الأول فكان بالمدينة حيث وُلِدَ ابنه عبد اللطيف كما سيأتي، وكان زواجه من أم الحسن فاطمة بنت الفقيه أحمد بن قاسم الحرازي، وكانت عالمة ويقال لها مسندة مكة توفيت سنة (٧٨٣هـ/١٣٨١م) ودفنت بالبقيع^(٧)، وقد أكرمه سلطان فارس^(٨) وأغدق عليه المال وبالغ في ذلك، حتى كان كثيراً ما ينشد:

ولا عيب فيكم غير أن ضيوفكم
تُعاب بنسيان الأحبة والوطن^(٩)

(١) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج ٥، ص ٢٢٨.

(٢) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ١٩٦.

(٣) ابن حبيب: تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، ج ٢، ص ٤٨.

(٤) الفيروز آبادي: المغامم المطابة، ج ٣، ص ١٣٢١.

(٥) ابن حبيب: تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، ج ٢، ص ٤٨؛ المصدر السابق، ج ٣، ص ١٣٢٢؛ ابن حجر:

الدرر الكامنة، ج ٥، ص ٢٢٨.

(٦) الفيروز آبادي: المغامم المطابة، ج ٣، ص ١٢٨٥ - ١٢٨٦.

(٧) الفاسي: العقد الثمين، ج ٨، ص ٣٥٠ - ٣٥١.

(٨) لم أعتز له على ترجمة في المصادر المتداولة.

(٩) الفيروز آبادي: المغامم المطابة، ج ٣، ص ١٢٨٦.

وإذا أحببنا أن نعرف كم كان عمره وقت ارتحاله إلى شیراز، لا نجد إلا ما ذكره في "المغانم المطابة" من أنه بقي بها ما يزيد على عشر سنين، ثم توفي بها في سنة (٧٥٩هـ/١٣٥٧م)^(١)، وهذا يقتضي أن مقدمه لها كان في حدود سنة (٧٤٩هـ/١٣٤٨م)، إلا أن ذلك يصطدم بما أرّخه ابن فرحون أن وفاته كانت (٧٤٧هـ/١٣٤٦م)، أو سنة (٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، وابن فرحون كان أقرب إليه من الفيروزآبادي صاحب "المغانم المطابة"، فإنه لما ذكره قال: (كنت معه كالأخوين المتراضعين رؤوس في المدينة)^(٢)، وعليه يكون مقدمه شیراز في حدود سنة (٧٣٧هـ/١٣٣٦م)، ويكون عمره آنذاك منتصف العقد الخامس من عمره، وهذا بخلاف ما ذكره صاحب الأعلام أنه ذهب إلى شیراز في سنة (٧٤٢هـ/١٣٤١م)^(٣).

وقد كان سفره بشيراز بنية الرجوع إلى المدينة، إلا أنه لم يلبث أن تولى قضاءها وتوفي بعدها^(٤)، وحضر جنازته أعيان البلد، ودفن بمقبرة مشهورة تدعى مقام الرجال الأربعين^(٥).

وللشمس الزرندي عدد من الأبناء اشتهر منهم بطلب العلم: سراج الدين عبد اللطيف ومجد الدين ومحمد، كما له ابنة هي أم كلثوم.

● فأما الأول فهو عبد اللطيف بن محمد بن يوسف بن الحسن الزرندي، المكنى بأبي أحمد، والملقب بسراج الدين^(٦)، وهو الابن الأكبر للشمس محمد^(٧)، وُلد بالمدينة، ولم تسعنا المصادر بتاريخ مولده، إلا أن سماعه على الجمال المطري المتوفى سنة

(١) المصدر السابق، ج ٣، ص ١٢٨٧؛ ابن حجر: الدرر الكامنة، ج ٥، ص ٦٣.

(٢) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ١٠٥.

(٣) الزركلي: الأعلام، م ٧، ج ٧، ص ١٥٢-١٥٣.

(٤) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج ٥، ص ٦٣؛ رضا كحالة: معجم المؤلفين، ج ٣، ص ٧٨١؛ بدر: (عبد الباسط)،

الحياة الثقافية في العصر المملوكي، "مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة"، ع ٥، ص ٧٠.

(٥) الفيروزآبادي: المغانم المطابة، ج ٣، ص ١٢٨٧.

(٦) احتمل السخاوي أن يكون (عبد اللطيف بن محمد) ولدين للشمس محمد بن يوسف الزرندي فإنه قال في عبد

بن محمد وأظنه أخوا الذي قبله أي السراج، ثم ساق في ترجمته كلام ابن فرحون، وكلام ابن فرحون كان على

(السراج) عبد اللطيف لذا اعتمده كونهما واحداً. السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٢٠٤.

(٧) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ١٠٥.

(٧٤١هـ/١٣٤٠م) يقتضي أن مولده كان قبل ذلك، وحيث قد تقدم أن مقدم والده لشيراز كان في سنة (٧٣٧هـ/١٣٣٦م) فيكون مؤلّد السراج عبد اللطيف قبل ذلك أيضاً بما يزيد عن ثلاث سنوات وهي بداية السماع.

واشتغل بالعلم وحصل الكثير من العلوم وهو شاب، حتى صار رأساً بين أقرانه مع العفة والديانة والصيانة، وتوفي سنة (٨١٧هـ/١٤١٤م)^(١).

وقد خلف أبناءاً مباركين مشغولين بالعلم منهم أحمد ومحمد وأبو الطاهر، وكذا ورد من أبنائه (أبو الفضل) واحتمل السخاوي أن يكون هو نفسه محمد^(٢).

— فأما أحمد فقد بيّض له في التحفة وأشار إلى أولاده^(٣)، فقال: وللشيخ أحمد من الأبناء (محمد وعبد الله)، فمحمد بن أحمد بن عبد اللطيف بن محمد بن يوسف ترجم له السخاوي في الضوء^(٤).

— والابن الثاني لعبد اللطيف هو محمد بن عبد اللطيف بن محمد بن يوسف الزرندي، الملقب بكمال الدين المدني، وربما تكنى في التراجم بأبي الفضل، وكان فاضلاً^(٥)، عني بالعلم، ولاسيما الفقه والحديث، وبرع في مذهب الحنفية، ومات ما بين مكة والمدينة سنة (٨٠٠هـ/١٣٩٧م)، وهذا يعني أنه توفي في حياة والده^(٦).

— ولأبي الفضل محمد ولدان هما عبد اللطيف، وعبد الملك، فالأول هو عبد اللطيف بن الكمال أبي الفضل بن محمد بن عبد اللطيف بن محمد بن يوسف بن الحسن الزرندي، والملقب كجده بالسراج، وُلِدَ بالمدينة في صفر (٧٩٤هـ/١٣٨٢م)، ونشأ بها وأدرك السماع على الزين المراغي في سنة (٨٠٢هـ/١٣٩٩م) وله ثمان سنوات، وقد توفي

(١) المصدر السابق، ص ١٠٥؛ السخاوي: تراجم العلماء والمحدثين، مخطوط بمكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة، رقم (١٧٨١)، ق ٤٣.

(٢) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٢٠٤.

(٣) المصدر السابق، ج ١، ص ١١٧.

(٤) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٣، ص ٣٢٢.

(٥) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٦، ص ١٢٩.

(٦) ابن حجر: إنباء الغمر، ج ٢، ص ٣٠؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٦، ص ٣٦٧.

مقتولاً بدرب الشام سنة (٨٥١هـ/١٤٤٧م)، وترك ولده الشمس محمد في الثانية أو الثالثة من عمره^(١).

— وابنه هو محمد بن السراج عبد اللطيف بن الكمال أبي الفضل محمد بن عبد اللطيف الزرندي، الملقب بالشمس المدني، وُلد في الحجة سنة (٨٥٠هـ/١٤٤٦م)، وقد جاء في سياق نسبه في "الضوء" أنه : "محمد بن عبد اللطيف بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن يوسف"^(٢)، وهذا تصنيف فأبو جده هو عبد اللطيف لا عبد الرحمن^(٣).

وقد اشتغل بالعلم، إلا أنه لم يُعمر، فقد توفي في سنة (٨٩١هـ/١٤٨٦م)، وله ما يناهز الأربعين سنة بقليل رحمه الله^(٤).

— والابن الثاني لأبي الفضل محمد هو عبد الملك بن محمد بن عبد اللطيف بن محمد بن يوسف الزرندي الشافعي، وقد بيّض له السخاوي في "التحفة"، و"الضوء"، وذكر أنه مات في أول صفر سنة (٨٦٧هـ/١٤٦٢م)^(٥)، أي بعد أخيه بست عشرة سنة.

— وأما الابن الثالث للسراج عبد اللطيف بن محمد بن يوسف الزرندي فهو (أبو الطاهر)، ولم أقف على ترجمته، إلا أن ابنه محمد بن أبي الطاهر بن عبد اللطيف بن محمد بن يوسف كان ممن سمع في رمضان سنة (٨٠٢هـ/١٣٩٩م) على الزين المراغي في تاريخ المدينة^(٦).

— والابن الرابع لعبد اللطيف هو (أبو الفرج) بن عبد اللطيف الأنصاري الزرندي، وإن لم يكن هو (أبو الطاهر) المتقدم ذكره لأن السخاوي لم يذكره في تأريخه لأبناء يوسف الزرندي، ولأبي الفرج من الأبناء عبد السلام وعبد الرحمن أبناء أبي الفرج بن عبد اللطيف الزرندي.

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٢٠٤، ٥٢٩.

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، م ٢، ج ٤، ص ٣٣٦.

(٣) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٥٢٩.

(٤) السخاوي: الضوء اللامع، م ٤، ج ٨، ص ٧٨.

(٥) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٢١٣؛ المصدر السابق، م ٣، ج ٥، ص ٨٧.

(٦) الزرندي: (نور الدين)، المرور بين العلمين، ص ٢.

— فعيد السلام ممن اشتغل بالعلم وسمع على الزين المراغي
(ت ٨١٦هـ / ١٤١٣م) وذلك في سنة (٨٠٢هـ / ١٣٩٩م) ^(١).

وقد اشتهر من أبناء عبد السلام: عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي الفرج بن
السراج عبد اللطيف بن الكمال محمد بن يوسف بن الحسن الزرندي، طلب العلم واشتهر
بالخير، حتى وصف بالشاب (المبارك) ^(٢)، وتزوج سارة ابنة أبي الفتح الزرندي أخت سعد
وسعيد قضاة المدينة، واستولدها أولاد منهم عمر، وعدة إناث، كان ذا همة، وفضل على
أصحابه وأقرانه، كريماً سخياً على الجميع، خاصة الفقراء من الناس، يقال عنه إنه إذا طلع
أوان الرطب يفرض من مزرعته لكل رباط بالمدينة نخلة، وقد قال السخاوي عقب ذلك:
(ولذا مات وهو فقير) في صفر سنة (٨٦٣هـ / ١٤٥٨م) ^(٣).

وهذا الذي ذكره السخاوي ليس بعيب، فهو لم ينفق ماله في تبذير فأما إضافة الحب
الأقصرائي حيث إنه نحر خمسين من الغنم في مدة ثمانية أيام، فخير من ضاف هو إبراهيم
الخليل نبي الله ﷺ وقد أضاف نفراً من الملائكة بعجل سمين مشوي، كما كون عبد العزيز
الزرندي يفرض للأربطة نخلة كل عام فليس بمال في غير محله، بل لعل ذلك مما يدخر له عند
الله سبحانه، وإلا فماذا يفيد المال بعد موته، إلا ما كان من هذا الجنس الذي هو صدقة
جارية.

— وأما عمر ابنه فهو عمر بن عبد العزيز بن عبد السلام الزرندي، وُلد بعد وفاة
والده بيسير في رمضان سنة (٨٦٣هـ / ١٤٥٨م)، ونشأ يتيماً، وتدرّب في رمي النشاب،
وتزوج ابنة خيري مالكي وله منها أولاد، اشتغل في العريّة، وسمع الحديث، وكان متودداً
للسخاوي ^(٤)، ومدح السخاوي عقله وفهمه ^(٥).

— والابن الثاني لأبي الفرج هو عبد الرحمن بن أبي الفرج بن السراج عبد اللطيف
بن محمد بن يوسف الزرندي، وقد جاء اسمه في سياق ترجمة حفيده عبد الرحمن بن أحمد بن

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٧٣.

(٢) المصدر السابق، ج ٢، ص ١٨٣.

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، م ٢، ج ٤، ص ٢١٩.

(٤) السخاوي: الضوء اللامع، م ٣، ج ٦، ص ٩٤.

(٥) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٣٤٦.

عبد الرحمن بن أبي الفرج بن عبد اللطيف بن محمد بن يوسف، وكان يلقب بالزرين، قرأ على نخاله الحديث بالروضة، وسمع على السخاوي^(١).

● والابن الثاني للشمس محمد بن يوسف الزرندي فهو مجد الدين، كان مشغولاً بالعلم، ثم سافر إلى الهند وترأس فيها رئاسة عظيمة، وأقبل عليه سلطان الهند، واعتمد عليه في مهماته، وأصبح في جاه وسعة عيش^(٢).

● وأما بنت ابن المؤسس محمد بن يوسف الزرندي فهي أم كلثوم بنت الشيخ شمس الدين محمد بن يوسف بن الحسن الزرندي المدنية، وأمها أم الحسن (فاطمة) بنت الفقيه أحمد بن قاسم الحارزي (ت ٧٨٣هـ/١٣٨١م)، وقد نشأت أم كلثوم مع أمها بمكة وبها توفيت سنة (٧٩٣هـ/١٣٩٠م)، ودفنت بالمعلاة، وقد تزوجت من أبي عبد الله بن عبد الكريم بن ظهيرة، فولدت له أم الحسين، وأم الخير، وأم الهدى^(٣).

* والابن الثاني لمؤسس الأسرة هو أحمد بن يوسف بن الحسن بن محمد بن الحسن الزرندي، الملقب بالشهاب، والمكنى بأبي العباس^(٤)، وُلد بالمدينة سنة (٧٠١هـ/١٣٠١م)، وتلقى علومه بها، كان ذا عقل ورياسة ودين عظيم، مع سياسة للأقران والأحباب، كما قرره ابن فرحون^(٥)، و السخاوي^(٦).

وقد أنجب ولدين أحدهما عبد الله بن أحمد بن يوسف بن الحسن، الملقب بجلال الدين^(٧)، والمكنى بأبي اليمن، كان شافعيًا^(٨)، وُلد سنة (٧٢٠هـ/١٣٢٠م)^(٩)، طلب العلم في صغره، بل قال ابن فرحون عنه أنه قرأ كل العلوم المتداولة بين الناس، وحفظ (١٢) كتاباً

(١) المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٦٦؛ الضوء اللامع، م ٢، ج ٤، ص ٥٢.

(٢) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ١٠٦.

(٣) الفاسي: العقد الثمين، ج ٨، ص ٣٥٠ - ٣٥١.

(٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١٥٩.

(٥) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ١٠٦.

(٦) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١٥٩.

(٧) الصفدي: أعيان العصر، ج ٢، ص ٣٧٦.

(٨) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٧ - ١٨.

(٩) الصفدي: أعيان العصر، ج ٢، ص ٦٥١.

في فنون متعددة^(١)، وقال ابن حجر أنه : "حبب إليه الطلب ... وقرأ بنفسه الكثير وحفظ كتباً ومهر، سافر به والده إلى دمشق، فرأس وبرع، واشتهر، وولي الوظائف الجليلة، ثم ماتاً جميعاً في الطاعون في شعبان في العشر الأخير سنة (٧٤٩هـ/١٣٤٨م) رحمهما الله"^(٢)، مات ولم يتم الثلاثين من عمره، ووصفه الصفدي بأنه : "كان شاباً فيه يقظة، وطلب في كل لحظة، لا يفتر ولا يني، ولا يعدل عن الدأب ولا ينثني، ولم يزل على حاله إلى أن قصف، ومحق بדרه بعد ما خسف"^(٣).

وأخوه محمد بن أحمد بن يوسف بن الحسن الزرندي، وهو الملقب بشمس الدين، ويكنى بأبي الخير، الفقيه العالم، المحدث الصالح، كان مع عمه محمد بن يوسف لما قام بشيراز، فلما مات عمه في سنة (٧٤٧هـ/١٣٤٦م) تحول إلى كازرون، وقد اشتغل بالعلم وكان على طريقة حسنة وهمة عالية، توفي مريضاً يوم الأحد (٣) ذي القعدة سنة (٧٨٣هـ/١٣٨١م)^(٤).

* وأما الابن الثالث لمؤسس الأسرة فهو علي بن يوسف بن الحسن بن محمد بن الحسن، الملقب بنور الدين، وبنجم الدين^(٥)، والكنى بأبي الحسن، وأبي المحاسن، وقد يلقب أيضاً بالنور الأول^(٦)، تمييزاً له عن حفيده علي بن محمد بن علي النور الثاني، نشأ بالمدينة وبها تعلم وتفقه، وكان أول أمره فقيهاً شافعيّاً ثم تحنّف، كما اشتغل بالحديث وبرع فيه، وله معرفة كذلك باللغة^(٧)، قال عنه ابن فرحون: "حاز من العلوم ما لم يحزه أخواه، فانفرد اليوم بعلم اللغة، وعلم الحديث، والرجال... سيف لأهل السنة، دامغ للبدعة المضلة"^(٨).

(١) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ١٠٦.

(٢) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج ٢، ص ٣٥٢؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٧ - ١٨.

(٣) الصفدي: أعيان العصر، ج ٢، ص ٦٥٠ - ٦٥١.

(٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤٤٢ - ٤٤٣.

(٥) كبريت: (محمد بن عبد الله الحسيني)، الجواهر الثمينة في محاسن المدينة، تحقيق: عائض الراددي، (ط ١)، مكتبة

الملك فهد الوطنية، ١٤١٨هـ)، ج ١، ص ٣٢٣.

(٦) السخاوي: تراجم العلماء والمحدثين، ق ٥٦؛ التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٣٠٥.

(٧) الصفدي: أعيان العصر، ج ٣، ص ٥٨٤؛ السخاوي: وحيز الكلام، ج ١، ص ١٨٢.

(٨) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ١٠٦ - ١٠٧.

ووصفه الفيروزآبادي بأنه: "حوى فنون العلم لكل نخبة طريفة ... دفع بسيف بأس البدعة وأهلها"^(١)، وقال الصفدي عنه: "تفقه، وشارك في الفضائل، وكان عليه للعلم فحائل ودلائل، وله فهم ورزانة، ولكلامه رونق ورصانة، ونظم ونثر، وقرأ بنفسه الحديث والأثر"^(٢).

وقد ذكره ابن حجر أيضاً وقال عنه: "نظر في الآداب، وشارك في الفضائل، وطلب الحديث"^(٣)، وقال ابن تغري بردي عنه: "كان عالماً فاضلاً"^(٤)، ووصفه العراقي بأنه: "من أعيان الفضلاء في الحديث والأدب"^(٥)، مات بالمدينة في سابع أو ثامن من ذي الحجة سنة (٧٧٢هـ/١٣٧٠م)، وقيل إنه الأحد ثاني من ذي الحجة وقيل في ظهر الجمعة (٦) ذي الحجة، ودفن البقيع^(٦)، وقد ذكر الفيروزآبادي أن وفاته كانت في ذي الحجة سنة (٧٧٣هـ/١٣٧١م) عُقب قدومه من مصر^(٧)، إلا أن الأكثر على أن وفاته سنة (٧٧٢هـ/١٣٧٠م)، ذكره المقرئ^(٨)، وابن حجر^(٩)، والسخاوي^(١٠) وغيرهم.

وللنور علي من الأبناء (عبد الرحمن ومحمد ومحمد المحب وعبد الوهاب)، وله من البنات خديجة وسارة.

أما الابن الأول له فهو عبد الرحمن بن علي بن يوسف بن الحسن الزرندي المكنى بأبي الفرج والملقب بزين الدين الحنفي المدني، وُلد في ذي القعدة سنة (٧٤٦هـ/١٣٤٥م) بالمدينة، وبها نشأ، وطلب العلم، وارتحل فيه، كان عاقلاً، متودداً، غزير المروعة، فاضلاً،

(١) الفيروزآبادي: المغامم المطابة، ج ٣، ص ١٢٥٩ - ١٢٦٠.

(٢) الصفدي: أعيان العصر، ج ٣، ص ٥٨٤.

(٣) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج ٣، ص ٢١٦ - ٢١٧.

(٤) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ١١، ص ١١٧.

(٥) ابن العراقي: الذيل على العبر، ق ١، ص ٥٢٦ - ٥٢٧.

(٦) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٥٠٦.

(٧) الفيروزآبادي: المغامم المطابة، ج ٣، ص ١٢٦١.

(٨) المقرئ: السلوك، ج ٣، ق ١، ص ١٩٣.

(٩) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج ٣، ص ٢١٧.

(١٠) السخاوي: وجيز الكلام، ج ١، ص ١٨٢.

وصف كذلك بـ : "القاضي، الأجل، العالم"^(١)، ووصفه المقرئزي بأنه: "غزير المروءة"^(٢)، ويبدو أن هذه الصفة كانت واضحة المعالم فيه، والمروءة هيئة راسخة في النفس تمنع فعل القبائح أو ما يزدري منه، والأصل أن يكون المحدث والقاضي غير مخروم المروءة، بل إن مخروم المروءة لا تقبل روايته عند العلماء^(٣)، فوصف الزين بغزارة المروءة، يراد بها هو زيادة على المعهود لدى المحدثين والقضاة.

كان عفيفاً ديناً^(٤)، باذلاً للخير، جدد البئر التي اشتهرت بين المدنيين بـ (زمزم)^(٥)، وقد ولي القضاء نحو ثلث قرن من الزمان بعد وفاة أخيه مباشرة، حمدت سيرته، ولم يزل بالمدينة إلى أن توفي بها، وقد أناف على السبعين^(٦) سنة (٨١٧هـ/١٤١٤م)^(٧)، وقد ذكر ابن حجر وابن العماد أن وفاته سنة (٨٢٧هـ/١٤٢٣م)^(٨)، وكأنه كان سهواً، فكل منهما ترجمه أيضاً في سنة (٨١٧هـ/١٤١٤م)^(٩)، وثبته السخاوي على خطأ ابن حجر في ذلك، وقد توفي ولم يقف السخاوي على عقب له، ونقله في "تحفة الحجين"^(١٠).

والابن الأكبر للنور علي بن يوسف بن الزرندي (ت ٧٧٢هـ/١٣٧٠م) هو محمد الملقب بفتح الدين، والمكنى بأبي الفتح^(١١)، وصفه العراقي بـ: "الإمام، المحدث، الأديب، البارع"^(١٢)، وقال ابن العماد عنه أنه كان: "فاضلاً، متواضعاً"^(١٣)، كما مدح المقرئزي

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٤٢؛ الضوء اللامع، ج ٢، ص ٤، ص ١٠٥-١٠٦.

(٢) المقرئزي: السلوك، ج ٤، ق ١، ص ٢٩٦.

(٣) السيوطي: أبو الفضل عبد الرحمن، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، تحقيق: محمد أمين بن عبد الله الشراوي، (د. ط.)، (دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م)، ج ١، ص ٣٠٠.

(٤) ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٧، ص ١٢٥.

(٥) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٤٢.

(٦) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ١٤، ص ١٣٢.

(٧) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج ٢، ص ٢٦١.

(٨) ابن حجر: إنباء الغمر، ج ٣، ص ٣٣٥؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٧، ص ١٧٩.

(٩) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٤٢؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٧، ص ١٢٥.

(١٠) الأنصاري: (عبد الرحمن)، تحفة الحجين والأصحاب، ص ١٠.

(١١) ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٦، ص ٢٨١-٢٨٢.

(١٢) العراقي: الذيل على العبر، ق ٢، ص ٥٢٦.

(١٣) ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٦، ص ٢٨٢.

حسن تصرفه وسيرته وأفعاله وسياسته، ورجاحة عقله ودينه وأضاف بأنه: "كان حسن الوجه واللفظ، طلق العبارة، واسع الفكر، قوي الذاكرة، جيد الفهم، سريع الحفظ والاستحضار للمسائل ونصوص الفقه و نقول أئمة المذهب في فقه الحنفية"^(١).

وقد أنجب عدداً من الأبناء هم (حسن ويوسف وعلي ومحمد وأبو السعود).

— أما حسن بن محمد بن علي بن يوسف بن الحسن فقد اشتغل بالعلم أيضاً، وسمع على كبار محدثين كالزوين المراغي وغيره، وقد بيض السخاوي لموته، ولم يذكر سنة وفاته في التحفة، وذكر أنه (أخو علي ويوسف وغيرهما)^(٢)، ولم يُوقف له علي ولد^(٣).

— والابن الثاني لأبي الفتح الزرندي هو يوسف بن محمد بن علي بن يوسف الزرندي الملقب بـ جمال الدين، ونجم الدين^(٤)، كان مولده في حدود سنة (٧٨٠هـ/١٣٧٨م) بالمدينة، واشتغل بالعلم على كبار العلماء بها، وتوفي سنة (٨٣٩هـ/١٤٣٥م) ودفن بالبقيع^(٥)، وقد أنجب من الأبناء (علياً) وهو علي بن يوسف بن أبي الفتح محمد بن علي بن يوسف الزرندي، وُلد في جمادي الثانية سنة (٨٢٩هـ/١٤٢٥م) بالمدينة ونشأ بها، وسمع على علمائها وغيرهم، وتزوج بزينب بنت سعد بن محمد بن عبد الوهاب الزرندي، وهي ابنة عم أبيه، وأنجبت له أبا الفرج، وقد توفي في سنة (٨٩٢هـ/١٤٨٦م)^(٦).

والظاهر أن علياً كان ميسور الحال، فقد نص السخاوي على أنه: "كان ذا حديقتين، سقويتين، واحدة تسمى العليقة بقباء، والأخرى تسمى البقع بالعوالي، اشترى نصفها إبراهيم الخجندي إمام الحنفية، وصهره إبراهيم الرئيس، ثم صار ما لثانيهما وهو الربع مضافاً للنصف الثاني الخدام شاهين الجمالي"^(٧).

(١) المقرئ: درر العقود، ج ٣، ص ٢٦٤.

(٢) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٢٨٧.

(٣) الأنصاري: (عبد الرحمن)، تحفة المحبين والأصحاب، ص ١٢.

(٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٥٣٢.

(٥) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٥، ص ١٠، ج ١٠، ص ٢٣٢.

(٦) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٣٩٢.

(٧) المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٠٨؛ الضوء اللامع، ج ٣، ص ٦، ج ٤، ص ٥٣ - ٥٤.

وأما أشهر أبناء أبي الفتح محمد فهو علي بن محمد بن علي بن يوسف بن الحسن الزرندي الحنفي، الملقب بنور الدين، والمكنى بأبي الحسن المدني^(١)، وهو أخو حسن ويوسف، وُلِدَ في حدود سنة (٧٧٥هـ/١٣٧٣م) بالمدينة، وقد مات أبوه وهو صغير في الثامنة من عمره سنة (٧٨٣هـ/١٣٨١م)، لكنه نشأ نشأة حسنة، فقد شبَّ في حجر عمه القاضي الزين عبد الرحمن، والذي كان توليه للقضاء في هذه السنة التي مات فيها والد علي، أي سنة (٧٨٣هـ/١٣٨١م)، واشتغل بالعلم على جماعة من العلماء حتى صار إماماً، فقيهاً، عالماً، بارعاً، فقد برع في العربية والتفسير، وولي القضاء^(٢)، كما كان موصوفاً بأنه دَيِّنٌ، شهم، بشوش، جميل الهيئة محموداً عند الناس^(٣)، توفي سنة (٨٢٣هـ/١٤٢٠م) في ليلة السبت (١٣) ربيع الثاني بالمدينة، ودفن بالبقيع وذلك عن عمر يناهز الخمسين عاماً بعد مرض طويل ألم به^(٤).

وقد رزق النور علي بابن أسماه باسم أبيه، فهو محمد بن علي بن محمد بن علي بن يوسف بن الحسن بن يوسف الملقب بفتح الدين بن نور الدين الزرندي، نشأ بالمدينة، وبها تعلم وتأهل للتدريس، كان خيراً، إلا أنه كان منجماً عن الناس لا يخاطبهم، بل لا يخرج من بيته إلا للجماعة غالباً، وأوصى أن يدفن بالقرب من قبور الشهداء عند قبر عم النبي ﷺ حمزة جوار الجلال الخجندي، ففعل به ذلك، وكان ذلك في حدود سنة (٨٦٨هـ/١٤٦٣م) رحمه الله^(٥).

وأما الابن الثالث للنور الأول علي بن يوسف بن الحسن فهو عبد الوهاب الملقب بتاج الدين والمكنى بأبي نصر^(٦)، وقد طلب العلم بالمدينة، ولم أقف على تاريخ وفاته إلا أن تاريخ سماعه من الأميوطي كان في آخر سنة (٧٨٥هـ/١٣٨٣م)، مما يشير إلى كونه حياً في ذلك الزمان.

(١) السخاوي: الضوء اللامع، ٣م، ج ٥، ص ٣٢٧.

(٢) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٢٩٥؛ المصدر السابق، ٣م، ج ٥، ص ٣٢٧.

(٣) المصدر السابق، ٣م، ج ٥، ص ٣٢٧.

(٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٢٩٥.

(٥) السخاوي: تراجم العلماء والمحدثين، ق ٧٤؛ الضوء اللامع، ٥م، ج ٩، ص ٢٢.

(٦) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٢٢٢.

— وقد رزق التاج عبد الوهاب بابن يقال له أبو الفتح، وهو محمد بن عبد الوهاب بن علي بن يوسف بن الحسن المكنى بأبي الفتح والملقب بفتح الدين، وُلِدَ بالمدينة الشريفة بعد سنة (٧٨٠هـ/١٣٧٨م)، وبها طلب العلم، وترقى بالوظائف القضائية، ومات في يوم الأحد الرابع عشر من ذي القعدة سنة (٨٣٨هـ/١٤٣٤م)، وصُلِّيَ عليه بالروضة ثم دفن بالبقيع^(١).

وقد ترك من الأبناء خمسة هم (سعد وسعيد وأحمد ومحمد وعبد الله وثلاث من البنات هن سارة وعائشة وفاطمة^(٢))، وكان السخاوي يفضل سعيداً وأحمد على سائرهم^(٣).

— فأما (سعد) فهو سعد بن محمد بن عبد الوهاب بن علي بن يوسف، الملقب بسعد الدين، وُلِدَ بالمدينة واشتغل بالعلم بها، وتولى القضاء، ركبته الديون، فذهب إلى القاهرة وهو قاض في أيام الظاهر جقمق^(٤)، وشكا إليه دينه، فأُنعِمَ عليه بها بعد أن حاققه عن سبب تحمله لدينه^(٥)، وتوفي عن بضع وستين في ربيع الثاني سنة (٨٦٨هـ/١٤٦٣م)، ولم يعقب سوى زينب^(٦) أم أبي الفرج بن علي بن يوسف، وقد ماتت في سنة بضع وثمانين^(٧)، وقد لمزه السخاوي بقوله: "كان عارياً عن الفضائل"^(٨)، ولم يذكر سبب ذلك.

(١) المصدر السابق، ج ٢، ص ٥٣٢؛ الضوء اللامع، ٤م، ج ٨، ص ١٣٥.

(٢) المصدر السابق، ٤م، ج ٨، ص ١٣٥.

(٣) المصدر السابق، ١م، ج ٢، ص ١٤٠.

(٤) هو السلطان المملوكي الظاهر أبو سعيد جقمق بن عبد الله العلاني اليوسفي، توطدت له الدولة وعمر في أيامه كثير من المساجد وغيرها، وكان يجلب العلماء ويرفع من مقامهم محباً للأيتام توفي سنة (٨٥٧هـ/١٤٥٣م).

السخاوي: الضوء اللامع، ٢م، ج ٣، ص ٧١، ٧٤؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ٤م، ج ٧، ص ٢٩١.

(٥) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٣٩٢؛ الضوء اللامع، ٢م، ج ٣، ص ٢٥٣؛ وجيز الكلام، ج ٢، ص ٧٦٢.

(٦) وكان لسعد ولد يقال له أبو السعادات لكن توفي عن نحو عشر سنين. الأنصاري: (عبد الرحمن)، تحفة الخبير والأصحاب، ص ١٠.

(٧) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٣٩٢.

(٨) السخاوي: الضوء اللامع، ٢م، ج ٣، ص ٢٥٣.

— وأما الابن الثاني لأبي الفتح فهو سعيد بن محمد بن عبد الوهاب بن علي بن يوسف الملقب بجمال الدين بن فتح الدين الزرندي الحنفي، وهو أخو سعد وأصغرهما، وقد تلقى علومه بالمدينة، وولي القضاء والحسبة بها، وبرع في استحضر المذهب وكان جيد الإلقاء^(١)، وقد مات عن بضع وستين سنة بمكة في جمادي الأولى سنة (٨٧٤هـ/١٤٦٩م)، بعد أن أصيب باختلاط في العقل، ودفن بالمعلاة رحمه الله^(٢)، وقد خلف ولدين هما (علي) و (أبو الفتح محمد).

— أما علي فهو علي بن سعيد بن عبد الوهاب بن علي بن يوسف الزرندي الملقب بنور الدين بن جمال بن فتح الدين الأنصاري الزرندي الحنفي، وُلد بعد سنة (٨٤٠هـ/١٤٣٦م) بالمدينة، ونشأ بها، وطلب العلم، وتولى القضاء، والحسبة، والتدريس، ثم سافر إلى القاهرة في سنة (٩١٦هـ/١٥١٠م) فمات بالطاعون بها، كما قاله ناسخ "التحفة اللطيفة"^(٣)، وذلك في ترجمته، وقد ذكر في ترجمة أخيه محمد أن وفاة علي كانت في سنة (٩٢٠هـ/١٥١٤م)^(٤).

— وأما محمد فهو محمد ابن سعيد بن محمد بن عبد الوهاب بن علي بن يوسف الزرندي الملقب بفتح الدين، والمكنى بأبي الفتح بن جمال الدين بن فتح الدين أبي الفتح الأنصاري الزرندي الحنفي، وهو بكنيته أشهر، وُلد بالمدينة، ونشأ بها وامتدت وفاته إلى بعد أخيه سنة (٩١٦هـ/١٥١٠م) أو سنة (٩٢٠هـ/١٥١٤م)^(٥).

— وأما الابن الثالث لأبي الفتح بن عبد الوهاب فهو أحمد بن محمد بن عبد الوهاب بن علي بن يوسف الملقب بالشهاب بن القاضي فتح الدين أبي الفتح الأنصاري المدني الحنفي، وهو أخو سعد وسعيد وعبد الله ومحمد، كان السخاوي يفضلّه هو وسعيد علي

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٤٠٤؛ المعلي: عبد الله بن عبد الرحمن، أعلام المكيين "من القرن التاسع

إلى القرن الرابع عشر الهجري"، (ط ١)، (مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م)، ج ١،

ص ٢٣٧.

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، م ٢، ج ٣، ص ٢٥٦.

(٣) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٢٧٨.

(٤) المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٨٠.

(٥) السخاوي: الضوء اللامع، م ٤، ج ٧، ص ٢٥٢.

سائرهم، إلا أنه لم يطل في ترجمته، وذكر أنه مات في (١٣) رمضان سنة (٨٦٤هـ/١٤٥٩م)، ولم يعقب ذكراً^(١).

— والابن الخامس لأبي الفتح هو محمد بن محمد بن عبد الوهاب الزرندي، كان يلقب بالشمس بن فتح الدين أبي الفتح الحنفي، وهو أحد الأخوة الخمسة وأولهم موتاً، مات في أول سنة (٨٤٣هـ/١٤٣٩م) عن بضع وثلاثين سنة، ولم يعقب، بل لم يتزوج^(٢)، وبهذا تكون ولادته في سنة (٨١٠هـ/١٤٠٧م) أو نحوها.

— والابن الرابع لأبي الفتح هو عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب الملقب بالجمال بن فتح الدين أبي الفتح الأنصاري الزرندي الحنفي، وهو أحد الأخوة الخمسة، ووالد المحمدين الثلاثة، ذكر السخاوي أنه: "نشأ بالمدينة مشغلاً بما يهيمه من أمر المعيشة، منجماً "أي مبتعداً" عن غير ذلك، بعيداً عن الدخول في الولايات، ولم يفارق المدينة إلا إلى مكة"^(٣)، وهذا يشير إلى أنه لم يطلب العلم كسائر أخوته، ولم يل القضاء أو الحسبة، وقد مات في سن الكهولة سنة (٨٦٢هـ/١٤٥٧م)، عن بضع وأربعين سنة^(٤)، مما يقتضي أن ولادته في نحو سنة (٨٢٠هـ/١٤١٧م).

— وأكبر أبنائه هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب بن علي بن يوسف الزرندي، الملقب بمجد الدين بن الجمال بن فتح الدين الأنصاري الزرندي الحنفي، وُلد في أول سنة (٨٥٢هـ/١٤٤٨م) بالمدينة، ونشأ بها، وجدَّ في طلب العلم والرحلة فيه، وتميز في الفقه وشارك في غيره، ودرس، وُصِفَ بالعقل والسكون والإنجماع (أي الابتعاد عن الناس نسيباً)، وقد صاهره يحيى بن شيخه الفخر الطرابلسي على ابنته ووجهه للاشتغال^(٥)، وذكر السخاوي أنه أفضل حنفي بعد موت الشمس بن الجلال، وقد اجتمع مراراً بالسخاوي، و ختم ترجمته في التحفة بقوله: "وحمده بورك فيه"^(٦).

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١٤١؛ المصدر السابق، م ١، ج ٢، ص ١٤٠.

(٢) المصدر السابق، م ٥، ج ٩، ص ١٣٥.

(٣) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٨٣.

(٤) السخاوي: الضوء اللامع، م ٣، ج ٥، ص ٥٨.

(٥) المصدر السابق، م ٤، ج ٨، ص ١٠٩ — ١١٠.

(٦) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٥٠٠ — ٥٠١.

— وأما أخوه فنجم الدين بن عبد الله بن أبي الفتح الحنفي، وقد سمع من السخاوي أيضاً^(١).

— وأخوهم الثالث هو محمد بن عبد الله بن أبي الفتح الملقب بـ (شمس الدين)، وهو ممن تولى قضاء المدينة، وترك من أولاده: شهاب الدين أحمد^(٢).

— وشهاب الدين أحمد لم أقف على ترجمة له، لكن وقفت على ترجمة ابنه عبد الرحمن بن شهاب الدين أحمد بن الشمس محمد بن عبد الله الملقب بوجيه الدين، وُلد في حدود سنة (٩١٥هـ/١٥٠٩م)، كان فقيهاً، عالماً، فاضلاً، عاملاً، توفي في حدود سنة (٩٩٢هـ/١٥٨٤م) بالمدينة بعد أن كفَّ بصره^(٣).

— ولأبي الفتح محمد بن عبد الوهاب بن علي بن يوسف (ت ٨٣٨هـ/١٤٣٤م) ثلاثة من البنات هن سارة وعائشة وفاطمة^(٤).

وأما الابن الرابع للنور الأول علي فهو محمد بن علي بن يوسف بن الحسن الملقب بمحب الدين، قاضي القضاة بالمدينة، كان له اشتغال بالعلم^(٥)، أنجب ثلاثة من الأبناء هم (التاج عبد الوهاب والسراج عمر والبهاء محمد)^(٦).

— فالأول هو عبد الوهاب بن الحب محمد بن النور علي بن يوسف، التاج الزرندي الشافعي كأبيه، وقد وصف بالفقيه، الفاضل، تاج الدين ابن القاضي محب الدين. وقد أنجب التاج عبد الوهاب أربعة من الأبناء هم (محمد وعبد السلام وعبد الواحد) وهم أشقاء كما له (معاذ) وهو أخوهم لأبيهم^(٧).

(١) السخاوي: الضوء اللامع، م ٦، ج ١١، ص ١٦٧.

(٢) الزرندي: (نور الدين)، المرور بين العلمين، ص ٢٥؛ الأنصاري: (عبد الرحمن)، تحفة المحبين والأصحاب، ص ١٥.

(٣) الزرندي: (نور الدين)، المرور بين العلمين، ص ٢٥ - ٢٦.

(٤) الأنصاري: (عبد الرحمن)، تحفة المحبين والأصحاب، ص ١٠.

(٥) السخاوي: تراجم العلماء واخلاقهم، ق ٧٤.

(٦) السخاوي: الضوء اللامع، م ٣، ج ٥، ص ١٠٨.

(٧) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٧٢ - ٢٢٣.

— فـ(محمد) هو سبط الجمال الكازروني، مما يشير إلى أن أباه صاهر الجمال الكازروني (ت ٨٤٣هـ/١٤٣٩م) على ابنته.

— وأما الابن الآخر لعبد الوهاب فهو عبد السلام بن عبد الوهاب بن المحب بن علي بن يوسف الزرندي وهو أكبر إخوته، وُلِدَ في جمادي الأولى سنة (٨٣٥هـ/١٤٣١م) بالمدينة، ونشأ بها، وطلب العلم، وارتحل لطلب المعيشة، وقطن مكة من سنة (٨٧١هـ/١٤٦٦م)، وقد لُمَ به السخاوي بقوله: (وليس بذاك مع شدة فائقته، وتكرر طلبه الناشئ عن قوة حاجته وإلحاحه في ذلك سيما من الواردين من سائر المسالك، وربما استعان في ذلك بنظمه وليس بالطائل وأقام بمكة على حاله)^(١).

وحصل له أثناء سنة (٨٩٧هـ/١٤٩١م) أن سقط في الحمام، وصار يمشي بتكلف على عكاز، ومات بمكة في آخر ليلة الأحد رابع رجب سنة (٩٠٩هـ/١٥٠٣م)، ودفن بالمعلاة رحمه الله^(٢).

— وقد أنجب ابناً أسماه محمداً، فهو محمد بن عبد السلام بن عبد الوهاب الزرندي كان حياً سنة (٩٠٦هـ/١٥٠٠م)، ويكنى بأبي اليمن، حدث وأجاز لعدد من العلماء وطلبة العلم^(٣).

— أما الابن الثالث لعبد الوهاب فهو عبد الواحد بن عبد الوهاب بن المحب محمد بن علي بن يوسف الزرندي الحنفي، وُلِدَ سنة (٨٤٠هـ/١٤٣٦م) تقريباً^(٤).

— أما الابن الرابع لعبد الوهاب فهو غير الشقيق لأولاده الثلاثة، وإنما هو أخوهم لأبيهم وهو معاذ بن عبد الوهاب بن المحب محمد الزرندي المدني الشافعي كأبيه وجده، سمع على جده لأمه الجمال الكازروني (ت ٨٤٢هـ/١٤٣٨م)، وأبي الفتح المراغي (ت ٨٥٩هـ/١٤٥٤م)^(٥).

(١) السخاوي: الضوء اللامع، ٢م، ج ٤، ص ٢٠٦.

(٢) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٧٢-١٧٣.

(٣) ابن طولون وابن الميرد: متعة الأذهان، ٢م، ص ٧٠١.

(٤) السخاوي: الضوء اللامع، ٣م، ج ٥، ص ٩٤.

(٥) المصدر السابق، ٥م، ج ١٠، ص ١٦١.

وأما الابن الثاني للمحب فهو عمر بن محمد بن علي بن يوسف بن الحسن، الملقب بالسراج بن المحب الزرندي الشافعي، وقد نشأ بالمدينة، وطلب العلم صغيراً، ووصف به: "الفقيه الفاضل"^(١)، وقد خلف ابنه محمد بن عمر بن المحب محمد بن علي بن يوسف، الملقب بالشمس الزرندي المدني الشافعي، وكان خيراً، وتوفي في شوال سنة (٨٨٩هـ/١٤٨٤م) وهو دون السبعين^(٢)، مما يقتضي أن مولده كان قبل سنة (٨١٩هـ/١٤١٦م).

— والابن الثالث للمحب محمد هو محمد بن محمد بن علي بن يوسف الملقب بالبهاء، والمكنى بأبي البقاء بن المحب الأنصاري الزرندي، وهو أخو عمر السراج، وهو أكبر منه، تولى قضاء المدينة وخطابتها سنة (٨٠٩هـ/١٤١٦م)، ثم عُزل فدخل دمشق، ثم قدم القاهرة ومات بالطاعون بها سنة (٨٢٢هـ/١٤١٩م)^(٣).

وقد ترك البهاء الزرندي من الأبناء عبد الرحمن وعبد الباسط وأبو الفضل.

— فأما عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف الزرندي، فكان شافعيّاً، وهو سبط الجمال الكازروني^(٤).

— والابن الآخر هو عبد الباسط بن البهاء محمد بن المحب محمد الزرندي وهو ممن سمع من الجمال الكازروني، وُصف بالقارئ، ولولد المبارك ابن القاضي محمد الدين^(٥)، مما يدل على حداثة سنه آنذاك، وقد مات عبد الرحمن وعبد الباسط أبناء البهاء محمد عن غير ذكر.

— وأما أخوهم الثالث فهو أبو الفضل، وقد خلف ولداً أسماه (محمدًا)، مات مطعوناً بالقاهرة^(٦).

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٣٥٤.

(٢) المصدر السابق، ج ٢، ص ٥٥٥.

(٣) ابن حجر: إنباء الغمر، ج ٣، ص ٢٠٩؛ السخاوي: الضوء اللامع، م ٥٠، ج ٩، ص ١٦٧.

(٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٥٣؛ الضوء اللامع، م ٢٠، ج ٤، ص ١٤٥.

(٥) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٠٨؛ الضوء اللامع، م ٢٠، ج ٤، ص ٣١.

(٦) الأنصاري: (عبد الرحمن)، تحفة الخمين والأصحاب، ص ١٣.

— وقد وقفت على ترجمة أحد الشيوخ، قد يكون ابناً رابعاً للمحب وهو: علي بن محمد بن علي الملقب بالزين الأنصاري الزرندي المدني وُلِدَ سنة (٨٣٩هـ/١٤٣٥م) أو سنة (٨٤٠هـ/١٤٣٦م)، ومات في سنة (٨١٩هـ/١٤١٦م)، إلا أن تاريخ الميلاد ارتبط بتاريخ مؤلّد المحب وهو ما لم أعثر عليه، كما أنه لا يمكن أن يكون النور علي بن محمد بن علي بن محمد أبي الفتح لأن ذاك وفاته في سنة (٨٩٢هـ/١٤٨٦م)، ومولده في سنة (٨٢٩هـ/١٤٢٥م).

— وكذا كان الابن الآخر للسراج عمر وهو عبد الله بن عمر بن المحب الزرندي، وهو ممن سمع على الجمال الكازروني (ت ٨٤٢هـ/١٤٣٨م)، فيكون مولده قبل سنة (٨٤٢هـ/١٤٣٨م)، وللسراج عمر أيضاً (رقية)، تزوجها عبد القادر بن يعقوب عمر النجم محمد المالكي، ثم بعد مدة خلفه الشريف السمهودي ثم تزوجت بعده من رجل آخر وماتت في رمضان سنة (٨٨٧هـ/١٤٨٢م)^(١).

أسرة ابن فرحون:

* عميد هذه الأسرة المدنية هو الشيخ الصالح محمد بن فرحون ابن محمد فرحون الملقب بالشمس، والمكنى بأبي عبد الله بن ذي الكشين، أبي الفضيل، وأبي القاسم اليعمري، الأبدي، الجيّاني، التونسي المؤلّد والمنشأ، المالكي المذهب، ويعرف بابن فرحون^(٢)، نشأ بتونس^(٣)، وبها تلقى العلم، ثم صحب أبا محمد المرجاني^(٤)، وخرج في صحبته من تونس إلى الحج، فلما وصل مكة مرض، فقال له أبو محمد: هذه إشارة إلى الإقامة، فأقام بها، ولم يتعرف بأحد من الناس، ولم يكن معه من النفقة سوى ما أعده للطريق، فبني أمره على

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٢٩٥؛ الضوء اللامع، ج ٣، ص ٥٥، ص ٣٢٨.

(٢) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ٢٦٣ - ٢٦٤؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٥٦٢.

(٣) ذكر بعض المعاصرين أن الأسرة (مغربية الأصل). عدوان: عادات وتقاليذ الزواج في مكة المكرمة والمدينة المنورة في زمن سلاطين المماليك، "مجلة الجمعية التاريخية"، ج ٣، ص ٥٤، ص ٤٦. وهذا لم أجد ما يؤكد في المصادر، إلا أن أريد بالمغرب ما يشمل تونس أيضاً.

(٤) هو محمد بن عبد الملك جال الدين المرجاني التونسي، كان صالحاً، خيراً له معرفة بالفقه والتفسير، توفي بمكة سنة (٧٨١هـ/١٣٧٩م). انظر الفاسي: ذيل التقييد، ج ١، ص ١٦٦؛ ابن حجر: إنباء الغمر، ج ١، ص ٣٢٤.

التوكل على الله، ولما حج رجع إلى تونس فوجد المرجاني قد مات، فحمل كتبه ورجع، وقد باع كتبه بمدينة الإسكندرية أثناء سفره، ولم يبق معه إلا ما هو يحتاج إليه^(١)، وقدم المدينة فسكن المدرسة الشهابية^(٢)، مضمراً للحمول، فلم يتعرف على أحد من جنسه، ولم يشتغل إلا بنفسه، إلا أنه ألزم بحضور الدرس لأجل المسكن، فلما فعل، اشتهر علمه وفضيلته، وصار يشتغل عليه طلبة العلم، وكان له اختلاط بسادات الشيوخ، وعرضوا عليه التزوج، فامتنع، فلم يزلوا به حتى زوجه أكبر بنات الشريف عبد الواحد الحسيني^(٣).

وكان أهل الحرمين لا يمانعون من زواج بناتهم من غير أهل البلاد، إذا كان على درجة رفيعة من العلم والخلق^(٤).

وقد اغتبط أولاده بهذه النسبة الشريفة التي ألحقهم بها والدهم، يقول البدر عبد الله ابنه: "وكان في تزوج أبي بالشريفة البر التام بنا، إذ ألحقنا بنسب النبي ﷺ وصيرنا من ذريته إجماعاً، وشرفاء عند أكثر العلماء، كما أفتى به ناصر الدين المشدالي، وغيره ممن هو مثله في العلم"^(٥).

وقد ذكر ولده أبو محمد عبد الله بن فرحون (ت ٧٦٩هـ / ١٣٦٧م) قصة زواجه، بأنه كان ممتنعاً عن التزوج تبتلاً، وحرصاً على وقته، وبعداً عن الاشتهاار، فاتفق أنه قرأ في بعض كتب الرقائق: "أن رجلاً كان يسأله جاره أن يزوجه إحدى بناته، فيقول له: لا حاجة لي بالتزويج، فبينما هو نائم إذ رأى كأن القيامة قد قامت، وأن الناس في شدة وحر عظيم وعطش زائد، وكان بينهم ولدان معهما أكواز يتخللون الناس، قال فقلت لأحدهم، يا ولدي اسقني فإني عطشان، فقال اذهب، فمالك فينا واحد، قال: فاستيقظت وبني رجفة عظيمة، فأتيت باب جاري فدفعته وحكيت له: زوجني إحدى بناتك الآن، فلي قصة

(١) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ٢٦٣ - ٢٦٤.

(٢) يأتي الحديث عنها لاحقاً.

(٣) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٥٦٢ - ٥٦٣.

(٤) عدوان: عادات وتقاليذ الزواج في مكة المكرمة والمدينة المنورة في زمن سلاطين المماليك، "مجلة الجمعية

التاريخية" ع ٥٤، ص ٣، ص ٤٦.

(٥) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٥٦٣.

عجبية، فزوجه، ولم يأت عليه الصباح إلا وهو مع زوجته، قال أبو محمد: فلما قرأها الوالد كان سبباً لإجابته الجماعة الذين عرضوا عليه التزويج^(١).

ويبدو أن هذه القصة ليست هي السبب الوحيد لزواج أبي عبد الله، فلا يظن به وهو من هو في العلم أن يذهل عن النصوص الشرعية التي تحض على الزواج، لكن ربما كانت هذه القصة دافعاً له للإسراع به، لا أنها السبب الرئيسي في زواجه.

وعلى كل فقد تزوج ابنة الحسين، وبني بها على ما ذكره ولده في ليلة الاثنين سادس عشر صفر سنة (٦٩٢هـ/١٢٩٢م)^(٢).

وإذا علمنا أن ولده الأكبر وُلد في الثلاثاء سادس جمادى الآخرة سنة (٦٩٣هـ/١٢٩٣م)، فهو يدل على أن أبا محمد هو أكبر أولاده من مات أو من بقى حياً، وقد صرح ابنه بأنه كان أول أولاده^(٣)، فإنه رزق خمسة أولاد ذكور، ذكر أبو محمد ابنه أنه توفي منهم في حياته اثنان^(٤)، وذكر أنه كان يقول: "عندي مسرة بمن قدمته أكثر منها بكم"، لما وقع في الحكاية السابقة^(٥).

علي الرغم من تزوج أبي عبد الله، إلا أن ابنه يذكر أنه بورك له في وقته، فلم يصده أولاده عن شيء من صرف أوقاته في العلم والعبادة والطاعة، بل كان لا يزل مشغولاً بنفسه، وبذكره، وقراءته، واشتغاله بكتب العلم، ورغم وجود الأولاد والأحفاد في بيته، فلم يكن يهتم شأنهم، بل قدّم اشتغاله بالآخرة على كل شيء حتى إنه خلا عن التعليقات^(٦)، وليس ما كان من شأنه هذا هو تضييع لعياله، فإنه كان مشغولاً بمصالحهم لكن من جهة

(١) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ٢٦٥ - ٢٦٦.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٦٥.

(٣) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٨٦، ٥٦٣.

(٤) ورد ذكر ابنة له في ترجمة محمد بن علي بن سليمان بن وهبان فهي جدته وهو سبط القاضي عبد الله بن فرحون فجدته هذه هي أخت عبد الله. المصدر السابق، ج ٢، ص ٥٤٤.

(٥) ابن فرحون: (محمد أبو عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ٢٦٦؛ المصدر السابق، ج ٢، ص ٥٦٣.

(٦) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ٢٦٦.

الدعاء لهم، وكان يقينه بحفظ الله لهم أعلى من الأسباب المادية، فكما قال نبي الله يعقوب ﴿قَالَ اللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا﴾^(١).

وقد ذكر أبو محمد أن أباه ترك الاشتغال بهم، وأنه إذا تغيب أحدهم فلا يسأل عنه، وإذا مرض فلا يهتمه مرضه، قال: "بل يسأل الله لنا ويدعو لنا"^(٢)، لكن هو مع ذلك يذكر أن من كمال بر والده عليهم بأنه: "علمهم فأحسن تعليمهم وأدبهم فأحسن تأديبهم"^(٣)، وهذا يدل على أنه مهتماً بهم في النواحي العلمية والتربوية، وأن انشغاله عنهم كان فيما يكون من أمر الدنيا فحسب.

وقد استمر الشيخ محمد بن فرحون على الأخلاق الفاضلة، والانشغال بنفسه عن مخالطة الناس، وترك الحديث فيما لا يعني، ومن أدل المواقف التي تدل على ذلك ما ذكره ولده من أنه لما حج مع رفاق كثيرين، ذكر جماله - أي الذي يقود جملة - للجماعة: "أنه أخرس، لم يتكلم منذ حملته بكلمة"، ويعلق ولده على ذلك بأن هذه كانت طريقته سفيراً وحضراً، لا يراه أحداً جالساً في طريق، ولا في حلقة فضول، ولا يتكلم إلا جواباً، وإن جاب لم يفتح للفضول باباً"^(٤).

وفي موقف آخر يقص علينا أبو محمد ولده أن الفقيه الشافعي القاضي فخر الدين محمد بن محمد الحارث، المعروف بابن مسكين، كان إذا لقيه يسلم عليه ويقول: "رحم الله والدك الشيخ أبا عبد الله ما كان أحسنه وأكثر أدبه وخيره"^(٥).

وقد ظل الشيخ أبو عبد الله بن فرحون على سمته وطريقته مع تقدم العمر به بالمدينة، حتى قال الشيخ أبو عبد الله محمد بن العز الغرناطي^(٦): "كنت جالساً في المسجد الشريف

(١) القرآن الكريم: سورة يوسف، آية: (٦٤).

(٢) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ٢٦٨؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٥٦٤.

(٣) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ٢٦٥.

(٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٥٦٥.

(٥) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ٢٦٧.

(٦) محمد بن محمد بن محمد بن العز الغرناطي، ويكنى بأبي عبد الله، كان بارعاً في القراءات السبع، توفي سنة

(٧٥٤هـ/١٣٥٣م). المصدر السابق، ص ١٥٧؛ الفيروزآبادي: المغامر المطابة، ج ٣، ص ١٢٨٥-١٢٨٦.

مع الشيخ قاسم القبتوري^(١)، فقال لي: يا محمد رأيت قط الكبريت الأحمر الذي لا يتغير أبداً ولا يتحول، فقلت له: لا، فقال: انظر إلى أبي عبد الله بن فرحون منذ دخل المدينة لم يتغير حاله^(٢).

وقد وقعت له عدة مصائب، وهو على طريقته وحسن خلقه، حتى لما ظهر من تحايل منافسيه على التدريس - كما سيأتي تفصيله - كان أبو عبد الله يقول: "أنا لا أناصني أحداً" (أي أعاديته)، وكان يقول: "أخشى أن يتعدى الحال إلى فرقة وعصية، فيذهب نور العلم وتفسد النية"^(٣)، بل كان له قصة مع أمير المدينة الأمير منصور^(٤)، تدل على رباطة جأشه، وتوكله، وثقته بالله، فقد طلب الأمير أن يحضر إليه، فلما رآه الأمير منصور قال له: ما اسمك؟ فقال له: فلان، فقال له: كم لك في المدينة؟ فقال له: نحو عشرين سنة، فقال له: أنت عندنا هذه المدة ولا نعلم بك، ما أظنك إلا رجلاً جيداً، ثم قال له: أشهدك الله هل تعلم أن الذي أطلبه منك حق عليك أم لا؟ فقال: اللهم لا، فقال لغلمانه لا تعترضوا له^(٥).

وبعد حياة حافلة توفي أبو عبد الله محمد بن فرحون في يوم الخميس الرابع عشرين من شهر ربيع سنة (٧٢١هـ/١٣٢١م)، وقيل سنة (٧٢٠هـ/١٣٢٠م)، وقد نقله السخاوي في التحفة وخطأه^(٦)، وذكر أبو محمد ابنه أن وفاة والده في سنة

(١) أبو القاسم خلف بن عبد العزيز بن محمد القبتوري الاشيلي المولّد والنشأة ولّد سنة (٦٢٥هـ/١٢٢٧م) مدحه الكثير من العلماء، توفي بالمدينة سنة (٧٠٤هـ/١٣٠٤م). المصدر السابق، ج ٣، ص ١١٩٩.

(٢) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٥٦٣-٥٦٤.

(٣) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ٩٥-٩٦.

(٤) هو منصور بن حجاز بن شيعة بن هاشم بن قاسم بن مهنا الهاشمي الحسيني، استقل بأمانة المدينة سنة (٧٠٠هـ/١٣٠٠م)، إلى أن قبض عليه سنة (٧١٦هـ/١٣١٦م)، وتولى أخوه ودي إمارة المدينة فاستنصر بالسلطان محمد بن قلاوون فنصره ثم عزله وأعادته مرة أخرى فأقام في ولايته طويلاً، وقتل في سنة (٧٢٥هـ/١٣٢٤م). ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ٩٢؛ ابن حبيب: تذكرة النبيه، ج ٢، ص ١٥٩؛ القلقشندي: أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، (القاهرة، المؤسسة المصرية العامة، د.ت)، ج ٤، ص ٣٠٤-٣٠٥؛ عبد الغني: عارف أحمد، تاريخ أمراء المدينة المنورة، (د. ط)، (دار كنان للطباعة والنشر، د.ت)، ص ٢٦٧.

(٥) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ٢٥٢.

(٦) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٥٦٤.

(٧٢٢هـ/١٣٢٢م)^(١)، والأكثر على أنه في سنة (٧٢١هـ/١٣٢١م)، إلا أن عبارة السخاوي فيها تردد في ذلك^(٢)، وقد دفن بالبقيع^(٣)، ولم تذكر لنا المصادر كم كان عمره وقت وفاته، إلا أن ابنه البدر كان في العقد الثالث من عمره، وإن كان قدوم أبيه للمدينة وقد حصل علوماً على المرجاني، فيكون في نحو الثلاثين أيضاً عند زواجه أو يزيد وعليه يكون عمر أبي عبد الله ما بين الستين إلى السبعين عند وفاته.

— وأما ابنه الأكبر فهو عبد الله بن محمد بن فرحون المكنى بأبي محمد والملقب بالبدر، وُلد يوم الثلاثاء سادس جمادي الآخرة، سنة (٦٩٣هـ/١٢٩٣م)، وهو أول أولاد أبيه، وأمه الشريفة ابنة عبد الواحد الحسيني ويقال لها (صالحة) وأختها (خديجة) خالته من الصالحات أيضاً، وأمهما هي ابنة داود، يقال لها: (زينب) وكانت أيضاً من الصالحات، فهو كريم الحدود^(٤)، وزينب هذه جدته لأمه من الأنصار، وكانوا يسكنون حارة بالمدينة وحدهم، وقد عمّرت، ممتعة بسمعها وبصرها، حتى جاوزت المائة أو قريباً منها، وصفها أبو محمد بن فرحون بأنها كانت تحكي عن أيامها، وأهلها غرائب منها أنها أدركت النار التي خرجت شرق المدينة، وكذلك حريق الحرم الشريف، توفيت سنة (٧٣٩هـ/١٣٣٨م)^(٥).

نشأ البدر عبد الله بن فرحون بالمدينة، وبها تلقى علومه، وبعد وفاة والده لم يغادر المدينة إلا للحج حتى مات^(٦)، كان ملازماً للمسجد النبوي، وقراءة القرآن، ودراسة الحديث، والفقه، ولم ينقطع عن الحرم الشريف إلا لمرض ألمّ به، أو حادثة كالتّي كانت في آخر عهده - كما يأتي ذكره - وأقعدته عن الصلاة في الحرم الشريف في شعبان وأكثر رمضان^(٧)، كان من الأئمة الأعلام ومصابيح الظلام^(٨)، عالماً بالفقه، والتفسير، والحديث،

(١) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ٩٩.

(٢) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٥٦٤.

(٣) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ٢٦٨.

(٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٨٦.

(٥) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ١٨٨.

(٦) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٨٦.

(٧) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ٢٧١ - ٢٧٢.

(٨) ابن فرحون: (إبراهيم بن علي)، الديباج المذهب، م ١، ص ٤٠٠.

صبوراً على الإسماع والاشتغال، كهفاً لأهل السنة، يناضل الأمراء والأشراف، وانتهى بذلك إلى أن امتحن، فرُصدَ في السحر بطريق الحرم، فطُعِنَ طعنة عظيمة أُريدَ فيها قتله، فصرَفَ الله شرَّها وعافاه منها^(١)، وقد أرَّخ أبو محمد بن فرحون لذلك في سنة (٧٦٣هـ/١٣٦١م)، أي قبل وفاته بست سنوات، وقد ناهز السبعين من عمره، في شهر شعبان، قال: "تحامل عليَّ الأعداء، وقصدوا إتلافي، وإعدامي، وكمِنوا لي في السَّحر عند خروجي لصلاة الصبح، ورصدوني عند رأس الرقاق تحت دار سلطان بن نجاد، وكان في أيام الصيف والمدينة خالية من أكثر الناس، فخرجت على عادتي ويدي مصباح، وقَدَّرَ الله أن الغلام تأخر عني في البيت، وكنت وحدي، فلما خرجت من زقاقنا، وتوجهت إلى السوق، سمعت خلفي عَدُوًّا شديداً، فلم أَلْتَفِتْ إليه، وظننت أنه مارٌّ، فعدا عليَّ وضربني في ظهري بسكين ضربة شديدة عظيمة، وقعتُ بها على الأرض، ثم رجع من حيث جاء وظن أنه بلغ مقصوده، فوقي الله شره وعتوه، لكنه ضلعتني، ووهني فصرت لا أحمل نفسي إلا بكلفة ومشقة، وما دفع الله كان أعظم"^(٢).

كان البدر بن فرحون كثير التلاوة ليلاً ونهاراً، خصوصاً في أواخر عمره، يحبي غالباً الثلث الأخير من الليل بالصلاة والتلاوة من حادثة سنه إلى أن ثقل بمرض الموت، مواظباً على الصف الأول من الروضة النبوية نحو ستين سنة، وما يفتح باب الحرم في السحر إلا وهو على الباب^(٣).

ذكر عن نفسه أنه لم يكن التأخير عن الحج من عاداته، بل حج نحو خمس وخمسين حجة^(٤).

وقد جمع الله له من العلم، والعمل، والدنيا، والدين، فوصف بأنه: "أعظم أهل المدينة يساراً، وأكثرهم عقاراً، وأوسعهم جاهاً، وأنفذهم كلمة، وأعظمهم حرمةً، وألينهم عريكةً،

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٨٧.

(٢) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ٢٧١ - ٢٧٢.

(٣) المصدر السابق، ص ١٨٨؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٨٧.

(٤) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ١٣٦.

وأحسنهم بشاشة، ومبشراً، صبوراً على الأذى، يجزي بالسيئة الحسنة، ويسع الناس بخلقه، ويواسي الفقراء بمعرفه"^(١).

وقال الفيروز آبادي عنه: "أول ما رأيته ووقع نظري عليه من أهل العلم بالحرم الشريف، وذلك في حوالي الخمسين والسبعمئة، فشاهدت منه طوراً ووقاراً، وحشمة، ورياسة، وأدباً، ناب في الحكم سنين عديدة وعتيدة، إليه يُشار في حفظ الأواصر، ويغضب لدين الله ونصره، حيث لا معين ولا ناصر، طنّ بذكره البلاد من اليمن إلى العراق..."^(٢)، وأنشد له قصيدة طويلة، وأعقبها بأنه أعقب أولاداً أحيوا ذكره بالمآثر، ورفعوا لأقدامهم منابر المفاخر، وتولى كبيرهم منصب الحكم استقلالاً، وباشر مباشرة قال لها لسان الحال: هكذا وإلا فلا"^(٣)، وقال عنه ابن مخلوف: "الإمام، العالم، العامل، المتفنن في العلوم، الشيخ الفاضل، القدوة، المحدث، المفسر، الكامل، كان أحد أئمة الإسلام مصاييح الظلام"^(٤).

وقال عنه العراقي: "كان رجلاً صالحاً، خيراً، فاضلاً، ذا خير، وبر، وإحسان وحجّ أكثر من أربعين حجة، ولم يخرج قط من المدينة إلا إلى مكة وشغل بالعلم ودرس وناب في الحكم العزيز بالمدينة الشريفة"^(٥).

وكان البدر على طريقة أبيه من العفو والسماحة حتى مع حسّاده وخصومه، كما تقدم، وقد ذكر عنه قصة حدثت له مع القاضي شرف الدين أبو الفتح الأميوطي^(٦) دخل

(١) ابن فرحون: (إبراهيم بن علي)، الدباج المذهب، م ١، ص ٤٠٢.

(٢) الفيروز آبادي: المغام المطابة، ج ٣، ص ١٢٥٠ - ١٢٥١؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٨٨.

(٣) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٨٨.

(٤) مخلوف: محمد بن محمد، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية "النسمة"، (ط ١)، (دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٤٩هـ)، ص ٢٠٣.

(٥) العراقي: الذيل على العبر، ق ١، ص ٢٤٠.

(٦) هو إبراهيم بن محمد بن عبد الرحيم الأميوطي الشافعي، من علماء مصر وفضلائها، انتصب للتدريس احتساباً

بمكة والمدينة، مات بمكة سنة (٧٠٩هـ/١٣٠٩م). السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر، بغية الوعاة في طبقات

اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة، ١٩٦٤م)، م ١، ص ٤٢٧؛ المقرئ: درر

العقود، ج ١، ص ١٠٠.

فيها حسّاده ممن كانوا حول القاضي، وقد عامله ابن فرحون بالفضل والمسامحة، وساعده لما احتاج إليه، وبذل جهده للحصول على مقصوده حتى صفى قلبه وأنصفه^(١).

كما كان لابن فرحون من الأخلاق الفاضلة ما يظهر ذلك في وده لكل من أسدى له معروفاً، وتجلى ذلك عند ما ترجم للشيخ عمر بن عياد الحراز الأنصاري^(٢)، فقد ذكر أنه كان يقوم بأمره وتربيته، ولم يفطم من الرضاع وقت حج والده بوالدته، فقال: "كان هذا الشيخ عمر يقوم عن والدتي بتربيته، حتى أنه كان يتنحس مراراً فلا يتقذر، ولا يتسخط، فله عليّ حق يستوجب به الدعاء مني"^(٣).

ولما بلغ السابعة والسبعين وحج آخر حجاته قال: "هذه حجة الوداع وأحس بالمرض، فأمر بحفر قبره في بقعة مخصوصة بالبقيع، فظهر مقطع خصب لم يدفن فيه أحداً قبله، وأوصى أن يعتق عبداً وأن يتصدق على الفقراء بصدقة واسعة، وكتب وصيته بيده، وأخرج من ماله وصايا، وتبرعات، وصدقات وأوقافاً، نحو ثلاثين ألفاً، ووقف على الفقراء فرناً تصرف غلته عليهم في كل يوم، وأعتق في حياته عدة عبيد وإماء، توفي رحمه الله يوم الجمعة عاشر ربيع الآخر سنة (٧٦٩هـ/١٣٦٧م)^(٤).

وقد أنجب البدر بن فرحون ثلاثة من الأبناء هم محمد أبو الخير، ومحمد الخب والشهاب أحمد.

— فأما أبو الخير محمد بن عبد الله بن محمد بن فرحون، فقد اشتغل على أبيه بالعلم، وسمع عليه في سنة (٧٦٧هـ/١٣٦٥م)، أي قبل وفاة والده بعامين، وقد وصف

(١) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ٢١٩.

(٢) الشيخ عمر بن عياد الحراز الأنصاري، من بلاد الأندلس كان والده شيخ بلدة، جاء إلى المدينة وأقام بها، كان محباً لصالحين، مهتماً في قضاء حوائجهم، زاهداً في الدنيا، توفي سنة (٧٤١هـ/١٣٤٠م). المصدر السابق:

ص ١١٦ - ١١٧؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٣٥١.

(٣) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ١١٧.

(٤) ابن فرحون: (إبراهيم بن علي)، الديباج المذهب، م ١، ص ٤٠٣ - ٤٠٤؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٨٨؛ ابن القاضي: أحمد بن محمد المكناسي، درة الحجال في أسماء الرجال، تحقيق: محمد الأحمد أبو النور،

(د.ط)، (المكتبة العتيقة، دار التراث، القاهرة، ١٣٩١هـ/١٩٧١م)، ج ٣، ص ٤٩ - ٥٠.

سماعه باليسير، كما وصف بـ: "الولد العزيز السعيد"^(١)، مما يشير إلى صغر سنه آنذاك ولم نجد من ترجم له غير السخاوي في تحفته.

— وابنه الآخر هو محب الدين محمد بن عبد الله بن محمد بن فرحون اشتغل بالعلم على أبيه، وغيره، وتوجه إلى القاهرة، فمات شهيداً بالطاعون سنة (٧٩١هـ/١٣٨٨م)، ولم يتجاوز الخمسين^(٢).

وللمحب ثلاثة من الأبناء هم: (عبد الرحمن، وعبد الله، ومحمد):

— فالأول: عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن فرحون، اشتغل بالعلم، ولم أقف على كبير في ترجمته، في التحفة والضوء^(٣).

— والثاني: هو محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن فرحون، يكنى بأبي البركات ولقبه بعضهم بمحب الدين بن الحب، ويعرف كذلك بابن فرحون^(٤)، وُلد بالمدينة، ونشأ بها وكان عالماً فاضلاً، بشوشاً، حسن المحاضرة، وقد توفي في المحرم سنة (٨٢٢هـ/١٤١٩م) بالمدينة وقبر بها^(٥)، ولم أقف على تاريخ مولده، إلا أن السخاوي ذكر أنه: "أجاز له في سنة (٧٧٤هـ/١٣٧٢م) فلان وفلان" وهو غالباً ما يورد هذه العبارة باعتبار أول إجازة له إما في مولده أو قرية منه، وهو صبي فيكون مولده قريباً من هذا التاريخ، وتكون وفاته وهو في الخمسين من عمره.

— و الابن الثالث: هو عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد بن فرحون، الملقب كجده بالبدر والمكنى بكنية جده (أبي محمد)^(٦)، وُلد سنة (٧٧٧هـ/١٣٧٥م)، ويعرف أيضاً بابن فرحون^(٧)، وقد وصف بأنه: "كان فاضلاً خيراً، ساكناً، بهياً، انقطع بآخره من

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٥٠٢.

(٢) ابن حجر: إنباء الغمر، ج ١، ص ٣٨٨.

(٣) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٥١؛ الضوء اللامع، م ٢، ج ٤، ص ١٣٦.

(٤) السخاوي: وجيز الكلام، ج ٢، ص ٤٥٧.

(٥) ابن حجر: إنباء الغمر، ج ٣، ص ٢٠٩؛ السخاوي: الضوء اللامع، م ٥، ج ٩، ص ١٢٧.

(٦) السخاوي: وجيز الكلام، ج ٢، ص ٦٩٤.

(٧) المصدر السابق، ج ١، ص ٤٦٣.

الحج، بل كان لا يخرج من بيته إلا إلى الجمعة^(١)، وهذا يشير إلى أنه كان يكرر الحج حتى ضعف عنه، وقد أسن.

ومن سمع منه سنة (٨٥٧هـ/١٤٥٣م)، بمضى إبراهيم بن علي القلقشندي (ت ٩٢٢هـ/١٥١٦م)^(٢) مما يشير إلى أن تركه الحج كان في سنة وفاته (٨٥٩هـ/١٤٥٤م).

— وأما الابن الثالث للبدر بن فرحون فهو: أحمد بن عبد الله بن محمد ابن فرحون ويلقب بالشهاب ويكنى بأبي العباس، بن البدر أبي محمد، ويعرف أيضاً بابن فرحون، وكان شديد السمرة، اشتهر بكنيته أبي عباس، وتوفي في ثاني عشر رمضان، سنة (٧٩٢هـ/١٣٨٩م)^(٣)، وقد وصف بأنه: "الفقيه العالم العامل الفاضل الجليل"^(٤)، كما ترك البدر ابنة تزوجها أحمد بن محمد بن عبد الرحمن العثماني، وولدت له عبد الملك، مات في الطاعون، وأخرى تزوجها محمد بن صالح بن إسماعيل^(٥).

* والابن الثاني للشمس أبي عبد الله هو محمد بن محمد بن فرحون بن محمد بن فرحون، الملقب كأبيه بشمس الدين، وُلد ليلة السبت آخر شوال سنة (٧٠٠هـ/١٣٠٠م)، وكان على طريقة والده من العزلة ومحبة الوحدة، ذكره أخوه البدر ابن فرحون وقال: "كان لي حفيماً، وفي دينه قوياً، صبر على مجاهدة النفس في العبادة، حتى صارت له سجية وعادة، وكان رحمه الله من عظم شفقتة عليّ يجلس دائماً على طريقي إلى الصف الأول، فلا يمر يوماً حتى يقف معي، ويسألني عن حالي، ويدعوا لي بقلب صاف، وودّ واف، ومتى فقدني في وقت الصلاة، وقف عليّ في بيتي، وسأل عن حالي"^(٦)، توفي في شهر جمادى الأولى سنة (٧٥٥هـ/١٣٥٤م)^(٧).

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٨١؛ الضوء اللامع، م ٣، ج ٥، ص ٥٥-٥٦.

(٢) الشماخ: القيس الحاوي، ج ١، ص ٦٦-٦٧.

(٣) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١١٧.

(٤) ابن حجر: إنباء الغمر، ج ٣، ص ٢٠٩.

(٥) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٢٠٨؛ الضوء اللامع، م ٥، ج ٩، ص ٨٦.

(٦) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ٢٧٠-٢٧١.

(٧) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج ٤، ص ٣٥٤؛ السخاوي: وجيز الكلام، ج ١، ص ٧٨.

— وأما ابنه محمد بن محمد بن محمد بن فرحون، فلم يزد عمه على أن قال في ترجمته إنه: سلك طريق والده (أي في العبادة والعزلة)، وزاد بصحبته المشايخ والفقراء وأخذ عنهم، وله اشتغال في الفقه، والنحو، واللغة، ومع ذلك تراه كأنه أحد (الترايبية) أي من يتكفون الناس على القبور^(١).

* والابن الثالث لعميد الأسرة هو علي بن محمد بن فرحون بن محمد بن فرحون الملقب بنور الدين، والمكنى بأبي الحسن، وبأبي القسم^(٢)، وُلِدَ في آخر القرن السابع الهجري في سنة (٦٩٨هـ/١٢٩٨م)^(٣)، وذكر البرهان ولده أن مولده في ليلة الجمعة العشرين من ربيع الأول سنة (٦٩٧هـ/١٢٩٧م)^(٤)، وهذا أرجح من حيث كونه من جهة والده، ومن دقة الليل والشهر.

وكانت ولادته بالمدينة الشريفة، وقد نشأ بها، وطلب العلم حتى فاق أقرانه، ولا سيما في الأدب، والعربية، وقد ترجمه أخوه في نصيحة المشاور فقال: "وأما أخي نور الدين أبو الحسن عليّ، واسمه من العلو والدين، مع ما حوى من علم الفقه والأصول، والعربية، والحديث، واللغة، والمعاني، والبيان، والأدب، مع المشاركة العظيمة في سائر العلوم، وكان قد بلغ في العلوم الأدبية إلى النهاية، فإن قلت: لم يكن في زمانه بالمدينة والحجاز من برع براعته، ولا ساد سيادته، مشاهدة حق عليها كل الخلق، ممن جلّ ودقّ"^(٥)، وترجم له ولده فقال: "وكان رحمه الله محدثاً، متقناً، ضابطاً، عارفاً بضبط الحديث، وأسماء رجاله، ولغته، فاضلاً في الفقه، والأصلين، والعربية، والمعاني، والبيان، متبحراً في اللغة، والآداب، مشاركاً في الجدل والمنطق، ولزم الإشتغال بالفقه، والعربية في المسجد النبوي، وكانت له وجاهه

(١) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ٢٧١.

(٢) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٢٩٦؛ الجابري: خالد محسن حسان، الحياة العلمية في الحجاز خلال العصر المملوكي "٦٤٨ — ٩٢٣هـ / ١٢٥٠ — ١٥١٧م"، (مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م)، ص ٢٦٢.

(٣) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج ٣، ص ١٩٠؛ ابن القاضي: درة الحجال في أسماء الرجال، ج ٣، ص ٢٤٢.

(٤) ابن فرحون: (إبراهيم بن علي)، الديباج المذهب، ج ٢، ص ١١٤؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٩٥.

(٥) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ٢٧١.

عظيمة عند أمراء المدينة ، وكان مقصداً للشفاعات إليهم ، فلا ترد له شفاعاة في غالب أمره " (١) ، وكان كثير الوعظ ، مجتهداً في العبادة ، كثير الصوم ، وقيام الليل (٢) .

وقد وُصف به: "الشيخ العالم، العامل، الإمام، الأديب البارع، اللغوي، مجموع الفضائل، المحدث، المفيد، الزاهد... أحد فضلاء المدينة" (٣)، وقال الصفدي عنه: "الأديب الفاضل: كان إنساناً شكله حسن، وعنده وفيه لسن، حسن المحاضرة، لطيف المذاكرة" (٤)، كما قال ابن مخلوف عنه بأنه: "الإمام الفقيه العالم بفنون العلم، العارف بالحديث، وأسماء رجاله" (٥).

ورغم تقدم النور علي في العربية وآدابها ، إلا أنه كان يتحسر على ذلك ، فكان يود لو أنه أمضى عمره في علوم الشريعة لا اللغة ، فكان يقول : " والله ندمت على ما أفنيت فيه عمري من الإشتغال بعلم الأدب ، يا ليتني كان في الكتاب والسنة " (٦) .

ولكون كان يصغر عن أخيه البدر بأربع سنوات، فكان يحلُّه، حتى قال عنه أخوه البدر: "كان يرى لي أكثر ما يرى الولد لوالده في التعظيم والحياء والإكرام، وأما الغيرة عليّ والانتصار لي واهتمامه بحالي وما يعرض لي من عدو يشنأني، فلا يوصف قدره، فله دره وبل بالرحمة قبره" (٧).

(١) ابن فرحون: (إبراهيم بن علي)، الديباج المذهب، م ٢، ص ١١٣.

(٢) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ٢٦٩؛ الفيروز آبادي: المغامم المطابة، ج ٣، ص ١٢٥٠.

(٣) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٢٩٦ — ٢٩٧.

(٤) الصفدي: صلاح الدين خليل بن أليك، أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق: علي أبو زيد وآخرون، (ط ٢)، (دمشق، دار الفكر، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م)، ج ٣، ص ٥٠٨.

(٥) مخلوف: شجرة النور الزكية، ص ٢٠٣.

(٦) الفيروز آبادي: المغامم المطابة، ج ٣، ص ١٢٥٠.

(٧) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ٢٧٠؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٢٩٧.

ومن فرط محبته في أخيه البدر سافر إلى مصر، واستعان بالشيخين أبي عبد الله الوادي آشي^(١)، وأبي عبد الله بن الحداد^(٢) في أن يحصل على وظيفة التدريس لأخيه البدر في المدرسة الشهابية^(٣)، وبعد حياة حافلة بالعلم توفي - رحمه الله - في يوم الجمعة الثالث والعشرين من شهر جمادى الآخرة سنة (٧٤٦هـ/١٣٤٥م)، وهو ابن إحدى وخمسين سنة^(٤).

— وقد أنجب النور أبو الحسن علي بن محمد بن فرحون ثلاثة من الأبناء هم (حسن، ومحمود، وإبراهيم).

— أما حسن فهو العز حسن بن علي بن محمد بن فرحون، ترجم له السخاوي في التحفة اللطيفة، ولم يزد على قوله: "سمع على أخيه البرهان بن إبراهيم الموطأ"^(٥)، وهو أكبر أولاد النور باعتبار تكنيته به.

— وأما محمود فلم أعثر على ترجمته، إلا أنه ورد في سياق نسب أحفاده كما يأتي.

— وأما إبراهيم فهو برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون المكنى بأبي الوفاء وأبي إسحاق^(٦)، والملقب ببرهان الدين، والبرهاني، ويعرف أيضاً بابن فرحون^(٧)، وُلِدَ بالمدينة، وقد ضبط السخاوي مولده بعد الثلاثين والسبعمئة سنة (٧٣٠هـ/١٣٢٩م)

(١) أبو عبد الله الوادي آشي: هو محمد بن علي بن جابر الوادي آشي، كان شيخاً في الحديث، قضى حياته في السماع ثم أسمع غيره بعد ذلك، كان حافظاً مجوداً لكتاب الله صلى بالناس صلاة التراويح في مسجد رسول الله ﷺ، توفي بمدينة تونس حوالي سنة (٧٥٠هـ/١٣٤٩م). ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ٨٨؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٥٤٢.

(٢) هو بدر الدين محمد بن عثمان بن الحداد الآمدي المصري، الخطيب الخنبلي، سمع الحديث وتفقه بالديار المصرية وبرع في الفقه، وُلِّي الأوقاف بجلب، كما عين لقضاء الحنابلة، توفي بدمشق سنة (٧٢٤هـ/١٣٢٣م). ابن العماد: شذرات الذهب، م ٣، ج ٦، ص ٦٥.

(٣) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ٨٨.

(٤) ذكر بعض المعاصرين أن وفاته سنة (٧٤٨هـ/١٣٤٧م) وهو د. عبد الباسط بدر: الحياة الثقافية في المدينة المنورة في العصر المملوكي، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ع ٥٤، ص ٧٠. لكن الصحيح هو سنة (٧٤٦هـ/١٣٤٥م) وقد اتفقت عليه المصادر.

(٥) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٢٨٣.

(٦) السخاوي: الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، (د. ط)، (دار الكتاب العربي، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، ص ١٠١.

(٧) السخاوي: تراجم العلماء والمحدثين، ق ٨٨؛ التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٨١.

يسير، وقد اتفقوا على وفاته آخر القرن سنة (٧٩٩هـ/١٣٩٦م)، إلا أن ابن العماد ذكر أنه لما مات كان قد جاوز التسعين^(١)، وهذا يقتضي أن ولادته كانت في أول القرن أي قبل سنة (٧٠٠هـ/١٣٠٠م)، أي بعد ولادة أبيه بما يزيد قليلاً عن عشر سنين وهذا مستحيل، فالأرجح ما ذكره السخاوي، ويؤكد ما ذكر ابن حجر أنه مات وقد جاوز (السبعين)^(٢)، فيكون ما في الشذرات تصحيحاً، ثم إنه لو كان مولده قبل سنة (٧١٠هـ/١٣١٠م)، لكان قد بلغ الستين عند وفاة البدر عمه، وهذا يقتضي أن يترجم له البدر من حيث كونه عالماً مبرزاً في (نصيحة المشاور).

توفي بطيبة سنة (٧٩٩هـ/١٣٩٦م)، ودفن بالبقيع^(٣)، وكانت وفاته في ذي الحجة في عيد الأضحى^(٤)، وعاش وهو يسكن داراً بالإيجار، لتواضعه رغم توليه القضاء، وظل يفيد طلبة العلم حتى آخر حياته^(٥).

— وأما ابن البرهان فهو محمد بن إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون، المكنى بأبي اليمن، وصفه ابن مخلوف أنه: لم يقف على وفاته، وقد بيض السخاوي له في التحفة، إلا أنه لم يعد أن ذكر اسمه فقط، وفي الضوء كذلك ذكر اسمه، ثم كتب (٨١٤)^(٦)، فلعلها سنة وفاته.

— وقد أنجب ولداً هو أحمد بن أبي اليمن محمد بن إبراهيم بن علي بن فرحون يكنى بأبي العباس، ذكر السخاوي أنه وصف بالقاضي وأباه كذلك، ولابنه أبي القاسم اشتغال بالعلم^(٧).

— ومن أسرة ابن فرحون ظهر أيضاً محمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن النور علي بن فرحون، ويلقب بالشمس العمرى المادح، ويعرف بابن المجلد، وربما يقال له:

(١) ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٦، ص ٣٥٧.

(٢) ابن حجر: إنباء الغمر، ج ١، ص ٥٣١.

(٣) المقرئ: درر العقود الفريدة، م ١، ص ١١٦.

(٤) ابن حجر: إنباء الغمر، ج ١، ص ٥٣١؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٨٤.

(٥) مخلوف: شجرة النور الزكية، ص ٢٢٢.

(٦) السخاوي: الضوء اللامع، م ٣، ج ٦، ص ٢٦٤.

(٧) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١٥٨ - ١٥٩.

(المجلد) وهي حرفة أبيه، وأخيه العز عبد العزيز، والذي سمع من السخاوي، ومحمد أكبرهما، وقد تكسب محمد بالعطر قليلاً، وحفظ القرآن، توفي ثاني ربيع الثاني سنة (٨٩١هـ/١٤٨٦م)^(١).

أسرة الخجندي:

* عميد أسرة الخجندي هو أحمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد الخجندي الملقب بالجلال، والمكنى بأبي الطاهر، بن الشمس بن الجلال بن الجمال الحنفي، وتكنيته بأبي طاهر جاءت متأخرة في سنة (٧٦٠هـ/١٣٥٩م)، فإن الحافظ العلائي لما أراد أن يكتب له الإجازة سأله اسمه ولقبه فذكرهما له، وسأله عن كنيته، فقال: لا أعلم لي كنية، ولكن أريد تشريفي بذلك منكم، فقال: أفعل ثم لما فرغ قال: قد جرى القلم بأبي طاهر^(٢)، ويعرف كذلك بـ: (الأخوي) بفتح الهمزة والخاء المعجمة، وهذه النسبة ترجع لكون جده سعد الدين والد والده ووالد والدته أخوين، فهما أبناء عم^(٣)، ولكن قد اختصره، فقال لكون جد له زوج أخاه لأمه لأخته من أبيه^(٤).

ويلقب أيضاً بـ: (المقبول)، أو (مقبول رسول الله ﷺ)، وذكر السخاوي سبباً لذلك: "أنه كان يصلي عليه ﷺ فيقول: اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله صلوات أنت لها أهل وهو لها أهل"^(٥).

وُلد أبو طاهر الجلال الخجندي لأسرة اشتهرت بالعلم، فكان كل من أبيه وجده وجد أبيه علماء^(٦)، وحرر مولده في جمادي الأول سنة (٧١٩هـ/١٣١٩م)، وأمه اسمها

(١) السخاوي: الضوء اللامع، م ٥٠، ج ٩، ص ٢٢.

(٢) السخاوي: تراجم العلماء والمحدثين، ق ١٨.

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، م ١، ج ٢، ص ٥٣٠؛ م ٦، ج ١١، ص ٦٨٣.

(٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١٤٧.

(٥) المصدر السابق، ج ١، ص ١٥٣؛ الشماع: القيس الحاوي، ج ١، ص ٢٢٩.

(٦) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١٤٧.

صفية^(١)، وقد أثبت الجلال أحمد مولده بخطه حيث نقل الصيرفي أنه رأى بخطه أنه قال: "مولدي في جمادي الأول من تاريخ تسعة عشر وسبعمائة"^(٢).

نشأ الجلال في حجر أبيه، وأشير له بالبراعة والجلالة، وطلب العلم صغيراً، فإنه في السادسة من عمره أو السابعة توجه به أبوه للضياء علم الشام حتى قرأ عليه شيئاً من العلوم، وقد تتلمذ على عدد من العلماء، ومن ثم تابعت رحلاته العلمية، وهو ابن اثنين وعشرين سنة، أي في سنة (٧٤١هـ/١٣٤٠م)^(٣)، وقد ارتحل للمدينة النبوية في آخر سنة (٧٦٣هـ/١٣٦١م)، ثم استوطنها سنة (٧٦٦هـ/١٣٦٤م)^(٤) أي وله (٤٧) سنة.

وتزوَّج بالمدينة (عائشة) ابنة نور الدين علي بن العز يوسف الزرندي، واستولدها، وأنجب منها طاهر، وإبراهيم، وقد صاهره على ابنته الشرف أبو الفرج المراغي، فقد تزوَّج ابنته أمة الله، وكانت عابدة خيرة، ثم طلقها بعد موت أبيها^(٥).

وقد غلب على حياة الشيخ الجلال طريقة التنسك والزهد والتقشف والتعبد^(٦) إلى أن وافته المنية في ليلة الخميس سابع ذي القعدة سنة (٨٠٢هـ/١٣٩٩م)، بعد أن جاوز الثمانين، ودفن مع شهداء أحد بالقرب من قبر حمزة عليه السلام، خارج المدينة، وكان سبب اختيار هذا المكان لدفنه دون البقيع أنه حفر هناك قبره بنفسه وأوصى بذلك^(٧)، وقد ذكر السخاوي وغيره أنه لما كان في آخر عمره أراد الانتقال عن المدينة قبل موته بأشهر، غير أنه رأى رؤية في منامه تحثه على أن لا يترك مسكنه، فعدل عن الرحيل، ولم يلبث إلا قليلاً، ومات^(٨).

(١) السخاوي: الضوء اللامع، م، ١، ج ٢، ص ١٩٤.

(٢) الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، ج ٢، ص ١٢٨.

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، م، ١، ج ٢، ص ١٩٥.

(٤) الشماخ: القيس الحاوي، ج ١، ص ٢٣٠.

(٥) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١٥٢-١٥٣؛ الضوء اللامع، م، ١، ج ٢، ص ١٩٩-٢٠٠.

(٦) الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، ج ٢، ص ١٢٨.

(٧) الشماخ: القيس الحاوي، ج ١، ص ٢٢٩.

(٨) السخاوي: وجيز الكلام، ج ١، ص ٣٤٨.

وقد حدّد الصيرفي الوجهة التي أراد الجلال الانتقال إليها، وهي بلدة خُجندة حيث ذكر أنه: "... كان رحمه الله تعالى يريد أن ينتقل إلى بلاده ..."^(١).

وقد وصف الجلال الخجندي بأنه: "القدوة، العلم، والعلامة، الذي منه الأعلام تتعلم، إمام الطائفة السنية المحمدية، وقدوة الجماعة الحنيفية الحنفية، رأس المدرسين في المدينة النبوية، وصدر المتصدرين بالروضة الشريفة القدسية ... الشيخ، الإمام، العلامة، وحيد دهره، وفريد عصره"^(٢)، كان: "على طريقة شريفة من الإحسان لأهل المدينة والواردين عليها، مع نشر العلم، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر والتواضع، وإلحاق الأصغر بالأكبر، حتى انتفع به أهلها وغيرهم"^(٣)، كما ذكر أنه استمر إلى أن مات (يعني بالمدينة) أكثر من أربعين سنة يدرس، ويروي، ويفتي^(٤).

و هذا يتعارض مع كون استيطان الجلال بالمدينة، كما أرخه السخاوي نفسه في سنة (٧٦٦هـ/١٣٦٤م)، وهذا يجعل مدة إقامته دون الأربعين أي (٣٧) سنة، إلا إن أراد أول مقدم له سنة (٧٦٣هـ/١٣٦١م)، كما ذكره في الضوء^(٥)، إلا أنه احتمال أن يكون ذلك قبل استيطانها.

والأرجح عندي أن قدومه المدينة للاستيطان كان قبل سنة (٧٦٥هـ/١٣٦٣م)، حيث قد تتلمذ بالمدينة على العفيف المطري (ت ٧٦٥هـ/١٣٦٣م)، وعليه فتاريخ استيطانه المدينة كان قبل ذلك، وإنما كان مقدمه في سنة (٧٦٣هـ/١٣٦١م)، وهو الذي يعطي (٤٠) سنة أيضاً بما فهذا أرجح.

(١) الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، ج ٢، ص ١٢٨.

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، م ١، ج ٢، ص ٢٠٠-٢٠١.

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، م ١، ج ٢، ص ١٩٩.

(٤) السخاوي: وجيز الكلام، ج ١، ص ٣٤٧؛ الترتيب: الحياة العلمية في مكة والمدينة خلال القرنين السابع والثامن

الهجريين، "مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة"، (شوال، ذو الحجة، ١٤٢٣هـ/ستمبر، فبراير،

٢٠٠٣م)، ع ٣، ص ١٢٢.

(٥) السخاوي: الضوء اللامع، م ١، ج ٢، ص ١٩٩.

وقد ذكر نحو ذلك أيضاً المؤرخ ابن حجر فقد قال: (وشغل الناس بالمدينة أربعين سنة، وانتفع الناس به لدينه، وعلمه) ^(١)، وعبرة ابن حجر ليست نصاً، فإنه قد يقرب الكسر لأقرب عقد (عشرة)، إلا أن الظاهر بلوغها، أو القريب جداً منها فيكون استيطانه بالمدينة قد بلغ الأربعين، فعليه يكون استيطانه في حدود سنة (٧٦٣هـ/١٣٦١م) لا على ما جزم السخاوي أنه في سنة (٧٦٦هـ/١٣٦٤م).

وقد توفي الجلال سنة (٨٠٢هـ/١٣٩٩م)، و ذكر أن ابن حجر في "إنبائه" أن وفاته في سنة (٨٠٢هـ/١٣٩٩م)، وفي موضع آخر ذكرها في سنة (٨٠٣هـ/١٤٠٠م) وقال في المرة الثانية: "نقلت تاريخ وفاته من تاريخ العيني" ^(٢) وقد صوب السخاوي الأول، أي في سنة (٨٠٢هـ/١٣٩٩م) ^(٣)، وهو الذي اعتمده في كتبه ^(٤)، "وجيز الكلام" ^(٥)، و"التحفة" ^(٦)، وتردد الصيرفي في شهر الوفاة فقال: "في شهر رمضان أو ذي القعدة" ^(٧)، وكذا تردد السخاوي في "الضوء" ^(٨).

* وقد أنجب الشيخ أحمد ولدين هما: (طاهر و إبراهيم).

— فالأكبر هو: طاهر بن الجلال أحمد بن محمد بن محمد بن محمد، الملقب بعز الدين، وبالزین المحب، وبالشمس، وبالبدرد، والمكنى بأبي العلا، بن جلال الدين أبي طاهر، ويقال له أيضاً: (محمد)، وقد يعرف بشرف الدين ^(٩).

وُلد يوم الاثنين العشرين من جماد الأولى سنة (٧٧٠هـ/١٣٦٨م) بالمدينة النبوية، أي بعد نحو سبع سنوات من نزول والده المدينة، باعتبار مارجحته من كونه استوطنها في سنة (٧٦٣هـ/١٣٦١م)، أو بعد أربع سنوات من التاريخ الذي ذكره السخاوي لاستيطانه

(١) ابن حجر: إنباء الغمر، ج ٢، ص ١١٦.

(٢) المصدر السابق، ج ٢، ص ١١٧، ١٥٦.

(٣) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١٥٣.

(٤) السخاوي: الضوء اللامع، م ١، ج ٢، ص ١٩٩ - ٢٠٠.

(٥) السخاوي: وجيز الكلام، ج ١، ص ٣٤٨.

(٦) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١٥٣.

(٧) الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، ج ٢، ص ١٢٩.

(٨) السخاوي: الضوء اللامع، م ١، ج ٢، ص ١٩٩.

(٩) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١٠٩، ٤٦٦.

المدينة سنة (٧٦٦هـ/١٣٦٤م)، وهذا يعني أن الشيخ أحمد لم يتزوج قبل ذلك لانشغاله بطلب العلم، وهو متسع الشيوخ والرواية، كما يأتي في مبحث تعليمهم.

وقد اهتم الشيخ أحمد بابنه (طاهر)، فتولاه منذ صغره بالتعليم، وأحضره مجالس العلماء وهو صغير جداً في سن الثانية من عمره، فاشتغل بالعلم، وسمع على جماعة كوالده حتى برع في العلوم، وصار إماماً، علامة، بارعاً^(١)، وكذا قال ابن فهد أنه كان: "إماماً، عالماً"^(٢)، وهو مع اشتغاله بالعلم كان مقبلاً على الآخرة كثير الاستغراق والفكرة، توفي وقد ناهز السبعين من عمره في ضحى يوم الاثنين ثاني رجب سنة (٨٤١هـ/١٤٣٧م) بالمدينة، وصلي عليه بعد صلاة الظهر بالروضة الشريفة، وكانت جنازته حافلة، ودفن بالبقيع^(٣).

وأنجب الشيخ طاهر ولدين ممن ابتغى العلم وعرف به هما (أحمد ومحمد):

— فأما (أحمد) فهو أحمد بن طاهر بن أحمد بن محمد بن محمد، الملقب بجلال الدين، بن الزين بن الجلال الخجندي، ويعرف بابن الجلال، وقد يقال له (جوال)، ويلقب أيضاً بالشمس، وُلِدَ في يوم الاثنين حادي عشر المحرم سنة (٨٠٤هـ/١٤٠١م) بالمدينة، ونشأ بها، واشتغل على أبيه وعمه (إبراهيم) يسيراً، إلا أنه كان معتنياً بالسفار، وهذا سبب تلقيبه بـ: (جوال)، كما كان معتنياً بقضاء حوائج إخوانه ونحوهم، توجه إلى الحج وركب البحر فانقطع خبره، ويقال إنه مات قبل الثمانين^(٤) بنواحي سمرقند^(٥) رحمه الله تعالى.

— وقد خَلَفَ من بعده ابنه محمد بن أحمد بن طاهر بن أحمد بن محمد الخجندي الحنفي، الملقب بالشمس، ويعرف أيضاً بـ: (ابن الجلال)، وُلِدَ الشمس في سنة (٨٥١هـ/١٤٤٧م) بطيبة ونشأ بها، وصفه السخاوي بقوله: "فاضل، علامة ذكي، بارع، متقن، سريع الفهم والحركة، طارح التكلف، كثير الأدب، زائد الاغتباط بتصانيفي، ... تميز

(١) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٢، ص ٤، ج ٢، ص ٢-٣.

(٢) المقرئ: درر العقود، ج ٢، ص ٢٠٠؛ ابن فهد: معجم الشيوخ، ص ١١٩.

(٣) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٤٦٧؛ القيس الحاوي، ج ١، ص ٣٠٥.

(٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٢٥٢؛ الضوء اللامع، ج ١، ص ١، ج ١، ص ٣١٩.

(٥) سمرقند: يقال لها بالعربية سمران، وهي بلدة معروفة بما وراء النهر، فتحها قتيبة بن مسلم سنة (٨٧هـ/٧٠٥م).

ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٤٦.

في غالب الفنون"^(١)، وقد انتدب الشمس محمد بن أحمد إلى مكة ليلي مشيخة "المدرسة الزمامية"، فقام بها وقتاً، ثم أعرض عنها لعدم رغبته في الإقامة بغير بلده، وفي آخر حياته شرع في بناء بيت بالمدينة، فركبه الدين بسببه^(٢)، وكان الشمس موصوفاً بالمعاشرة الحسنة مع طلاب العلم، حتى أن السخاوي تأسّف حين جاور في المدينة (المجاورة الثانية) وكان الشمس غائباً عنها، ثم لما جاء تكرر اجتماعه معه بمكة، ورجع في سنة (٨٩٩هـ/١٤٩٣م) إلى المدينة بعد الحج، فمات حين وصوله إليها في أواخر ذي الحجة سنة (٨٩٩هـ/١٤٩٣م)، وكان قد تزوّج من ابنة البرهان الششتري، ورزق منها بأربعة أولاد، وله أولادٌ من غيرها، فقد كان ممن سمع عليه خاله الشمس حفيد الجلال الخجندي أيضاً، فيكون متزوجاً من أسرة الخجندي وعبرة السخاوي تفيد ذلك إذ قال: "وترك أولاداً أربعة من ابنة البرهان الششتري"^(٣).

— وأما الابن الآخر لطاهر بن الجلال فهو محمد الغياثي، وهو محمد بن طاهر بن أحمد بن محمد بن محمد الخجندي، الملقب بغياث الدين، ويدعى غياثاً الخجندي الحنفي، وهو حفيد العلامة جلال الدين، وُلِدَ في الثلث الأخير من ليلة الأربعاء سابع عشرين رجب سنة (٨٠٦هـ/١٤٠٣م) بالمدينة، واشتغل بالعلوم، وعرف بجودة الذكاء، وعلو الهمة، وقد مات بالقاهرة في الطاعون سنة (٨٤٣هـ/١٤٣٩م) ولم يبلغ الأربعين^(٤).

— وخلف بعده ابنه محمد بن محمد بن (غياث) بن طاهر بن الجلال الخجندي، وهو ممن اشتغل بالعلم، وتردّد إلى القاهرة، وتوجّه للحبشة، فقتل بها في سنة (٨٧٩هـ/١٤٧٤م)^(٥).

— ولمحمد هذا أخت هي: سارة ابنة محمد بن (غياث) بن طاهر بن الجلال الخجندي المدني، تزوجها عبد الوهاب بن الجمال محمد بن الشرف يعقوب المالكي، واستولدها النجم محمداً، ممن تولى القضاء بمكة آخر القرن التاسع، وتوفي

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٤١٦.

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٢، ص ٤، ج ٣، ص ٢-٣.

(٣) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٤١٦.

(٤) المصادر السابق، ج ٢، ص ٤٨٨؛ الضوء اللامع، ج ٤، ص ٧، ص ٢٧٣-٢٧٤.

(٥) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٥٦١؛ الضوء اللامع، ج ٤، ص ٨، ص ٢٧٧.

(٩١٨هـ/١٥١٢م)، وقد ماتت وهو في المهد لم يستكمل سنة، وذلك في أوائل سنة (٨٥٢هـ/١٤٤٨م)، أو أواخر سنة (٨٥١هـ/١٤٤٧م)، أي بعد موت والدها بنحو سبع سنوات^(١).

- كما لهما أخ أسنّ من الأول، واسمه أيضاً محمد، ويكنى بأبي الفتح، مات بالقاهرة سنة (٨٧٣هـ/١٤٦٨م)^(٢).

* وأما الابن الثاني للجلال الخجندي، فهو إبراهيم بن أحمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد الخجندي، الملقب ببرهان الدين، والمكنى بأبي محمد، ويسمى أيضاً محمداً، وُلِدَ سنة (٧٧٩هـ/١٣٧٧م) بالمدينة، وبها نشأ، وتلقى العلم عن والده، وعلماء المدينة، بل وعلى أخيه طاهر الذي يكبره بنحو عشرة أعوام، وكانت تعلوه الكياسة، يحب الفائدة، وصف بأنه: "حسن المجالسة، لطيف المحاضرة، كثير النوادر والملح، ... فكهنأ، له كرم زائد، وغرائب مع الخط الحسن والمحاسن"^(٣)، حجّ غير مرة^(٤)، وقد توفي في ثاني رجب سنة (٨٥١هـ/١٤٤٧م)، ودفن بالبقيع بعد الصلاة عليه بالروضة رحمه الله^(٥).

- وقد أنجب البرهان ابنه الشهير بالشمس وهو: محمد بن إبراهيم بن أحمد بن محمد الخجندي، الملقب بالشمس، والجمال، والحب، والمكنى بأبي الفتح، وُلِدَ في ليلة الجمعة عاشر ربيع الأول سنة (٨١٠هـ/١٤٠٧م) بالمدينة، ونشأ بها، كان عالماً، فاضلاً، أصيلاً، ناظماً، إماماً للحنفية، منجماً في آخر عمره عن الناس^(٦)، صاهر أسرة الكازروني، فتزوَّج من ابنة أبي الهدى بن التقي الكازروني، وقد مات في ليلة الجمعة عاشر ربيع الأول سنة

(١) المصدر السابق، م ٤، ج ٨، ص ١٣٧؛ م ٦، ج ١٢، ص ٥٢.

(٢) المصدر السابق، م ٤، ج ٨، ص ٢٧٧-٢٧٨.

(٣) التميمي: تقي الدين بن عبد القادر، الطبقات السنية في تراجم الحنفية، تحقيق: عبد الفتاح الحلو، (د. ط)، (القاهرة، ١٩٧٠م)، ج ١، ص ٢٠٣؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٧، ص ٢٦٩.

(٤) السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر، نظم العقيان في أعيان الأعيان، (د. ط)، (نيويورك، ١٩٢٧م)، ص ١٥؛ الشماع: القبس الحاوي، ج ١، ص ٤٨.

(٥) ابن فهد: معجم الشيوخ، ص ٣٨؛ السخاوي: محمد بن عبد الرحمن، التبر المسبوك في ذيل السلوك، (د. ط)، مكتبة الكليات الأزهرية، د. ت، ص ١٨٨.

(٦) الشماع: القبس الحاوي، ج ١، ص ٦٦.

(٨٧٠هـ/١٤٦٥م)، عن ستين سنة سواء، لاتفاق ليلة مولده وفاته وشهرهما، ودفن عند جده بأحد رحمه الله تعالى^(١).

— وقد خلف الشمس بعده عدداً من الأبناء هم: (محمد، وأحمد، وعلي، وإبراهيم، وأبو بكر، وفاطمة):

— فالأول هو: محمد بن محمد بن إبراهيم بن أحمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد الخجندي، ويكنى بأبي الخير الخجندي، وُلِدَ في صفر سنة (٨٣٤هـ/١٤٣٠م) بالمدينة، نشأ بها، وتعلم، توفي في أواخر سنة (٨٥٨هـ/١٤٥٤م) وهو ابن أربع وعشرين سنة^(٢).

— والابن الثاني للشمس محمد هو: أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أحمد الخجندي، الملقب بالشهاب، والمكنى بأبي المحاسن، وُلِدَ في ليلة الأربعاء ثامن رمضان سنة (٨٣٦هـ/١٤٣٢م) بالمدينة، وبها نشأ، وطلب العلم، وارتحل فيه، وكان خيراً، ديناً، فاضلاً، توفي يوم الثلاثاء ثاني عشر رمضان سنة (٨٨١هـ/١٤٧٦م) بالقاهرة^(٣).

— وقد أنجب الشهاب أحمد عدة أولاد منهم: (محمد، وعلي)، كما له ابن آخر يقال له: أبو الوفاء محمد هو أخو هذين لأبيهم^(٤)، كما له ابنة تزوجها الزين محمد بن محمد المراغي.

— فأما الأول فهو محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أحمد الخجندي، الملقب بالشمس، والمكنى بأبي البقاء^(٥).

وُلِدَ في سنة (٨٧٤هـ/١٤٦٩م) بمكة^(٦)، وقيل بل وُلِدَ في آخر ذي الحجة سنة (٨٧٣هـ/١٤٦٨م) بالمدينة^(٧)، وهذا التقارب آخر الحجة سنة (٨٧٣هـ/١٤٦٨م) مع

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج٢، ص٤٠٤؛ الضوء اللامع، م١، ج١، ص١١٩.

(٢) السخاوي: التحفة اللطيفة، م٤، ج٨، ص٢٩٩.

(٣) المصدر السابق، ج١، ص١٣٠؛ الضوء اللامع، م١، ج٢، ص٦٧.

(٤) المصدر السابق، م٣، ج٥، ص١٧٩.

(٥) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج٢، ص٤٣٠.

(٦) السخاوي: الضوء اللامع، م٤، ج٧، ص٤٢.

(٧) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج٢، ص٤٣٠.

أول محرم سنة (٨٧٤هـ/١٤٦٩م)، وأما الخلاف في كونه مكياً في الولادة أو مدنياً فيحتمل أن أبواه كانا في الحج في هذه السنة أي سنة (٨٧٣هـ/١٤٦٨م)، ولما كانت ولادته بعد الحج مباشرة اشتبه مكان مولده على من قيده.

وقد نشأ الشمس محمد هذا في كنف أبويه بالمدينة، إلا أن أباه توفي سنة (٨٨١هـ/١٤٧٦م) كما تقدّم، وكان الشمس في السابعة من عمره، فكفلته أمه وهي ابنة أخت فتح الدين بن صالح، فنشأ الشمس نشأة صالحة، وكان حسن الفهم، طلب العلم وارتحل فيه إلى الآفاق، وتوفي بعد سنة (٩٢٠هـ/١٥١٤م)^(١).

— والابن الثاني للشهاب أحمد هو: علي بن أحمد بن إبراهيم بن الجلال أحمد الخجندي المدني، وُلِدَ في سادس عشر رمضان سنة (٨٨١هـ/١٤٧٦م) بمكة واشتغل بالعلم^(٢).

— وأما الابن الثالث للشمس محمد بن إبراهيم بن الجلال الخجندي فهو يسمى أيضاً بعلي وهو عم علي بن الشهاب أحمد السابق، فهو: علي بن محمد بن إبراهيم بن العلامة جلال الدين الخجندي، يكنى بأبي النور، وأبي الحسن، وُلِدَ في ليلة الجمعة منتصف رجب سنة (٨٤٢هـ/١٤٣٨م) بالمدينة، ونشأ بها، وكان في غاية الذكاء، اشتغل بالعلم وغلب عليه الأدب، فكان جيد النظم كثيره، ونثره حسن، تُوفي بدمشق في صفر سنة (٨٧١هـ/١٤٦٦م) بعد أبيه بسنة، ولم يكمل الثلاثين^(٣)، وقد وصفه ابن العماد بـ: (الإمام العالم)^(٤)، وذكر السخاوي أنه: "برع في العربية، والمعنى، والبيان"^(٥).

— والابن الرابع للشمس محمد بن إبراهيم هو: إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن جلال الدين بن أحمد بن محمد بن محمد الخجندي، ويُلقب بالبرهان، ويكنى بأبي إسحاق،

(١) البغدادى: هدية العارفين، ج٦، ص٢٢٨.

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، ج٣، ص١٧٩.

(٣) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج١، ص١٣٠؛ ج٢، ص٢٩٢.

(٤) ابن العماد: شذرات الذهب، ج٧، ص٣١٢.

(٥) السخاوي: الضوء اللامع، ج٣، ص٢٧٧.

وُلِدَ في يوم الجمعة عاشر جمادي الأولى سنة (٨٥٢هـ/١٤٤٨م) بالمدينة، ونشأ بها، وطلب العلم، وصار له وجهةٌ بين أهل المدينة، وإمام الحنفية بطيبة، وأحد أعيان جماعته^(١). وصفه السخاوي بأنه: "نعم الرجل، فضلاً، وعقلاً، وتواضعاً، وسكوناً، وأصلاً، وخيرة"^(٢).

مات فجأة في جمادي الأول سنة (٨٩٧هـ/١٤٨٢م)، حيث سقط عليه وعلى ثلاثة من خدمه جدارٌ بعد أن صلى الظهر، وصُلِّيَ عليه بعد العصر، ثم دُفِنَ، وخُلف عدة أولاد، وأُسند وصيته لابن أخيه، وقد تأسَّف السخاوي على فقده ودعا له^(٣)، وقيل بل كانت وفاته في سنة (٨٩٨هـ/١٤٩٢م)^(٤)، و الأول أرجح لضبط السخاوي ذلك بنفسه وتأسَّفه على فقده.

— وقد خلف بعده ابنه يحيى بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن الجلال الحندي كان عالماً، فاضلاً، عالي الإسناد، معمرأً، ولي القضاء، والإمامة، وارتحل في طلب العلم^(٥)، تُوفي بعد انتهاء فترة حكم المماليك، وهي فترة الدراسة.

— والابن الخامس للشمس محمد هو: أبو بكر بن محمد بن إبراهيم الحندي، الملقب بفخر الدين، ويسمى صديقاً، وُلِدَ في رمضان سنة (٨٤٧هـ/١٤٤٣م) بالمدينة، ثم حصل له خلل بعقله بعد أن اشتغل يسيراً بالعلوم^(٦).

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٨٣؛ الأنصاري: (ناجي محمد حسن)، التعليم في المدينة المنورة، ص ٢٥١-٢٥٢.

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، م ١، ج ١، ص ١١٩.

(٣) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٨٣.

(٤) الشماخ: القبس الحاوي، ج ١، ص ٨١.

(٥) ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٨، ص ٣٤٠-٣٤١؛ الغزي: نجم الدين، الكواكب السائرة بأعيان المثبة العاشرة، تحقيق: جبرائيل سليمان حيور، (د. ط)، (الناشر، محمد أمين، دمج وشركاه، د. ت) ج ٢، ص ٢٥٨؛ مزاحم: عبد الله بن محمد، كتاب قضاة المدينة المنورة من (٩٦٣-١٤١٨هـ)، (ط ١)، (مكتبة العلوم والحكم، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م)، م ١، ق ١-٢.

(٦) السخاوي: الضوء اللامع، م ٦، ج ١١، ص ٦٧.

— وقد خلف الشمس محمد بن إبراهيم بن الجلال الخجندي ابنة يقال لها فاطمة وهي الأخت الشقيقة للشهاب أحمد، والأخت من أب لإبراهيم وغيره، وقد تزوجها أحمد بن محمد بن أحمد الشهاب المصري (ت ٩٢٢هـ/١٥١٦م) ^(١).

— وأما الابن الثاني لبرهان الدين إبراهيم بن أحمد بن محمد فهو: عبد الله بن إبراهيم بن الجلال أحمد بن محمد الخجندي، وُلِدَ بالمدينة، وبها نشأ، واشتغل بالعلوم، وارتحل في ذلك، إلا أنه تُوفي بالطاعون بالإسكندرية هو وابن له في سنة (٨٦٣هـ/ ١٤٥٨م) ^(٢).

أسرة ابن صالح:

* عميد هذه الأسرة هو صالح بن إسماعيل بن إبراهيم الملقب بابن الخطيب التقي والملقب بأبي البقاء الكناني، وقد ينسب لقريش، فقد قيل إنه هاشمي ^(٣)، وكان رجلاً صانعاً يعمل بيده، قدم إلى المدينة واستوطنها، وحرص أن يتقن عمله، وفي الحديث الصحيح: ((ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده)) ^(٤)، وكان نبي الله داود ملكاً تام الملك كما قال تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ﴾ ^(٥)، ومع ذلك كان يأكل من عمل يده، فهو يدل على أفضلية الأكل من عمل اليد، ثم إن أكل الطعام الطيب وتحري الحلال فيه هو من أسباب استجابة الدعاء، كما قال النبي ﷺ لسعد بن أبي وقاص ﷺ: ((أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة)) ^(٦).

فكان الشيخ صالح هكذا، يأكل من عمل يده، يعمل في مهنة (التبييض)، فكان صانعاً مبيضاً متقناً ناصحاً، عمل بالتبييض في الحرم الشريف، وكان يرى قراءة القرآن بالحرم فدعا الله سبحانه أن يرزقه ولداً صالحاً قارئاً لكتاب الله ذكراً، وكان ذلك قبل أن يتزوج،

(١) السخاوي: الحفة اللطيفة، ج ١، ص ١٣٤.

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، م ٣، ج ٥، ص ٢.

(٣) المصدر السابق، م ٤٤، ج ٨، ص ٣٤.

(٤) البخاري: الصحيح، ج ٤٥، ص ٣٠٣.

(٥) القرآن الكريم: سورة ص، آية: (٢٠).

(٦) الطبراني: سليمان اللخمي، المعجم الأوسط، (د.ط)، (بغداد، الدار العربية، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)،

ولم يزل الشيخ صالح متقناً في عمله، داعياً ربه حتى تزوّج، واستجاب الله لدعائه فزرع ولدين، هما محمد وعليّ، وأعطاه الله في محمد ولده ما سأل، فإنه كما يأتي في ترجمته لم يكن حافظاً للقرآن فحسب، بل أعطى كذلك من العلوم والفهوم في كتاب الله تعالى فوق ذلك^(١)، ولم تحدثنا المصادر عن (أم ولديه)، ومن أي أسرة كانت، لكن الذي يفهم أنها كانت امرأة صالحة كزوجها.

قال أبو عبد الله بن فرحون للشمس محمد عن والده أنه كان: "من الأولياء ممن يسأل الله ولداً ذكراً، يحفظ القرآن، فأجبت فيك"^(٢)، وظل الشيخ صالح بن إسماعيل بالمدينة لم يغادرها إلا للحج، وقد كثر ماله، ولم يرزق بالولد حتى تجاوز الستين، وهو مع ذلك ملازم فعل الطاعات والدعاء وقد حجّ ثماني عشرة حجة، وأعتق نحو ثلاثين مملوكاً، ثم وُلِدَ له علي الكبير علي ومحمد وامتد عمره حتى قارب السبعين، وتوفي سنة (٧٠٧هـ/١٣٠٧م) قبل أن يرى إجابة دعوته في ولده محمد، والذي كان له نحو أربع سنوات يوم وفاته، فإن مولده سنة (٧٠٣هـ/١٣٠٣م)، فتركه يتيماً صغيراً، لكن أبقى له دعوته وصلاح والديه فكان خيراً له.

* أما علي، فلم تشر له المصادر إلا بأنه كان صالحاً، ومن ذريته كان محمد بن سعيد بن أبي بكر بن تقي الدين محمد بن علي بن صالح وأخوه (أحمد)، وقد ترجم السخاوي لمحمد، وذكر أنه وُلِدَ في جمادي الثاني (٨٧١هـ/١٤٧٦م) بالمدينة وأمه ست الشرف ابنة عبد الله بن فرحون قاضي المالكية^(٣).

— وقد ذكر السخاوي في ترجمة سعيد بن أبي بكر بن محمد بن علي ما يشير إلى ترجمة لأخيه محمد، وقد سبق الإشارة بها، إلا أنه يترجم عمر بن محمد ابن صالح، ولابن أخيه عمر بن محمد بن أبي بكر، ولم أعر على ترجمتهم، إلا أن هذا يشير إلى اشتغال الأسرة بالعلم وإن لم يبرزوا فيه.

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤٨٥ - ٤٨٦.

(٢) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ٨٩ - ٩٠.

(٣) المصدر السابق، ص ٨٩؛ السخاوي: التحفة اللطيفة ج ٢، ص ٤٧٩.

* والابن الثاني لمؤسس الأسرة هو محمد بن صالح بن إسماعيل المكنى بأبي البقاء والملقب بالشمس^(١)، ويُعدُّ المؤسس العلمي لبني صالح، فهو مؤرخ، وقاضٍ للشافعية، وإمام، وخطيب، وصار بتميزه بيتُ ابن صالح بيتاً كبيراً بالمدينة^(٢)، وصفه السخاوي بأنه: "الشيخ، الفقيه، العالم، العامل، المتفنن المقرئ"^(٣)، وُلِدَ سنة (٧٠٣هـ/١٣٠٣م)، ومات أبوه وله أربع سنوات، وبدأ حياته العلمية في الكتاتيب^(٤)، حيث كان في مكتب أبي عبد الله السبتي المغربي^(٥)، ثم لما كبر سنه واتسعت علومه لازم الشيخ أبا عبد الله القصري^(٦) وأخذ منه، ولكثرة ملازمته له كان يُظنُّ أنه ولده، وكان ذلك في سنين (٧١٨هـ/١٣١٨م)، (٧٢٠هـ/١٣٢٠م)، ما قبل وفاة القصري بثلاث سنوات، وقد تأدَّب به وصحبه مدة فتهذَّب به، وكان معه كأنه ولده^(٧)، وتزوَّج محمد بن صالح بن إسماعيل ابنة البدر عبد الله بن فرحون^(٨)، حجَّ مراراً بدءاً من سنة (٧٢٤هـ/١٣٢٣م) وله إحدى وعشرون سنة، وما مات إلا وهو من كبار علماء المدينة^(٩)، وقد توفي الشمس محمد بالمدينة في تاسع الحرم سنة (٧٨٥هـ/١٣٨٣م) عن اثنتين وثمانين سنة^(١٠).

(١) الكازروني: أحمد بن مسدد الزبيري المدني، الخدائق الغوالي في قباء والعوالي، تحقيق: محمد بن محمد فال العلوي

الشنقيطي، (ط١)، (المدينة المنورة، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م)، ص ١٠٣.

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٦، ص ١١، ص ٢٥٤.

(٣) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤٨٤ - ٤٨٥.

(٤) الكتاتيب: مفردا كتاب، وكتب الرجل وأكتبه كتاباً، علمه الكتاب، ورجل مُكْتَب، له أجزاء تكتب من عنده،

والمُكْتَب: المعلم الذي يعلم الكتابة، والمُكْتَب: موضع الكتاب، والمكتب والكتاب: موضع تعليم الكتاب، والجمع

كتاتيب. ابن منظور: لسان العرب، م ٥، ص ٣٧٠.

(٥) هو محمد بن عبد الحق السبتي، من علماء المغرب، جاور ببلاد الحرمين مدة. المقرئ: درر العقود

الفريدة، ج ٣، ص ٣٧٧.

(٦) محمد بن علي أبو عبد الله القصري، كان عالماً بالفقه وأصول الدين من العلماء البارعين في العربية،

(ت ٧٢٣هـ/١٣٢٣م). القراقي: توشيح الديباج، ص ٢٢٣.

(٧) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ٨٩.

(٨) السخاوي: الضوء اللامع، م ٥، ج ٩، ص ٨٦.

(٩) ابن حجر: إنباء الغمر، ج ١، ص ٢٨٥.

(١٠) الكازروني: (أحمد بن مسدد)، الخدائق الغوالي، ص ١٠٤.

وقد أنجب الشمس محمد ولدين هما محمد وعبد الرحمن^(١).

— أما الأول فهو محمد بن محمد بن صالح بن إسماعيل، والملقب بالشمس ابن الشمس الكناني المدني الشافعي، وهو أخو ناصر الدين بن عبد الرحمن، وهو كذلك سبط البدر عبد الله بن محمد ابن فرحون، وُلِدَ بالمدينة سنة (٧٧٠هـ/١٣٦٨م) ونشأ بها، وتعلّم القرآن والحديث، وكان ذا نباهة في الفقه وغيره مع خير وديانة، حجّ مراراً واعتمر، توفي بمكة في آخر المحرم سنة (٨١٤هـ/١٤١١م) ودفن بالمعلاة^(٢).

— وقد أنجب الشمس محمد بن محمد بن صالح ولداً هو تاج الدين عبد الوهاب بن محمد بن صالح وُلِدَ بالمدينة، وبها طلب العلم، وبرع في فنون، وتولى عدة وظائف، فتاب في الخطابة والإمامة والإفتاء، وصفه السخاوي بقوله: (كان خيراً صالحاً ساذجاً)^(٣)، توفي ليلة الخميس سادس عشر ذي الحجة سنة (٨٦٥هـ/١٤٦٠م) بمكة، وصلي عليه يوم صبح الخميس، ودفن بالمعلاة، وكان قد سافر إلى مصر ومعه كل من ولديه أبي الفرج، ومحمد سنة (٨٦١هـ/١٤٥٦م)، ففرق أبو الفرج، وأما أبوه وأخوه محمد فخرجا إلى مكة وهما متوعكان، فاستمر هذا حتى مات التاج عبد الوهاب في ليلة الخميس، وتأخرت وفاة ابنه محمد بعد ذلك أكثر من عشر سنوات^(٤)، وأما أخوه أبو الفرج فقد ذكره السخاوي في الضوء، وذكر له اشتغاله بالعلم قبل غرقه سنة (٨٦١هـ/١٤٥٦م) رحمهم الله^(٥).

(١) وقفت على ثالث قد يكون ابناً لمحمد بن إسماعيل، هو الشيخ شرف الدين بن صالح المدني أرخه ابن فهد و السخاوي وتوفي سنة (٨٥٩هـ/١٤٥٤م) بمكة. السخاوي: الضوء اللامع، ج ٦، ص ١١، ص ١٥٩. وله ابن يقال له عبد السلام العز المدني وآخر يقال له الكمال أبو البركات محمد وكلاً منهما يعرف بشرف الدين. السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٧٥. وأن عبد السلام وُلِدَ سنة (٨٤٦هـ/١٤٤٢م) بالمدينة وحفظ المغني في الفقه وأربعين النووي وسمع الحديث من فتح الدين بن صالح و السخاوي وتكرر دخوله لمصر طلباً للرزق ولم يتزوَّج مع صيانة كما قال السخاوي. المصدر السابق، ج ٢، ص ١٧٥. لكن ليس في ترجمة هؤلاء ما يشير إلى كونهم من الأسرة المذكورة وإلا لنص مترجمهم على ذلك، ولذا لم اعتمد ولداً للشمس محمد بن صالح بن إسماعيل سوى محمد وعبد الرحمن.

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٥، ص ٩، ص ٨٦.

(٣) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٢٢٤.

(٤) ابن فهد: معجم الشيوخ، ص ١٥٨؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج ٣، ص ٥، ص ١٠٩.

(٥) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٦، ص ١١، ص ١٢٧.

* وأما الابن الثاني للشمس محمد فهو عبد الرحمن بن محمد بن صالح بن إسماعيل، الملقب بناصر الدين، وزين الدين^(١)، ووجيه الدين^(٢)، ويكنى بأبي الفرج، ويعرف بابن صالح، وُلِدَ بالمدينة، ولم تذكر لنا المصادر تحديد تاريخ مولده، فقد بيض له ابن حجر ولم يذكره^(٣)، في حين لم يذكره الصيرفي، وابن تغري بردي، ولا ابن فهد، ولا السخاوي^(٤)، ويبدو أنه أَسَنَ من أخيه الشمس محمد، من حيث إنَّ محمداً ناب عنه، وأيضاً استقل عبد الرحمن بالقضاء في سنة (٧٩٢هـ/١٣٨٩م)، وكان لمحمد (٢٢ سنة)، فقد وُلِدَ سنة (٧٧٠هـ/١٣٦٨م) فمن المتوقع أن يكون عبد الرحمن أَسَنَ من ذلك، ولاسيما وقد ناب في القضاء قبل هذا التاريخ، فرمما يكون مولده في حدود سنة (٨٦٠هـ/١٤٥٥م) من حيث قد أجز في سنة (٨٦٥هـ/١٤٦٠م) من جماعة، والعادة أن يكون ذلك في سن الصبا.

نشأ عبد الرحمن بن محمد بن صالح بالمدينة، وبها طلب العلم، وتولى الوظائف، وقد وصفه ابن تغري بردي أنه من أعيان أهل المدينة، مشكور السيرة، عفيفاً، توفي في ليلة السبت سابع عشرين من صفر سنة (٨٢٦هـ/١٤٢٢م)، وصُلِّيَ عليه بالروضة المنيفة، ودفن بالبقيع.

وقد أنجب ناصر الدين عبد الرحمن عدداً من الأبناء ممن طلب العلم، واشتغل به، وهم: (محمد أبو الفتح، ومحمد الشمس، ومحمد التقي، ويحيى أبو زكريا، ومحمد أبو عبد الله الولوي، والجمال عبد الله)، وذلك سوى البنات^(٥).

— فأشهرهم هو أبو الفتح، وهو محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن صالح بن إسماعيل، الملقب بفتح الدين، والمكنى بأبي الفتح، ويعرف كأبيه بـ : (ابن صالح)، أو بـ : (أبي الفتح بن صالح)^(٦)، وُلِدَ في ليلة ثاني عشر ربيع الأول سنة (٧٩٩هـ/١٣٩٦م)

(١) الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، ج ٣، ص ٣٦؛ الجاسر: رسائل في تاريخ المدينة، ص ١٨٨.

(٢) المقرئ: درر العقود الفريدة، ج ٢، ص ٢٢٢.

(٣) ابن حجر: إنباء الغمر، ج ٣، ص ٣١٧.

(٤) بن فهد: معجم الشيوخ، ص ١٣١ - ١٣٢؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٤٩ - ١٥٠؛ الضوء

اللامع، ص ٥٢، ج ١٠، ص ٢٣١.

(٥) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ١٥، ص ١١٦.

(٦) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٥٣١ - ٥٣٢.

بالمدينة، ونشأ بها، وطلب العلم صغيراً وتعددت شيوخه، وولي القضاء والخطابة والإمامة، والنظر على المسجد النبوي وقد قدم القاهرة لأنه اهتم بالمواظاة على قتل أبي الفضل المراغي أخي أبي الفتح وأبي الفرج، وإذا علمنا أن أبا الفضل قتل في سنة (٨٤٣هـ/١٤٣٩م)، فيكون قدوم أبي الفتح للقاهرة بعد هذا التاريخ بقليل، وقد يكون ذلك في سنة (٨٤٤هـ/١٤٤٠م) حيث اعتزل القضاء وتركه لأخيه ولي الدين أبي عبد الله محمد^(١)، و التهمة كانت ساقطة؛ فإن قاتل المراغي كان شريفاً رافضياً، وكان الناس توسّموا أن يقوم القاضي بالتحرك ضد هذا الشريف، فلمّا لم يُقبض عليه سريعاً كانت هذه التهمة فيما يبدو، ولذلك توجه أبو الفتح إلى القاهرة، ثم لما هدأت الأمور رجع إلى المدينة، واستمر على وظائفه خلا القضاء حتى مات بالمدينة في ليلة رابع عشر جمادي الأول سنة (٨٦٠هـ/١٤٥٥م) وصُلّي عليه بعد صلاة الصبح بالروضة^(٢)، وقد وصفه عمر بن فهد بـ: (صاحبنا)^(٣)، وقال عنه السخاوي: "كان ذكياً، سديداً في قضائه، كريماً من دهاة العالم، ذا سمة حسن، وملقى جميل"^(٤)، وكان أبوه يقول عنه: "إنه ولد نفسه"^(٥).

ورزق أبو الفتح خمسة من الأبناء هم: (إبراهيم والزكي محمد والشمس محمد وصالح الدين محمد ومجد الدين محمد).

— أما الأول فهو إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن صالح، الملقب ببرهان الدين، ويعرف كذلك بابن صالح، وهو أحد الإخوة الخمسة وأكبرهم، إلا أن الأربعة أشقاء من أم أخرى، وُلد في آخر سنة (٨٢٩هـ/١٤٢٥م) بالمدينة، واشتغل بالعلم وبرع فيه، وتولّى الإمامة والخطابة، وقد طالت به الحياة إلى نهاية القرن التاسع، بل إلى أوائل القرن العاشر، فقد ضبط تاريخ رجوعه من القاهرة إلى المدينة في سنة (٨٩٧هـ/١٤٩١م) مشاركاً في الخطابة بالمسجد النبوي، وذكره السخاوي في سنة (٨٩٨هـ/١٣٩٥م)، وبلغه أمر خطابته بالمدينة في سنة (٨٩٩هـ/١٤٩٣م)، و ضبط له خطبة أخرى في سنة

(١) المصدر السابق، ج ٢، ص ٥١٦؛ الضوء اللامع، ج ٤، ص ٨، ص ٣٥.

(٢) المقرئ: درر العقود الفريدة، ج ٣، ص ٣٣٦.

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٤، ص ٨، ص ٣٥.

(٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٥١٥.

(٥) المصدر السابق، ج ٢، ص ٥٣.

(٩٠٢هـ/١٤٩٦م)، إلا أنه لم ينجب، ولذا كان يضع أخوته محل رعايته، فقد كان متولياً قضاء حوائج أخيه الزكي محمد وغيره بعد موت أبيهم، حتى أنه شخص إليهم من المدينة إلى مصر وقطع المسافة في تسعة أيام فقط^(١).

— وأخوه الزكي هو محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن صالح، زكي الدين بن فتح الدين ناصر الدين بن التقي الكنائي، يلقب بزكي الدين ويعرف بابن صالح، وُلد بالمدينة في رمضان سنة (٨٣٦هـ/١٤٣٢م)^(٢)، ونشأ بها، اجتمع فيه الكثير من الخصال الحسنة، فكان وجيهاً عظيم الهمة متودداً للغرباء، له فضل وإفضال^(٣)، اشتغل بالعلم، إلا أنه لم تطل حياته، إذ مات في السادسة والأربعين من عمره مقتولاً، فقد اغتيل في ليلة السبت ثالث عشر من ذي الحجة سنة (٨٨٢هـ/١٤٧٧م) عند باب المسجد النبوي على يد جماعة من أهل المدينة؛ لكونه حكم في الدار المأخوذة منهم، فقاموا عليه وبقروا بطنه بعد خروجه من المسجد النبوي لمنزله بعد العشاء^(٤)، وقد أرخ السخاوي لذلك بقوله: "وفاز بالشهادة ولم يلبث أن مات قاتله بعد مصيره عيرة بخراج طلع على قلبه، بل مات قبله بعض من عاونه في القتل وعمي آخر كان من رؤوسهم، وصار من سيء إلى أسوأ حال رحمه الله وعفى عنه"^(٥).

— وقد أنجب الزكي ذرية برز منهم محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن صالح^(٦)، وتلقب بناصر الدين، وتكنى بأبي الفضل، وأبي العز بن الزكي بن فتح الدين الكنائي المدني، ويعرف كذلك بابن صالح، نشأ في كنف أبيه وكان فطناً ذكياً جريئاً، له قدرة كما يقول السخاوي على الإلفات إليه مع صغر سنه، طلب العلم وتولّى

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٨٧؛ ج ٢، ص ١٩٢؛ الضوء اللامع، م ١، ج ١، ص ١٤٩.

(٢) المصدر السابق، م ٥٥، ج ٩، ص ١٠٢.

(٣) السخاوي: وجيز الكلام، ج ٣، ص ٨٨٤.

(٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٣١.

(٥) السخاوي: الضوء اللامع، م ٥٥، ج ٩، ص ١٠٣.

(٦) جاء في الضوء في نسبه أنه محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن صالح أي بزيادة (محمد) بن عبد الرحمن وصالح ولعله سبق فكان من الناسخ فإنه فتح الدين الكنائي هو محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن صالح كما تقدم وكذا كان هذا الخطأ في نسب أبي القاسم محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن صالح.

الوظائف^(١)، إلا أن الأشرف قايتباي^(٢) أمر بسجنه، وذلك بسبب مرافعة أحد أعمامه مع أهل المدينة في أبيه، ثم أطلقه من الغد، وتكررت محنه وتزايد فقره، وعزا السخاوي ذلك لعدم حسن تدبيره، ورثى له السخاوي فقال: "وصار إلى حاله كثر تألمي له بسببها، ولو وقف لكان أحد رؤوس بيته، وهو الآن بالمدينة بعد تشته عنها دهرأ أحسن الله من عاقبته"^(٣).

— والابن الثالث لأبي الفتح هو محمد الشمس بن محمد أبي الفتح بن عبد الرحمن ابن محمد بن صالح ذكره السخاوي في الضوء، وذكر أنه كان: شهماً، كريماً ساكناً، توفي عن بضع وأربعين سنة في صفر سنة (٨٩١هـ/١٤٨٦م)^(٤).

— وابنه الذي أشار له السخاوي هو محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن صالح، يكنى بأبي القسم^(٥).

— وأما الابن الرابع لأبي الفتح فهو من أشهر أبنائه تعلماً وتقليداً للوظائف، وهو محمد صلاح الدين بن أبي الفتح محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن صالح، الملقب بالصلاح، وصلاح الدين، وُلِدَ في سادس عشري رمضان سنة (٨٤١هـ/١٤٣٧م) بالمدينة، ونشأ بها، وطلب العلم، واتسعت علومه، ورحلاته العلمية، وأجازه شيوخه بالإقراء، والإفتاء، واشتغل بالقضاء والنظر وشارك في الإمامة والخطابة والتدريس، وُصِفَ بالتودد والعقل والاحتمال والتواضع رحمه الله^(٦).

(١) السخاوي: الضوء اللامع، م، ج ٩، ص ٢٢٦.

(٢) هو السلطان أبو النصر قايتباي الظاهري، بويغ بالسلطنة سنة (٨٧٢هـ/١٤٦٧م)، سار في الناس سيرة حميدة،

واجتهد في تعمير الحرمين، توفي سنة (٩٠١هـ/١٤٩٥م). الطبري: عبد القادر علي، الأراج المسكي في التاريخ

المكي وتراجم الملوك والخلفاء، تحقيق: أشرف أحمد الجمال، (ط ١)، (المكتبة التجارية، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م)،

ص ٢٧٩ - ٢٨٠.

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، م، ج ٩، ص ٢٢٦.

(٤) المصدر السابق، م، ج ٩، ص ١٠٤.

(٥) المصدر السابق، م، ج ٩، ص ٢٢٦؛ م، ج ١١، ص ١٣٨.

(٦) السخاوي: الضوء اللامع، م، ج ٩، ص ١٠٣.

— والابن الخامس لأبي الفتح بن صالح هو مجد الدين محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن صالح، وهو أخو الزكي، والشمس، والصلاح، وُلِدَ سنة (٨٥١هـ/١٤٤٧م) بالمدينة، وقد طلب العلم، وارتحل، وتولّى بعض الوظائف رحمه الله^(١).

— ولأبي الفتح محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن صالح ابنة أسماها (سعادة)، كانت متزوجة من الشيخ أحمد الحريري، ولما توفي زوجها تزوجها عثمان بن أبي بكر فخر الدين السنديسي المصري المقرئ المكتب نزيل طيبة^(٢).

كما له ابنة أخرى تزوجها الشمس عبد الوهاب بن أحمد بن زباله قاضي الينبوع فولدت له، ومات عنها، فتأيمت حتى ماتت في سنة (٨٨٧هـ/١٤٨٢م)، ودفنت بالبقيع، وشهد السخاوي الصلاة عليها ودفنها^(٣).

* وعودٌ على بدءٍ، فالابن الثاني لناصر الدين عبد الرحمن أبو الفرج هو محمد الشمس وهو محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن صالح، لم تسعنا المصادر بمولده، ولا سيرة حياته، ووفاته، إلا أن السخاوي ذكر أنه سمع على أبا الحسن المحلي بعض السيرة^(٤)، مما يشير إلى طلبة العلم في الجملة.

— والابن الثالث لناصر الدين عبد الرحمن هو محمد التقي، لم يزد السخاوي في ترجمته على قوله: (مقيم بالعجم)^(٥).

— والابن الرابع لناصر الدين عبد الرحمن هو يحيى بن عبد الرحمن بن محمد بن صالح بن إسماعيل، الملقب بالحيوي، والمكثي بأبي زكريا، وهو أخو فتح الدين، ويعرف كذلك بابن صالح، وقد وُلِدَ سنة (٧٧٦هـ/١٣٧٤م) تقريباً بالمدينة ونشأ بها، وطلب العلم وسمعه، وتولّى الوظائف بالمدينة، وتأخرت وفاته، فقد عمّر إلى ما بعد السبعين من عمره، إلا أن السخاوي ذكر أن ثم من أرخ وفاته في سنة (٨٣٨هـ/١٤٣٤م) وغلّط ذلك^(٦).

(١) المصدر السابق، ٥م، ج ٩، ص ١٠٤.

(٢) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٢٤١.

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٦، ص ١٢، ص ١٦٤.

(٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٥١٥.

(٥) المصدر السابق، ج ٢، ص ٥١٦.

(٦) السخاوي: الضوء اللامع، ٥م، ج ١٠، ص ٢٣١.

— والابن الخامس لناصر الدين عبد الرحمن هو محمد ولي الدين أبو عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن صالح بن إسماعيل، وقد طلب العلم، وشارك في القضاء والإمامة، وتوفي سنة (٨٧٤هـ/١٤٦٩م)^(١).

— وقد أنجب ولي الدين أبو عبد الله محمد ولدًا أسماه على اسم أبيه (عبد الرحمن) وهو عبد الرحمن بن القاضي أبي عبد الله محمد بن القاضي ناصر الدين عبد الرحمن بن محمد بن صالح بن إسماعيل، وقد طلب العلم، وارتحل وجال الإسفار، إلا أن السخاوي لمزه بأنه لم يكن محموداً^(٢)، ولا ندرى ما سبب ذلك أيضاً، وماذا أراد السخاوي بقوله (لم يكن محموداً)، فإنه ذكر في التحفة ترجمته وقال أيضاً: "ويقال إنه غير محمود الطريقة"^(٣)، فهذا يشير إلى نوع من التضعيف لهذا القول لاستخدامه صيغة (يُقال)، وإن كان جزم بها في الضوء ولاسيما وقد ناب في القضاء والإمامة عن بني عمه، فلو كان مجروحاً لما أقرَّ على هذه النيابة، وقد توفي عبد الرحمن هذا في سنة (٨٩١هـ/١٤٨٦م)، وترك أولاداً ذكر السخاوي منهم تقي الدين محمد، ومعين الدين، ومعين الدين هذا ممن طلب العلم وقرأ بالروضة، وسمع من السخاوي^(٤).

ولعبد الرحمن أيضاً ابن أسماه (عنايات) ذكره السخاوي، ولم يذكر له طلباً للعلم، ولم يزد على كونه شقيقاً لمعين الدين وتقي الدين، كما لعبد الرحمن أيضاً شقيقتان تزوج بإحدهما قاسم الغزي ومات عنها، وترك أولاده منها، فخلفه عليها عبد الله الفاكهي، والأخرى واسمها ست الحسن، تزوج بها الجمال محمد بن عبد العزيز الفيومي، واستولدها زين الحرمين، وفارقها، ورجع لبلده مصر، فتزوجها مملوك ابن عمها إبراهيم بن صالح واستولدها^(٥).

— وأما الابن السادس لناصر الدين فهو عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن صالح بن إسماعيل القاضي زين الدين وناصر الدين أبي الفرج بن الشيخ تقي الدين محمد بن صالح

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٥١٥-٥١٦.

(٢) المصدر السابق، ج ٢، ص ١٥١؛ الضوء اللامع، ج ٢، ص ٤، ج ١٣٣.

(٣) المصدر السابق، ج ٢، ص ٤، ج ١٣٣.

(٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٥١٦؛ الضوء اللامع، ج ٢، ص ٤، ج ٨، ص ٣٦.

(٥) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٥١، ص ٥٢٣.

أخو القاضي فتح الدين، الملقب بعفيف الدين، وجمال الدين، ويعرف أيضاً بـ: (ابن صالح)، وُلِدَ سنة (٧٩٨هـ/١٣٩٥م)، أي قبل فتح الدين بعام، وله سماع للعلم، وأجاز له جملة من العلماء، وقد عمّر العفيف طويلاً جاوز الثمانين، وتوفي ليلة سادس شوال سنة (٨٨٤هـ/١٤٧٩م)، وصلي عليه صبيحتها ودفن بالبقيع^(١).

— وأنجب جمال الدين ابناً هو محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن صالح بن إسماعيل الملقب بالكمال والمكنى بأبي الفضل وهو ابن عم الشيخ محمد بن فتح الدين، كان فاضلاً، اشتغل بالعلم، مات سنة (٨٩١هـ/١٤٨٦م) وقد وقع في ترجمته في الكنى في الضوء اللامع أنه أبو الفضل بن القاضي عبد الله^(٢)، والغالب أن هذا من الخطأ، فإن القاضي هو أبو عبد الله محمد ولم يتولّ الجمال عبد الله القضاء.

وقد وقع هذا الخطأ أيضاً لما ترجم لزين الدين ابنه، فقد قال: زين الدين بن أبي الفضل القاضي عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح، ولم يزد في ترجمته على قوله: (ممن سمع مني بها)^(٣)، أي بالمدينة.

أسرة الكازروني:

يُعَدُّ الشيخ محمد بن روزبة بن محمود بن إبراهيم بن أحمد الشمس أبي الأيادي بن الجمال أبي الشاء الكازروني المدني (ت ٧٥١هـ/١٣٦٢م) الشافعي هو مؤسس هذه الأسرة المدنية، كان معروفاً بالصلاح والزهد، سكن رباط "الششتري"، صرف الكثير من وقته في أوجه الخير كإعمار وإنشاء الأربطة^(٤)، كما وُصِفَ بسعة الخلق، وطول الصبر، وحسن العشرة، وطيب النفس في الإنفاق، وحسن الظن بالرفاق، لا يردُّ من أراد منه قرضاً أو معاملة، "يعامل الناس على حسب أخلاقهم، لا يضيق على غريم، وكان كثير من ماله لدى الفقراء، لا يردون الدين، ومع ذلك يُقرضهم ويُعطيه، وإذا عُوقب قال: ما بقي إليّ جاء

(١) المصدر السابق، ج ٢، ص ٥٢-٥٣.

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٦، ص ١١، ج ١١، ص ١٢٩.

(٣) المصدر السابق، ج ٦، ص ١١، ص ١٥٨.

(٤) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ١١٣-١١٤.

في الدنيا وإلا فهو لي في الآخرة" (١)، وقد بقي هذا الخير في أولاده، فأحفظه الله تعالى في ذريته، توفي في شوال سنة (٧٥١هـ/١٣٦٢م) (٢).

وقد رُزق الشيخ محمد بن روزبة أربعة من الأبناء (٣) هم عبد الله ومحمد التقي والصفى أحمد والعز عبد السلام.

* أما عبد الله فقد نشأ بالمدينة وسمع الحديث بها، ولم تسعفنا المصادر عن سنة وفاته إلا أنه كان حياً سنة (٧٩٧هـ/١٣٩٤م)، حيث كان هذا تاريخاً لسماع له (٤)، وقد أنجب عبد الله ولدين هما:

— أبو العطاء أحمد وأبو الهناء محمد، وقد وُلد كل منهما في سنة (٧٦٦هـ/١٣٦٤م) (٥).

— وجاء في المصادر اسم جمال الدين محمد بن عبد الله الكازروني قاضي المدينة في عهد إمرة جمار بن هبة (٦) الله في سنة (٨١٢هـ/١٤٠٩م) (٧)، ويحتمل أن يكون هو أبو الهناء سالف الذكر، وقد يكون أيضاً البهاء محمد بن عبد الله الكازروني (٨).

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤٧٥.

(٢) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ١١٤.

(٣) ذكر السخاوي في التحفة أن أبناء محمد بن روزبة أربعة، والأصل اشتباه أن (التقي محمد بن محمد بن روزبة) مع حفيد لعبد السلام بنفس الاسم واسم الأب واللقب والكنية اختلطت بعض التراجم، لكن نص السخاوي هذا يزيل الإشكال والحمد لله.

(٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٨٠.

(٥) المصدر السابق، ج ١، ص ١١٧، ج ٢، ص ٥٠٢.

(٦) جمار بن هبة بن جمار بن منصور، الحسيني، ولي إمرة المدينة سنة (٧٨٣هـ/١٣٨١م)، وحصل خلاف بينه وبين نعيم بن منصور، ولي المدينة ثلاث مرات، آخرها في سنة (٨٠٥هـ/١٤٠٢م) قتل في سنة (٨١٢هـ/١٤٠٩م).

المصدر السابق، ج ١، ص ٢٤٧.

(٧) المقرئ: السلوك، ج ٤، ق ١، ص ١٠٦؛ عبد الغني: تاريخ أمراء المدينة المنورة، ص ٢٨٨.

(٨) الشماخ: القيس الحاوي، ج ٢، ص ٧٦-٧٨.

وقد ترجمه السخاوي، وذكر أن ثمة خطأ في اسمه، وكان القاضي في سنة (٨١٢هـ/١٤٠٩م)، هو جمال الدين محمد بن أحمد بن محمد بن روزبة وليس محمد بن عبد الله كما سيأتي في ترجمة الجمال^(١).

* والابن الثاني للشيخ محمد بن روزبة هو محمد التقي، وقد اشتهر بالعلم من ذريته أبناء ابنه أبي الهدى وهم: محمد وعبد الرحيم وأبو البركات وعبد الرحمن.

— فمحمد هو ابن أبي الهدى بن محمد بن تقي الكازروني، ذكره السخاوي في الضوء^(٢)، وأخوه عبد الرحيم بن أبي الهدى ذكره السخاوي في التحفة ولم يطل في ترجمتهما^(٣).

وأبو البركات بن أبي الهدى ذكره السخاوي في الضوء، لكن ثمة خلط في اسمه، فقد جعله ابنًا لعبد الوهاب وليس والدًا له، وهو يتناقض مع كونه سمع على الزين المراغي في سنة (٨١٥هـ/١٤١٢م)، فهو يؤكد أنه والده وليس ابنه، وقد ساق نسبه هكذا: "أبو البركات بن عبد الوهاب بن أبي البركات بن أبي الهدى بن محمد بن تقي الكازروني"^(٤) و الصواب: (أبو البركات أبو عبد الوهاب وهو أبو البركات بن أبي الهدى بن محمد تقي الكازروني).

والابن الرابع لأبي الهدى هو عبد الرحمن، وقد ورد اسمه في الترجمة القصيرة لعبد الرحيم بن أبي الهدى في الضوء، إذ قال السخاوي: "أخو عبد الرحمن"^(٥).

وإنما المشهور من هذه الأسرة باسم عبد الرحمن هو الشيخ الصالح الزين عبد الرحمن بن أبي البركات بن أبي الهدى (ت ٨٩١هـ/١٤٨٦م)، وهو ابن أخي عبد الرحيم، وليس أخاه، وهو عم عبد الله بن عبد الوهاب^(٦).

وآخر من ظهر من هذا الفرع لهذه الأسرة كان ابن أخي عبد الرحمن آنف الذكر، وهو الشيخ عبد الله بن عبد الوهاب بن أبي البركات بن محمد أبي الهدى بن التقي بن محمد

(١) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٨، ص ١١٨.

(٢) المصدر السابق، ٥م، ج ١٠، ص ٦٩.

(٣) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٧٠؛ المصدر السابق، ٢م، ج ٤، ص ١٩٠.

(٤) المصدر السابق، ٣م، ج ٦، ص ٦.

(٥) المصدر السابق، ٢م، ج ٤، ص ١٩٠.

(٦) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١١٨.

بن روزبة الكازروني وُلِدَ في سنة (٨٦٢هـ/١٤٥٧م) بالمدينة، وذكر السخاوي أنه كان حياً في سنة (٨٩٨هـ/١٤٩٢م) بالقاهرة، وكان يعرف بابن الهدى، ويلقب أيضاً بعفيف الدين.

وجمال الدين أبو محمد ابن التاج الكازروني^(١)، وصفه السخاوي بـ: "الشيخ الفاضل، البارع، الكامل، الوجيه، النبيه، الأصل ... المشتغل، المحصل، نخبة أقرانه، وتحفة إخوانه...، المرتضي الرضي، الرحال في طلب الفوائد والأقوال لما يتنفس به الصادر والوارد والمجتهد في التحصيل، والممهد لنفسه ما لا ينسب معه إلى التعطيل الفقيه الوجيه النبيل الأصل"^(٢)، ووصفه في الضوء بأنه: "ممن له همة في التحصيل مع لطف عشرة وعقل"^(٣).

* أما الابن الثالث لمحمد بن روزبة فهو الصفي أحمد أبو العباس، رُزِقَ ذرية من النجباء، ظهر منهم الكثير من العلماء، ولاسيما أشهر علماء هذه الأسرة الجمال محمد بن أحمد، وكان ذلك فيما يظهر لصلاحه وتقواه.

— فالصفي هو أحمد بن محمد بن محمود بن إبراهيم بن أحمد، يُكنى بأبي العباس ويُلقب بالصفي، وُلِدَ سنة (٧٣٣هـ/١٣٣٢م) ونشأ نشأة صالحة، فكان يحضر مجالس الوعظ ويكثر البكاء والانتحاب، بحيث يتعجب من صدور مثل ذلك من صبي في سن صغيرة لا تتجاوز السابعة، ومع هذه التنشئة الصالحة، فاق الصفي جميع أسرة الكازروني في الاشتغال بالعبادة وفي الحرص على الوقت مع المراقبة والمحاسبة للنفس، فقد كان فرداً في معناه كما قال السخاوي^(٤)، ترجم له أخوه — عبد السلام — وهو أصغر منه سناً بأربع سنوات فقط، إلا أنه قال عنه: "أخي، وسيدي، وشيخي، الإمام، العالم، العامل، العلامة، المحقق، المتقن، المدقق، الحبر، المفيد، ذو النظائر الحميدة والعلوم العديدة، شيخ وقته، وفريد بلده، العابد، الناسك، الورع، السالك الخاشع، المتقن، الرباني"^(٥).

(١) السخاوي: الضوء اللامع، ٣م، ج ٥، ص ٣١.

(٢) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ٥٧.

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، ٣م، ج ٥، ص ٣١-٣٢.

(٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ١٣٦-١٣٧.

(٥) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١٣٨.

وقال عنه ابن فرحون: "نال الدرجة العليا في الصلاح، والدين، والعلم المتين، وكان لي كالولد البار، تغمده الله برحمته، فما كان أحسن خصاله الحميدة، وأخلاقه السعيدة وآرائه الرشيدة"^(١)، وكانت أوقاته كلها مشحونة بالعبادة، والمطالعة، والإقراء، والتلاوة، مع المراقبة، والتوجيه، وبذل النصيحة، وأتباع الكتاب والسنة، وقد صاهر الصفي أبا الفرج المراغي فتزوج ابنته^(٢)، وكان نومه خفيفاً، ينام قبل الظهر نومه خفيفة، وساعة بعد العصر، وبعض الليل، وهو دائم التهجد، ملازماً لقراءة القرآن، كان يختمه أولاً في كل جمعة، ثم صار يختمه في كل ثلاثة أيام، كما كان صوماً، يصوم يوماً ويفطر يوماً، متقللاً في الطعام والشراب، ومن قوته على العبادة أنه كان يُدبم التهجد، فإذا أصبح جعل يذكر الله بعد صلاة الصبح حتى ترتفع الشمس، ثم يبدأ يومه بالصلاة، فيصلّي الإشراق، كما كان دائم الاستخارة في كل ما يعرض له، فيصلّي الاستخارة ويصلي ركعتين بعدها، ثم يجلس للتعليم بعدها ويصلي الضحى، ويستمر في التلقين والتعلم حتى يصلي العشاء، فيكون آخر الناس خروجاً من المسجد بعد العشاء، ومن قوته على العبادة أنه كتب بخطه: "عقدت مع الله أن لا أكذب متعمداً، إلا فيما فيه صلاح في الدين، وأن لا أسأل غير الله تعالى شيئاً من الدنيا لنفسى، وأن أَرْضَى بحكم الله، وأن أحتمل الأذى لأجله، إلا في معصية، وأن أزهد في الدنيا بأن أترك السعي في طلبها، ولا آخذ منها إلا ما يكفي، وأن لا أطلب بعلمي وعملي غير وجه الله ورضاه، قال عاهدته على ترك قبح المعاصي الباطنة والظاهرة، ومنه التوفيق لذلك"^(٣).

ومع هذه الهمة العالية لم يترك الحج مطلقاً، فكان يحجُّ كل عام إلا سنة وفاته لانشغاله بالمرض الذي يعجز معه عنه، والذي استمر به حتى الوفاة، والذي دام قريب الشهرين، فقد ابتداء مرضه في العشرين من ذي القعدة سنة (٧٦٣هـ/١٣٦١م)، وتوفي في نصف ليلة الأحد رابع عشر المحرم في سنة (٧٦٤هـ/١٣٦٢م)، ودفن بالبقيع. وعلى الرغم من وفاته صغيراً، إلا أن هذا الأمر كان يشعر به منذ الصغر، ولذلك كان كثيراً ما يذكر الموت، ومن نظمه في ذلك:

(١) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ١١٤.

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٢، ص ١٢٥-١٢٦.

(٣) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١٣٦-١٣٧.

حدا الحادي بنا نحو المقابر
وظلت خوفها رهناً وأمت
وقامت بعد ذلك مسرعات
فيالك من دواة مفضعات
فمالت نحوه جمع العشائر
إلى يوم التنادي والمعاذر
إلى درك الجحيم أو الحظائر
أيهنأ العيش مع هذه الدوائر؟

وكان يقول وهو قابض على لحيته: واعجباً لمن يبلغ الثلاثين كيف يهنأ له العيش؟ يريد نفسه، وقد مات وهو ابن إحدى وثلاثين سنة، وقد شهد جنازته جميع أهل المدينة وتأسفوا بأجمعهم عليه رحمه الله تعالى^(١).

وقد أنجب الصفي ولدين هما أحمد الشهاب ومحمد الجمال.

فأما الأول فهو أحمد بن أحمد بن محمد بن روزبة الشهاب أبو الطيب الصفي أبي العباس الكازروني المدني وُلِدَ في سنة (٧٦٣هـ/١٣٦١م)، أي قبل وفاة أبيه بقليل، وقد اشتغل بالعلم، وقد أنجب ولداً أسماه باسمه، واسم أبيه فهو أحمد ابن أحمد شهاب الدين الكازروني ممن اشتغل بالعلم أيضاً^(٢).

— وأما الابن الثاني للصفي فهو عالم هذه الأسرة، وعالم المدينة قاضي القضاة محمد بن أحمد بن محمود بن إبراهيم بن أحمد (ابن روزبة) الكازروني، أسنّ من أخيه أحمد بست سنوات، فقد وُلِدَ في ليلة الجمعة سابع عشر ذي القعدة سنة (٧٥٧هـ/١٣٥٦م) بالمدينة، ونشأ بها، وأمه هي ابنة العالم المشهور أبي الفرج المراغي، فكان الجمال سبطاً له^(٣)، وقد تلقب بالجمال، وهي أشهر ألقابه، وله لقب المحب، والشمس، ويكنى بأبي عبد الله، وأبي البركات^(٤)، وجمع وتفقه حتى صار كما يقول ابن فهد فقيه المدينة وعالمها وانتهت إليه رئاسة العلم بها، ولم يبق هناك من يقارنه^(٥)، ووصف أيضاً بأنه: (إماماً، عالماً، فقيهاً، متفناً)^(٦).

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١٣٨.

(٢) المصدر السابق، ج ١، ص ٩٧.

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٢، ص ١٢٥-١٢٦.

(٤) الشماخ: القبس الحاوي، ج ٢، ص ١٣٠-١٣١.

(٥) ابن فهد: معجم الشيوخ، ص ٢١٨؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٧، ص ٢٤٧.

(٦) ابن فهد: معجم الشيوخ، ص ٢١٨.

وكان طلبه للعلم وهو يافع، مع الذكاء والحرص، ولذا لما قرأ على الجلال الخجندي وسأله في فضل كثرة الصلاة على النبي ﷺ كتب له الجلال الخجندي بالإجازة بما ووصفه بـ: "الولد الرشيد، صاحب الهدى السديد، الشاب الفاضل، شمس الدين، أصلح الله شأنه، وصانه عما شأنه"^(١).

وقد عرف عن الجمال الكازروني الاجتهاد في العبادة، والحرص على التهجّد، لم يضبط عنه في سفر ولا حضر إلا ليلة مرض موته^(٢)، شأنه شأن ابن الصفي، وإن كان الجمال لم يدرك أباه إلا في سن الطفولة، فقد كانت سنه لا تتجاوز السابعة يوم وفاته إلا أنه سلك سبيله، حتى صار فقيه المدينة وقاضيهما وتصدّى للإقراء والإفتاء والتحديث، حتى قال عنه الزين المراغي أنه قام عنا فيها (أي المدينة) بفرض الكفاية والإقبال على الإقراء وشغل الطلبة، كفله بعد موت والده العز عبد السلام، وصار يهتم بتعليمه حتى فاق أقرانه^(٣)، وقال عنه المقرئزي: "صحبتة زماناً ونعم الرجل رحمه الله"^(٤)، وقال الصيرفي: "كان بارعاً في الفقه والأصول وغيرهما من العلوم"^(٥)، ونحو ذلك قال ابن تغري بردي^(٦)، وقال السخاوي: "وقد درّس وحدّث وأفتى وانتفع به الفضلاء وأكثر الآخذين عنه من أهل بلده والقادمين إليها، ولا تخلو المدينة إلى الآن ممن سمع عليه، وأما من أجاز لهم، فكثرت جداً"^(٧) وأذن له البلقيني^(٨) وغيره في الإفتاء

(١) السخاوي: الضوء اللامع، م ٤، ج ٧، ص ٦٩.

(٢) الشماع: القبس الخاوي، ج ٢، ص ١٣٠-١٣١.

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، م ٤، ج ٧، ص ٩٦-٩٧.

(٤) المقرئزي: درر العقود الفريدة، ج ٣، ص ١٢٩.

(٥) الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، ج ٤، ص ١٨٥-١٨٦.

(٦) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ١٥، ص ٤٨٠.

(٧) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤٢٣-٤٢٤.

(٨) هو عمر بن رسلان البلقيني الشافعي، من علماء مصر وفقهائها، له العديد من المصنفات في علوم شتى كالفقه

والحديث، توفي بالقاهرة، سنة (٨٠٥هـ/١٤٠٢م). ابن قاضي شعبة: طبقات الشافعية، ج ٢، ص ٣٦٥؛

المنوفي: أحمد بن محمد بن محمد بن عبد السلام، البدر الطالع من الضوء اللامع لأهل القرن التاسع،

(مخطوط بمكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة، رقم ٩٠٠/٢٨)، ق ٦٧.

والتدريس، وقد توفي بالمدينة في ١٢/شوال سنة (٨٤٣هـ/١٤٣٩م)، وصُلِّي عليه بالروضة الشريفة، ودفن بالبقيع^(١).

وقد أنجب الجمال عدداً من الأولاد ممن اشتغل بالعلم وفاق فيه وبرع على درب أبيه وجده.

— فمن أبنائه: عمر بن محمد بن أحمد بن محمد بن محمود بن إبراهيم بن أحمد (ابن روزبة)، السراج أبو حفص بن الجمال أبي عبد الله الكازروني، وُلِدَ بالمدينة سنة (٧٩٣هـ/١٣٩٠م)، ونشأ وتوفي بها، سكن رباط الششتري كجده، وحجَّ أزيد من ثلاثين حجة، اعتنى به أبوه من صغره فأسمعه الحديث وهو ابن أربع سنين أي في سنة (٧٩٧هـ/١٣٩٤م)، وصف بأنه كان: "خيراً ساكناً"^(٢)، رجع من رحلاته العلمية إلى المدينة في سنة (٨٦٥هـ/١٤٦٠م) فمات بها فجأة^(٣).

— وقد خلف الشيخ عمر من بعده: علي بن عمر بن محمد بن أحمد بن محمد بن محمود النور ابن السراج بن الجمال الكازروني، وقد وُلِدَ قبل موت أبيه بنصف سنة في سنة (٨٦٥هـ/١٤٦٠م)، فنشأ يتيماً، لكنه اشتغل بالعلم صغيراً وحَبَّبَ إليه تلاوة القرآن فدام عليها ولازمها قبل موته، وقد توفي شاباً في الرابعة والعشرين من عمره سنة (٨٨٨هـ/١٤٨٣م) إذ مرض بذات الجنب أياماً ثم مات^(٤).

— ومن ذرية الجمال أيضاً ابنته التي تزوجت من عبد الكافي الشامي، فولدت له أبو البركات بن عبد الكافي سبط الجمال الكازروني، وهو ممن اشتغل بالعلم أيضاً^(٥).

— أما أشهر أبناء الجمال الكازروني فهو الشيخ المحدث الفقيه ناصر الدين أبو الفرج محمد بن الجمال محمد بن أحمد الصفي بن محمد بن روزبة الكازروني، ويعرف بابن الكازروني^(٦).

(١) ابن فهد: معجم الشيوخ، ص ٢١٧؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤٣٤ - ٤٣٥.

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٣، ص ٦٦؛ الشماخ: القبس الخاوي، ج ٢، ص ٢٢.

(٣) ابن فهد: معجم الشيوخ، ص ١٩٠؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٣٥٨.

(٤) المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٨٩ - ٢٩٠.

(٥) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٦، ص ١١، ص ٦.

(٦) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٥، ص ٩، ص ٤٤.

وُلِدَ في ليلة الثلاثاء سابع ربيع الأول سنة (٧٩٥هـ/١٣٩٢م)، فهو بذلك يصغر أخاه عمر بستين، وقد وُلِدَ بالمدينة وبها نشأ وبها مات، اشتغل منذ صباه بالعلم، فقد أحضره أبوه لسماع في الرابعة من عمره سنة (٧٩٩هـ/١٣٩٦م)^(١)، وقد بلغ من العلم مبلغاً كبيراً، وحصل من الفنون شيئاً كثيراً، حتى لقد وصفه النجم السكاكيني بـ: "جوهرة العلماء، ودرة الفضلاء، لسان العرب، وترجمان الأدب، الأفضل، الأجد"، اشتغل عليه الطلاب، ورحلوا للسماع عليه وأخذ الإجازة منه، توفي في ذي الحجة سنة (٨٦٧هـ/١٤٦٢م)، ودفن بالبقيع رحمه الله^(٢).

وقد رزقه الله سبحانه البركة في أولاده فاشتغلوا بالعلم، وقد وقفت له على ثمانية من أولاده ممن كان له تعلق بالعلم والسماع والتعليم وهم: (أحمد، وعبد العزيز، وعلي، وعبد السلام الأول، وعبد السلام الثاني، وأبو زرعة، ومحمد الشمس، ومحمد أبو السعادات) رحمهم الله تعالى.

— فأما أحمد فهو الشهاب أبو العباس أحمد بن ناصر الدين أبي الفرج محمد بن الجمال محمد بن أحمد الصفي بن محمد بن روزبة الكازروني المدني الشافعي^(٣)، وُلِدَ ليلة رابع صفر سنة (٨٢٧هـ/١٤٢٣م) بالمدينة ونشأ بها، واشتغل بالعلم، وحصل شيئاً كثيراً إلا أنه مات شاباً شهيداً، فقد نفخ عليه ثعبان في رجله وهو بالفقير - حديقة بعوالي المدينة - فحمل إلى بيته، فأقام أكثر من شهر، ثم مات سنة (٨٦٣هـ/١٤٥٨م) رحمه الله^(٤).

— وقد خلف ابنه محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن محمد الكازروني، وُلِدَ بعد وفاة أبيه سنة (٨٦٤هـ/١٤٥٩م)^(٥)، فلم يتسنَّ لأبيه رؤيته، وقيل بل وُلِدَ سنة

(١) ابن فهد: معجم الشيوخ، ص ٢٦١.

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، ٥م، ج ٩، ص ٤٤.

(٣) المصدر السابق، ١م، ج ٢، ص ١٧٠.

(٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١٤٤.

(٥) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١٠٣؛ الضوء اللامع، ٤م، ج ٧، ص ٨٢.

(٨٦٣هـ/١٤٥٨م) أي في السنة التي مات فيها أبوه^(١)، ولم أعثر على سنة وفاته، إلا أن السخاوي ذكر أنه سمع منه بالمدينة^(٢).

— والابن الثاني لناصر الدين هو عبد العزيز بن محمد بن محمد بن أحمد بن محمد، ويلقب بالعز بن ناصر الدين أبي الفرج بن الجمال الكازروني، ترجم له السخاوي أيضاً ترجمة مختصرة وذكر اشتغاله بالعلم^(٣).

— والابن الثالث لناصر الدين هو النور، نور الدين علي بن ناصر الدين أبي الفرج بن الجمال محمد بن أحمد بن محمد الكازروني المدني، وهو أصغر من عبد السلام أخيه، وُلِدَ سنة (٨٦٥هـ/١٤٦٠م)^(٤)، وصف بأنه كان: "ذكياً، فطناً، حسن الخط، والعقل"^(٥)، وقد أثنى عليه السخاوي وكتب له الإجازة بأنه: "الشيخ، الفاضل، الكامل، الأوحد، المسدّد، الأصيل، النبيل، المشتغل، المحصد، البارع، الفارع، كنز المدرسين، مجيد المسطر ببيانه"، وقد مات شاباً يوم الخميس رابع شعبان سنة (٨٩٢هـ/١٤٨٦م)، وهو ابن سبع وعشرين سنة، لذا ختم السخاوي ترجمته بقوله: "عوّضه الله الجنة"^(٦).

— والابن الرابع لناصر الدين الكازروني هو عبد السلام الأول بن محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن روزبة، ويُلقب أيضاً بالعز أبو السرور بن ناصر الدين أبي الفرج بن الجمال الكازروني^(٧)، وأمه هي أم الحسين بنت عبد السلام بن أحمد بن مقبل المريسي، وُلِدَ سنة (٨٢٨هـ/١٤٢٤م) بالمدينة، ونشأ بها، واشتغل بالعلم، إلا أنه توفي شاباً أيضاً في الثلاثين عاماً سنة (٨٥٨هـ/١٤٥٤م)^(٨).

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤٣٦.

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، م ٤، ج ٧، ص ٩٣.

(٣) المصدر السابق، م ٢، ج ٤، ص ٢٣٠.

(٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٢٩٨؛ المصدر السابق، م ٣، ج ٦، ص ٨.

(٥) السخاوي: وجيز الكلام، ج ٣، ص ١٠٢٠.

(٦) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٢٩٨.

(٧) السخاوي: الضوء اللامع، م ٢، ج ٤، ص ٢٠٧.

(٨) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٧٠، ١٧٤.

— وقد عوَّض الله ناصر الدين الكازروني خيراً، فوُلد له في أخريات حياته ذكراً أسماه عبد السلام الثاني، ولقبه بالعز، وهو الابن الخامس له، وكان ذلك في سنة (٨٦٤هـ/١٤٥٩م) أي بعد وفاة عبد السلام الأول بست سنوات، أي كان بين مولديهما ما يزيد على ثلث قرن، وقد اشتغل بالعلم أيضاً، وأدرك أباه، فسمع منه وهو في الرابعة من عمره في سنة وفاة أبيه سنة (٨٦٧هـ/١٤٦٢م)، فأكسبه ذلك حباً في العلم، فاشتغل به وفاق أقرانه، ولم تحدّد لنا المصادر سنة وفاته، إلا أنه سمع بمكة في سنة (٨٩٤هـ/١٤٨٨م) على السخاوي، وقد وصفه السخاوي بأنه: "ممن اشتهر بين أهله وعشيرته صلاحه، وذكر على الألسنة الزكية فلاحه، بقية العلماء العاملين وثقة الأئمة المدرسين،...، الشيخ الأصيل، النبيل، البارع الماهر الباهر"^(١).

— والابن السادس لناصر الدين الكازروني هو أبو زرعة بن أبي الفرج ناصر الدين محمد بن الجمال بن محمد بن أحمد بن محمد الكازروني، وُلد في ليلة مستهل رجب سنة (٨٣٣هـ/١٤٢٩م)، اشتغل بالعلم، إلا أنه مات شاباً في حياة أبيه في سنة (٨٦٤هـ/١٤٥٩م)^(٢)، أي في العام الذي وُلد فيه أخوه عبد السلام.

— والابن السابع لناصر الدين هو محمد الشمس بن ناصر الدين محمد الجمال محمد بن أحمد بن محمد الكازروني، وُلد سنة (٨٦٢هـ/١٤٥٧م)، أي قبل وفاة والده بخمس سنوات، واشتغل بالعلم أيضاً^(٣).

— والابن الثامن لناصر الدين هو أبو السعادات محمد بن ناصر الدين أبي الفرج محمد بن الجمال بن محمد بن أحمد بن محمد الكازروني، ويلقب بالجلال، والمجد، وُلد في المحرم سنة (٨١٩هـ/١٤١٦م) بالمدينة، وبها نشأ، اشتغل بالعلم على أبيه وجده وجماعة حتى صار عالماً مقصوداً، وتزوَّج فاطمة بنت ناصر الدين أبو الفرج المراغي، فولدت له محمد، وقد توفي في حياة أبيه قبل وفاة أبيه بيسير سنة (٨٦٧هـ/١٤٦٢م)^(٤).

(١) المصدر السابق، ج ٢، ص ١٧٥.

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٦، ص ١١١.

(٣) المصدر السابق، ج ٥، ص ١٩٨.

(٤) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٥، ص ١٩٧-١٩٨؛ ج ٦، ص ١٢، ص ١٠٢.

— وابنه هو محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن محمد الكازروني، أبو عبد الله ابن الجلال أبي السعادات بن ناصر الدين أبي الفرج، سبط أبي الفرج المراغي وزوج أمه هو السيد السمهودي، وُلِدَ سنة (٨٦٣هـ/١٤٥٨م) بطيبة، ونشأ بها، كان فاضل، فهِم، ثقة، كثير التحري في قراءته وسماعه، ولم تذكر المصادر لنا وفاته، إلا أنه كان حياً سنة (٨٩٨هـ/١٤٩٢م)^(١).

ونلاحظ أن أكثر أبناء ناصر الدين أبي الفرج قد ماتوا شباباً أو في حياة أبيهم، وهذا مما أُتِبلِي به ناصر الدين، ورفع درجة، فقد ورد في الحديث ((ما من مسلم يقدم ثلاثة من الولد إلا كانوا له شفعاء يوم القيامة))^(٢) رحمهم الله تعالى، ولا ننسى أن جدّهم الأعلى الصفي أحمد بن محمد بن روزبة مات في الحادية والثلاثين، وكان يقول قبل موته: "واعجباً لمن يبلغ الثلاثين كيف يهنأ له العيش"^(٣).

— وقد ذكرت التواريخ لناصر الدين أبي الفرج ابنة أيضاً هي فاطمة بنت أبي الفرج ناصر الدين، تزوجها ابن عم أبيها مسدد بن محمد بن عبد العزيز بن عبد السلام بن محمد بن روزبة، فهي والدّة بني مسدد، كما سيأتي في عرض أبناء العز عبد السلام بن محمد بن روزبة^(٤).

ويعد محمد بن الجلال أبي السعادات هو آخر ذرية الصفي أحمد في العهد المملوكي رحمهم الله أجمعين.

* والابن الرابع لمؤسس الأسرة هو الشيخ عبد السلام بن محمد بن روزبة بن محمود بن إبراهيم بن أحمد، الملقب بالعز، والمكنى بأبي محمد الكازروني المدني الشافعي، وُلِدَ في جمادي الأول سنة (٧٣٧هـ/١٣٣٦م)، وهو أصغر من أخيه الصفي بأربع سنوات، إلا أنه كان محباً لأخيه الصفي حتى وصفه (بشيخه)، كما تقدّم في ترجمة الصفي وذلك لأنه أخذ عنه، بل قرأ العز مصنفات الصفي عليه، وتعلّم ما فيها منه، ولما توفي الصفي كان العز لم

(١) المصدر السابق، ٥م، ج ٩، ص ٢٧٢.

(٢) البخاري: الصحيح، ج ٣، ص ١١٨.

(٣) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١٣٦-١٣٧.

(٤) المصدر السابق، ج ٢، ص ١٧٤.

يتجاوز الثلاثين، فالتزم أن يقوم بتربية ولده الجمال، والذي كان صبياً في السابعة، فقام بتعليمه وإرشاده، حتى صار الجمال الكازروني أعلم أهل المدينة فقهاً وحديثاً وأدباً، وصفه ابن حجر بقوله: "أحد الفضلاء بالمدينة"^(١)، وصفه السخاوي بـ: "العلامة شيخ الإسلام، الإمام العالم العلامة نخبه الوقت، فريد الوصف والنعته، جمال العلماء الاعلام"^(٢)، وكذلك قال السخاوي^(٣)، وقال الفاسي: "كان فاضلاً في فنون"^(٤).

وبقي في المدينة يدرّس بالمسجد النبوي في موضع أخيه، حتى اتفق له أمر تحوّل بسببه إلى مكة، ولم تحدد لنا المصادر وقت ذلك، والظاهر أن هذا كان إما في سنة (٧٧٨هـ/١٣٧٦م) أو (٧٧٩هـ/١٣٧٧م)، من حيث أن أبا اليمن عرض عليه في سنة (٧٧٧هـ/١٣٧٥م)^(٥)، وقد مكث بمكة قليلاً على ما ضبطه الفاسي^(٦)، وتوفي في ربيع الأول سنة (٧٧٩هـ/١٣٧٧م)^(٧)، وعليه فتكون إقامته بمكة آخر عام (٧٧٨هـ/١٣٧٦م) أو بداية عام (٧٧٧هـ/١٣٧٧م).

وقد رافقه إلى مكة الشيخ محمد بن أحمد بن عبد الرحمن أبو الفضل الجمال بن الشامي الشافعي، وكان فيهما صحبة ومعرفة كبيرة، فماتا بمكة، وذكر السخاوي أنهما دُسَّ عليهما سم بسبب من الأسباب فماتا فيه^(٨).

وقد فجع أهل المدينة لموتهما، فقد كانا مشهورين بالعلم والخير والدين مع حسن الخلق، وقد دفن العز بمكة بالمعلاة^(٩).

وأُنجب العز عبد السلام أربعة من الأبناء ممن حمل العلم وابتغاه هم: (محمد البدر أبو الوفاء ومحمد أبو المعالي وعبد العزيز العز أبو محمد ومحمد التقي الشرف الكازروني).

(١) ابن حجر: إنباء الغمر، ج ١، ص ١٩٥.

(٢) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٧٣.

(٣) السخاوي: وجيز الكلام، ج ١، ص ٢٣٥.

(٤) الفاسي: العقد الثمين، ج ٥، ص ٤٢٨.

(٥) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٧٣.

(٦) الفاسي: العقد الثمين، ج ٥، ص ٤٢٩.

(٧) ابن حجر: إنباء الغمر، ج ١، ص ١٩٥.

(٨) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤١٧-٤١٨.

(٩) الفاسي: العقد الثمين، ج ٥، ص ٤٢٩.

— فالأول هو محمد بن عبد السلام بن محمد بن روزبة، الملقب بالبدر، والمكنى بأبي الوفاء، وُلِدَ في نصف ليلة السبت ثاني شوال سنة (٧٧٢هـ/١٣٧٠م)، وكان له اشتغال بالعلم^(١)، إلا أن المصادر لم تفصّل لنا ذلك.

— وأخوه محمد بن عبد السلام بن محمد بن روزبة أبو المعالي وُلِدَ سنة (٧٧٧هـ/١٣٧٥م)، ترجم له السخاوي من علماء المدينة^(٢).

— والابن الثالث للعز عبد السلام هو عبد العزيز بن عبد السلام بن محمد بن روزبة العز أبو محمد، وُلِدَ في جمادي الأولى (٧٦٢هـ/١٤٦٠م) بالمدينة ونشأ بها، وهو أكثر اشتغالاً بالعلم من أخوته، وكان اشتغاله مبكراً، فقد سمع مع أبيه وأخيه على الشمس التستري في سنة (٧٧٧هـ/١٣٧٥م)؛ أي وهو ابن ١٥ سنة، شهد مجالس الحديث في سنة (٧٨١هـ/١٣٧٩م) وله عشرون سنة، وصف بـ: "الفقيه العالم... والإمام العلامة الأوحّد"^(٣).

— ويعدُّ ابنه محمد من أعلام علماء هذه الأسرة، وهو محمد بن عبد العزيز بن عبد السلام بن محمد بن روزبة، تلقب بالشمس، وربما لقّب كذلك بالحب، وتكنّى بأبي عبد الله، وبأبي الفتح بن العز الكازروني، وُلِدَ في جمادي الأولى سنة (٧٩٥هـ/١٣٩٢م) بالمدينة ونشأ بها، واشتغل بالعلم صغيراً، حتى برع وفاق، وصف بـ: "الفقيه العلامة العالم صدر المدرسين... مفيد الطالبين"^(٤)، ووصفه ابن فهد في معجم الشيوخ بـ: "الإمام العلامة"^(٥)، توفي في المحرم سنة (٨٤٩هـ/١٤٤٥م) بالمدينة، وصُلّي عليه بالروضة، ودفن بالبقيع^(٦).

— وقد خلف الشمس محمد ابنه مسدد بن محمد بن عبد العزيز بن عبد السلام بن محمد بن روزبة، الملقب بالمجد، وبالموفق، وبولي الدين، وقد تختصر بـ (الولوي)، والمكنّى بأبي الثناء، وأبي المحاسن، وُلِدَ بالمدينة سنة (٨٣١هـ/١٤٢٧م)، اشتغل بالعلم صغيراً جداً،

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٥٢٢.

(٢) المصدر السابق، ج ٢، ص ٥٢٢.

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٢، ص ٢١٩.

(٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٥٢٣؛ المصدر السابق، ج ٤، ص ٦٠ - ٦١.

(٥) ابن فهد: معجم الشيوخ، ص ٢٣٣.

(٦) السخاوي: التبر المسبوك، ص ١٣٦.

فقد ضبط السخاوي حضوراً له لمجالس التحديث في شوال سنة (٨٣٤هـ/١٤٣٠م)، أي وهو ابن ثلاث سنوات، ولما بلغ الثانية عشرة أي في سنة (٨٤٣هـ/١٤٣٩م) عرض على عالم المدينة الجمال الكازروني وكان ذلك قبل وفاة الجمال بقليل، وكذا عرض على الحب المطري وأبي الفتح المراغي وآخرين، وتوفي في ذي الحجة سنة (٨٧٣هـ/١٤٦٨م) ولم يبلغ الخمسين^(١).

وقد تزوج الشمس مسدد فاطمة بنت ناصر الدين أبي الفرج الكازروني، واستولدها عدة أبناء^(٢)، اشتهر منهم ثلاثة من العلماء هم عبد العزيز، وأحمد، ومحمد.

— فالأول هو عبد العزيز بن مسدد بن محمد بن عبد العزيز بن عبد السلام بن محمد بن روزبة، وقد تلقب بلقب جده عبد العزيز بن عبد السلام أبي العز، وتكنى بأبي الفضل، وُلِدَ سنة (٨٥٤هـ/١٤٥٠م) بالمدينة، ونشأ بها، وطلب العلم، وارتحل فيه حتى مات وهو يطلبه بدمشق في رجب سنة (٨٨٢هـ/١٤٧٧م) شاباً لم يبلغ الثلاثين^(٣).

— والابن الثاني لمسدد هو أحمد بن مسدد بن محمد بن عبد العزيز بن عبد السلام الملقب بالعفيف، والمكنى بأبي الوليد الكازروني المدني الشافعي، وُلِدَ بالمدينة، ونشأ بها، وكان مولده في سنة (٨٥٧هـ/١٤٥٣م) أو (٨٥٨هـ/١٤٥٤م)^(٤) واشتغل بالعلم، وقد شهد الحريق الذي كان بالمسجد النبوي سنة (٨٨٦هـ/١٤٨١م)، واعتل منه حتى أشرف على الهلاك، لكن سلمه الله وبقي متوَعِّكاً إلى رجب سنة (٨٨٧هـ/١٤٨٢م)، أو قريباً منه^(٥)، وقد صَنَّفَ مصنَّفاً في ذلك^(٦)، ولم تُشَرِّ المصادِر إلى سنة وفاته، إلا أن بقاءه كان بعد سنة (٨٨٧هـ/١٤٨٢م)، بفترة كافية أن يصنّف رسالته "ورود النعم ومصدر النعم"، ولذا

(١) السخاوي: الضوء اللامع، ٥م، ج ١٠، ص ١٥٥-١٥٦.

(٢) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٧٤.

(٣) المصادر السابق، ج ٢، ص ١٨٨-١٨٩؛ الضوء اللامع، ٢م، ج ٤، ص ٢٣٥.

(٤) الكازروني: (أحمد بن مسدد)، الخدائق الغوالي، ص ٧.

(٥) السخاوي: الضوء اللامع، ١م، ج ٢، ص ٢٢٥؛ الزركلي: الاعلام، ج ١، ص ٢٥٧.

(٦) بدر: (عبد الباسط)، الحياة الثقافية في المدينة المنورة في العصر المملوكي "مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة" ٥٤، ص ٧٧.

فمن المستبعد أن تكون وفاته في سنة (٨٨٧هـ/١٤٨٢م)، كما قد يُفهم من كلام بعض المعاصرين^(١).

— والابن الثالث لمسدد هو محمد بن مسدد بن محمد بن عبد العزيز بن عبد السلام بن محمد بن روزبة الملقب بالشمس والمكنى بأبي حامد وأبي اليمن، ويعرف بأبيه فهو ابن ولي الدين الكازروني، وُلِدَ محمد الشمس في ذي القعدة سنة (٨٥٠هـ/١٤٤٦م) بالمدينة، ونشأ بها، وصف بأنه أصيل، فاضل، وجيه، متودد، وله طلب للعلم، ولا تعلم وفاته بالتحديد، إلا أنه ضبط مرجعه من رحلته إلى القاهرة ثم الروم في سنة (٨٩٨هـ/١٤٩٢م)^(٢)، وكانت له إجازة مؤرخة في سنة (٩٠٣هـ/١٤٩٧م)^(٣).

— وقد أنجب محمد بن مسدداً ولداً هو محمد بن محمد بن مسدد وتلقب بالصفى، وقد اشتغل بالعلم وسمع من السخاوي^(٤)، وتزوج بأم هاني ابنة الزين أبي بكر بن أبي الفرج المراغي.

وقد أنجب ذرية اشتهر بالعلم منهم ولداه (أحمد وسارة).

فأحمد هو ابن محمد بن محمد بن مسدد بن محمد بن عبد العزيز بن عبد السلام بن محمد بن روزبة الملقب بصفى الدين كأبيه الكازروني المدني الشافعي، وهو ممن أدرك السخاوي أيضاً وسمع منه، ويبدو أنه كان غنياً كجدّه عبد العزيز، فقد قال السخاوي في ترجمته أنه : (يذكر بنعمة)^(٥).

وأما أخته (سارة) فلم أجد لها ترجمة إلا أن السخاوي ذكرها في ترجمة أحمد مما يشير إلى أنه سترجم لها في "التحفة اللطيفة"^(٦) وهو لا يترجم إلا ممن هو معروف بالعلم مشتهر به.

(١) الكازروني: (أحمد بن مسدد)، الخدائق الغوالي، ص ٨-٩.

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، م ٥٠، ص ٤٩-٥٠.

(٣) ابن طولون وابن المبرد : متعة الأذهان، ج ٢، ص ٧٨٣.

(٤) السخاوي: الضوء اللامع، م ٥٠، ج ١٠، ص ٢١.

(٥) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١٥٤.

(٦) لم يطبع من التحفة الجزء الثالث الذي فيه تنمة تراجم الرجال آخر المحمدين وما بعدها والمكنى والألقاب وتراجم

— وأما الابن الرابع للعز بن عبد السلام هو محمد التقي، ويقال له أيضاً (تقي) وهو محمد بن عبد السلام بن محمد بن روزبة الكازروني، وُلِدَ في شعبان سنة (٧٧٥هـ/١٣٧٣م)، وقد طلب العلم صغيراً، فقد أحضر وعمره نحو ثلاث سنوات أي في سنة (٧٧٧هـ/١٣٧٥م)، للسمع على الشمس التستري، فسمع منه مع أبيه عبد السلام وأخيه عبد العزيز بالحرم المدني، وقد اشتغل بالعلم حتى وفاته، وقد ضبط له سماع في سنتي (٧٩٢هـ/١٣٨٩م) وفي (٨١٢هـ/١٤٠٩م)، توفي في الأربعين من عمره في صفر سنة (٨١٥هـ/١٤١٢م) ^(١)، كان فقيهاً عالماً، وصفه ابن حجر بأنه كان: "نبيهاً في الفقه" ^(٢).

وقد رُزِقَ التقي من الأبناء (أبو حامد وأبو الفتح ورقية).

— فأبو حامد هو محمد بن محمد بن عبد السلام، ذكره السخاوي في ترجمة التقي، ورقية بنت محمد تقي الكازروني وهي أم محمد الكمال أبو الفضل، وأبو الفتح هو محمد بن محمد بن عبد السلام، تلقب بـ (فتح الدين) و بـ (ابن تقي)، وتكنى بأبي الفتح ^(٣) وقد وُلِدَ في آخر حياة والده في سنة (٨١٣هـ/١٤١٠م) بطيبة ونشأ بها وحضر على الزين المراغي بعض "الصحيح" وهو ابن ثلاث سنوات، وطلب العلم وسمع الحديث وتوفي في ١٦ رمضان سنة (٨٧٧هـ/١٤٧٢م)، بعد أن أصابه مرض من أول السنة ^(٤)، وقد تزوج أبو الفتح بفاطمة ابنة أبي اليمن المراغي ^(٥)، وأنجب أبو الفتح ثلاثة من الأبناء الذين اشتغلوا بالعلم وبرزوا فيه وهم (أبو بكر ومحمد وعبد السلام) أبناء محمد أبي الفتح بن محمد بن التقي ^(٦).

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٢٢٤؛ ج ٢، ص ٥٢٢.

(٢) ابن حجر: إنباء الغمر، ج ٢، ص ٥٣٣.

(٣) السخاوي: محمد بن عبد الرحمن، الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، تحقيق: إبراهيم باجس عبد المجيد، (ط ١)، (دار ابن حزم، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م)، ج ٣، ص ١١٥٩ - ١١٦٠.

(٤) السخاوي: الضوء اللامع، م ٤، ج ٧، ص ١٦٢؛ م ٥، ج ٩، ص ١٠٦.

(٥) المصدر السابق، م ٦، ج ١١، ص ٩٠.

(٦) اشتبه بعض أسماء أبناء أبي الفتح بأسماء ذرية (محمد التقي محي الدين بن محمد بن روزبة) وهو أخو عبد السلام العز، مما أجهدي في التمييز بينهم، وذلك باعتبار وجود (أبي الفتح) في سلسلة النسب، مع ملاحظة تاريخ الوفاة من حيث أن أبناء محمد التقي بن محمد بن روزبة متقدمو الوفاة وأبناء أبي الفتح متأخرو الوفاة وبعضهم أدرك السخاوي وسمع منه.

* فالأول هو أبو بكر بن محمد بن تقي بن عبد السلام^(١) محمد بن روزبة الملقب الزين، وهو ابن فتح الدين أبي الفتح الكازروني، ويعرف كذلك بابن تقي، وُلد سنة (٨٤٧هـ/١٤٤٣م) بالمدينة وأمه فاطمة بنت أبي اليمن المراغي المحدثه المشهورة، وتزوج أم كلثوم أخت البرهان الخندي واستولدها محمد وأبا الفتح، عُرف بالفضل والخير، وكان حياً بحلب سنة (٨٩٨هـ/١٤٩٢م)^(٢).

— ومحمد ابنه هو محمد بن أبي بكر بن أبي الفتح محمد بن تقي بن محمد بن روزبة^(٣).

— وأخوه أبو الفتح هو من المشتغلين بالعلم أيضاً، ذكره السخاوي مع أخيه^(٤).

* وأما الابن الثاني لأبي الفتح فهو عبد السلام بن فتح الدين أبي الفتح محمد بن محمد تقي بن (عبد السلام) بن محمد بن روزبة الكازروني، اشتغل بالعلم، ثم حصل له خلل، وتعب أبوه وأخوه في شأنه، إلى أن مات في ذي الحجة سنة (٨٤٦هـ/١٤٤٢م) في حياة أبيه وترك ذكراً^(٥).

— وابنه هو محمد أبو الفضل ابن عبد السلام بن أبي الفتح بن تقي الكازروني وهو ممن أدرك السخاوي بالمدينة وأخذ عنه، وقد ترجم له مرة أخرى باسم (فضيل) بالتصغير، كما ترجم له في مكان آخر وأسماء محمد، وكنّاه بأبي الفضل^(٦)، و التراجع الثلاثة تعددت إلى شخص واحد، فإن ظاهر كلام السخاوي أن عبد السلام ترك (ذكراً) فهو محمد، وكنيته أبو الفضل، ويلقب بفضيل.

(١) سقط عبد السلام من ترجمته في موضع من الضوء اللامع لكنه ذكر أنه سمع منه مما يمنع أن يكون من فرع محمد التقي بن محمد بن روزبة الكبير. السخاوي: الضوء اللامع، ٦م، ج ١١، ص ٩٢. ثم ترجم لآخر أسمائه أبو بكر ابن محمد فخر الدين بن فتح الدين وقال: (وما أدري أهو الذي قبله أو أخ له والثاني أقرب). المصدر السابق، ٦م، ج ١١، ص ٩٢.

(٢) المصدر السابق، ٦م، ج ١١، ص ٩٠.

(٣) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤٦٣.

(٤) السخاوي: الضوء اللامع، ٦م، ج ١١، ص ٩٠.

(٥) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٧٥.

(٦) السخاوي: الضوء اللامع، ١م، ج ١، ص ١٢٩؛ ٤م، ج ٨، ص ٥٧؛ ٦م، ج ١١، ص ١٢٩.

* والابن الثالث لأبي الفتح هو محمد بن محمد بن محمد بن عبد السلام بن محمد بن روزبة والملقب بالشمس بن فتح الدين أبي الفتح التقي الكازروني المدني الشافعي، ويعرف بابن تقي وقد يقال له: (تقي)، وُلِدَ في ١٩ ربيع الآخر سنة (٨٣٥هـ/١٤٣١م) بالمدينة وبها نشأ، وصف بأنه كان خيراً ذا همة عالية وتودد وامتهان لنفسه مع أصحابه، وقد اشتغل بالعلم وتوفي في سنة (٨٨٩هـ/١٤٨٤م) في يوم الثلاثاء عشري ربيع الآخر، وقد جاوز الخمسين بقليل، ودفن بالبقيع^(١).

وقد رُزِقَ محمد الشمس بثلاثة من الأبناء هم: (أحمد، وعلي، ومحمد).

— فأحمد هو ابن محمد بن محمد بن محمد تقي بن (عبد السلام) الشيخ محمد بن روزبة ولقب بالشهاب ابن الشمس بن فتح الدين أبي الفتح الكازروني، ويعرف بابن تقي، وُلِدَ سنة (٨٦٠هـ/١٤٥٥م) بالمدينة، واشتغل بالعلم، وضُبطَ له سماعٌ للبخاري في سنة (٨٨٣هـ/١٤٧٨م)^(٢)، وقد قال السخاوي عنه: "ولا بأس به تديناً وعقلاً"^(٣)، وقد ذكر ناسخ التحفة اللطيفة عبد الباسط شرف الدين الحنفي، وكان فرغ من نسخه في سنة (٩٥٢هـ/١٥٤٥م) أن الشهاب أحمد عاش بعد المؤلف؛ أي السخاوي بنحو عشرين سنة، وأنه على طريقة حسنة من التعبد والتقشف والزهد والتعفف^(٤).

— وأخوه علي هو النور بن محمد بن محمد بن محمد التقي عبد السلام^(٥) بن الشيخ روزبة، وهو سبط فاطمة ابنة أبي اليمن ويعرف بأن تقي، وأدرك جدته بالسماع، وكذا أدرك السخاوي وسمع منه، وتوفي صغيراً عن بضع عشرة سنة عام (٨٨٢هـ/١٤٧٧م).

— وأخوه هو محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد السلام بن محمد بن روزبة الشمس، الملقب بالمقبول ابن الشمس بن الشيخ فتح الدين أبي الفتح بن تقي الكازروني وهو

(١) المصدر السابق، م ٥٠، ج ٩، ص ٢٢٨.

(٢) المصدر السابق، م ١٠، ج ٢، ص ١٩٣.

(٣) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١٤٧.

(٤) وقوله هذا مدرج داخل الترجمة وإنما يُعرف هذا لأن موت السخاوي كان متقدماً على ذلك أي في سنة (٩٠٢هـ/١٤٩٦م).

(٥) ذكر السخاوي (عبد السلام) في سياق النسب هنا وذكر أنه أخو أحمد ومحمد المقبول ولم يذكر (عبد السلام) ترجمة أحمد مما يؤكد ما استنتجته سلفاً من سقوط (عبد السلام) سهواً في بعض التراجم.

أكبر من أحمد وعلي، ويعرف كذلك بابن تقي، وُلِدَ في رمضان سنة (٨٧١هـ/١٤٦٦م)، كان من خيار فضلاء المدينة مع حسن فهم ومشاركة، سيّما في الفقه^(١).

أسرة المراغي:

* تعود نشأة أسرة المراغي إلى عميدها العالم المحدث المعمر أبي بكر بن حسين بن عمر بن عبد الرحمن بن أبي الفخر بن نجم بن طولو العثماني المراغي، الملقّب بزين الدين، والمكنى بأبي بكر^(٢)، وقيل كنيته أبو محمد، ويقال اسمه: عبد الله^(٣)، والمشهور أن اسمه هو كنيته أي (أبو بكر)^(٤)، وربما يقال له: العثماني^(٥)، وقد جاء في المقرئزي أنه: (ابن طولو المراغي)^(٦).

وُلِدَ بالقاهرة سنة (٧٢٧هـ/١٣٢٦م)، وقيل (٧٢٨هـ/١٣٢٧م)، أو (٧٢٩هـ/١٣٢٩م)^(٧)، وبها نشأ، ثم دخل المدينة، فاستوطنها خمسين سنة، وقد طال عمره، وكثر تلاميذه جداً، حتى قال السخاوي: "إنه لا يحصيهم كثرة"^(٨)، وحتى صار يسمع عليه الرجل ثم يسمع ابنه، وقد ضبط الحافظ ابن حجر سماعاً له بمكة في سني (٨١٥هـ/١٤١٢م)، أي قبل وفاته بسنة^(٩)، وقد قيل إنه قد أصابه (الخرف والتغير) قبل وفاته^(١٠)، إلا أن ابن حجر أثبت أنه لما سمع منه بمكة سنة (٨١٥هـ/١٤١٢م) كان

(١) السخاوي: الضوء اللامع، م، ٥، ج ٩، ص ٢٨٥.

(٢) ابن حجر: إنباء الغمر، ج ٣، ص ٢٣.

(٣) الزركلي: الإعلام، م، ٢، ج ٢، ص ٦٣.

(٤) المراغي: (أبو بكر)، تحقيق النصرة، ص ٩؛ السخاوي: الضوء اللامع، م، ٦، ج ١١، ص ٢٨.

(٥) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ١٤، ص ١٢٥؛ السخاوي: الضوء اللامع، م، ٦، ج ١١، ص ٢٨.

(٦) المقرئزي: درر العقود الفريدة، ج ١، ص ١٧١.

(٧) ذكر المقرئزي أنه وُلِدَ سنة (٧٢٧هـ/١٣٢٦م). المقرئزي: درر العقود الفريدة، ج ١، ص ١٧١؛ وكذا

السخاوي: الضوء اللامع، م، ٦، ج ١١، ص ٣٠؛ ويذكر ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٧، ص ١٢٠، أن مولده

سنة (٧٢٨هـ/١٣٢٧م)؛ وذكر ابن حجر: إنباء الغمر، ج ٣، ص ٢٣، أن مولده (٧٢٨هـ/١٣٢٧م) أو سنة

(٧٢٩هـ/١٣٢٨م).

(٨) ابن تغري بردي: الدليل الشافي، ج ٢، ص ٨١٤؛ السخاوي: الضوء اللامع، م، ٦، ج ١١، ص ٢٩.

(٩) ابن حجر: إنباء الغمر، ج ٣، ص ٢٣.

(١٠) السخاوي: تراجم العلماء والمحدثين، ق ٢١.

صحيحاً، ثم قال : "وأخبرني من أثق به أنه استمر على ذلك"، كما ذكر أن من نسبه إلى ذلك هو من بعض من يتعصب عليه^(١)، وقد صحبه المقرئزي سنين^(٢) ووصفه بأنه كان من: "الفقهاء الفضلاء"^(٣) ووصفه ابن حجر بقوله: "سيدنا العبد الفقير إلى الله تعالى، عالم الحرمين، قاضي طيبة المكرم، وخطيب المنبر الأعظم، شيخنا الإمام العلامة، مسند أهل عصره، وفقه أهل مصره، زين الدين"^(٤)، ووصفه السخاوي في ضوئه بأنه: "الشيخ، الفقيه، الإمام، العالم، العامل، مفتي المسلمين، المدرس، والمتصدر بالحرم الشريف ... انتفع به أهل المدينة والوافدون إليها... الصالح المربي، كهف الفقراء والمساكين ...، ممن علا في الحديث سنده"^(٥)، كما وصفه ابن تغري بردي بأنه: "من الفقهاء الفضلاء"^(٦).

بدا له في آخر عمرة المجاورة بمكة، فجاورها في عامي (٨١٤هـ/١٤١١م) و (٨١٥هـ/١٤١٢م)، فكان ذلك بركة على أهلها فقد حدث بها بالكثير، إلا أنه عاد إلى المدينة، ومات بها وقد قارب التسعين، في ذي الحجة سنة (٨١٦هـ/١٤١٣م)^(٧)، وقيل في سادس عشر منه^(٨)، ورجَّح السخاوي أنه في مستهل ذي الحجة وأن القول الأول وهم^(٩)، وقد دفن بالبقيع^(١٠).

(١) ابن حجر: إنباء الغمر، ج ٣، ص ٢٣.

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٦، ص ١١، ص ٣١.

(٣) المقرئزي: السلوك، ج ٤، ق ١، ص ٢٧٧ - ٢٧٨.

(٤) ابن حجر: إنباء الغمر، ج ٣، ص ٢٣.

(٥) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٦، ص ١١، ص ٣١.

(٦) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ١٤، ص ١٢٥.

(٧) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٦، ص ١١، ص ٣٠. ذكرت الباحثة منى عبد الغني في مقالتها : "أهم معالم الحضارة الإسلامية في مجتمع المدينة في العصر المملوكي"، (مجلة كلية الدراسات الإنسانية)، ع ٢٢، ص ١٦٧. أن وفاته سنة (٨٩٥هـ/١٤٥٤م). وإنما هي سنة وفاة أبي بكر بن علي بن موسى القرشي آخر من سمع من الزين وفاة، وقد ذكر ذلك السخاوي في ترجمة الزين المراغي. السخاوي: الضوء اللامع، ج ٦، ص ١١، ص ٣٠. فمن هنا جاء الوهم.

(٨) ابن تغري بردي: الدليل الشافي، ج ٢، ص ٨١٥؛ النجوم الزاهرة، ج ١٤، ص ١٢٥.

(٩) لم يذكر السخاوي مستند توهيمه لذلك مع أن القول بموته في ١٦ ذي الحجة اجتمع عليه جماعة من المؤرخين، وعلى كل فالفترة قريبة بين ما ذكره.

(١٠) المقرئزي: السلوك، ج ٤، ق ١، ص ٢٧٧؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤٥٥.

— وقد أنجب الزين المراغي خمسة من الأبناء وبنتين، سَمِّي الأبناء كلهم باسم النبي ﷺ، فأربعة باسم محمد، ويقال لكل منهم (ابن المراغي)، والخامس أسماه (أحمد)، وله أسماء وعائشة^(١)، والجميع ممن اشتغل بالعلم وطلبه وبثّه حتى وفاته.

* فالابن الأكبر للزين أبي بكر المراغي هو محمد بن أبي بكر بن الحسين بن عمر بن محمد الملقب بالشمس والبدر والنبه والجمال — وهو الأكثر — والمكّني بأبي اليمن القرشي العثماني المراغي^(٢)، ويعرف أيضاً بابن المراغي^(٣)، وُلِدَ أبو اليمن في سنة (٧٦٤هـ/١٣٦٢م) أو التي بعدها بالمدينة النبوية^(٤)، وتزوَّج خديجة ابنة الإمام العز بن عبد السلام الكازروني وهي أم أولاده^(٥)، وباعتباره أكبر أبناء الزين أبي بكر، فقد أسند وصيته إليه قبل وفاته سنة (٨١٦هـ/١٤١٣م)، إلا أن الحياة لم تطل بأبي اليمن، فقد سافر إلى الشام، فقتله بعض اللصوص بها سنة (٨١٩هـ/١٤١٦م)، وهو ابن خمس وخمسين سنة، وقتل معه ابنه أبو الرضي محمد وأبو عبد الله الحسين رحمهم الله تعالى^(٦)، وشهرته على ذلك كبيرة، فقد قال عنه السخاوي: "كان إماماً، عالماً، كبير القدر، كثير الفوائد، ظريف المحاضرة والمحادثة"^(٧)، وصفه الشوكاني بأنه: "برع في الفنون، وصار شيخ المدينة النبوية"^(٨).

— وقد أنجب أبو اليمن ثلاثة من الأبناء وبنتين، ممن سمع العلم وطلبه وهم: (الحسين ومحمد وأحمد وزينب وفاطمة).

— فأما الأول فهو الحسين بن محمد بن أبي بكر بن الحسين، الملقَّب بالبدر، والمكّني بأبي عبد الله بن الجمال أبي اليمن بن الزين المراغي، وهو سبط الإمام العز عبد السلام الكازروني، وُلِدَ سنة (٧٩٧هـ/١٣٩٤م)، وقيل سنة (٧٩٦هـ/١٣٩٣م)، وانتقل

(١) السخاوي: الضوء اللامع، ٦م، ج ١١، ص ٢٢٥.

(٢) الشماع: القبس الخاوي، ج ٢، ص ١٥٣.

(٣) المقرئ: درر العقود الفريدة، ج ٣، ص ٢٨٨.

(٤) الشماع: القبس الخاوي، ج ٢، ص ١٥٤.

(٥) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤٥٤.

(٦) الشماع: القبس الخاوي، ج ٢، ص ١٥٤.

(٧) السخاوي: الضوء اللامع، ٤م، ج ٧، ص ١٦٢.

(٨) الشوكاني: محمد بن علي، البدر الطالع، بمحاسن من بعد القرن السابع، (د. ط)، (دار المعرفة، بيروت، د.

ت)، ج ٢، ص ١٤٧.

بين الحرمين في طلب العلم، وأخذ عن كبار علماء الحرمين، إلا أنه لم يَطلُ عمره، فقد قتل مع أبيه في سنة (٨١٩هـ/١٤١٦م)^(١) كما تقدّم رحمهم الله.

— والابن الثاني هو محمد بن محمد بن أبي بكر أبو الرضي المراغي، وهو ممن طلب العلم، وقد قتل مع أبيه وأخيه سنة (٨١٩هـ/١٤١٦م)^(٢)، ولم تذكر لنا المصادر عمره وقت وفاته، إلا أن الظاهر أنه أصغر من أخيه الحسين، من حيث لم يذكر له شيوخ ورحلة كما كان لأخيه الحسين، إلا أنه لابد أن يكون قد وُلِدَ قبل نحو سنة (٨١١هـ/١٤٠٨م) من حيث أنه سمع على جده، والذي توفي سنة (٨١٦هـ/١٤١٣م)^(٣) والعادة أن ذي السنوات الثلاث والأربع يعبرون عن حضوره مجلس العلم بلفظ (الحضور) لا بلفظ (السماع)، فإن الغالب أن السماع يكون لابن خمس سنوات فأكثر^(٤).

— والابن الثالث هو أحمد بن محمد بن أبي بكر بن الحسين والمكنى بأبي الرضي المراغي، ولم تحدثنا المصادر إلا أنه سمع على جده سنة (٨١٠هـ/١٤٠٧م)، (٨١٥هـ/١٤١٢م)، وقد وُسِمَ في جميع المصادر بأنه: "أخو الحسين"^(٥) فالظاهر أنه أصغر من أخيه الحسين، ويبدو أنه مات صغيراً أيضاً.

وإن كان أبو الثّمين لم يبقَ أبناؤه من بعده، إلا أن الله بارك في البنتين زينب وفاطمة، فكل منهما تعلق بالعلم بطرف.

— فزينب اتسع سماعها وكثر شيوخها وتلاميذها، وماتت في سنة (٨٥٩هـ/١٤٥٤م) بالمدينة^(٦).

(١) السخاوي: الضوء اللامع، ٢م، ج ٣، ص ١٥٥.

(٢) ابن فهد: معجم الشيوخ، ص ٣١٦.

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، ٥م، ج ٩، ص ٥٦.

(٤) وهو ظاهر في حديث ابن الربيع رحمته الله حيث ذكر أنه عقل (حجة) مجها النبي في وجهه وهو ابن خمس سنوات.

البخاري: الصحيح، ج ١، ص ٢١٧.

(٥) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١٣٥.

(٦) ابن فهد: معجم الشيوخ، ص ٣١٦.

— وفاطمة ولدت في سنة (٨٠٨هـ/١٤٠٥م)، واشتغلت بالعلم، والتحديث وتوفيت في سنة (٨٧٨هـ/١٤٧٣م)^(١)، ولأجل تأخر وفاتها، سمع منها كثيرون، ولاسيما وقد اشتهرت بالعلم وعلو الإسناد لسماعها من جدها الزين.

* والابن الثاني للزين المراغي هو محمد بن أبي بكر بن الحسين المراغي الملقب بالشرف، وبفتح الدين، والمكنى بأبي الفتح، وُلِدَ في سنة (٧٧٥هـ/١٣٧٣م) في أواخرها، وقيل أواخر سنة (٧٧٧هـ/١٣٧٥م)، وأمه ابنة إبراهيم بن عبد الحميد المدني أخت التقي محمد، وهو إبراهيم بن عبد الحميد المعروف بابن الحميد^(٢) وكان ذلك بالمدينة، وبها نشأ، فحفظ القرآن وتلقى علومه بالمدينة ورحل للآفاق وقرأ الكثير، وكتب وصنف وبرع في علوم عديدة من الفقه وأصوله والنحو والسلوك، إضافة إلى الحديث رواية ودراية، ولما دخل اليمن بنى لأجله ملوكة مدرسة، وجُعِلَ له فيها معلوماً وافراً كان يحمل إليه بعد انتقاله عنها برهة^(٣).

ومن أدب العلم أن هذا الحير البحر لما رجع المدينة، لم يحدث أدباً مع الجمال الكازروني لتقدمه في السن عليه، ثم بعد طلب وسؤال من أخيه أبي الفرج وكان أصغر منه بما يزيد على الثلاثين سنة، فأجابه أبو الفتح، فكان يراه بولده لما بينهما من السن، فقرأ عليه أبو الفرج الحديث، وسمع منه بالمدينة الكثير، حتى كانت قصة مقتل أخيه أبي الفضل محمد الكمال على يد رافضي^(٤)، فانتقل إلى مكة في سنة (٨٤٤هـ/١٤٤٠م) واستمر بها حتى مات، كان قد عفا عن القاتل إلى يوم القيامة^(٥)، ولأجل هذه الإقامة الطويلة في مكة صارت نسبته إليها وكثر بها تلاميذه واتسعت مروياته بالحرم المكي وأخذ عنه الطلاب من جميع أرجاء العالم، واستقر في مشيخة الخانقاة الزمامية^(٦) بعد موت شيخها، ثم استقر به

(١) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٦، ١٢، ص ١٠٢.

(٢) المصدر السابق، ج ٣، ٦، ص ٢٥٣؛ الشماع: القبس الخاوي، ج ٢، ص ١٥٨.

(٣) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤٥٥.

(٤) يأتي ذكر هذه القصة في نشأة الكمال والأثر السياسي إن شاء الله تعالى.

(٥) الشماع: القبس الخاوي، ج ٢، ص ١٥٧-١٥٨.

(٦) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤٥٧. ومفردا خانقاه وهي كلمة فارسية الأصل ومعناها البيت، وجعلت

مكاناً من أجل العبادة، وهي بناء ديني أقيم على نظام الصحن المخاط بأواوين أربعة بلا مئذنة ولا منبر، وقد اتخذت الخوانق مؤسسات لتعليم الطلاب الذين يقطنون بها إلى جانب الأغراض الأخرى. الأنصاري: (ناجي

محمد حسن)، التعليم في المدينة المنورة، ص ٢٢٧.

الحال (ناظر الخاص)^(١) مع مشيخة مدرسته، وكان ذلك في سنة (٨٥٧هـ/١٤٥٣م) ولم يترك (المدرسة الزمامية) بل جمع بينهما، واستمرتا بيده حتى مات.

وكان أبو الفتح محباً مكرماً للعلماء والطلاب، يحرص على الأخذ عن الأكابر من العلماء، والوارد إلى الحرمين من غير أهلها، حتى أن السخاوي تعجب أنه بالغ في احترامه وإكرامه وطلب منه الإجازة لولده^(٢).

وإذا علمنا أن العلم السخاوي وُلد سنة (٨٣١هـ/١٤٢٧م)، فيكون له من العمر لما قدم أبو الفتح مكة سنة (٨٤٤هـ/١٤٤٠م) ١٣ سنة، ومقدم السخاوي مكة كان بعد وفاة ابن حجر، وقد ضبط مقدمه في سنة (٨٥٦هـ/١٤٥٢م)، أي وله من العمر ٢٥ سنة، وهي السنة التي قرأ فيها بمكة الكتب الكبار، والأجزاء القصار^(٣) لأجل حداثة سنه بالنسبة لأبي الفرج المراغي، والذي كان قد ناهز الثمانين آنذاك.

وقد برع أبو الفرج في العلوم وبرع جداً في الفقه، وغلب عليه الانقطاع عن الناس، والتخلي والعزلة، ولزوم بيته مع حسن سمته، وكثرة تواضعه، وهضم نفسه، وكان في خلقه شدة^(٤)، وقد وصفه ابن فهد فأكثر من حيث كونه نزل مدة بمكة، فذكر عنه بأنه كان: "خيراً، ديناً، ورعاً، متواضعاً، كثير التلاوة لكتاب الله تعالى، ذا صيانة، وصدق، وعفاف، طارحاً للتكلف، مقتصداً في مسكنه، ومطعمه، وملبسه،...، يغضب لله ولا يخاف فيه لومة لائم وفي خلقه حدة"^(٥).

(١) ناظر الخاص: من الوظائف الديوانية الجلييلة، كان يشغلها مديون، أحدثها السلطان محمد بن قلاوون، وموضوعها هو التحدث فيما هو خاص بمال السلطان، وصاحب هذه الوظيفة لا يقدر على الاستقلال بأمر إلا بمراجعة السلطان. الباشا: حسن، الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، (د. ط)، (دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٦م)، ج ٣، ص ١٢٠٧.

(٢) ابن فهد: معجم الشيوخ، ص ٢٢١؛ الشماخ: القبس الحاوي، ج ٢، ص ١٥٩.

(٣) السخاوي: وجيز الكلام، ج ١، ١٠-١١.

(٤) الشماخ: القبس الحاوي، ج ٢، ص ١٥٨-١٥٩.

(٥) ابن فهد: معجم الشيوخ، ص ٢٢١-٢٢٢.

وبعد حياة حافلة بالعلم أصاب أبا الفتح المراغي مرضٌ فمات منه، وكان ذلك في ليلة الأحد سادس عشر المحرم سنة (٨٥٩هـ/١٤٥٤م)^(١)، وصُلِّي عليه عند باب الكعبة ودفن بالمعلاة، وصُلِّي عليه بالجامع الأموي في دمشق وبغيره صلاة الغائب رحمه الله^(٢).

ولأبي الفتح المراغي ولد اسمه عبد الحفيظ بن أبي الفتح محمد بن أبي بكر بن الحسين، وأمه يمانية يقال لها ابنة طلحة، وأقام عبد الحفيظ مع أمه بمكة بعد موت أبيه حتى ماتت، وكان موتها قريب موته^(٣)، فكفله عمه الشيخ أبو الفرج، إلى أن توجه اختلاصاً مع الركب الشامي، وقد ذكر السخاوي أنه: "ما عَمَّر"^(٤)، فبه انقطع نسل أبي الفتح رحمه الله.

* والابن الثالث للزين المراغي هو أحمد بن أبي بكر بن الحسين المكنى بأبي النصر المراغي، العالم العلامة^(٥)، ذكر السخاوي أنه: "أصغر من شيخه أبي الفتح"^(٦)، وهذا يشير إلى أن ولادته كانت قريبة من ولادة أبي الفتح، وإلا لقطع السخاوي وما اكتفى بالظن.

وقد أثبت السخاوي له سماعاً في سنة (٧٩١هـ/١٣٨٨م)، فإذا علمنا أن أبا الفتح كان مولده في أواخر سنة (٧٧٥هـ/١٣٧٣م) أو في سنة (٧٧٧هـ/١٣٧٥م)، وإذا ما اعتبرنا سنَّ السماع (لا مجرد الحضور) فيكون من المشهور في الخامسة لا فيما دونها، فيكون مولد أبي النصر أحمد مابين سنة (٧٧٧هـ/١٣٧٥م) و(٧٨٦هـ/١٣٨٤م).

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤٥٧-٤٥٨؛ هذا هو المعتمد في تاريخ وفاته أي سنة (٨٥٩هـ/١٤٥٤م)، وقد ذكر بعضهم أن وفاته كانت في سنة (٨٥٧هـ/١٤٥٣م)، وكان هذا الوهم سبباً في أن يظن أن للزين المراغي ولدين يلقب كل منهما بشرف الدين كما ذكره الأستاذ علي السيد علي: في كتابه الحياة الثقافية في المدينة، ص ١٦٤-١٦٥. فإنه ذكر من أسرة المدينة شرف الدين محمد بن زين الدين أبي بكر (ت ٨٥٩هـ/١٤٥٤م)، ثم ذكر من الأسرة شرف الدين أبو الفتح بن زين الدين المراغي (ت ٨٥٧هـ/١٤٥٣م)، وإنما هما شخص واحد، كما أنه جعل الأول قاضياً بالمدينة وهو غير صحيح لأن أبي الفتح لم يتول القضاء.

(٢) ابن فهد: معجم الشيوخ، ص ٢٢٢؛ الجابري: الحياة العلمية في الحجاز، ص ٢٦٩.

(٣) الأنصاري: (عبد الرحمن)، تحفة المحبين والأصحاب، ص ١١.

(٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٠٩.

(٥) المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٥٥.

(٦) المصدر السابق، ج ١، ص ١٠٤.

واشتغل أبو النصر بالعلم مع أخيه أبي الفتح إلا أنه لم يشتهر شهرة أخيه، ولم تسعفنا المصادر عن شيء كبير في ترجمته، ولا عن ذريته، بل جاء ما يدل على انقطاع أمره فقد قال السخاوي عنه: "وما علمت من أمره شيئاً"^(١)، ويحتمل أنه قد توفي في حياة والده، من حيث أن الزين أبا بكر بن الحسين وضع كتابه: "مختصر الحرز المعد لمن فقد الولد"، وهذا يشير إلى فقدانه أحد أبنائه في الغالب، كما أن تنسك أبي الفتح وعزوفه عن الزواج أول أمره قد يكون سببه أيضاً هو وفاة أخويه أبي اليمن في سنة (٨١٩هـ/١٤١٦م)، ثم أبي النصر أحمد.

وبوفاته أتجه الزين أبو بكر بن الحسين إلى الزواج طلباً لولد يعوضه عما فاتته من موت أبي النصر، فتزوج في كبره وقد جاوز السبعين من رقية بنت الشمس محمد بن التقي بن محمد بن روزبة الكازرونية المدنية (ت ٨٥٨هـ/١٤٥٤م)، واستولدها الكمال أبا الفضل محمداً، والناصر أبا الفرج محمداً^(٢).

وكانت ولادة الكمال في سنة (٨٠٣هـ/١٤٠٠م) وولادة أبي الفرج في سنة (٨٠٦هـ/١٤٠٣م)، وبناءً عليه تكون وفاة أبي النصر أحمد ما بين سنة (٧٩٨هـ/١٣٩٥م)، وهي السنة التي أثبت السخاوي له سماعاً على ابن فرحون^(٣)، وبين سنة (٨٠٢هـ/١٣٩٩م) قبل ولادة الكمال محمد، وعليه فيكون أحمد قد مات شاباً لم يتجاوز الخامسة والعشرين، بل ربما لم يتجاوز العشرين من عمره.

* والابن الرابع للزين أبي بكر بن الحسين المراغي هو محمد الكمال أبو الفضل المتقدم ذكره ابن رقية الكازرونية^(٤)، وُلِدَ في خامس ذي القعدة سنة (٨٠٣هـ/١٤٠٠م)، وقد اهتم به أبوه، فأحضره عليه، وله ثلاث سنوات في سنة (٨٠٦هـ/١٤٠٣م)^(٥)، واشتغل بالعلم، وارتحل فيه، إلا أنه لم تطل حياته، بل مات مقتولاً بالعوالي خارج المدينة، في ضحى يوم السبت سادس من ذي القعدة سنة (٨٤٣هـ/١٤٣٩م)؛ أي وقد أتم الأربعين

(١) المصدر السابق، ج ١، ص ١٠٤.

(٢) المقرئ: درر العقود، ج ١، ص ١٣٠؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج ٦، ص ١٢، ص ٣٦.

(٣) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١٠٤.

(٤) الشماع: القبس الحاوي، ج ٢، ص ١٥٥.

(٥) ابن فهد: معجم الشيوخ، ص ٢٢٢؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤٥٥.

من عمره، وذلك على يد بعض الرافضة، وذكر سبب ذلك أن رجلاً كان يطالب (شريعاً رافضياً) بدين عليه، فلما مات أوصى أبا الفضل الكمال محمد بن الزين المراغي بأن يطالبه بالمال، فامتثل الكمال الوصية وطالب الشريف الرافضي بهذا المال، فألح عليه، فلم يكن من هذا الرافضي إلا أن اغتاله، ولم يتمكن من الإمساك بالقاتل؛ إذ تسحب وجماعة من عشيرته وهربوا، فما ظفروا بأحد منهم^(١)، وحمل أبو الفضل للبقيع وغسل وصلي عليه ودفن بالبقيع بعد صلاة العصر، قال الشماع في القبس الحاوي: "وراح دمه هدرأ، عوَّضه الله الخير... فلا حول ولا قوة إلا بالله"^(٢).

وقد أثرت هذه الحادثة في أبي الفتح المراغي، وسعى في المطالبة بدم أخيه، ثم عفا عن القاتل إلى يوم القيامة^(٣)، لكن لم يبقَ بالمدينة بل خرج إلى مكة، فاستوطنها كما تقدّم، ولم تذكر لنا المصادر ذرية لأبي الفضل، ولو كان له أحد لذكر أن أبا الفتح إبراهيم اهتمَّ بهم، فإنه كان قد أخذ على عاتقه همَّ الأسرة بعد مقتل أخيه أبي اليُمن مع ولديه سنة (٨١٩هـ/١٤١٦م) وكان هو الوصي من أبيه على الأسرة، فلما مات حمل هذا العبء رحمه الله.

* والابن الخامس للزين المراغي هو محمد بن أبي بكر بن الحسين المراغي، الملقَّب بناصر الدين، والمكْنى بأبي الفرج^(٤)، وربما كُنِيَ بأبي الفتح في سياق نسب أحفاده^(٥)، وُلِدَ في صفر سنة (٨٠٦هـ/١٤٠٣م) بالمدينة النبوية ونشأ بها، وأمّه هي رقية بنت الشمس الكازروني وهي أيضاً أم أخيه أبي الفضل الكمال كما تقدّم.

وقد نشأ أبو الفرج في بيئة علمية، فأبوه وأخوه أبو الفتح بل أخوه أبو اليُمن كانوا وقت مولده من العلماء المُشَار إليهم، فحصل منهم ومعهم الشيء الكثير، حتى صار محطَّ أنظار العلماء، وصار كما يقول السخاوي: "شيخ شيوخ المدينة النبوية ومسندها بدون

(١) ابن فهد: معجم الشيوخ، ص ٤٥٥.

(٢) الشماع: القبس الحاوي، ج ٢، ص ١٥٥.

(٣) الشماع: القبس الحاوي، ج ٢، ص ١٥٨.

(٤) ابن فهد: معجم الشيوخ، ص ٤٥٥؛ الشماع: القبس الحاوي، ج ٢، ص ١٥٩.

(٥) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٢، ص ٣٣٤.

مدافع، ... الإمام، العلامة، المتفنن، الأوحد، مفيد الطالب، صدر المدرسين^(١)، وقد صار علماً في المدينة النبوية، حتى إن الشهاب أحمد إسماعيل الأبشيطي (ت ٨٣٠هـ/ ١٤٢٦م)، لما دخل المدينة امتنع عن التحديث بها أدباً مع أبي الفرج المراغي رغم أنه كان أسنّ من أبي الفرج بأربع سنوات^(٢).

وقد وُصف بأنه: "كان حسن الشكّالة، نير الشّيعة، مهاباً، مع فضيلة وسكون ونظم وفوائد"^(٣)، وقال عنه الشوكاني: "برع في جميع العلوم وصار مسند المدينة ومدرستها"^(٤)، وبعد حياة حافلة جاوزت السبعين، توفي أبو الفرج ناصر الدين المراغي في المحرم صبيحة يوم الجمعة في العشرين منه سنة (٨٨٠هـ/ ١٤٧٥م)، وصُلّي عليه بعد الجمعة ودُفِنَ بالبقيع^(٥). وقد أنجب أبو الفرج ذرية منهم ثلاثة أبناء وابنة ممن اشتغل بالعلم وطلبه، وهم (الزين محمد، والشمس محمد، وعبد الرحمن، وفاطمة).

— فأما الزين محمد فهو أبو بكر محمد بن محمد بن الزين أبي بكر بن الحسين المراغي المعروف بأبي بكر، ويُسمّى أيضاً محمداً^(٦)، والملقّب بالزين، وُلِدَ بالمدينة قبل الثلاثين والثمانمائة (٨٣٠هـ/ ١٤٢٦م)، واشتغل بالعلم إلا أنه مرض، ومات بسبب المرض في شهر ربيع الأول سنة (٨٥٨هـ/ ١٤٥٤م)^(٧)، وقد كان ذكياً، فطناً، يدلُّ ذلك على أنه باحث أبي السعادات بن ظهيرة^(٨) في "المنهاج" للبيضاوي، وهو كتاب في أصول الفقه، وكان ذلك لما قدم المدينة، وعلم الأصول ليس بالعلوم اليسيرة التي يتعلمها المرء بسهولة، فمباحثته لهذا العلم على ابن ظهيرة تدل على نبوغه، ولاسيما وكان ذلك في سنة

(١) المصدر السابق، م، ج ٧، ص ١٦٦-١٦٧.

(٢) الشماع: القبس الخاوي، ج ١، ص ١٣١-١٣٢.

(٣) السخاوي: وجيز الكلام، ج ٢، ص ٨٦٥؛ المصدر السابق، ج ٢، ص ١٥٩.

(٤) الشوكاني: البدر الطالع، ج ٢، ص ١٤٧.

(٥) الشماع: القبس الخاوي، ج ٢، ص ١٦٠.

(٦) المقرئ: درر العقود، ج ١، ص ١٣٠؛ السخاوي: الضوء اللامع، م، ج ١١، ص ٧٢.

(٧) المصدر السابق، م، ج ١١، ص ٧٢.

(٨) هو محمد بن محمد جلال الدين أبو السعادات بن ظهيرة الشافعي المكي، مفتي مكة وخطيبها، له العديد من المصنفات، درس بالمسجد الحرام واتفّع به الطلبة، توفي سنة (٨٣٠هـ/ ١٤٢٦م)، المقرئ: درر

العقود، ج ١، ص ١٨٧.

(٨٤٩هـ/١٤٤٥م)^(١)؛ أي وهو في حدود العشرين من عمره شاباً فطناً رحمه الله، وكان متزوجاً من امرأة أنجبت له الكمال أبا الفضل، ثم بعد موت الزين أبي بكر، تزوجت من أخيه الشمس محمد بن أبي الفرج المراغي^(٢).

— وقد خلف من بعده ابنه محمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن الحسين، الملقب بالكمال، والمكثى بأبي الفضل، فهو الكمال بن الزين بن ناصر الدين أبي الفرج، وُلد سنة (٨٥٧هـ/١٤٥٣م)، أو في سنة (٨٥٨هـ/١٤٥٤م)^(٣)، أي قبل موت أبيه بيسير، واشتغل بالعلم، وتوفي بالروم محصلاً لأوقافها سنة (٨٩٤هـ/١٤٨٨م)^(٤).

واجتماع علمه مع كونه من المدينة ومحصلاً لأوقاف كان له دور في تعظيمه بالروم، فقد ذكر السخاوي أنه كان له مشهد عظيم^(٥)، وقد تزوّج أبو الفضل من ست قريش ابنة الشمس محمد بن جمال القرشي البكري المدني^(٦).

وقد خلف من الأبناء: (عبد الحفيظ وعبد اللطيف، ومن البنات أم الحسين ومريم) وهم ممن اشتغل بالعلم.

— فعبد الحفيظ هو ابن الكمال أبي الفضل بن الزين أبي بكر بن ناصر الدين أبي الفرج المراغي^(٧)، وأمه هي ست قريش ابنة البكري المتقدم ذكرها، وقد اشتغل بالعلم، وارتحل فيه، وتأخرت وفاته إلى سنة (٩٢٣هـ/١٥١٧م)^(٨)، بعد أن تزوّج، وتقرّر في علا وظائفه، وكان قد رزق بأبي الفضل وغيره، ودفن بالصحراء^(٩)، وقد وقع في تاريخ مولده خطأ في "التحفة اللطيفة"، ففيها أنه وُلد سنة (٨٩٩هـ/١٤٩٣م)^(١٠)، وأن

(١) ابن تغري بردي: الدليل الشافي، ج ٢، ص ٨١٤؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٧، ص ١٢٠.

(٢) ابن حجر: إنباء الغمر، ج ٧، ص ١٢٨؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج ٥، ص ٢٠٦.

(٣) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤٩٣؛ الضوء اللامع، ج ٥، ص ٢٠٦.

(٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤٩٣.

(٥) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٥، ص ٢٠٦.

(٦) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٠٩-١١٠.

(٧) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٢، ص ٣٦.

(٨) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٠٩-١١٠.

(٩) المصدر السابق، ج ٢، ص ١١٠.

(١٠) المصدر السابق، ج ٢، ص ١٠٩.

أباه مات بالروم سنة (٨٩٤هـ/١٤٨٨م)، فيكون قد وُلِدَ بعد موت أبيه بخمس سنوات، وهذا لا يكون، فالظاهر أن مولده سنة (٨٨٩هـ/١٤٨٤م).

— والابن الثاني للكمال هو عبد اللطيف، وقد جاء نسبه في "الضوء اللامع" أنه: عبد اللطيف بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن أبي بكر بن الحسين، الزين بن أبي الفضل بن الزين (بن) ناصر الدين أبي الفتوح بن الزين المراغي المدني^(١)، فجعل جده ناصر الدين مكنى بـ: (أبي الفتوح)، فإن لم يكن ثمة تحريف عن (أبي الفرج) وإلا فتكون (أبو الفتوح) كنية أخرى لأبي الفرج تيمناً بأبي الفتح أخيه.

وأما ابنتا الكمال فهما: أم الحسين ومريم، ممن اشتغلا بالعلم أيضاً، ولا يُعلم تاريخ وفاتيهما على التحديد^(٢).

* والابن الثاني لأبي الفرج المراغي هو محمد بن محمد بن أبي بكر بن الحسين المراغي، يلقَّب بالشمس، وبالجمال، ويكنى بأبي عبد الله، وبأبي نصر، ويُعرف بالمراغي^(٣)، وصفه السخاوي بأنه: "أجازه مع فضيلته، وتميزه، وجلاله، ووجاهته، وخيره، ومتانة عقله، وتودُّده للفقراء ثم الغرباء، وعلوُّ همته"^(٤)، وُلِدَ الشمس في سنة (٨٣٤هـ/١٤٣٠م) في صفر منه بالمدينة، ونشأ بها، وطلب العلم حتى فاق أقرانه، وقد عرض له عارض بصغره أعاقه حتى كان يمشي على عكازين، ثم صار يجلس على تكة لها بكر يسحب بها إلى باب المسجد، ثم يحمل إلى اسطوانة التوبة من الروضة، فيجلس بها في أيام الجمع ونحوها، ولذلك يقال له أيضاً: (المقعد)^(٥)، ولأجل همته العالية، لم تُعَقَّ هذه الإعاقة عن الحج، فكان يَحُجُّ في كل عام^(٦)، ولما كان حريق المدينة سنة (٨٨٦هـ/١٤٨١م) كان للشمس اليد البيضاء في مواساة من ابتلي به، حتى كثرت ديونه، وذلك لكثرة تجمله ومواساته، وقد حصل الاتفاق من معاصريه على جلالته وخيره ومتانة

(١) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٢، ٤، ص ٣٣٤.

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٦، ١٢، ص ١٢٥، ١٤٥.

(٣) السخاوي: وجيز الكلام، ج ٣، ص ٩٨٥؛ الشماع: القبس الخاوي، ج ٢، ص ٣٠٢.

(٤) السخاوي: وجيز الكلام، ج ٣، ص ٩٨٥.

(٥) الشماع: القبس الخاوي، ج ٢، ص ٣٠٢-٣٠٣.

(٦) السخاوي: وجيز الكلام، ج ٣، ص ٩٨٥.

عقله بحيث صار مرجعاً في مهماتهم وغيرها من أمور المدينة، ولا سيما وآراؤه جليسة^(١)، ولأجل هذه الصفات الحسنة ذكروا في ترجمته أنه: "في أمره ذلك يزيد على أبيه أبي الفرج، وأنه لم يخلف بعده مثله في مجموع أوصافه"^(٢)، وقد تزوّج الشمس بأرملة أخيه محمد الزين أبو بكر بعد وفاته (٨٥٨هـ/١٤٥٤م)، والتي أنجبت له الزين أبو بكر محمد بن الشمس^(٣)، ولم يزل الشمس على وجاهته إلى أن مات ضحى الأحد منتصف المحرم سنة (٨٩١هـ/١٤٨٦م)، وحصل الأسف على فقدته لعظيم فضائله^(٤).

— وقد خلف الشمس المراغي بعده ابنه محمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن الحسين وكنيته أبو بكر ويلقب بالزين بن أبي عبد الله بن ناصر الدين المراغي، وهو بلقبه أشهر^(٥)، وأمه هي التي تزوّجها أبو بكر الزين محمد بن أبي الفرج، ومات عنها سنة (٨٥٨هـ/١٤٥٤م)، فخلف عليها أخوه الشمس، وقد تلقّب ولدها بلقب عمه، واكتنى بكنيته فهو: (الزين أبو بكر)، وُلِدَ الزين أبو بكر بن الشمس المراغي في سنة (٨٦٥هـ/١٤٦٠م)، بالمدينة وتعلّم بها، وقد وصف بأنه: "ذكي فهمّ ظريف متودّد، زائد الحشمة والتأنق، له ميل إلى الإطعام، مع زائد صفاء، ونعمة طرية ومحاسن"^(٦).

* والابن الثالث لأبي الفرج المراغي هو عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن الحسين، الملقّب بوجيه الدين، ولم تسعفنا المصادر عن ترجمته بشيء، وقد وُلِدَ قبل نهاية القرن، فما زاد السخاوي على قوله: "ممن سمع مني"^(٧).

* وأما ابنة أبي الفرج فهي فاطمة ابنة ناصر الدين أبي الفرج محمد بن أبي بكر بن الحسين وهي ابنة عم فاطمة بنت أبي اليمن، وقد تزوّجها أبو السعادات محمد بن ناصر الدين الكازروني، فولدت له ابنه الجمال محمداً، ثم تزوّجها السيد العلامة ابن السيد عفيف

(١) الشماع: القبس الخاوي، ج ٢، ص ٣٠٤.

(٢) السخاوي: وجيز الكلام، ج ٣، ص ٩٨٥.

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٥، ص ٢٠٦.

(٤) الشماع: القبس الخاوي، ج ٢، ص ٣٠٤.

(٥) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٦، ص ٩٠.

(٦) المصدر السابق، ج ٥، ص ٢٠٦.

(٧) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٤٨؛ المصدر السابق، ج ٢، ص ١٢٤.

الدين وطلّقها فتزوجها السيد السمهودي ثم فارقتها، ثم تزوجها أبو الفتح بن الزرندي المحتسب، ولم يزد السخاوي في ترجمتها على ذلك إلا أنه قال: "وفيها رئاسة وحشمة"^(١).

● ولعميد الأسرة أبو بكر بن الحسين المراغي (ت ٨١٦هـ / ١٤١٣م) بنتان مما طلب العلم واشتهر به هما عائشة وأسماء.

* فأما عائشة فهي أم الطيب ابنة الزين القرشي العثماني المراغي، اشتغلت بالعلم، وسمع منها الفضلاء^(٢).

* وكذلك كانت أختها أسماء من المشتغلات بالعلم، ولم تحدّد لنا المصادر تاريخ ولادتهما إلا أنهما سمعا من العز بن جماعة في سنة (٧٦٧هـ / ١٣٦٥م)، فتكون ولادتهما قبل ذلك، ربما في نحو سنة (٧٦٣هـ / ١٣٦١م) أو قريباً من ذلك، فهما شقيقتا أبناء أبي بكر الزين الكبار أبو اليمن وأبو الفتح وأبو النصر، ولم تذكر لنا المصادر كذلك تاريخ وفاتيهما إلا أنه أخذ عنهما التقى بن فهد مما يدل على تأخر وفاتيهما بما يزيد عن نحو خمس سنين عن سنة (٧٨٧هـ / ١٣٨٥م)، وهي سنة ولادة ابن فهد^(٣).

ويبدو أنهما كانتا توأمتين أو قريباً من بعضهما في الولادة، فقد ذكر السخاوي عنهما سماعهما وحضورهما المجالس بعبارات واحدة، في الشيوخ والمسموعات والتحديث بل والإجازة^(٤).

أسرة التستري (الششتري).

نشأت هذه الأسرة مع مقدم عميدها الشيخ أحمد بن عثمان بن عبد الغني التستري إلى المدينة مطلع العصر المملوكي، وكان مجيئه صحبة الشيخ أبي بكر الشيرازي، وقد عني الشيخ أحمد بخدمته، حتى وفاة الشيخ أبي بكر في سنة (٧٣١هـ / ١٣٣٠م)^(٥)، وقد أنجب الشيخ أحمد ولده (محمد) في سنة (٧١٠هـ / ١٣١٠م)، والذي ربّاه على خدمة الشيخ الشيرازي، فاكسب أحمد وولده من آدابه وتخلقا بأخلاقه، مما انعكس على حياة الشيخ

(١) المصدر السابق، ٦م، ج ١٢، ص ١٠٢.

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، ٦م، ج ١٢، ص ٧٤.

(٣) المصدر السابق، ٣م، ج ٦، ص ١٢٩.

(٤) ابن فهد: معجم الشيوخ، ص ٣٩٩؛ المصدر السابق، ٦م، ج ١٢، ص ٧٤.

(٥) الفيروزآبادي، المغامم المطابة، ج ٣، ص ١١٦٧ - ١١٦٨.

أحمد وولده من بعده فقد وُصِفَ الشيخ أحمد بأنه من الحريصين على العبادة، فكان يدخل المسجد النبوي في الوقت الأول، ملازماً في ذلك للصف الأول، مشتهراً بالسكينة والوقار، كما كان محباً للفقراء، والمساكين، وأهل الصلاح والدين^(١).

وكذلك كان الشيخ أحمد في تعامله مع أهله فكان على خلق (أهل الخير)، وقد جاء في الحديث: ((خيركم خيركم لأهله))^(٢)، وقد رزقه الله من الأولاد: ابن هو الشمس محمد وابنة تزوجها الشيخ محمد الهزميري^(٣).

كما كان الشيخ أحمد قائماً بحقوق الله تعالى، فلا يقوم ولا يغضب إلا إذا انتهك حق من حقوق الله، وقد أكسب ابنه شمس الدين (محمد)، هذه الأخلاق الحميدة منه ومن الشيخ أبي بكر الشيرازي، فكان خير خلفٍ لخير سلف^(٤)، فتربى الابن محمد في هذا البيت "العابد" على خير وعفة وصلاح، وحُبِّ له طلب العلم والرحلة وعمل الخير حتى نفع الله به، وانتشر خيره حتى صار له في المدينة: "آثار حسنة، ومعالم مستحبة"^(٥)، وكان صالحاً، خيراً، وعُمِّرَ حتى بلغ الخامسة والسبعين، فتوفي في شعبان في ليلة نصفه بعد العشاء في سنة (٧٨٥هـ/١٣٨٣م)، ودُفن بالبقيع^(٦).

وقد رزق الله الشيخ محمداً ثلاثة من الأبناء هم (أحمد وعبد الله ومحمد)، وكلهم ممن طلب العلم واعتنى به.

(١) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ١١١-١١٢.

(٢) ابن ماجه: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، صححه وخرج أحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، (د.ط)، (دار إحياء الكتب العربية، د. ت)، ج ١، ص ٦٣٦.

(٣) هو الشيخ محمد الهزميري دخل المدينة وأقام بها فترة طويلة، وكان تقياً زاهداً، متفقهاً يتكسب من بيع الخطب وكان من الذين يعتكفون بالمسجد النبوي، في العشر الأواخر من رمضان، تزوج أخت محمد بن صالح بن إسماعيل، فرزقه الله منها ولداً صالحاً بعد أن طلق ابنة أحمد الششتري. ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ١٦٥-١٦٦.

(٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١٦٣؛ ج ٢، ص ٤٢٠-٤٢١.

(٥) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ١١٢.

(٦) ابن حجر: إنباء الغمر، ج ١، ص ٢٨٥؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٦، ص ٢٨٩.

* فالأول هو أحمد بن محمد بن أحمد بن عثمان التستري، وقد أنجب ولدين: أبو بكر وأم الحسن، وكان الشيخ أحمد حريصاً على انتسابهم للعلم، فاستحاز لهم من المطري^(١).

* وأما الابن الثاني للشمس محمد هو الشيخ عبد الله بن محمد بن أحمد جمال الدين، ويُعرف بالجمال التستري أو (الششتري) وُلد سنة (٧٧٨هـ/١٣٧٦م)، وقد سلك طريق والده وجده في العبادة، فكان ملازماً للإقامة بالمسجد النبوي، عاش حياة علمية، وتوفي سنة (٨٦٠هـ/١٤٥٥م)، ودفن بالبقيع في الموضع الذي دفن به والده^(٢).

وقد رُزقَ الجمال التستري ثلاثة من الأبناء هم (عثمان، وأحمد، وعبد الرحمن) وهم ممن أنعم الله عليهم بالعلم والسكنى بالمدينة.

— فعثمان بن عبد الله بن محمد التستري ترجم له السخاوي ترجمة مختصرة، وذكر أنه له ولد بالمدينة^(٣).

— وأما أحمد فكان خيراً وصف بأنه: (مبارك)، وهو وصف يدل على كثرة الخير المتعدي للآخرين، كما قال تعالى عن عيسى بن مريم نبي الله: ﴿وَجَعَلْنِي مُبَارِكاً أينَ مَا كُنْتُ﴾^(٤)، ولم تحدّد لنا المصادر وفاته، إلا أنه ثبت سماعاً له للحديث في سنة (٨٣٧هـ/١٤٣٣م)^(٥).

— وأما الابن الثالث فهو عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد بن أحمد الزين التستري، وقد وصف أيضاً بأنه كان: (خيراً)، وأنه توفي بالشام في خامس رجب سنة (٨٨٧هـ/١٤٨٢م)^(٦).

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١٣٣.

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٣، ص ٥٥، ص ٤٦.

(٣) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٢٤٥.

(٤) القرآن الكريم: سورة مريم، آية (٣١).

(٥) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١١٧.

(٦) المصدر السابق، ج ١، ص ١٣٥.

* والابن الثالث لشمس محمد (ابن مؤسس الأسرة)، هو الشرف محمد ابن محمد بن أحمد بن عثمان التستري، وهو كذلك ممن عني بالعلم^(١).

وقد أنجب الشرف محمد أولاداً اشتهر منهم أربعة:

— الأول هو أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد التستري، أبو العباس الشهاب بن الشرف، ووصف بأنه كان: "خيراً رضيعاً"، كما اشتغل بالعلم، وتوفي سنة (٨٧٧هـ/١٤٧٢م)، وقد جاوز الستين^(٢).

وقد خلف من بعده ولده الشمس محمد بن أحمد بن الشرف محمد، ويُعرف بـ: (ابن شرف الدين)، وقد وُلِدَ بالمدينة سنة (٨٦٢هـ/١٤٥٧م) تقريباً، وبها نشأ وعني كآبائه بالعلم، وهو آخر أسرة التستري في العهد المملوكي، فقد توفي سنة (٩٢٣هـ/١٥١٧م).

وخلف بعده ابنين هما أبو العود، وأحمد^(٣)، وقد وصفه السخاوي بأنه : "الشيخ الفاضل، الأوحد، الكامل، المشتغل، المحصل، النبيه، الوجيه، جمال الطلبة، وبركة المستفيدين، البارع، الفارع، المفيد"^(٤).

— والابن الثاني للشرف محمد هو المقرئ الشمس محمد بن الشرف محمد بن الشمس محمد بن أحمد التستري، وقد وُصِفَ بأنه كان "خيراً صالحاً"، وتوفي في جمادى الأولى سنة (٨٨٥هـ/١٤٨٠م) عن نحو سبعين سنة^(٥).

— والابن الثالث هو إبراهيم بن محمد التستري، قد توفي سنة (٨٨٧هـ/١٤٨٢م)^(٦).

(١) السخاوي: الضوء اللامع، م ٥٠، ج ٩، ص ٢٦، ١٩٥.

(٢) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١٤٤.

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، م ٤٠، ج ٧، ص ٨٢.

(٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤٣٦.

(٥) السخاوي: الضوء اللامع، م ٥٠، ج ٩، ص ١٩٥.

(٦) المصدر السابق، م ١، ج ١، ص ١٦٥.

— أما الابن الرابع فهو: إسماعيل بن محمد بن محمد التستري، وله ذكر عند السخاوي في "التحفة"^(١).

ومما نلاحظ في تراجم هذه الأسرة أن العامل المشترك بين أبنائها هو الاعتناء بطلب العلم، مع عمل الخير، فكان حب الخير والعمل به بين أفراد هذه الأسرة من لدن المؤسس رحمه الله تعالى.

أسرة السمهودي:

أسرة السمهودي من الأسر العلمية المتميزة بالمدينة النبوية، وهي في الأصل (كما تقدم في النسب) أسرة مصرية، ظهر فيها علماء كثيرون في العهد المملوكي، ثم بانتقال علي بن عبد الله بن أحمد الحسيني السمهودي للمدينة، ظهرت هذه الأسرة في المدينة، وتعاقت العلماء فيها من نسل أخيه عبد الكريم بن أحمد السمهودي، وكثر علماؤها بعد ذلك، إلا أنهم كانوا في عهد الدولة العثمانية بعد انتهاء الدولة المملوكية.

ولأجل امتداد الأسرة العلمية بين العهدين المملوكي والعثماني، ولأجل امتدادها في المدينة النبوية، كان لابد من دراستها كأسرة علمية مدنية، ورغم أنه لم يظهر في داخل الحدين الزماني والمكاني للبحث؛ أي (الدولة المملوكية والمدينة النبوية) إلا عالمها علي بن عبد الله بن أحمد السمهودي، إلا أن تأثيره (العظيم) في المدينة أوجب دراسة هذه الأسرة علمياً من خلال شخصه، فقد صاهر بيت الزرندي، وتزوج من أسرة المراغي، كما انتصب للتدريس، فقلَّ أن يكون أحد من أهل المدينة لم يقرأ عليه^(٢)، ووضع كذلك أربعة تواريخ مشهورة للمدينة، بقى منها "خلاصة الوفا" بصمة علمية فريدة، وتوثيقاً تاريخياً متميزاً، جمع شتات الفوائد، ونظم منتثرات الفرائد، وتناولته الأيدي بالدراسة حتى يومنا هذا.

نشأة الأسرة:

— نشأ جد السمهودي أحمد بن أبي الحسن علي بن عيسى الحسيني السمهودي بمصر، وقد تلقَّب بالشهاب، ونشأ على المذهب الشافعي، وولي قضاء بلده وقتاً مع وظائف أخرى، وحجَّ في حدود سنة (٨٢٠هـ/١٤١٧م)، ثم رجع إلى مصر، فمات بها، وكان أبوه

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١٨٤.

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٣، ص ٥، ص ٢٤٧؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٨، ص ٥١.

من أعيان سمهود وعدولها، فنشأ ولده بها، وكان ذا ثروة تلقاها عن أبيه، لذا كان متجماً في هيئته مع العفة في القضاء والطريقة الحسنة^(١).

— وقد أنجب الشهاب أحمد: عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن علي بن عيسى الحسيني السمهودي الملقب بالجمال^(٢)، وُلد سنة (٨٠٤هـ/١٤٠١م) بسمهود، ونشأ بها، وطلب العلم، وقد تولى القضاء نيابة، وبرع في العلوم، إلا أنه تميز بأنه لم يكن يصرف شيئاً من أوقاته في غير العبادة مع الورع التام، والزهد والسكون وعدم الجدل، فمثال ذلك حين استُفتي عن بعض مسائل تتعلق بالحج في أيامه، فقال: "أخشى من انتشار الكلام، وطول المباحثة فيكون جدالاً"^(٣)، وكانت هذه طريقته حتى مع توليه القضاء، فعلى الرغم أنه ناب في قضاء بلده عن الجلال البلقيني، إلا أنه لم يتعدَّ لغيرها من الأعمال، بل كان توليه القضاء لما انقده في رأيه أنه يجب عليه لعدم وجود من يصلح من قضاء، فكان يراه متعيناً عليه، فلما كانت سنة (٨٥٨هـ/١٤٥٤م)، عزل نفسه محتجاً بأنه لا يعلم ببلده مستكماً شروط العدالة مع أنه لا يسعه إلا قبوله، هذا مع أن غالب قضاياه لم تكن إلا توفيقاً وصلاحاً، بحيث كان يقصد من أقاصي الصعيد^(٤).

وكان عزل نفسه عن القضاء بعد أن رأى أن غيره يقوم به، فقام به ولده الكبير عبد الرحمن عوضه، وأما هو فقد لزم الإفتاء والتدريس والعبادة مع إجماعه عن الناس بمثله وعدم البروز إلا للجماعة، حتى كان لا يعرف سوق بلده على صغرها، ولم يزل على طريقته حتى مات ببلده سنة (٨٦٦هـ/١٤٦١م)^(٥).

وقد أنجب الجمال أربعة من الأبناء وهم: (عبد الرحمن، وعلي، وعبد الكريم، وأحمد)، فالأكبر هو عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن السمهودي، وقد ناب

(١) السخاوي: الضوء اللامع، م ١، ج ١، ص ٢٨٠-٢٨١.

(٢) الشماع: القبس الخاوي، ج ١، ص ٤٤٩-٤٥٠.

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، م ٣، ج ٥، ص ٦.

(٤) الشماع: القبس الخاوي، ج ١، ص ٤٤٩-٤٥٠.

(٥) السخاوي: الضوء اللامع، م ٣، ج ٥، ص ٦.

في القضاء ببلده عن البلقيني حين إعراض أبيه عنها، فكان أول من أنكر ولايته واستمر ينوب عنه من بعده^(١).

وأما (علي) الابن الثاني لعبد الله، فهو عالم المدينة، المشهور بالشريف السمهودي^(٢)، وُلِدَ بسمهود في سنة (٨٤٤هـ/١٤٤٠م)، وبها نشأ، وطلب العلم، وارتحل في طلبه، ثم توجه بعد الحج إلى المدينة، فقطن بها في سنة (٨٧٣هـ/١٤٦٨م)، وقد سَلِمَ من حادثة حريق المسجد النبوي سنة (٨٨٦هـ/١٤٨١م)، حيث خرج قبل الحريق إلى مكة في رمضان، إلا أنه لم تسلم كتبه من الاحتراق، وهي شيء كثير، ثم سافر في موسم حج سنة (٨٨٦هـ/١٤٨١م) إلى القاهرة، ولقي السلطان الأشرف قايتباي، فأحسن إليه، وانقاد له خلق من الوجهاء، فأوقفوا الكتب والأموال على الحرم المدني وغير ذلك؛ لما تقرر عندهم من علمه وتميزه^(٣).

وقد وصفه السخاوي بأنه: "إنسان فاضل، متفنن، متميز في الفقه، والأصلين...، ملتم للعمل، والجمع، والتأليف، متوجه للعبادة، والمباحثة، والمناظرة، فريد في مجموعته، ولأهل المدينة به جمال والكمال لله"^(٤).

ونقل في القبس الحاوي عن ابن فهد أنه قال: "اجتمعتُ به مع والدي في زيارتي الأولى سنة (٩٠٩هـ/١٥٠٣م"، فرأيت في العلم والجلالة غاية، ذا الشية النيرة، والخصال الحميدة الزاهرة، شرفت بالحضور بين يديه، وقرأتُ وسمعتُ كثيراً من مروياته"^(٥)، وذكر الشوكاني أنه: "عالم المدينة بغير مدافع"^(٦).

وقد امتدت سني حياته بالمدينة أربعة عقود (قراءة ٣٨ سنة)، صاهر فيها بيت الزرندي، فتزوج أخت محمد بن عمر بن الحب، ثم فارقه، وصاهر بيت المراغي، فتزوج

(١) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٢، ٤، ص ٨٧.

(٢) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٢٨٠.

(٣) ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٨، ص ٥١.

(٤) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٣، ٥، ص ٢٤٧-٢٤٨.

(٥) الشماخ: القبس الحاوي، ج ١، ص ٥٠٢-٥٠٣.

(٦) الشوكاني: البر الطالع، ج ١، ص ٤٧٠-٤٧١.

أخت الشيخ محمد المراغي، ابنة أبي الفرج المراغي وفارقها بعد مدة، وتزوج من غيرها^(١)، كما كان له إماء، إلا أنه لم ينجب^(٢)، ولم تبقَ معه زوجة بعد رجوعه من القاهرة، بل كان مقتصرًا على الإماء^(٣)، فأنصرف للتعليم والإفادة، وكثر ماله، فكان صاحب ثروة عظيمة، وعقارات مختلفة من بيوت ونخل وحدائق ومزارع وغيرها، منها دار كبرى بقرب المسجد النبوي عند باب الرحمة، وأخرى تحت المنارة السليمانية، إضافةً إلى عدد من الحدائق والمزارع منها حديقة "السمهودية"، وحديقة "الأخوين"، ومزرعة "الشقيقات"، والمزرعة "السمهودية" وغير ذلك^(٤)، وقد أوقف ثروته قبل موته على إخوته الثلاثة الموجودين في سمهود، وقد عيّن لكل واحد منهم جزءاً موقوفاً عليه^(٥)، وكانت وفاته في الثالث يوم الخميس ثامن عشر من ذي القعدة الحرام سنة (٩١١هـ/١٥٠٥م) بالمدينة، وصُلّي عليه بالروضة بعد صلاة العصر، ودُفن بالبقيع "وفقده أهل المدينة لكونه لم يخلف بعده مثله"^(٦)، والقول بأن وفاته في سنة (٩١١هـ/١٥٠٥م) عليه جلّ المؤرخين، وكان ذلك بعد مرض ألمّ به لم يتجاوز ثلاثة أيام، فقد ذكر صاحب القبس أنه: "مرض بحمى قوية يومين، أُسكِت في الثالثة"^(٧).

— وبعد وفاة النور علي السمهودي، ورثه إخوانه في سمهود، ثم وصل منهم إلى المدينة المنورة بعد وفاته أخوه السيد عبد الكريم، وأقام بها إلى أن توفي، وأعقب (عبد الله، وعبد الرحمن، ومحمد، وعبد الرحيم)، وهم جميعهم من بيت علم وفضل وسيادة وصلاح، اجتمع فيهم بالمدينة من الوظائف العلية التدريس، والإفتاء، والخطابة والإمامة بالمسجد النبوي، وقد أدرك المؤرخ عبد الرحمن الأنصاري منهم السيد عمر السمهودي^(٨)، وحيث

(١) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٣، ص ٥، ص ٢٤٦.

(٢) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٢٨٤.

(٣) الشماخ: القبس الخاوي، ج ١، ص ٥٠١ - ٥٠٢.

(٤) الجاسر: رسائل في تاريخ المدينة، ص ٣٠.

(٥) الأنصاري: (عبد الرحمن)، تحفة المحبين والأصحاب، ص ٢٧٢.

(٦) الشماخ: القبس الخاوي، ج ١، ص ٥٠٢.

(٧) المصدر السابق، ج ١، ص ٥٠٣.

(٨) وهو من أهالي القرن الثاني عشر الهجري. انظر الأنصاري: (عبد الرحمن)، تحفة المحبين والأصحاب، ص ٢٧٢.

إن هؤلاء قد ظهوروا ما بعد إنتهاء العهد المملوكي، لذا أشرت إليهم دون تفصيل لتراجهم من حيث كونهم خارج فترة البحث، إلا أن الإشارة لاستمرار أسرة السمهودي بالمدينة تخرّج العلماء، وتثري الحركة العلمية بها. رحمهم الله تعالى.

أسرة السخاوي.

* عميد هذه الأسرة المدنية هو محمد بن أحمد بن موسى بن أبي بكر بن أبي العيد، وهو المكنتى بأبي عبيد الله، والملقب بالشمس، ويُعرف بابن القصي، (بفتح القاف والصاد ثم الباء)، وربما قيل له أيضاً السخاوي، وكان يعرف قديماً بابن أبي العيد^(١).

وُلد الشمس السخاوي بسخا بمصر سنة (٨١٩هـ/١٤١٦م)، ونشأ بها، وقد اعتنى بالعلم، ورحل فيه صغيراً وهو ابن اثني عشر في سنة (٨٣١هـ/١٤٢٧م)، ثم حجَّ سنة (٨٤٠هـ/١٤٣٦م) وله إحدى وعشرون سنة، ثم نزل المدينة بعد ذلك مجاوراً، ثم

استقر في قضائها سنة (٨٦٠هـ/١٤٥٥م) عقب وفاة قاضيها المالكي التاج عبد الوهاب بن محمد بن يعقوب المدني، وقد حمدت سيرته، وعادة لا يُولي القاضي حتى يكون معروفاً قبلها، مما يشير إلى نزوله المدينة قبل توليه القضاء بمدة، إلا أن عبارة السخاوي في "التحفة" تشير إلى غير ذلك، وهو "توليه وسافر لحل ولايته فباشره"^(٢)، فلعله عاد بعد نزوله المدينة إلى مصر، ثم رجع عندما جاءت ولايته القضاء.

وكان القاضي السخاوي مشهوراً بلين الجانب، عظيم التودد، يذكر المؤرخ السخاوي له كيف استضافه في بيته رغم كونه مريضاً، ومدحه بأنه: "نعم الرجل تودداً، وبشاشة، واستجلاباً للخواطر، وإكراماً للوافدين، وصفاء"^(٣)، كما اشتهر عنه عدم حرصه على متاع الدنيا، بل كان عفيفاً، يقرب الفقراء، إذ كان أول أمره فقيراً، فلما نزل المدينة، كثرت أمواله بها، فصار سنداً للفقراء والمعوزين، ولما أسنَّ، انقطع عن ممارسة أعماله والاجتماع بالناس بالمرض، فاستقر ابنه بعده في القضاء، واستمر الشيخ محمد بالمدينة في

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤٣٩؛ الضوء اللامع، م ٤، ج ٧، ص ١١٠.

(٢) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤٤٠.

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، م ٤، ج ٧، ص ١١١.

مرضه، إلى أن توفي، وقد قارب الثمانين من عمره ليلة الخامس من محرم سنة ٨٩٥هـ/١٤٨٩م)، ودفن بالبقيع^(١).

وقد أنجب الشمس السخاوي من الأبناء (محمد وأحمد).

— فأما الأول فهو محمد بن محمد بن أحمد بن موسى بن أبي بكر بن أبي العيد الملقب بأوحد الدين، وناصر الدين، وشمس الدين، إلا أن أشهر ألقابه التي استقر عليها هي خير الدين، ويكنى بأبي الخير، ويُعرف أيضاً بابن القصبي، وُلد بسخا، ونشأ في كنف أبيه، فحفظ القرآن، وطلب العلم حتى برع فيه، وسمع الحديث، وقد أخذ عنه جماعة من العلماء من كل المذاهب، وكان له نظم، ونثر، ومحاسن مع عقل تام، ودرية زائدة، وتواضع وخبرة^(٢)، ولما لقي ابن الهمام^(٣) بالقاهرة، أظهر له ابن الهمام الإجلال والاحترام، وكذا كان خير الدين حريصاً على مقابلة هذا الاحترام بمثله، وكان خير الدين محمد كأبيه في الفضائل، بل قال السخاوي أنه: "تميز في الفضائل"^(٤)، وقدم المدينة وتزوج بعائشة بنت الزرندي^(٥)، كما تزوج زينب بنت أحمد بن عبد الوهاب بن كرباجة، وكان أبوها شيخ الفراشين بالمدينة^(٦)، وتوفي سنة (٩١٣هـ/١٥٠٧م)^(٧).

— وقد أنجب خير الدين ابناً هو محمد بن محمد بن أحمد بن موسى بن أبي بكر بن أبي العيد السخاوي، الملقب بالحب، وبابن القصبي، وُلد بالمدينة في آخر سنة ٨٦٥هـ/١٤٦٠م)، أو في أولى سنة ٨٦٦هـ/١٤٦١م)، نشأ بالمدينة، وبها حفظ

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤٤١.

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، م ٥٠، ج ٩، ص ٤٧ - ٤٨.

(٣) هو محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد الحنفي، فقيه أصولي، له عدد من المصنفات العلمية منها "شرح الهداية" في الفقه، توفي سنة (٨٦١هـ/١٤٥٦م). ابن إياس: محمد بن إياس المصري، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى، (القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٨١م)، ج ٢، ص ٣٤٠؛ القريري: درر العقود، ج ٣، ص ٤١٤.

(٤) السخاوي: الضوء اللامع، م ٥٠، ج ٩، ص ٤٨.

(٥) الأنصاري: (عبد الرحمن)، تحفة المحبين والأصحاب، ص ١١.

(٦) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١١٨.

(٧) ابن فهد: معجم الشيوخ، ص ١١١؛ مخلوف: شجرة النور الزكية، ص ٢٦٩.

القرآن، وطلب العلم، وتزوَّج ابنة أبي الفضل بن الحب المطري، وقد أثنى عليه المؤرخ السخاوي في سكونه، وعقله، وأدبه منذ صغر سنه، فذكر أن الولد سر أبيه^(١).

— والابن الآخر لمؤسس الأسرة هو أحمد بن محمد بن أحمد بن موسى بن أبي بكر، يلقَّب بالشهاب، ويعرف بابن قاضي المالكية، الشمس السخاوي بن القصي، طلب العلم، وزوَّجه أبوه بابنة الجلال القمصي، ثم فارقها، وقطن مع أبيه بالمدينة وهو مصاب بإحدى عينيه، ويبدو أنه لم يكن له بروز في العلم أو الوجاهة في المجتمع، ولذا قال السخاوي: "وجلس في ظل أبيه بالمدينة"^(٢)، وقد تزوَّج الشهاب أحمد من فاطمة ابنة عبد العزيز بن أحمد بن عبد الغني بن مرتضى الكناني الحنفي رئيس المؤذنين بالمدينة، وقد أنجب أولاداً منهم عبد المعطي وعبد الحفيظ، إلا أن (إصلاحه بين الخصوم) يشير إلى نوع المكانة الاجتماعية التي هو فيها، ورجاحة العقل التي تمتع بها، ولم يدرك المؤرخ السخاوي وفاته، إلا أن ناسخ "التحفة اللطيفة" ذكر أنه مات في سنة (٩٠٩هـ/١٥٠٣م)^(٣).

— فأما عبد المعطي بن أحمد بن محمد بن أحمد بن موسى بن أبي بكر بن أبي العيد، فكان يلقَّب بالنجيب الزين، ويكنَّى بأبي الفضل، وقد سقط من نسبه (أحمد) أبوه بالتحفة، وإن كان قد نُص على أنه ابن الشهاب بن قاضي المالكية الشمس، وقد وُلد عبد المعطي في سنة (٨٨٣هـ/١٤٤٩م) أو التي تليها بالمدينة، ونشأ بها، وذكر السخاوي أنه متوَّجه للخير لتؤدته وفهمه^(٤).

وقد ترجم ناسخ "التحفة" في ذيل ترجمته المؤرخ له أنه تزوَّج ابنة عبد القادر بن محمد بن يعقوب الكبرى، وأولدها عدداً، وتقرَّر في الوظائف، وحصل الإحصاء والدور وعمَّرها، وأما وفاته، فذكر ناسخ "التحفة" أنه عاش بعد المؤرخ بأزيد من أربعين سنة^(٥)، فتكون وفاته بعد سنة (٩٤٢هـ/١٥٣٥م)، إلا أن عمر رضا كحالة ذكر أنه كان حياً

(١) السخاوي: الضوء اللامع، ٥م، ج ٩، ص ١٩٨.

(٢) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١٣٥.

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، ١م، ج ٢، ص ٩١.

(٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٢٠٦-٢٠٧.

(٥) المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٠٦.

حوالي سنة (٩٦٠هـ/١٥٥٣م)^(١)، ولعل الأول أوثق، وعلى كلٍ فهو آخر أفراد هذه السلسلة المباركة في الدولة المملوكية فترة البحث.

وأما عبد الحفيظ، فلم أعثر له على بسط في الترجمة.

(١) رضا كحالة: معجم المؤلفين، ج ٢، ص ٣١٤.

المبحث الثالث: تعليمهم ورحلاتهم العلمية

أولاً: تعليمهم وإجازتهم العلمية:

التعليم منهج رباني، وسنة مصطفوية، وقد منَّ الله تعالى على نبيه بالتعليم، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾^(١)، وقد جاء في الأثر: (العالم والمتعلم شريكان)^(٢)، والنصوص في الحث على التعليم كثيرة ومشهورة، ويكفي منها قوله ﷺ: ((ما من عبد يخرج يطلب علماً إلا وضعت له الملائكة أجنحتها وسلك به طريقاً إلى الجنة))^(٣).

لقد أخذ العلماء بهذا المسلك، فحرصوا على تعليم الطلاب وإفادتهم، ويعدُّ الحرمان الشريفان في مكة والمدينة من أبرز المراكز العلمية في هاتين المدينتين؛ إذ كانت حلقات العلم في المسجد النبوي تمثل أبرز مظاهر النشاط العلمي، وقد أدت دوراً بارزاً في إثراء الحركة العلمية في المدينة والحجاز عامة.

ولعل السبب في ذلك هو هجرة أعداد كبيرة من العلماء وطلبة العلم إليها من مختلف أرجاء العالم الإسلامي، سواء بقصد الإقامة الدائمة أو للمجاورة^(٤) لفترة من الزمن، كذلك

(١) القرآن الكريم: سورة النساء، آية (١١٣).

(٢) يروى حديثاً مرفوعاً عن أبي سعيد الخدري، ويروى موقوفاً على أبي الدرداء، أخرجه بطرقه ابن عبد البر: يوسف النمرى في كتابه: جامع بيان العلم وفضله، (بيروت، دار الكتب العلمية)، ص ٢٧.

(٣) أخرجه أصحاب السنن، وجمع طرقه ابن عبد البر: يوسف النمرى في كتابه المصدر السابق، ص ٣٤.

(٤) أصل هذه الكلمة مأخوذة من "جاوره مجاورةً وجواراً" وقد يكسر صار جارةً والجوار بمعنى البقاء في مكة المكرمة والمدينة المنورة بجوار الحرمين الشريفين حسبما يريد الجاور، ويأشر حياته اليومية العادية دون أي مانع يمنعه وقد يغادر من هاتين المدينتين أو يتوفاه الله بهما، وارتبط لفظ المجاورة برسول الله ﷺ منذ بداية دعوته الإسلامية إذ كان يعني الانقطاع والاعتكاف في عبادة الله سبحانه وتعالى، وقد اقتدى به المسلمون من بعد ذلك، على مر العصور الإسلامية، ولم يكن هذا المصطلح شائعاً مثل شيوعه في العصر المملوكي، نتيجة انشغال المسلمين بالجهاد في سبيل الله، وبعد أن استطاع المسلمون القضاء على الهجوم المغولي في الأراضي الإسلامية نشطت حركة المجاورة بشكل واضح في العصر المملوكي، وهذا من شدة حرص المسلمين على بقائهم في هاتين المدينتين المقدستين اللتين فضلهما الله على سائر البلاد؛ ومع مرور الوقت كثرت الترادفات لهذا المصطلح في المصادر منها: العائد والنزير، والمستوطن والقاطن وجار الله وغير ذلك. آل مشاري: منى حسن محمد مقرن، المجاورون في مكة والمدينة في العصر المملوكي من ٦٤٨هـ / ١٢٥٠م إلى ٩٢٢هـ / ١٥١٧م، (رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ، الدراسات العليا، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، ١٤٠٩هـ)، ص ٣٣ - ٣٥.

مرور بعض العلماء والرحالة الذين قدموا إليها بغرض الحج والعمرة والزيارة، فقد ساهم هؤلاء جميعاً في إثراء الحركة العلمية في المدينة، مما يجعلنا نقول أن المدينة بحكم موقعها وأهميتها الدينية تعدُّ من المراكز العلمية الهامة في تلك الفترة، وذلك لتعدد مؤسسات التعليم بها، والتي من أبرزها المسجد النبوي. بما يحويه من حلقات العلم والمدارس والأربطة وخزائن الكتب. وبما يضمه من معلمين أكفاء.

ونظام الحلقة في المسجد هي أن يتحلق الطلاب حول شيخهم، فكان لكل عالم حلقة^(١).

أما طريقة التعليم في نظام الحلقات، فقد كان الشيخ هو الذي يقرر الموضوعات التي يرغب في تدريسها والطريقة الملائمة للتعليم، كما كان الطالب هو الذي يختار شيخه الذي يدرسه، والموضوع الذي يرغب فيه حسب استعداداته وميوله.

كان الطلاب يستمعون إلى شيخ الحلقة في هدوء واهتمام وبعد ذلك يناقشونه فيما قال، وتستخدم في ذلك طريقة العرض، وهي القراءة على الشيخ، في مجالس السماع^(٢)، وطريقة الإملاء في مجالس الإملاء^(٣)، أما الموضوعات التي تدرس في الحرم النبوي فقد كانت كثيرة ومتعددة فمنها التفسير وعلم القراءات والحديث وأصوله، والفقه وأصوله، والأدب وعلوم العربية وغيرها من مختلف العلوم.

وكانت الإجازات العلمية نتاجاً مميزاً لتلك الحلقات، فلم يكن الطلاب يحصلون على شهادات دراسية جماعية، بل كانوا يحصلون على إجازات علمية فردية، إذا تحقق الشيخ

(١) مالكي: سليمان عبد الغني، بلاد الحجاز منذ بداية عهد الإشراف حتى سقوط الخلافة العباسية في بغداد، (د.ط)، (الرياض، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) ص ١٨٦-١٨٧.

(٢) هي قراءة الشيخ في معرض الأخبار ليروي عنه، سواء كان ذلك من حفظه أو القراءة من كتابه، وهو أرفع درجات أنواع الرواية عند كثير من العلماء. عبد القادر: موفق عبد الله، علم الإثبات ومعاجم الشيوخ والمشيخات وفن كتابة التراجم، (ط١)، (جامعة أم القرى، مكة، ١٤٢١هـ)، ص ٢٦.

(٣) يعتبر الإملاء أسلوب من أهم أساليب التعليم في التربية الإسلامية فقد كانت تعقد المجالس، بحيث يملئ فيها الشيخ ما حفظه، وإذا كان الإملاء من كتابه فينبغي له أن يكون حافظاً له، أما إذا أُملي من مصنفات غيره فلا بد أن يكون قد حصل على الإجازة أو حق روايتها بالسماع أو يثق به ويطمئن إليه الحاضرون. عبد المنعم: شاعر محمود، ابن حجر العسقلاني ودراسة مصنفاته ومنهجه وموارده في كتابه الإصابة، (د. ط)، (دار الرسالة للطباعة، بيروت، د. ت)، ص ٢١٢.

من فهم الطالب لما درسه من علم، كتب له شهادة على الورقة الأولى والأخيرة من الكتاب، الذي قام بدراسته معه، وتلك الشهادة تعد دليلاً على أن الطالب قد استوعب موضوع الكتاب وأنه مُجاز بتدريسه وروايته للآخرين، وتسمى تلك الشهادة إجازة.

ولم تكن تمنح إلا بعد التأكد من كفاءة الدارس وأنه أهل لها، كما أنه يشترط في المجيز: أن يكون عالماً موثقاً به في دينه، متقناً للغة، وأن يكون المستجيز من أهل العلم. وقد يحصل الطالب على عدة إجازات ومن عدة شيوخ.

ولقد تشربت الأسر العلمية التي عاشت في هذا العصر بما انتشر من علوم وثقافة تبين ازدهار الحياة الثقافية في المدينة المنورة في ذلك العصر، وبرز من هذه الأسر الكثير من العلماء الذين استنارت البشرية بعلمهم ومؤلفاتهم التي صارت خير خلف لأعظم سلف وقد تنافست هذه الأسر فيما بينها؛ لتحوز كل منها على أفضل تعليم في أبنائها. وسنورد فيما يلي نماذج لما وصلت إليه هذه الأسر من علم.

أسرة المطري:

اشتهرت أسرة المطري بحبهم للعلم، والتعلم منذ عميد الأسرة الأول، ثم العميد الثاني: — فكان أحمد بن خلف المطري بارعاً في الحديث، والتاريخ، والفقه، مشاركاً في العلوم^(١).

— ثم كان ابنه محمد المطري (ت ٧٤١هـ / ١٣٤٠م)، العميد الثاني للأسرة معدوداً من الفقهاء المحدثين، وصفه السخاوي بأنه كان: "إماماً، عالماً، مشاركاً في العلوم، ولاسيما الحديث، والفقه، والتاريخ"^(٢)، عارفاً بأنساب العرب، له يد في ذلك، كما كان مؤرخاً مجيداً^(٣)، فإن المطالع لتاريخه: "التعريف بما آنست الهجرة من معالم دار الهجرة" يعلم مكانته العلمية، ولاسيما والعلماء متواردون على وصف هذا التاريخ بـ: (المفيد)^(٤).

(١) المديرس: المدينة المنورة في العصر المملوكي، ص ٢٦١.

(٢) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤١٤.

(٣) الزركلي: الأعلام، م ٥٠، ج ٥، ص ٣٢٥ - ٣٢٦؛ المديرس: المدينة المنورة في العصر المملوكي، ص ٢٦١.

(٤) المطري: (محمد بن أحمد)، التعريف بما آنست الهجرة من معالم دار الهجرة، تحقيق: عبد الله سليمان اللهيبي، (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك عبد العزيز، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ،

١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م)، ص ٧.

ومن شيوخه عبد الصمد بن عبد الوهاب أبو اليمن بن عساكر (ت ٦٨٦هـ - ١٢٨٧م)^(١)، أما تلاميذ المطري، فقد اتسعت الرقعة الجغرافية لهم، فمنهم من المدينة ومكة واليمن وإفريقيا وغيرها وقد جلس الجمال جلّ سنين عمره للتحديث والإفادة، خاصة كتب الحديث الستة.

ومن تلاميذه: داود بن سليمان الشيرازي المدني (ت ٧١٣هـ / ١٣١٣م)^(٢)، ومحمد بن علي بن محمد القسطلاني المكي (ت ٧٥٧هـ / ١٣٥٦م)^(٣)، ومحمد بن أحمد بن مرزوق العجيسي التلمساني ويعرف (بابن مرزوق) (ت ٧٨١هـ / ١٣٧٩م)^(٤)، ومحمد بن عمر بن علي بن عمر اليميني (ت ٨٠٧هـ / ١٤٠٤م)^(٥).

— عفيف الدين عبد الله بن محمد المطري (ت ٧٦٥هـ / ١٣٦٣م)، يعد من كبار المحدثين، زاد عن والده في المشيخة في الحديث ولقاء الشيوخ، فقد لقي من شيوخ الحديث مالا يحصى كثرة، واشتهر ذكره شرقاً وغرباً بعلم الحديث^(٦)، كما اشتهر العفيف أيضاً بتمكّنه في التاريخ، يبين عن ذلك كبار الاعلام فيمن دخل المدينة من الاعلام، ولذلك وصفه مترجموه بأنه: "برع في علم التاريخ"^(٧)، ومن أفاذ منه الإمام الذهبي، فقد أورد في "المعجم المختص" وقال: "سمعت منه، وانتقيت له جزءاً"^(٨).

ووصفه الفيروزآبادي بأنه أمضى: "نهاره بأسماع الحديث، ونشر العلوم موصوف، خُصّ في علم الحديث من الله بمزيد عطايا، فصار يُضرب به وإليه الأمثال البرايا، وأكباد المطايا"^(٩).

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٧٦-١٧٧.

(٢) المصدر السابق، ج ١، ص ٣٢٦-٣٢٧.

(٣) الفاسي: العقد الثمين، ج ٢، ص ٢١٢.

(٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤٣٦.

(٥) الفاسي: العقد الثمين، ج ٢، ص ٢٢٨-٢٢٩.

(٦) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ١٥٠-١٥١.

(٧) العراقي: الذيل على العبر، ق ١، ص ١٥٦.

(٨) الذهبي: محمد بن أحمد: المعجم المختص بالمحدثين، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، (الطائف، ١٩٨٨م)، ص ١٢٥.

(٩) الفيروزآبادي: المغام المطابة، ج ٣، ص ١٢٣٣.

ومن شيوخه: تقي الدين السبكي^(١)، فقد ذكر أنه سمع منه في سنة (٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م)^(٢)، وكان العفيف مشاركاً في علوم أخرى، إلا أن الحديث غلب عليه، ولذلك كان العلماء يقارنون بينه وبين أخيه عبد الرحمن بأنه أعلم بالفقه والعفيف أعلم بالحديث^(٣)، وكان العفيف كثيراً ما يحدث بـ "مسند" الشافعي، وكذلك "الجزء" الذي خرج له الذهبي.

ومن تلاميذه الذي استفادوا من علمه وسمعوا عليه: جوهر الكريم السكندري (ت ٧٥٣هـ/ ١٣٥٢م)^(٤)، ومحمد بن أحمد الزين أبو الخير، الطبري المكي الشافعي (ت ٨١٥هـ/ ١٤١٢م)^(٥).

— تقي الدين عبد الرحمن بن محمد المطري (ت ٧٢٢هـ/ ١٣٢٢م)، نشأ عبد الرحمن نشأة علمية بكفالة أخيه العفيف، حيث ألزمه بالعكوف على من يرد بالمدينة من مشايخ العلم، فحصل علماً وأفاد ودرّس، وكان يُفضل على أخيه العفيف في الفقه، وقد سمع على أخيه "سنن الشافعي" في سنة (٧٥٣هـ/ ١٣٥٢م)^(٦).

— عبد العزيز بن يحيى المطري (ت ٧٥٢هـ/ ١٣٥١م)، وهو الذي تقدّم كفالة العفيف له وإلزامه مع التقي عبد الرحمن بالعكوف على من يرد بالمدينة من شيوخ العلم، وقد كتب بخطه أجزاءً أطلع عليها السخاوي^(٧)، وكان أول أمره قد اشتغل بالفقه الحنبلي، وبرع في علوم وأتقنها، وكان يحفظ أصولاً متعددة في فنون كثيرة، وفاق على أقرانه وأبناء

(١) هو محمد بن أحمد بن عبد الكافي، تقي الدين الشافعي، من العلماء المحدثين، توفي بالقاهرة، سنة (٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م). ابن إياس: بدائع الزهور، ج ١، ص ٩.

(٢) السبكي: عبد الوهاب بن علي، معجم الشيوخ، تحقيق: بشار عواد معروف وآخرون، (ط ١)، (دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٤م)، ص ٢٠٦-٢٠٧.

(٣) المقرئ: درر العقود، ج ٢، ص ٣٣٢؛ المدينة المنورة في العصر المملوكي، ص ٢٦١.

(٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٢٥٢.

(٥) الفيروزآبادي: المغانم المطابة، ج ٣، ص ١٢٣٢؛ المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٣٢-٤٣٣.

(٦) المصدر السابق، ج ٢، ص ١٤٧-١٤٨.

(٧) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٩٠.

جنسه رغم أنه في مقتبل عمره، ثم حفظ "المنهاج"^(١) للشافعية من غير إعراض عن مذهب الحنبلي، بل ليجمع بين المذهبين، توفي في العشرين من عمره^(٢).

— أبو حامد محمد بن عبد الرحمن المطري (ت ٨١١هـ/١٤٠٨م)، نشأ أبو حامد في كنف الأسر العلمية، حيث اعتنى عمه العفيف بوالده في العلوم، فسمع أبو حامد من عمه "البخاري" و"مسند الشافعي" في سنة (٧٥٣هـ/١٣٥٢م)، كما سمع من العفيف اليافعي^(٣) "البخاري" أيضاً، ومن العز بن جماعة^(٤) "الموطأ"، و"الفرج بعد الشدة" لابن أبي الدنيا، كما سمع من عبد الواحد بن عمر بن عياد القاضي الأنصاري الأندلسي، المدني (ت ٧٨٩هـ/١٣٨٧م)^(٥)، واشتهر أبو حامد بالعلوم، فقد جمع بين الحديث والفقه كذلك العربية، وله خط من أحسن الخطوط، ونظم حسن، وصفه السخاوي بالخير الدين وقال: "له إقبال على الخير وأهله والعبادة وعناية بالعلم"، ومن سمع منه: التقي الفاسي^(٦)، ومحمد أبو السعادات بن ظهيرة^(٧).

(١) هو "منهاج الطالبين"، وهو المنهاج الفرعي، أي في فروع الفقه، وهو أشهر كتب الشافعية، وهو "مختصر المحرر"، وضعه النووي واشتغل به العلماء شرحاً وتعليقاً وتحشية. حاجي خليفة، كشف الظنون، ج ٢، ص ٦٩٩.

(٢) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ١٥١-١٥٢.

(٣) هو عبد الله بن أسعد اليافعي اليميني، كان إماماً عالماً بارعاً في الفقه والعربية، جاور بمكة وتوفي بها سنة (٧٦٨هـ/١٣٦٦م). السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج ١٠، ص ٣٣.

(٤) هو محمد بن أبي بكر عز الدين ابن جماعة، من العلماء الأفاضل له العديد من المصنفات الحديثية، توفي سنة (٨١٩هـ/١٤١٦م). المقرئ: السلوك، ج ٤، ص ٣٧٧.

(٥) المقرئ: درر العقود، ج ٣، ص ٢٠٩؛ الفاسي: العقد الثمين، ج ١، ص ١٥٣؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٢١٩.

(٦) هو محمد بن أحمد التقي الفاسي المكي، محدث ومؤرخ، قاض مكة وشيخها، توفي سنة (٨٣٢هـ/١٤٢٨م). ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٧، ص ١٩٩؛ الشوكاني: البدر الطالع، ج ٢، ص ١١٥.

(٧) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٥، ص ٩٩، ج ٩، ص ٢١٣-٢١٤-٢١٥.

— أبو الهدى محمد المطري (ت ٨٠٦هـ/١٤٠٣م)، كان من المشتغلين بالعلم، وله نباهة، سمع بالمدينة من العز بن جماعة "جزءه الكبير" تخريجه لنفسه، وسمع من الزين العراقي^(١)، والبدر بن فرحون^(٢)، والبدر بن إبراهيم بن الخشاب^(٣) وغيرهم.

— علي بن عبد الرحمن المطري، له انشغال بالعلم في المذهب الحنبلي، سمع على الزين العراقي في سنة (٧٨٩هـ/١٣٨٧م)^(٤).

— أحمد بن عبد الرحمن المطري (ت ٨٢٢هـ/١٤١٩م)، اشتغل بالعلم، فسمع من عز الدين بن جماعة، ووصفه بأنه كان يذاكر بأشياء حسنة^(٥)، وقد اشتهر عنه كذلك أنه كان يشتغل بالكيمياء^(٦).

— المحب محمد بن محمد المطري (ت ٨٥٦هـ/١٤٥٢م) وهو من المحدثين المشهورين، خرّج له ابن فهد^(٧)، "مشيخة"^(٨)، وأخذ عنه الأئمة، وأجاز له

(١) هو عبد الرحيم بن الحسين الزين العراقي الحافظ، المحدث الفقيه، له العديد من المؤلفات توفي سنة (٨٠٦هـ/١٤٠٣م). ابن الجزري: شمس الدين محمد بن محمد: غاية النهاية في طبقات القراء، (نشره ج. براجستراسر، القاهرة، ١٩٣٢م)، ج ١، ص ٣٨٢.

(٢) الفاسي: العقد الثمين، ج ٢، ص ١٠٥؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٥١٣؛ الضوء اللامع، م ٤، ج ٧، ص ٣٠٠.

(٣) هو إبراهيم بن أحمد بن عيسى ابن الخشاب الشافعي، برع في الفقه وغيره، ولي قضاء المدينة، توفي سنة (٧٧٥هـ/١٧٧٣م). ابن فهد: تقي الدين محمد، لحظ الأخطا بذيل طبقات الحفاظ، نشره: محمد أمين دمج، (بيروت)، ص ١٥٩؛ الفاسي: ذيل التقييد، ج ١، ص ٤١٧.

(٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٢٨٨.

(٥) ابن حجر: إنباء الغمر، ج ٣، ص ٢٠٤.

(٦) ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٧، ص ١٥٤؛ الأنصاري: (ناجي محمد حسن)، التعليم في المدينة المنورة، ص ٢٤٨.

(٧) هو عمر بن محمد نجم الدين بن فهد المكي، العالم الإمام، له العديد من المصنفات، توفي بمكة سنة (٨٨٥هـ/١٤٨٠م). الشوكاني: البدور الطالع، ج ١، ص ٥١٢؛ ابن طولون وابن المبرد: متعة الأذهان، ج ١، ص ١٢٩.

(٨) المشيخة بفتح الميم والياء جاءت من جمع شيخ فهم شيوخ وأشياخ ومشيخة والشيخ هو الذي ظهرت عليه السن وبدأ عليه الشيب، وتطلق كلمة شيخ على المعلم والأستاذ إكباراً لشأنه. وكتب المشيخات هي التي تشمل على ذكر الشيوخ الذين لقيهم المؤلف وأخذ عنهم وأجازوه وإن لم يلقيهم. ابن منظور: لسان العرب، م ٣، ص ٥٠٠؛ الرازي: أبو بكر محمد عبد القادر، مختار الصحاح، (د. ط)، (دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت)، ص ٣٥٢؛ الكتاني: محمد بن جعفر، الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة، (ط ١-٢)، (دار الكتب العربية، بيروت، لبنان، ١٣٣٢-١٤٠٠هـ)، ص ١٠٥.

السخاوي^(١)، وقد حفظ القرآن، وبعض المتون، وتفقه بأبيه وجده لأمه الزين المراغي، وأخذ النحو عن أبيه وبه انتفع، وسمع الحديث على البرهان ابن فرحون، والزين العراقي، وعلى أبيه والجمال بن ظهيرة، والزين الطبري وآخرين، وكان له معرفة بالعربية^(٢)، وقد وصفه السخاوي بـ: "الإمامة والعلم والتدريس"^(٣).

وقد رُزق الحب المطري كثرة التلاميذ، والذين سمعوا عليه جملة من الكتب منها: "البخاري"، و"مسلم"، و"مسند الشافعي"، و"السنن لأبي داود"، و"الشفاء" وغيرها^(٤)، ومن تلاميذه أحمد بن محمد الشهاب أبو العباس المدني الشافعي (ت ٨٤٩هـ/١٤٤٥م)، وعلي بن الزين عبد الرحمن المدني الشافعي (ت ٨٥٤هـ/١٤٥٠م)، والعباس بن محمد بن ظهيرة الكمال أبو الفضل القرشي المكي الشافعي (ت ٨٦٤هـ/١٤٥٩م)^(٥).

— أحمد بن عبد الرحمن المطري، اشتغل بالعلم، والسماع للحديث، فسمع "البخاري" على الزين المراغي سنة (٨١٥هـ/١٤١٢م)^(٦).

— عبد الله بن محمد المطري، سمع على عدد من العلماء منهم الزين المراغي^(٧).

— محمد بن محمد المطري، له انشغال بالعلم، سمع من أبيه الحب المطري "الموطأ" وغيره^(٨).

— محمد الكمال أبو الفضل المطري (ت ٨٦٦هـ/١٤٦١م)، سمع من أبيه الحب المطري جل "مسند" الشافعي، ومن التقي بن فهد وغيرهما، وقرأ على أبي الفرج المراغي،

(١) السخاوي: وجيز الكلام، ج ٢، ص ٦٦٧.

(٢) السخاوي: التبر المسبوك، ص ٤١٦-٤١٧.

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، م ٥٥، ج ٩، ص ١٠١-١٠٢.

(٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٢٨٧-٢٨٨.

(٥) الشماع: القبس الحاوي، ج ١، ص ٣١٢.

(٦) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١٣٩.

(٧) المصدر السابق، ج ٢، ص ٨٢.

(٨) السخاوي: الضوء اللامع، م ٥٥، ج ٩، ص ٢٢٥.

وأخذ عن الأبشيطي^(١) في الفقه والعربية وغيرهما^(٢)، وهو خاتمة هذه الأسرة المباركة التي تأسست بالمدينة المنورة وأسهمت في العلوم ربحاً من الزمان، وقد غلب عليها علم الحديث والفقه في الجملة رحمهم الله تعالى.

أسرة الزرندي:

طلب الشيخ يوسف الزرندي (ت ٧١٢هـ / ١٣١٢م) العلم قبل قدومه ومجاورته بالمدينة، فسمع ببغداد عدد من علمائها، وحصل وجمع وخرّج الحديث^(٣)، وكان أكثر ما اشتهر به في المدينة مواظبته على قراءة "صحيح البخاري" في الروضة الشريفة، فكان يختم الكتاب من الجمعة، إلى الجمعة حتى صار على طرف لسانه، ثم صار يختمه كل أربعة أيام^(٤).

— وقد سلك ابنه محمد الزرندي (ت ٧٤٧هـ / ١٣٤٦م) سبيل أبيه في طلب العلم، وبرع فيه حتى تأهل للتحدث والقضاء، فتولى تدريس الحديث والقضاء، وقد سمع عليه الفيروز آبادي^(٥) "الصحيح"، و"جامع الترمذي"^(٦).

— وكذلك كان ابنه عبد اللطيف الزرندي (ت ٨١٧هـ / ١٤١٤م)، قد سمع من الجمال المطري (ت ٧٤١هـ / ١٣٤٠م) "ثلاثيات البخاري"، و"تاريخ المدينة" له، وحدث بهما، وسمعهما عليه المحب المطري وحدث عنه، كما سمع على الزين العراقي^(٧)، وكان عبد

(١) هو شهاب الدين أحمد الأبشيطي الشافعي، جاور بمكة والمدينة، وأفني ودرس، واستفاد منه الطلبة، توفي بالقاهرة.

ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٧، ص ٣٣٦.

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، م ٥٠، ج ٩، ص ٢٢٥-٢٢٦.

(٣) ابن حجر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ذيل الدرر الكامنة، تحقيق: عدنان درويش، (د. ط)، (القاهرة،

١٤١٢هـ / ١٩٩٢م)، ج ٥، ص ٢٢٨؛ ابن حبيب: تذكرة النبيه، ج ٢، ص ٤٨.

(٤) الفيروز آبادي: المغام المطابة، ج ٣، ص ١٣٢٠-١٣٢١.

(٥) هو محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ / ١٤١٤م)، إمام الناس في علم اللغة، له العديد من المصنفات

في عدة علوم وفنون. السيوطي: بغية الوعاة، ج ١، ص ٢٧٣.

(٦) السخاوي: الضوء اللامع، م ٥٠، ج ١٠، ص ٧٩.

(٧) الزرندي: (نور الدين علي)، المرور بين العلمين، ص ١٢؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٢٠٤.

اللطيف شافعيّاً خلاف مذهب أبيه، وقد درج ابنه محمد أبو الفضل الكمال على مذهب أبيه الشافعي، وكان فاضلاً^(١).

— وقد سمع حفيده الآخر محمد بن أحمد الزرندي من الزين المراغي^(٢).

— وسمع حفيده الآخر عبد اللطيف بن محمد الزرندي (ت ٨٥١هـ/١٤٤٧م) من الزين المراغي سنة (٨٠٢هـ/١٣٩٩م) وله ثمان سنوات، وقد اشتغل بالعلم، وحفظ القرآن، و"المنهاج"، و"الألفية"، و"الشاطبية"^(٣)، واشتغل بالعلم ولازم دروس أبي الفتح المراغي، وأبي الفرج المراغي، وقرأ بالقراءات السبع على السيد الطباطبي^(٤)، وسمع في رمضان في سنة وفاته "البخاري" على المحب الأقصري، كما سمع على الجمال الكازروني^(٥).

— وسمع كذلك ولده محمد بن عبد اللطيف الزرندي من السخاوي^(٦) بالمدينة، قرأ عليه ما كتبه من الأمهات الستة في الحديث^(٧).

— وقد سمع كذلك من الأسرة عبد السلام بن أبي الفرج الزرندي على الزين المراغي في سنة (٨٠٢هـ/١٣٩٩م)^(٨).

(١) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٦، ١١، ص ١٢٩.

(٢) المصدر السابق، ج ٣، ٦، ص ٣٢٢.

(٣) الشاطبية هي: المسماة بـ: "حرز الأمان ووجه التهاني"، وهي منظومة لامية في القراءات نظمها أبو محمد القاسم ابن فيرة الشاطبي (ت ٥٩٠هـ/١١٩٣م)، وأبياتها (١١٣٧)، بيتاً وقد أبدع فيها حتى صارت عمدة في القراءات، وتناولتها أيدي العلماء بالشرح والتبيين. حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ١، ص ٥٠٢.

(٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٢٧٧. هو عبد الرحمن بن عبد الكافي الطباطبي الحسني من علماء مصر توفي بها سنة (٨٠١هـ/١٣٩٨م). المقرئ: درر العقود، ج ٢، ص ٢٥٢؛ ابن حجر: إنباء الغمر، ج ٤، ص ٦٥.

(٥) المقرئ: درر العقود، ج ٢، ص ١٢٩؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج ٢، ص ٤٤، ج ٤، ص ٣٣٦.

(٦) هو محمد بن عبد الرحمن السخاوي الشافعي القاهري، محدث، فقيه، جاور ببلاد الحرمين، واتفق بعلمه الكثير، له العديد من المصنفات في الحديث والتاريخ، توفي مجاوراً بالمدينة سنة (٩٠٢هـ/١٤٩٦م). الشوكاني: البدور الطالع، ج ٢، ص ١٨٤.

(٧) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٤، ص ٨، ج ٨، ص ٧٨.

(٨) ابن تغري بردي: الدليل الشافي، ج ٢، ص ٨١٤؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٢٠٤.

— وسمع ابنه عبد العزيز الزرندي (٨٦٣هـ/١٤٥٨م) من أبي الفتح المراغي، وأبي الفرج المراغي، وأثبت له السخاوي سماعاً من الجمال الكازروني، وذلك في سنة (٨٣٧هـ/١٤٣٣م)^(١).

— وقد طلب ابنه عمر بن عبد العزيز الزرندي العلم، فحفظ القرآن، و"أربعينية النووي"^(٢)، وبعض "منهاجه"، وسمع على أبي الفرج المراغي وابنه، واشتغل في العربية يسيراً على عدد من علماء عصره، ولازم السخاوي في المدينة، وحصل نسخة من كتابه "المقاصد الحسنة" بعد سماعه عليه، وكتب له السخاوي الإجازة به، وحضر دروساً في "تفسير البيضاوي"^(٣) على الشهاب الأبشيطي^(٤).

— وقد قرأ كل من الزين عبد الرحمن بن أحمد الزرندي وأخوه محمد على خالهما الحديث بالروضة، وسمعا على الشمس السخاوي، وكان حنفي المذهب^(٥).

* وأما الابن الثاني لمؤسس الأسرة أحمد بن يوسف الزرندي (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م) فقد سمع على الجمال الكازروني "تاريخ المدينة" لابن النجار، كما سمع ومعه أخوه محمد بقراءة أبيهما "الفركاح" على البرهان إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن سباع الفزاري الشافعي الشامي^(٦).

وأما ابنه عبد الله، فقد حُبَّ إليه العلم، حتى قيل أنه قرأ كل العلوم المتداولة بين الناس، وقد حفظ القرآن صغيراً، و"العمدة"، و"الشاطبية"، و"التقريب في علوم الحديث"^(٧).

(١) المصدر السابق، ج ٢، ص ١٨٣.

(٢) "أربعينية النووي" هو: كتاب نافع جمع فيه النووي أربعين حديثاً يعد كل حديث منها قاعدة عظيمة من قواعد الدين. حاجي خليفة، كشف الظنون، ج ١، ص ١٠٨.

(٣) وهو المسمى "أنوار التنزيل وأسرار التأويل" للقاظمي عبد الله البيضاوي (ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م)، أقبلت إليه أيدي العلماء بالاختصار والحشية والتعليق. المصدر السابق، ج ١، ص ١٩٧-٢٠٢.

(٤) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٢، ص ٥٢.

(٥) المصدر السابق، ج ٣، ص ٢١٨.

(٦) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١٥٩.

(٧) التقريب في علوم الحديث هو: مختصر لكتابه "الإرشاد" الذي اختصره من كتاب "علوم الحديث" لأبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن المعروف بابن الصلاح الشهير زوري (ت ٦٤٣هـ/١٢٤٥م) اختصره أبو زكريا النووي =

و"التنبيه"^(١)، و"الحاوي"^(٢)، و"المقصورة"^(٣)، و"الحاجية"^(٤)، كما حفظ قصيدة (بانت سعاد) وتخميسها^(٥)، والتي وضعها محمد بن شعبان القرشي الشافعي المصري وأولها:

قل للعواذل مهما شتتموا قولوا^(٦).

وقد عرض في سنة (٧٣٨هـ/١٣٣٧م) على عبد العزيز بن عبد الرحمن بن حمد بن عمر الحلبي بن العجمي، وكتب له الإجازة بخط حسن، وأجاز له^(٧)، وكان له من العمر ١٨ سنة فقط، مما يدل على نبوغه وذكائه، كما سمع على الزين المراغي.

— وأما أخوه أبو الخير محمد الزرندي (ت ٧٨٣هـ/١٣٨١م) فكان بارعاً في العلوم ولاسيما الفرائض^(٨)، وقد لقي باردبيل^(٩) سنة (٧٦٣هـ/١٣٦١م) الجمال يوسف

= (ت ٦٧٦هـ/١٢٧٧م)، وشرحه السيوطي (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م) في "تدريب الراوي بشرح تقريب النواوي".

(١) التنبيه: للشيخ أبي إسحاق إبراهيم الشيرازي (ت ٤٧٦هـ/١٠٨٣م)، وهو من أعظم كتب الشافعية. حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ١، ص ٣٩٥.

(٢) لنجم الدين القزويني (ت ٦٦٥هـ/١٢٦٦م)، وهو من الكتب المعتمدة عند الشافعية، تناولته أيدي العلماء بالشرح والنظم. المصدر السابق، ج ١، ص ٤٨٨.

(٣) المقصورة: هي قصيدة يمدح فيها ابن دريد أبو بكر محمد بن الحسن اللغوي (٣٢١هـ/٩٣٣م) ميكائيل أحد أمراء فارس، أبياتها ٢٢٩ بيتاً، وقد اعتنى بها العلماء شرحاً ومعارضة وتوشيحاً وغير ذلك. المصدر السابق، ج ٢، ص ٦٥٠.

(٤) الحاجية: هي "الكافية في النحو" وتعد عمدة في علم النحو، لجمال الدين أبي عمرو عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب (ت ٦٤٦هـ/١٢٤٨م)، تناولها العلماء بالشرح والبيان والنظم وغير ذلك. المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٢٦.

(٥) وهي قصيدة الصحابي كعب بن زهير لما اعتذر للنبي ﷺ، وهي من أشهر القصائد العربية التي اعتنى بها العلماء. المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٩٥.

(٦) وهي التي وضعها إبراهيم بن محمد أبو إسحاق الاسفرائيني (ت ٤١٨هـ/١٠٢٧م) وهي مشهورة. المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٩٥.

(٧) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٧-١٨.

(٨) المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٤٢-٤٤٣.

(٩) أردبيل: مدينة من مدن أذربيجان، وهي إقليم واسع، تغلب عليه الجبال، وفيه بساتين وقلاع كثيرة. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ١م، ص ١٤٥؛ الموسوعة العربية العالمية، (ط ٢)، (مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع)، ج ١، ص ٤٧٨.

بن إبراهيم الهملابازي الأربيلي شيخ الفقراء بأذربيجان ومرجع الناس فيها، فأجاز له، وجعله ناظراً على كتابه "الأنوار لأعمال الأبرار" في الفقه، وسمع على البدر الخشاب "الجواهر والآلئ"، وصفه الكازروني بـ: "الفقيه، العالم، العامل، الصالح المحدث، المحصل"، وقرأ عليه الجمال الكازروني عوارف المعارف^(١).

* وأما نور الدين علي بن يوسف الزرندي (ت ٧٧٢هـ/١٣٧٠م)، فقد بدأ مسيرة تعلمه بالمدينة بسماع الحديث، فسمعه من أبي عبد الله محمد بن حريث العبري الفقيه (ت ٧٧٢هـ/١٣٧٠م)، ومن أبي عبد الله محمد بن علي بن يحيى الغرناطي (ت ٧١٥هـ/١٣١٥م)، ومن الزبير علي الأسواني (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م) ومن أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن جابر الوادياشي (ت ٧٤٦هـ/١٣٤٥م) والجمال محمد بن أحمد المطري (ت ٧٤١هـ/١٣٤٠م)^(٢).

وأما الفقه، فقد حفظ النور علي الربع من "الوجيز"^(٣)، إلا أن أبا الحسن الزرندي لم يستمر على التفقه بالمذهب الشافعي^(٤)، وإن كان هو المذهب السائد في المدينة آنذاك، بل ما لبث أن تحول حنفيًا وتفقه على مذهب الحنفية، ولم تذكر لنا المصادر الكتب التي تفقه بها ولا شيوخه في الفقه، إلا أنه لا بد أن يكون قد اجتمع له من ذلك أمهات الكتب وكبار المشايخ مما أهله لولاية قضاء الحنفية والتدريس سنين لاحقاً.

وكان رحمه الله طلق اللسان سريع القراءة بارعاً في علم اللغة، كان يحدث بـ: "البخاري"، و"مسلم"، و"الترمذي"، و"الموطأ"، و"أبي داود"، و"الشفاء"، و"الخلعيات"^(٥)،

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤٤٢-٤٤٣.

(٢) الزرندي: (نور الدين علي)، المرور بين العلمين، ص ٥٠-٥١-٥٢؛ المقريزي: السلوك، ج ٣، ق ١، ص ١٩٣؛ العراقي: الذيل على العبر، ق ٢، ص ٣٢٥؛ ابن حجر: الدرر الكامنة، ج ٣، ص ٢١٦-٢١٧؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٣٠٥.

(٣) الوجيز: لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي (ت ٥٠٥هـ/١١١١م)، وهو أحد الكتب الخمسة المشهورة المتداولة بين الشافعية كما ذكره النووي وهو كتاب عظيم النفع تناولته أيدي العلماء بالشرح والنظم، بل قد ذكر بعضهم أن له سبعين شرحاً. حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ٢، ص ٧٩٣-٧٩٤.

(٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٣٠٥.

(٥) الخلعيات: هي أجزاء حديثية تخريج القاضي أبي الحسين علي بن حسن (ت ٤٤٨هـ/١٠٥٦م)، جمعها أحمد الشيرازي في عشرين جزءاً. حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ١، ص ٥٥٤.

وأجاز للمقريري وللنجم بن فهد، وقرأ عليه ابن حجر^(١) في سنة وفاته (٧٧٢هـ / ١٣٧٠م)^(٢).

— أما الزين عبد الرحمن ابنه (ت ٨١٧هـ / ١٤١٤م) ، بدأ مسيرة التعليم مبكراً، فقد أحضر سنة (٧٤٧هـ / ١٣٤٦م) للسمع وكان له سنتان من العمر، بل ربما لم يبلغها تعويداً له على الجلوس في مجالس العلم ليس إلا، كما حضر على الزين الأسواني من آخر "الشفاء"، ويعدُّ بذلك عبد الرحمن آخر من روى عنه مطلقاً^(٣)، وقد نصَّ ابن حجر على أن تفرده عنه كان بالإجازة^(٤)، وقرأ بنفسه على الجمال الأميوطي^(٥)، كما سمع الزين عبد الرحمن من العز بن جماعة كتاب "الفرج بعد الشدة"، وغير ذلك من الكتب^(٦)، كما سمع من الزين العراقي ، والعفيف اليافعي^(٧).

وقد اجتمعت لدى الزين عبد الرحمن العديد من الإجازات العلمية التي حصلها في مسيرته العلمية بدءاً من حضوره الأول سنة (٧٤٧هـ / ١٣٤٦م) فما بعدها، فأجاز له عدد كبير من العلماء منهم العماد ابن كثير^(٨) ،

(١) هو أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني المصري، المؤرخ المحدث الشهير، صاحب التصانيف المفيدة، توفي سنة (٨٥٢هـ / ١٤٤٨م). المقريري: درر العقود، ج ١، ص ١٩٤؛ ابن فهد: لحظ الأخطا، ص ٣٢٦.

(٢) المقريري: درر العقود، ج ٢، ص ٤٧٧؛ الأنصاري: (ناجي محمد حسن)، التعليم في المدينة المنورة، ص ٢٤٩.

(٣) المقريري: درر العقود، ج ٢، ص ٢٦٠.

(٤) السخاوي: الضوء اللامع، م ٢، ج ٤، ص ١٠٥-١٠٦.

(٥) هو إبراهيم بن محمد شمس الدين الأميوطي الشافعي المصري، كان إماماً في الفقه، ماهراً في النحو، كريماً، سخياً، جاور بمكة وتوفي بها سنة (٧٩٠هـ / ١٣٨٨م). ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج ١، ص ١٤٤.

(٦) المقريري: درر العقود، ج ٢، ص ٤٢٦؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٤٣.

(٧) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ٢، ص ٥٥٤.

(٨) هو إسماعيل بن عباس بن علي ابن كثير، من العلماء الأجلاء، برع في الحديث والفقه، والتاريخ، والأدب، توفي سنة (٧٧٤هـ / ١٣٧٢م). المقريري: درر العقود، ج ١، ص ٤٠٢.

وابن قاضي شهبة^(١)، وغيرهما^(٢)، كما اشتغل بالفقه وغيره وتميز، وشارك في فنون^(٣).

وقد أخذ عنه جماعة من العلماء، فسمع منه ابن حجر، وقرأ عليه "البخاري" إبراهيم بن الجلال الخجندي، كما قرأ عليه "جزء ابن جماعة" أبو حامد محمد بن عبد الرحمن بن أبي الخير الحسيني الفاسي المكي وكان ذلك في سنة (٨١٢هـ/١٤٠٩م)، كما أخذ عنه التقي بن فهد بالمدينة وبمكة، وأحضر عليه ابنه النجم عمر وذكراه في معجمهما^(٤)، وأخذ عنه كذلك ابن أخيه القاضي نور الدين علي بن محمد (ت ٨٩٢هـ/١٤٨٦م) وتفرّد بالإجازة عنه^(٥)، وقد تتلمذ عليه أيضاً جماعة من العلماء منهم: علي بن إبراهيم بن علي بن راشد (ت ٨٥٩هـ/١٤٥٤م)^(٦)، كما سمع منه ابن النحاس محمد بن علي بن محمد (ت ٨٦٧هـ/١٤٦٢م)^(٧) وأحمد بن علي الشوائطي (ت ٨٦٣هـ/١٤٥٨م)^(٨).

كما أجاز الزين عبد الرحمن الزرندي الكثيرين منهم التقي بن فهد^(٩)، وكان ذلك بالمدينة سنة (٨٧١هـ/١٤٦٦م)^(١٠).

(١) هو محمد بن أبي بكر الأسدي ابن قاضي شهبة الشافعي الدمشقي، عالم، فقيه، له اشتغال بالتاريخ، توفي سنة (٨٧٤هـ/١٤٧٠م). ابن إياس: بدائع الزهور، ج ٣، ص ٤١؛ ابن طولون وابن المبرد: متعة الأذهان، ج ١، ص ٦٦.

(٢) ابن حجر: إنباء الغمر، ج ٧، ص ١٥٦؛ ابن تغري بردي: الدليل الشافي، ج ١، ص ٤٠٢؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٤٢-١٤٣.

(٣) ابن حجر: إنباء الغمر، ج ٣، ص ٤٤-٤٥.

(٤) ابن فهد: معجم الشيوخ، ص ١٩١-١٩٢؛ السخاوي: الضوء اللامع، م ٣، ج ٦، ص ١٢٦.

(٥) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٤٢-١٤٣.

(٦) ابن فهد: معجم الشيوخ، ص ١٦٣، ١٦٦؛ الشماخ: القبس الحاوي، ج ١، ص ٤٨٠-٤٨١؛ العلمي: أعلام المكيين، ج ١، ص ٢١١، ٢١٣.

(٧) ابن فهد: معجم الشيوخ، ص ٣٨٥-٣٨٦؛ العلمي: أعلام المكيين، ج ١، ص ١٩٣-١٩٤.

(٨) ابن فهد: معجم الشيوخ، ص ٦٧-٦٨.

(٩) هو أبو بكر بن محمد تقي الدين بن فهد الهاشمي المكي، من علماء مكة وفضلائها، حدث وأفاد، توفي سنة (٨٩٠هـ/١٤٨٥م). ابن طولون وابن المبرد: متعة الأذهان، ج ١، ص ١٢٧.

(١٠) ابن فهد: معجم الشيوخ، ص ٢٨٠-٢٨١؛ السخاوي: الضوء اللامع، م ٥، ج ٩، ص ٢٨١.

— وقد اشتغل بالعلم الابن الثاني للنور علي وهو أبو الفتح محمد الزرندي (ت ٧٨٣هـ / ١٣٨١م)، فقد سمع الحديث مع العراقي على جماعة من شيوخه^(١)، واشتغل أبناءه من بعده بالعلم، فسمع ابنه الحسن بن محمد بن علي بن يوسف الزرندي من الجمال الأميوطي، كما سمع الابن الآخر وهو يوسف الزرندي من الجمال الأميوطي، والزين المراغي وأجاز له التنوخي وغيره، كما تتلمذ على يديه التقي بن فهد وذكره في معجم شيوخه^(٢)، كما عرض عليه النويري علي بن محمد بن محمد بن محمد المكي (ت ٨٨٢هـ / ١٤٣٨م) محفوظاته من المتون في الحديث، والقراءات والفقہ المالكي، والنحو^(٣).

— كما طلب العلم علي بن يوسف الزرندي (ت ٨٩٢هـ / ١٤٨٦م) فسمع على المراغي، وكان يحضر دروس الأمين الأقصري الحنفي بمصر، وقد سمع على أبي الفتح المراغي، ثم أخيه أبي الفرج^(٤).

— وأما الابن الأكبر لأبي الفتح فهو علي بن محمد الزرندي (ت ٨٢٣هـ / ١٤٢٠م)، نشأ يتيماً— كما تقدم— فتولاه عمه القاضي عبد الرحمن بالرعاية والتعليم، فكان هو أول شيوخه، فسمع النور علي عليه^(٥)، كما اشتغل بالعلم على الجلال الخجندي الحنفي، ولازمه كثيراً، وسمع عليه في سنة (٧٩٧هـ / ١٣٩٤م) "جزءاً من حديث العلاء" بقراءة أبي الفتح المراغي، كما قرأ عليه البخاري، وسمع الحديث على الزين المراغي وابن الجزري في آخرين، وكان سماعه من الزين في سنة (٧٨٥هـ / ١٣٨٢م)، أي وهو ابن نحو عشر سنين، وقرأ على ابن الجزري مشيخة "الفخر"، وتصدّر بعد ذلك للتحديث والتعليم، فأخذ عنه جماعة من محبي العلم منهم أخوه، وأبو الفرج المراغي، ولازمه حين أخذ عليه تفسير القرآن وإعرابه، و"الألفية"، و"الحاجية"، وأجاز له^(٦)، كما أخذ منه الشمس محمد بن عبد العزيز الكازروني، وفتح الدين بن صالح، حيث أخذ عليه النحو، والصرف،

(١) العراقي: الذيل على العبر، ج ٢، ص ٥٢٧؛ ابن حجر: إنباء الغمر، ج ٢، ص ٨١.

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٥، ص ١٠، ج ٢٣٢؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٦، ص ٢٨١.

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٣، ص ٦، ج ١٢-١٣؛ المصنف: أعلام المكيين، ج ٢، ص ٩٧-٩٨.

(٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٣٠٨؛ الضوء اللامع، ج ٣، ص ٥٣.

(٥) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٣، ص ٥٥، ص ٣٢٧.

(٦) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٢٠٩، ٢٩٥، ٤٥٨، ٤٦٠.

والمعاني والبيان، وإعراب القرآن، والعربية، بقراءته وقراءة غيره^(١)، وأجاز للمقرئ، وللتقي بن فهد وولده ويصفا له في معجميهما^(٢).

* وأما الابن الثالث للنور الأول علي فهو عبد الوهاب الزرندي، وقد سمع في سنة (٧٧٩هـ/١٣٧٧م) على الزين أبي بكر الحسين المراغي مؤلفه تاريخ المدينة، كما قرأ على الجمال الأميوطي "جامع الترمذي" في مجالس آخرها رابع عشر من ذي القعدة سنة (٧٨٥هـ/١٣٨٣م)، وقد سمعه بقراءته الجمال الكازروني (ت ٨٤٣هـ/١٤٣٩م)^(٣).

— وقد طلب العلم ابنه أبو الفتح محمد الزرندي (ت ٨٣٨هـ/١٤٣٤م) فقد سار على طريقة أبيه، فحضر في سنة (٧٨٥هـ/١٣٨٣م) على سليمان السقا^(٤)، وله نحو خمس سنوات، وسمع بعد ذلك وأجاز له جماعة، فسمع على الجمال الأميوطي "ثلاثيات البخاري"، كما سمع "الموطأ" على البرهان بن فرحون، وكذا سمع على الزين المراغي، ومما سمعه عليه في سنة (٨٠٢هـ/١٣٩٩م) تاريخه للمدينة، كما أجاز له البلقيني وابن الملحق^(٥)، والعراقي، وغيرهم، وذكره التقي ابن فهد في معجمه^(٦).

— وقد طلب ابنه (سعد) العلم بالمدينة، فسمع على أبي الفتح المراغي، وعلى الجمال الكازروني "البخاري"^(٧).

— ويعدُّ أخوه سعيد بن محمد الزرندي أوسع طلباً للعلم منه، فقد حفظ "الهداية"^(٨)، كما اشتغل على أبي البقاء بن الضياء بمكة أو أخيه حامد، وسمع على أبي الفتح المراغي وغيره،

(١) السخاوي: الضوء اللامع، ١م، ج ٢، ص ٣٣١؛ ٣م، ج ٥، ص ٣٢٧؛ ٤م، ج ٧، ص ١٦٦.

(٢) ابن فهد: معجم الشيوخ، ص ٦٣؛ المصدر السابق، ٤م، ج ٨، ص ٢٩٧؛ ٦م، ج ١١، ص ١٦.

(٣) المصدر السابق، ٥م، ج ١٠، ص ٢٢٤-٢٢٥.

(٤) هو سليمان بن أحمد المغربي من العلماء الأجلاء سكن المدينة، وباشر صدقاتها توفي بها سنة (٨٠٢هـ/١٣٩٩م).

المقرئ: درر العقود، ج ٢، ص ١٠٥؛ ابن حجر: إنباء الغمر، ج ٤، ص ١٦٣.

(٥) هو عمر بن علي بن أحمد سراج الدين ابن الملحق، النحوي الشافعي، محدث فقيه مصنف، مات بالقاهرة، عام

(٨٠٤هـ/١٤٠١م). المقرئ: درر العقود، ج ٢، ص ٤٢٩.

(٦) السخاوي: الضوء اللامع، ٤م، ج ٨، ص ١٣٥.

(٧) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٣٩٢؛ المصدر السابق، ٥م، ج ١٠، ص ٢٢٥.

(٨) الهداية هو: "شرح بداية المبتدئ" لبرهان الدين علي بن أبي بكر، كان من أشهر كتب الحنفية. حاجي خليفة:

كشف الظنون، ج ٢، ص ٦.

وبرع في استحضار المذهب، وسمع في سنة (٨٣٧هـ/١٤٣٣م) على الجمال الكازروني في "البخاري" (١).

— ودرج ابنه علي بن سعيد الزرندي (ت ٩١٦هـ/١٥١٠م) سبيل والده في طلب العلم وزاد عليه، فقد حفظ "أربعين النووي"، و"الشاطبية"، و"ألفية" العراقي، و"أصول الفقه" (٢)، و"المنار" (٣)، و"ألفية" ابن مالك، وحفظ كذلك في المنطق "إيساغوجي" (٤)، وقد عرض على جماعة، وقرأ على أبيه في الفقه وغيره، وقرأ على الشهاب الأبيشي في العربية والمنطق، وأخذ عنه الأمين الأقصري حين قدومه المدينة عليهم، وسمع على أبي الفرج المراغي والكازروني بقراءته، وقراءة غيره، فقرأ على المراغي "البخاري"، وتلا القرآن على الشمس الششتري، وعلى السيد الطباطبي.

— وقد تحرك أخوه بطلب العلم أيضاً وهو محمد بن سعيد الزرندي، فقرأ على أبيه "الشفاء" سنة (٨٧٢هـ/١٤٦٧م)، وقرأ عليه "البخاري" في سنة (٨٧٣هـ/١٤٦٨م)، كما قرأ على أخيه "البخاري" في سنة (٨٧٥هـ/١٤٧٠م)، وقد حفظ القرآن، و"الشاطبية"، و"المنار"، و"ألفية النحو"، وأبي الفرج المراغي وغيرهما، كالأمين الأقصري، واشتغل على الأبيشي في العربية، وسمع من السخاوي بالمدينة، وزكاه السخاوي على أخيه فقال: "وهو متحرك بالنسبة لأخيه" (٥).

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٤٠٤؛ الضوء اللامع، م ٢، ج ٣، ص ٢٥٦.
(٢) أصول الفقه هو: مختصر في أصول الفقه الحنفي لنظام الدين أحمد بن محمد بن إسحاق الشاش (ت ٣٤٤هـ/٩٥٥م). حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ٥، ص ٥٤.
(٣) المنار هو: "منار الأنوار في أصول الفقه" لحافظ الدين النسفي (ت ٧١٠هـ/١٣١٠م). المصدر السابق، ج ٢، ص ٦٦٢.

(٤) إيساغوجي هو: لفظ يوناني معناه العقلية الخمس، ويعنون بذلك (الجنس والنوع والفصل والخاصة والعرض العام) وهو من أبواب المنطق التسع والمشهور منه ما وضعه أثير الدين الأبهري (ت حدود ٧٠٠هـ/١٣٠٠م).
المصدر السابق، ج ١، ص ٢١٠-٢١١؛ طاش كيري زادة: أحمد مصطفى، مفتاح السعادة ومصباح الزيادة في موضوعات العلوم، تحقيق: كامل كامل بكري و عبد الوهاب أبو النور، (د. ط)، (دار الكتب الحديثة، عابدين، د. ت)، ج ١، ص ٢٧٢.

(٥) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤٨٠؛ الضوء اللامع، م ٤، ج ٧، ص ٢٥٢.

— وأما ابن عمه محمد بن عبد الوهاب (ت بعد ٩٠٢هـ / ١٤٩٦م)، كان أكثر اشتغالاً بالعلم، فقد حفظ القرآن، و"ألفية النحو"، وبعض "المنار"، وعرض على عمه سعيد وبه تفقه على الشهاب الأبشيطي، وحضر عنده في العربية^(١).

— وقد طلب العلم أيضاً من هذه الأسرة عبد الوهاب بن المحب محمد الزرندي، فقد سمع على الزين المراغي وسمع عليه تاريخه في سنة (٨٠٢هـ / ١٣٩٩م)، كما رآه السخاوي فيمن سمع سنة (٨٣٧هـ / ١٤٣٣م) على الجمال الكازروني، سمع عليه "البخاري"، وقد سمع كذلك ابنه محمد على الجمال الكازروني^(٢).

— وأما عبد السلام بن عبد الوهاب الزرندي (ت ٩٠٩هـ / ١٥٠٣م) فقد طلب العلم صغيراً، فقد أثبتته في السامعين للبخاري على الجمال الكازروني سنة (٨٣٧هـ / ١٤٣٣م)، وتوقف في إثبات ذلك السخاوي، إلا أنه في الجملة حفظ القرآن وكتباً كـ "الشاطبية"، و"ألفية النحو"، وسمع على جماعة منهم على الجمال الكازروني وأبي الفتح المراغي، والمحب المطري، وكذا على الشمس محمد بن عبد العزيز الكازروني قرأ عليه البخاري سنة (٨٤٧هـ / ١٤٤٣م)، وتردد على السخاوي وسمع عليه، وكتب بعض تصانيفه^(٣).

— كما سمع عبد الواحد بن عبد الوهاب الزرندي على الجمال الكازروني (ت ٨٤٢هـ / ١٤٣٨م)، وهذا يقتضي أن يكون بإحضاره وهو صغير، لأن مولده في حدود سنة (٨٤٠هـ / ١٤٣٦م)، كما سمع على أبي الفتح المراغي وأخيه أبي الفرج المراغي وتردد كذلك على السخاوي^(٤).

— وأما الابن الآخر للمحب محمد فهو عمر السراج الزرندي، طلب العلم صغيراً فحضر وهو في الرابعة من عمره على الجمال الأميوطي، ثم سمع على الجمال الكازروني في "البخاري" سنة (٨٣٧هـ / ١٤٣٣م)^(٥)، ثم سمع على الزين المراغي، وكذلك كان ابنه محمد

(١) المصدر السابق، ٤م، ج ٨، ص ١٠٩-١١٠.

(٢) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٢٢٣، ٥٣٢؛ المصدر السابق، ٤م، ج ٨، ص ١٣٧.

(٣) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٧٢.

(٤) السخاوي: الضوء اللامع، ٣م، ج ٥، ص ٩٤.

(٥) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٣٥٤.

بن عمر بن المحب الزرندي طالباً للعلم فقد حفظ "المنهاج" وغيره، وأخذ القراءات عن الطباطبي، وسمع عن أبي الفتح المراغي، والسخاوي عندما كان بالمدينة^(١).

— وأما البهاء محمد بن محمد الزرندي (٨٢٢هـ/١٤١٩م)، فقد سمع على الجمال الأميوطي، والزين المراغي سنة (٨١٦هـ/١٤١٣م)، وسمع كذلك من ابن السقاء، وتفقه بصهره الجمال الكازروني، وقرأ عليه كذلك يوسف بن محمد الزرندي "البخاري" في الروضة^(٢).

— وقرأ عبد الرحمن بن محمد الزرندي على الجمال الكازروني "البخاري" وذلك في سنة (٨٣٧هـ/١٤٣٣م)، ثم قرأ على أبي الفرج المراغي سنة (٨٤٨هـ/١٤٤٤م)^(٣)، وكذلك سمع أخوه علي عبد الباسط من جدهما لأمهما الجمال الكازروني^(٤).
ومما سمعاه منه صحيح "البخاري" في سنة (٨٣٧هـ/١٤٣٣م)^(٥).

أسرة ابن فرحون:

— كان اشتغال عميد الأسرة أبي عبد الله محمد بن فرحون (ت ٧٢٢هـ/ ١٣٢٢م) بالعلوم مبكراً قبل رحلته إلى المدينة، فقد اشتغل بالعلم على شيوخ بلده، وبرع في الفقه، وأصوله والعربية، وشارك في علوم عديدة^(٦)، وكان يدرس على يدي أبي عبد الله محمد بن فرحون جماعة منهم: أبو عبد الله محمد بن علي بن جابر الوادي آشي^(٧).

— أما الابن الأكبر لابن فرحون فهو البدر عبد الله بن فرحون (ت ٧٩٦هـ/ ١٣٩٣م)، فقد قرأ القرآن على الشيخ أبي عبد الله القصري المقرئ وروي عنه، وسمع

(١) السخاوي: الضوء اللامع، م ٤، ج ٨، ص ٢٥٩.

(٢) المصدر السابق، م ٥، ج ٩، ص ١٦٦-١٦٧.

(٣) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٥٣.

(٤) السخاوي: الضوء اللامع، م ٢، ج ٤، ص ٣١.

(٥) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٠٨.

(٦) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ٢٦٣؛ المصدر السابق، ج ١، ص ٣٢٠، ج ٢، ص ٥٦٤.

(٧) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ٨٨.

الحديث بالمدينة عن والده^(١)، وسمع كذلك من السراج الدمهوري^(٢)، والشرف أبي بكر محمد القرشي والرضي الطبري وأجازوه، وسمع من الجلال أحمد بن محمد الحنجدي، حيث لقيه وله نيفٌ وسبعون سنة، وسمع عليه "مسند الطيالسي"، وبعض "الصحيحين"^(٣) وانفرد في آخر عمره بعلو الإسناد، فلم يكن بالمدينة أعلى سنداً منه^(٤)، وكان علماً في القراءات، بل جعله أبو عبد الله القصري في مبدأ طلبة قارئ مجلسه، وأخذ الفقه والعربية عن والده وكان يقول: (لازمت "تفسير ابن عطية"^(٥) حتى كدت أحفظه)^(٦).

وقد جلس البدر عبد الله بن فرحون (ت ٧٦٩هـ/١٣٦٧م)، للإسماع، وأخذ عنه وحمل عنه الكثير من العلماء، ففي آخر حياته في سنة (٧٦٧هـ/١٣٦٥م)، حدث بـ "الموطأ"، وبـ "الأنباء المنيّة"، وبـ "البخاري" أيضاً في سنة (٧٥٧هـ/١٣٥٦م)، وسمعه منه أبو بكر المراغي وغيره^(٧)، وكان أول تحديث له بالبخاري في سنة (٧٠٦هـ/١٣٠٦م)^(٨)، كما أخذ عنه الطلبة الفقه والعربية^(٩)، فقد كان البدر عبد الله بن فرحون بارعاً في العربية، ذكر ابن القاضي: أن تواليفه شاهدة بذلك، وأنه لما لقيه أثير الدين أبو حيان، ووقف على شرحه، وإعرابه لـ "بانت سعاد"، قال: "ما أظن أنه يُوجد في الحجاز مثل هذا الرجل!"، واستعظم علمه، وأثنى عليه، وكان ابن فرحون يقول: "اشتغلتُ في علم العربية وأنا ابن ثمان

(١) ابن فرحون: (إبراهيم بن علي)، الديباج المذهب، ١م، ص ٤٠٠.

(٢) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج ٣، ص ٤٥١-٤٥٢. سراج الدين الدمهوري جاور في المدينة سنة (٧٤٥هـ/١٣٤٤م)، كان من العلماء الذين انفردوا في زمانهم عن أقرانهم بعدة علوم كالقراءات، والعربية، واللغة والفقه، توفي سنة (٧٥٢هـ/١٣٥١م). ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ٢٢٨-٢٢٩.

(٣) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٨٦.

(٤) ابن فرحون: (إبراهيم بن علي)، الديباج المذهب، ١م، ص ٤٠١.

(٥) تفسير ابن عطية هو: "اخرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز" لأبي محمد عبد الحق بن أبي بكر الغرناطي (ت ٥٤٦هـ/١١٥١م)، وقد أثنى عليه أبو حيان وقال هو أجل من صنف في علم التفسير وأفضل من تعرض للتنقيح فيه والتحرير، وهو مما اعتمد عليه القرطبي وغيره. حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ٢، ص ٥٠٧.

(٦) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ٨٥.

(٧) الفاسي: العقد الثمين، ج ٣، ص ١٢٣-١٢٤.

(٨) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٨٩.

(٩) ابن فرحون: (إبراهيم بن علي)، الديباج المذهب، ٢م، ص ٢٧١؛ المصدر السابق، ج ٢، ص ٢١٩.

عشرة سنة^(١)، وقرأ عليه ابنه أبو الخير محمد في سنة (٧٦٧هـ/١٣٦٥م) اليسير من "الأنباء الميمنة عن فضل المدينة" للقاسم بن عساكر وهو كتاب مختصر^(٢)، كما أخذ عنه ابنه الآخر المحب أبو عبد الله محمد (ت ٧٩١هـ/١٣٨٨م)، فقد سمع عليه "البخاري"^(٣).

— وقد سمع ابن ابنه عبد الرحمن بن المحب محمد بن فرحون على العلم سليمان السقا^(٤).

— وأخوه أبو البركات محمد بن محمد بن فرحون (ت ٨٢٢هـ/١٤١٩م)، سمع على جمع من علماء المدينة، منهم: الزين المراغي، ومن ثم أجاز للتقي بن فهد وولديه، ولأبي الفرج المراغي حين عرض عليه^(٥).

— وكذلك أخوه البدر عبد الله بن محمد بن فرحون (ت ٨٥٩هـ/١٤٥٤م)، حفظ القرآن وكتباً، واشتغل على ابن عم أبيه البرهان بن فرحون وعلى غيره، وأخذ عن الزين المراغي، وحدث بالمدينة^(٦)، وأجاز له جماعة من العلماء منهم: البلقيني، والعراقي، والهيتمي^(٧)، وابن الملغن، وغيرهم^(٨).

وكان البدر بن فرحون (ت ٨٥٩هـ/١٤٥٤م)، مثل جده في كثرة الرواية والتلاميذ، فمن تلاميذه الذين أجاز لهم: ابن ظهيرة عمر بن محمد^(٩)، وابن ظهيرة محمد بن أبي بكر ابن عبد الله (ت ٨١٥هـ/١٤١٢م)^(١٠)، وابن ظهيرة عبد الباسط بن محمد^(١١).

(١) ابن القاضي: درة الحجال، ج ٣، ص ٥٠.

(٢) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٥٠٢؛ حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ١، ص ١٨٧.

(٣) ابن حجر: إنباء الغمر، ج ١، ص ٣٨٨؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٥٠٢.

(٤) ابن حجر: إنباء الغمر، ج ٤، ص ١٦٣؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٥١.

(٥) ابن فهد: معجم الشيوخ، ص ٤٠٥ - ٤٠٧.

(٦) السخاوي: الضوء اللامع، م ٣، ج ٥، ص ٥٥.

(٧) هو علي بن أبي بكر بن سليمان الهيتمي الشافعي، كان إماماً عالماً له العديد من المصنفات الحديثية، توفي

بالقاهرة، سنة (٨٠٧هـ/١٤٠٤م). ابن فهد: لحظ الألفاظ، ص ٢٣٩.

(٨) ابن فهد: معجم الشيوخ، ص ١٥٤.

(٩) الشماخ: القبس الحاوي، ج ٢، ص ٢٨ - ٢٩.

(١٠) السخاوي: الضوء اللامع، م ٤، ج ٧، ص ١٧٤.

(١١) المصدر السابق، م ٢، ج ٤، ص ٢٩؛ المعلمي: أعلام المكيين، ج ١، ص ٩٥.

كذلك أجاز لإبراهيم بن علي القلقشندي (ت ٩٢٢هـ/١٥١٦م)^(١)، وعمر بن محمد السراج النويري (ت ٨٨٧هـ/١٤٨٢م)^(٢).

كما سمع منه عدد من النساء وأجاز لهن، منهن: أم سلمة ابنة المحب محمد بن الرضي محمد الطبرية المكية (ت ٩١٣هـ/١٥٠٧م)^(٣).

— والابن الثالث للبدر عبد الله بن فرحون، وهو أبو العباس الشهاب أحمد (ت ٧٩٢هـ/١٣٨٩م)، ممن اشتغل بالعلم، فقد سمع على أبيه في سنة (٧٦٧هـ/١٣٦٥م) "الأبناء المينة" لابن عساكر، وكان متبحراً بالفقه، وله بغيره عناية^(٤).

— وأما الأخ الثاني للبدر وهو محمد بن فرحون (ت ٧٥٥هـ/١٣٥٤م)، فقد وصفه ابن حجر بأنه أحد الفضلاء، ممن سمع من الجمال المطري وحدث عنه^(٥). وقد اشتغل بالعلم أيضاً ابنه محمد بن محمد بن فرحون فبرع في الفقه، والنحو، واللغة^(٦).

— والأخ الثالث للبدر هو نور الدين علي بن محمد بن فرحون (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، اشتغل كذلك بالعلم، فقد نشأ بالمدينة، وقرأ القرآن على أبي عبد الله القصري، وسمع الحديث على جماعة منهم يوسف بن حسن الزرندي، والجمال المطري، وأبي عبد الله بن جابر الوادي آشي، والزين الطبري^(٧)، والسراج الدمنهوري^(٨)، وأخذ الفقه والعربية عن والده، وسمع عليه الحديث، كما سمع في رحلاته على جماعة من العلماء يأتي

(١) الشماخ: القبس الحاوي، ج ١، ص ٦٦-٦٧.

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٣، ص ٦٥؛ الشماخ: القبس الحاوي، ج ٢، ص ٢٧.

(٣) المصدر السابق، ج ٢، ص ٦٣٥-٦٣٦.

(٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١١٧.

(٥) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج ٤، ص ٣٥٤.

(٦) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ٢٧٠-٢٧١.

(٧) هو محمد بن أحمد زين الدين الطبري المكي، إمام الحرم المكي مات سنة (٨٠٩هـ/١٤٠٦م). الفاسي: العقد

الشمين، ج ١، ص ٢٨٢؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج ٧، ص ٨٥.

(٨) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤٦٨.

ذكرهم في رحلاته، وقد قرأ "الدلائل"^(١) سنة (٧٤٥هـ/١٣٤٤م) على السراج الدمنهوري، كما قرأ "الصحيحين" على الجمال محمد بن أحمد بن خلف المطري^(٢)، وقد تصدّر للتدريس، فكان يلقي درسه في الفقه في "مختصر ابن الحاجب"^(٣).

— وقد سمع ابنه الحسن "الموطأ" من أخيه البرهان إبراهيم^(٤).

— وإبراهيم بن علي هذا هو أشهر أبناء النور علماً وعملاً، وكان قد أخذ بالمدينة على عدد من علمائها منهم: الجمال المطري، والمحدث أبي عبد الله الوادي آشي، كما أخذ عن أبي الفتح المراغي، قرأ عليه "الموطأ"، و"الشفاء بتعريف حقوق المصطفى" للقاضي عياض، وسمع عليه غيرهما كـ: "تاريخ المدينة" للجمال المطري، وبعض "إتحاف الزائر" لابن عساكر^(٥).

كما أجازته جماعة من أفاضل العلماء منهم: والده، وابن الحاجب^(٦)، والشرف الأميوطي^(٧).

وقد أجاز البرهان بن فرحون لجمع من الطلاب منهم: عبد الرحمن بن عمر بن عبد الرحمن القبابي (ت ٨٣٨هـ/١٤٣٤م)^(٨)، وعبد الله بن محمد بن عيسى الطائفي قاضي الطائف (ت ٨٤٠هـ/١٤٣٦م)، أجاز له البرهان في سنة (٧٩٤هـ/١٣٩١م)^(٩)، وعبد

(١) والدلائل هو: "دلائل النبوة" للحافظ أبي بكر أحمد البيهقي (ت ٤٥٨هـ/١٠٦٥م) من أجمع ما كتب في دلائل نبوة النبي ﷺ ومعجزاته. حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ١، ص ٥٨٠.

(٢) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٢٩٥-٢٩٦؛ ابن القاضي: درة البحال، ج ٣، ص ٢٤١.

(٣) مختصر ابن الحاجب هو: مختصر في الفقه المالكي لجمال الدين عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب (ت ٦٤٦هـ/١٢٤٨م). حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ٢، ص ٥١٥.

(٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٢٨٣.

(٥) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج ١، ص ٤٨؛ القرافي: بدر الدين محمد بن يحيى، توضيح الديباج وحلية الابتهاج، تحقيق: علي عمر، (ط ١)، (القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م)، ص ٢٣.

(٦) هو علي بن أحمد علاء الدين ابن الحاجب المقرئ، أحد مشايخ القراءات في وقته، توفي بالقاهرة سنة (٨٠١هـ/١٣٩٨م). المقرئ: درر العقود، ج ٢، ص ٤٧٩.

(٧) مخلوف: شجرة النور الزكية، ص ٢٢٢؛ المزي: الحياة العلمية في القرنين السابع والثامن الهجريين، ص ٢٢٦-٢٢٧.

(٨) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٢، ص ٤٨؛ الشماع: القبس الخاوي، ج ١، ص ٣٤٨-٣٤٩.

(٩) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٣، ص ٦٠.

الرحيم بن إبراهيم اللخمي الأميوطي (ت ٨٦٧هـ / ١٤٦٢م)^(١)، وسمع منه جماعة منهم: محمد بن أحمد بن علي بن أبي عبد الله الفاسي المكي، فزار المدينة سنة (٧٩٦هـ / ١٣٩٣م)^(٢) وسمع بها من البرهان ابن فرحون "تاريخ المدينة" للمطري^(٣).

كما أجاز لجملة من النساء منهن: خديجة وتدعى كذلك (سعادة) بنت عبد الرحمن بن أبي الخير بن فهد (ت ٨٦٠هـ / ١٤٥٥م)^(٤).

— وقد سلك ابنه أبو اليمن محمد بن إبراهيم بن فرحون (ت ٨٢٤هـ / ١٤٢١م) مسلك والده في العلم، وقد أخذ العلم عن والده، والشمس البساطي^(٥) وغيرهما^(٦)، وسمع ابنه أحمد بن أبي اليمن "البخاري" من الجمال الكازروني في سنة (٨٣٧هـ / ١٤٣٣م)^(٧).

أسرة الخجندي:

— بدأ الشيخ أحمد بن محمد الخجندي (ت ٨٠٢هـ / ١٣٩٩م) رحلته مع العلم مبكراً، فقد توجه أبوه به للضياء علم الشام، فحفظ عليه سوراً من القرآن، وأخذ أسس العلوم، وقرأ عليه شيئاً من "مختصر القدوري"^(٨)، كما أخذ "المنظومة"^(٩)، وأخذ عليه أيضاً

(١) ابن فهد: معجم الشيوخ، ص ١٣٧.

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٢، ص ٤٤، ص ١٨.

(٣) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤٢٧-٤٣٠.

(٤) ابن فهد: معجم الشيوخ، ص ٣١٢-٣١٣.

(٥) هو محمد بن أحمد شمس الدين البساطي، قاضي القضاة المالكي، له العديد من المصنفات في الفقه، توفي بالقاهرة،

سنة (٨٤٢هـ / ١٤٣٨م). المقرئ: السلوك، ج ٤، ص ١١٥٠.

(٦) مخلوف: شجرة النور الزكية، ص ٢٣٩.

(٧) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١٥٩.

(٨) مختصر القدوري: لأبي الحسن أحمد القدوري البغدادي الحنفي (ت ٤٢٨هـ / ١٠٣٦م) وهو متن المتين في المذهب

الحنفي، يشتمل على نحو (١٢٠٠٠) مسألة، واشتغل به العلماء شرحاً، وبياناً لغريب حديثه، واختصاراً ونظماً.

حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ٢، ص ٥٢٠، ٥٢٣.

(٩) المنظومة هي: لأبي جعفر عمر بن محمد بن أحمد النسفي (ت ٥٣٧هـ / ١١٤٢م) أتمها في صفر سنة

(٥٠٤هـ / ١١١٠م) وعدد أبياتها (٢٦٦٩) بيتاً وهي مشهورة في الفقه الحنفي لها شروح كثيرة. المصدر

السابق، ج ٢، ص ٦٩٤-٦٩٥.

"الفرائض السراجية"^(١) ويقال لها "فرائض السجاوندي"^(٢)، وفي أصول الفقه أخذ عليه "الإخسيكي"^(٣)، كما أخذ عليه أصول اللغة والنحو، فقرأ عليه "الكافية"^(٤)، كما أخذ عليه "التوشيح" في اللغة وهو "توشيح البيان"^(٥)، وقد أكمل علومه في هذه الكتب يبحثها على أبيه^(٦)، ثم لازم العلاء أحمد البرهان الخجندي، وقرأ عليه مختصر "القصارى" له، وهو مصنف في التصريف^(٧)، قرأه مراراً، كما قرأ مختصراته في الفرائض، وأبواباً من كتابه الذي جمعه في فتاوي المذهب، ولم يكمله، ولم يفارق الشيخ أحمد الخجندي شيخه العلاء أحمد البرهان حتى مات العلاء، فلزم بعده ولده الكبير، وهو البرهان محمد، حتى قرأ عليه بعض كتاب "النحو"، وكتاب "ذوي الأرحام" لوالده، ثم فارقه وهو كهلاً^(٨).

ومن شيوخه أيضاً: سيف الدين الحسامي وهو أخو جدته ونخال والدته، قرأ عليه "ديوانه" و"الزبدة مختصر القانون" في الطب^(٩)، كما قرأ عليه "مقامات الحريري"^(١٠)، وقد

(١) السخاوي: الضوء اللامع، ١م، ج ٢، ص ١٩٥.

(٢) فرائض السجاوندي: هي لسراج الدين محمد السجاوندي الحنفي، مما تداولها العلماء، لها شروح وحواشي، وتعليقات كثيرة، وتراجم. حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ٢، ص ٢٣٣ - ٢٣٤.

(٣) "الإخسيكي" هو الكتاب المختصر في أصول الحنفية المسمى "المنتخب في أصول المذهب" لحسام الدين محمد الإخسيكي الحنفي (ت ٦٤٤هـ / ١٢٤٦م)، اشتغل به العلماء شرحاً وتعليقاً. المصدر السابق، ج ٢، ص ٦٨٠.

(٤) الكافية في النحو: لجمال الدين أبي عمرو عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب المالكي (ت ٦٤٦هـ / ١٢٤٨م)، شرحها العلماء وعلقوا عليها. المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٢٦، ٣٣١.

(٥) توشيح البيان هي: لأبي محمد قاسم بن علي الحريري (ت ٥١٦هـ / ١١٢٢م) صاحب المقامات المشهورة. المصدر السابق، ج ١، ص ٤٠٨.

(٦) السخاوي: تراجم العلماء واخلائين، ق ١٨؛ الضوء اللامع، ١م، ج ٢، ص ١٩٥.

(٧) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ٢، ص ٢٩٣.

(٨) السخاوي: الضوء اللامع، ١م، ج ٢، ص ١٩٥ - ١٩٦.

(٩) و"القانون" هو أشهر كتب الطب لأبي علي ابن حسين المعروف بابن سينا (ت ٤٢٨هـ / ١٠٣٦م)، وقد اشتغل به الأطباء فشرحوه، واختصروه، وعليه الكثير من الحواشي والتعليقات. حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ٢، ص ٢٨١، ٢٨٣.

(١٠) "مقامات الحريري" أشهر كتب المقامات، لقاسم بن علي الحريري (ت ٥١٦هـ / ١١٢٢م) حوت جد القول وهزله ودقيق اللفظ وجزله، وغرر البيان ودرره، ومُلح الأدب ونوادره مع الأمثال واللطائف، والخطب و الموعظ، والرسائل. المصدر السابق، ج ٢، ص ٦٣٥.

ارتحل الخجندي سنة (٧٤١هـ/١٣٤٠م) ليكمل تعليمه على علماء الآفاق، فدخل سمرقند، وبخارى^(١) و خوارزم^(٢)، وبغداد، وسامراء، وغيرها، وحصل على الكثير من العلماء، كما يأتي تفصيله في رحلاته العلمية.

وقد قرأ على شيوخه عدة فنون، ومختلف المصنفات، سوى ما أخذه عن علماء المدينة، والناظر في ذلك يلحظ اتساع مروياته وكثرة شيوخه وتعدد العلوم والفنون التي اكتسبها، وكثرة المصنفات والكتب التي قرأها على العلماء في كل العلوم والفنون، فقد قرأ في التفسير: "تفسير للبيضاوي" و"الوسيط" للواحدي، وقرأ في الفقه الحنفي كبار الأمهات كـ "الهداية"، و"الجامع الكبير"، وغير ذلك، كما أخذ في أصول الفقه "الاحسيكي"، و"المغني"^(٣)، و"تنقيح الأصول"^(٤)، وهي كلها أمهات أصول الحنفية، كما قرأ المذهب الشافعي من خلال كتبه المعتمدة: "الحاوي الصغير"، و"المحرر"^(٥) مع "أصول البيضاوي"، وأخذ سماعاً بإجازة كتب الحديث المشهورة كـ: "الستة" و"مسانيد، أحمد، والشافعي، والطيالسي"، و"صحيح ابن حبان"، وكذلك أخذ أمهات كتب اللغة والبلاغة والأدب، كما أخذ بطرف من الطب فقرأ كتب ابن سينا كـ "القانون" وغيره.

وقد جمع الشيخ أحمد بن محمد الخجندي هذه الكتب الضخام في صدره في فترات مختلفة من الطلب بدءاً من سن السادسة أو السابعة حتى صار شيخاً لأهل المدينة في الأربعين من عمره، ثم بدأ يث علومه في المدينة، فانتفع به الطلاب جداً، وقد عبر ابن حجر عن

(١) بخارى: بالضم، وهي من أعظم مدن ما وراء النهر وأجلها، وهي مدينة قديمة كثيرة البساتين، أول من فتحها

سعيد بن عثمان بن عفان سنة (٥٥٥هـ/٦٧٤م). ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ٣٥٣.

(٢) خوارزم ليس اسماً للمدينة وإنما هو اسم للناحية يجملتها، فأما القصبة العظمى فقد يقال لها جرجانية، وأهلها يسمونها كركانج. المصدر السابق، ص ٢، ص ٣٩٥.

(٣) "المغني" هو: في أصول الفقه للشيخ جلال الدين عمر الخبازي الحنفي (ت ٦٧١هـ/١٢٧٢م)، وقد تناوله العلماء بالشرح والتحشية. حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ٢، ص ٦٠٦.

(٤) هو "تنقيح الفصول في الأصول" لشهاب الدين أبي العباس أحمد القراني المالكي (ت ٦٤٨هـ/١٢٨٥م). المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٠٣.

(٥) "المحرر" للعباس بن عبد الكريم بن محمد (ت ٦٢٣هـ/١٢٢٦م)، من كتب الشافعية المشهورة. المصدر السابق، ج ٢، ص ٥٠٦.

ذلك بعبارة بليغة حيث قال: "وأشغل الناس بالمدينة أربعين سنة، وانتفع الناس به لدينه، وعلمه"^(١).

ومن أخذ عنه وانتفع به كثيراً نور الدين علي الزرندي، وقد قرأ الزرندي عليه جميع مصنفاته وغيرها، كما قرأ عليه "البخاري" وغير ذلك، أيضاً تتلمذ عليه الشرف أبو الفتح المراغي، قرأ عليه "مسند الطيالسي"، وكانت قراءته "للطيالسي" في مجالس آخرها في رجب سنة (٧٦٣هـ/١٣٧٤م)^(٢) ولعلّو مقامه في الحديث، نصّ مترجموه على أن له: (اليد الطولى في الحديث وسنده)^(٣).

* وقد اعتنى الشيخ أحمد الخجندي (ت ٨٠٢هـ/١٣٩٩م) بابنه (طاهر)، فأحضره للسمع في سن مبكرة جداً، فقد ذكر غير واحد أنه حضر على أبي الحسن علي بن يوسف الزرندي في شهر رمضان سنة (٧٧١هـ/١٣٦٩م)؛ أي وله ما يقل عن (ستين) من العمر، وكان ذلك للمجلس الأخير من "مسند الطيالسي"^(٤)، وقيل إنه أحضر جميع "المسند"^(٥)، ثم أعاد سماع "مسند الطيالسي" من أبيه لاحقاً^(٦)، كما أجاز له جمع من العلماء منهم: البلقيني، والعراقي وآخرون^(٧).

وقد تصدّى الشيخ طاهر للإقراء بعد ذلك فانتفع به العديد من طلبة العلم ومحبيه^(٨)، فحدّث وقرأ عليه جماعة منهم: التقى بن فهد، وأبنائه^(٩)، وإبراهيم بن علي بن ظهيرة^(١٠)، وأبو الفرج المراغي^(١١).

(١) ابن حجر: إنباء الغمر، ج ٢، ص ١١٦.

(٢) ابن فهد: معجم الشيوخ، ص ١٣١-١٣٢؛ السخاوي: الضوء اللامع، م ٤، ج ٧، ص ١٦٣.

(٣) الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، ج ٢، ص ١٢٨.

(٤) ابن فهد: معجم الشيوخ، ص ١١٨-١١٩.

(٥) السخاوي: الضوء اللامع، م ٢، ج ٤، ص ٢٣.

(٦) ابن فهد: معجم الشيوخ، ص ١١٩.

(٧) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٤٦٧.

(٨) السخاوي: الضوء اللامع، م ٢، ج ٤، ص ٣.

(٩) ابن فهد: معجم الشيوخ، ص ٩١-٩٢، ٢٨٠-٢٨١؛ الشماع: القبس الخاوي، ج ٢، ص ٢٩-٣٠.

(١٠) هو إبراهيم بن ظهيرة المكي، قاضي مكة وناظر الحرمين، اشتغل وبرع ودرس وأفنى، توفي سنة (٨٩١هـ/١٤٨٦م). السيوطي: نظم العقيان، ص ١٧، ابن طولون وابن المرد: متعة الأذهان، ج ١، ص ٢٤٤.

(١١) الشماع: القبس الخاوي، ج ١، ص ٧٣-٧٤؛ المعلمي: أعلام المكيين، ج ١، ص ٨٦.

— وقد سلك ابنه أحمد بن طاهر الخنجندي (ت ٨٨٠هـ/١٤٧٥م) سلوك والده في الطلب ، فقرأ القرآن، و"العمدة"^(١) ، وأخذ العلم على يد عدد من العلماء منهم الزين أبي بكر المراغي وغيره^(٢).

— وأما ابنه محمد بن أحمد الخنجندي (ت ٨٩٩هـ/١٤٩٣م)، فأبانت ترجمته عن أنه كان أكثر طلباً من أبيه للعلم، فقد حفظ القرآن وعدداً من المتون، وأقبل على التحصيل، فلأزم أحمد بن يونس المغربي وأخذ عنه المنطق، والمعاني، والبيان، والحساب^(٣)، وأخذ العربية مع الصرف عن الشهاب الأبيشيبي، والفقه وأصوله على السيد السمهودي، وقرأ عليه أيضاً "شرح جمع الجوامع"^(٤)، وأخذ عنه في العربية وغيره، ولأزم السخاوي في مجاروته الأولى للمدينة، وقرأ عليه "ألفية الحديث" للعراقي وغيرها من الكتب، كما أجاز السخاوي^(٥)، وقد تتلمذ عليه الشمس محمد بن أحمد الخنجندي (ت ٩٢٠هـ/١٥١٤م)^(٦).

— وقد طلب الابن الآخر لطاهر الخنجندي العلم، وهو محمد (غياث) بن طاهر الخنجندي (ت ٨٤٣هـ/١٤٣٩م)، فسمع على الزين المراغي وغيره، واشتغل على أبيه في الفنون وبرع في العربية^(٧).

(١) هو "عمدة الأحكام" هو كتاب مختصر في أحاديث الأحكام جمع فيه الحافظ عبد الحافظ عبد العزيز بن عبد الواحد المقدسي (ت ٦٠٠هـ/١٢٠٣م) نحو (٥٠٠) حديث من أحاديث الأحكام التي اتفق عليها البخاري ومسلم، وهو مصنف مشهور تداولته أيدي العلماء بالشرح والبيان. حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ٢، ص ١٦٩.

(٢) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١٠٩؛ الضوء اللامع، م ١، ج ١، ص ٣١٩.

(٣) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤١٥ - ٤١٦. ولم أعثر للمغربي على ترجمة فيما توفر لي من مصادر.

(٤) "شرح جمع الجوامع" هو: شرح لـ: "جمع الجوامع" في أصول الفقه، لتاج الدين عبد الوهاب بن علي بن السبكي (ت ٧٧١هـ/١٣٦٩م)، جمعه من زهاء مائة مصنف، وقد شرحه الجلال محمد بن أحمد المحلي (ت ٨٦٤هـ/١٤٥٩م) بشرح وصف بأنه غاية التحرير والتنقيح. انظر حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ١، ص ٤٦٧.

(٥) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤١٦؛ الضوء اللامع، م ٣، ج ٦، ص ٣١٤ - ٣١٥.

(٦) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤٣٠.

(٧) السخاوي: الضوء اللامع، م ٤، ج ٧، ص ٢٧٣ - ٢٧٤.

* وأما الابن الثاني للجلال الخجندي وهو إبراهيم بن أحمد (ت ٨٥١هـ / ١٤٤٧م) كان ممن اهتم به أبوه أيضاً منذ صغره، فقد نشأ في بيئة علمية، فحفظ القرآن، وجوده وتلا بالسمع، واشتغل بأبيه، فأخذ عنه الفقه، كما استفاد من أخيه (طاهر)، وحفظ بعض المتون كـ: "الكنز"^(١)، و"الكافية"^(٢)، وأما الحديث فقد تنوع شيوخه فيه، فقد سمع على البرهان بن صديق^(٣) ختم "صحيح البخاري" في سنة (٧٩٧هـ / ١٣٩٤م)^(٤)، وسمعه بعد ذلك على الزين الزرندي عام (٨٠١هـ / ١٣٩٨م)^(٥)، وسمع من أبيه، والزين العراقي، والمراغي، وعبد الرحمن بن علي الأنصاري الزرندي قاضي المدينة، والبرهان ابن فرحون، وناصر الدين بن صالح، وبآخر عهده على أبي الفتح المراغي^(٦).

وقد قرأ على أبيه "الأربعين النووية"، وأجاز له جمع من العلماء، فأجاز له والتنوخي، والبلقيني، وابن الملحن، والهيثمي، وغيرهم^(٧)، وقد حدثت بالبخاري ودرس، وسمع منه الطلبة^(٨).

— وسلك الشمس محمد بن محمد الخجندي (ت ٨٧٠هـ / ١٤٦٥م) سبيل العلم صغيراً، فقد سمع وهو طفل في الخامسة على الزين أبي بكر المراغي، وكان ذلك في سنة (٨١٥هـ / ١٤١٢م)، وحفظ القرآن صغيراً، وحفظ عدة من كتب العلم كـ "الكنز"، و"ألفية" ابن مالك، وغيرها من المتون^(٩)، وقد عرض على الجمال الكازروني وغيره، وقرأ "الأربعين النووية" بتمامها في مجلس واحد على ابن الجزري في ربيع الآخر سنة

(١) وهو "كنز الدقائق" في الفقه الحنفي تصنيف العلامة حافظ الدين النسفي (ت ٧١٠هـ / ١٣١٠م) وقد اعتنى به الفقهاء ووصفوه بأنه أحسن مختصر صنف في الفقه الحنفي. حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ٢، ص ٤٣٤.

(٢) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٦٣ - ٦٤.

(٣) هو إبراهيم بن محمد بن صديق الدمشقي، من علماء الحديث في وقته، جاور مكة وتوفي بها سنة

(٨٠٦هـ / ١٤٠٣م). الفاسي: العقد الثمين، ج ٣، ص ٢٥٠؛ المقرئ: درر العقود، ج ١، ص ٧٤.

(٤) ابن فهد: معجم الشيوخ، ص ٣٨.

(٥) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٦٣ - ٦٤.

(٦) السخاوي: الضوء اللامع، ج ١، ص ٢٤.

(٧) ابن فهد: معجم الشيوخ، ص ٣٨؛ السخاوي: التبر المسبوك، ص ١٨٨.

(٨) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٦٤.

(٩) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٣، ص ٦، ج ٦، ص ٢٤٥ - ٢٤٦؛ ج ٤، ص ٨، ص ٢٩٧.

(٨٢٣هـ/١٤٢٠م) بالحرم النبوي، وأجاز له^(١)، واشتغل على عمه (طاهر) وعلى أبيه (إبراهيم)، وعليه قرأ "البخاري" في سنة (٨٤٧هـ/١٤٤٣م)، وكذا حضر دروس ابن الهمام حين مجاورته بالمدينة، وأخذ أيضاً عن الأمين والمحب الأقصريين، فسمع كتاب "الشفاء"، وكان ذلك في رمضان سنة (٨٥١هـ/١٤٤٧م) بالروضة^(٢)، كما أخذ عن أبي الفتح المراغي (ت ٨٥٩هـ/١٤٥٤م)، فقرأ عليه "الشمال" للترمذي، والأحاديث المسلسلة في سنة (٨٣٤هـ/١٤٣٠م)^(٣)، ويعد من شيوخ ابن فهد ذكره في معجمه^(٤).

— وأما ابنه أبو الخير محمد الخجندي، فقد حفظ "الكنز" وعرضه بالمدينة والقاهرة، وأحضره أبوه على الجمال الكازروني وعمره سنة، ولما كبر سمع عليه، وعلى أبو الفتح المراغي، والمحب المطري، كما أخذ على المحب الأقصري وابن الهمام^(٥).

— والابن الثاني للشمس هو: الشهاب أحمد بن محمد (ت ٨٨١هـ/١٤٧٦م)، وجاء اسمه فيمن سمع سنة (٨٣٧هـ/١٤٣٣م) على الجمال الكازروني، وقد حفظ القرآن صغيراً، كما حفظ "الكنز"، وعرض سنة (٨٥٥هـ/١٤٥١م) فما بعدها على العلماء بالمدينة وغيرها، وكان قد ناهز العشرين من عمره، وأجاز له جماعة من العلماء منهم: البلقيني والمحلي^(٦) وغيرهما، وسمع على الجمال الكازروني، وأبي الفتح المراغي، والمحب المطري وآخرين^(٧).

— أما ابنه الشمس محمد بن أحمد (ت ٩٢٠هـ/١٥١٤م)، فقد حفظ القرآن صغيراً، وحفظ "الأربعين" و"الكنز" و"ألفية" النحو، كما بحث "الكتّ" سماعاً، وقراءةً عن ابن عم (أبيه) الشمس بن الجلال أحمد بن طاهر الخجندي، وعنه أخذ في الفقه والفرائض

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤٠٤.

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، م ٣، ج ٦، ص ٢٤٦.

(٣) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤٠٤.

(٤) الشماخ: القبس الخاوي، ج ٢، ص ٦٦.

(٥) السخاوي: الضوء اللامع، م ٤، ج ٨، ص ٢٩٧-٢٩٨.

(٦) هو علي بن محمد بن موسى المحلي المدني، مسند الحجاز وعلامته، توفي بالمدينة سنة (٨٣٨هـ/١٤٣٤م).

المقريزي: درر العقود، ج ٢، ص ٥٠٠؛ ابن حجر: إنباء الغمر، ج ٨، ص ٣٦٥.

(٧) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١٣٠؛ ج ٢، ص ١٩٢؛ الضوء اللامع، م ١، ج ٢، ص ٦٧.

والحساب، وقرأ عليه منسكه، كما أخذ من عمه البرهان جميع "الكنز"^(١)، كما أخذ على المجد الزرندي، وكذا أخذ النحو على قاضي الخنفة النور الزرندي، وقرأ على السيد السهمودي بحال من مؤلفه "المختصر في معالم المدينة"، وسمع من السخاوي ولازمه في مجاورته بالمدينة^(٢).

— وقد أخذ أخوه علي بن أحمد الخجندي على السخاوي، فقرأ عليه "الأربعين النووية"، وسمع غيرها عليه في سنة (٨٩٧هـ/١٤٩١م) بمكة، وأجاز له السخاوي^(٣).

— وأما الابن الثالث للشمس محمد الخجندي، فهو أيضاً يقال له علي بن محمد الخجندي (ت ٨٧١هـ/١٤٦٦م)، حفظ القرآن، و"الكنز"، و"ألفية ابن مالك"^(٤) وغيرهما، وعرض على كبار محدثي المدينة كالحب المطري، وفتح الدين بن صالح، كما أخذ عن علماء القاهرة، ودمشق^(٥).

— والابن الرابع للشمس هو: البرهان إبراهيم بن محمد الخجندي (ت ٨٩٧هـ/١٤٩١م)، حفظ القرآن، و"الكنز"، وأخذ الفقه والعربية على عدد من علماء عصره، منهم السيد السهمودي، وأما الحديث، فسمع على أبيه، وعلى أبي الفرج المراغي، وقرأ بالمدينة على السخاوي ولازمه وأخذ عنه^(٦).

— والابن الخامس للشمس محمد هو: أبو بكر بن محمد الخجندي، حفظ "الكنز" وبرع في الفقه والعربية^(٧).

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤٣٠.

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، م ٤، ج ٧، ص ٤٢.

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، م ٣، ج ٥، ص ١٧٩.

(٤) "ألفية ابن مالك هي: خلاصة النحو، اشتهرت بالألفية لكونها ألف بيت لجمال الدين أبو عبد الله الجلياني (ت ٦٧٢هـ/١٢٧٣م)، وهي من الشهرة بمكان، فقد تناولتها أيدي العلماء شرحاً وتحشية. حاجي خليفة:

كشف الظنون، ج ١، ص ١٧٤.

(٥) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٢٩٢.

(٦) السخاوي: الضوء اللامع، م ١، ج ١، ص ١١٩-١٢٠.

(٧) المصدر السابق، م ٦، ج ١١، ص ٦٧.

— وأما الابن الثاني للبرهان إبراهيم الحندي فهو: عبد الله (ت ٨٦٣هـ / ١٤٥٨م)، اشتغل على أبيه، وسمع من عبد الله المطري، واشتغل على السيد علي شيخ الباسطية، وجوّد الخط عليه، وعلى أبيه، وكتب به أشياء^(١).

أسرة ابن صالح:

لم يأخذ عميد الأسرة (صالح بن إسماعيل) قسطاً من العلوم الشرعية، إلا أن حبه لكتاب الله، كان دافعاً له أن يكرّر دعاء الله سبحانه أن يرزقه ولداً صالحاً قارئاً لكتاب الله^(٢)، وقد استجيب في ابنه محمد العميد الثاني للأسرة المباركة وفي ذريته.

* أما ابنه علي بن صالح، فلم يكن له نصيب في طلب العلم، وإن ظهر من ذريته من اشتغل به، فقد أجاز ابنه محمد بن علي بن صالح للتقي بن فهد، كما أجاز لابنة التقي زينب أم هاني^(٣).

وعرف عن حفيده محمد بن أبي بكر بن صالح اشتغاله بالعلم فقد حفظ "المنهاج"، و"منهاج البيضاوي"^(٤)، و"الألفية"^(٥).

— وكذلك كان محمد بن سعيد بن صالح، فقد حفظ القرآن وجوده، وحفظ "المنهاج"، وقرأ "البخاري" على السخاوي.

* أما محمد بن صالح (ت ٧٨٥هـ / ١٤٤٠م) العميد الثاني لهذه الأسرة، فقد تعلّم القرآن يتيماً على المؤدّب أبو عبد الله محمد بن عبد الله السبتي^(٦)، ثم لزم العلماء، وأجازوه منهم الرضي المطري، وعقد مجالس التحديث، وسمع عليه الطلاب، كما سمع مجالس القراءة،

(١) المصدر السابق، م ٣، ج ٥، ص ٢، ٥٢.

(٢) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٤٤٩.

(٣) ابن فهد: معجم الشيوخ، ص ٣٩٧ - ٣٩٨.

(٤) "منهاج البيضاوي" هو: "منهاج الوصول إلى علم الأصول"، وهو مختصر للقاضي البيضاوي (ت ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م)، وهو مختصر مفيد اشتغل به العلماء شرحاً وتحشية وتعليقاً ونظماً. حاجي خليفة:

كشف الظنون، ج ٢، ص ٧٠٣.

(٥) السخاوي: الضوء اللامع، م ٤، ج ٧، ص ١٩٦، ١٩٧.

(٦) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ١٥٨.

فقد وصفه بعضهم بالأميرين فقال: "الشيخ المسند المقرئ"^(١)، كما استفاد طلاب القراءات من الشيخ محمد بن صالح أيضاً، فإنه كان قد تلا بالسبع على أبي عبد الله القصري، وكان القصري واعظاً بالمسجد النبوي، فكان الشمس محمد بن صالح يقرأ له في مواعيد وعظه شيئاً من القرآن والحديث، ومن ثمَّ يقوم القصري بالتفسير والوعظ، وقد أهلته هذه المعرفة بالقراءات للتصدر بالمدينة النبوية؛ لإقراء الطلاب بالقراءات السبع، حتى وُصف بأنه: "شيخ القراء بطيبة، ذا خيرة"^(٢)، "عارفاً بالقراءات"^(٣)، وقد انتفع به أهل المدينة وغيرهم من الواردين^(٤).

— وأما ابنه محمد بن محمد بن صالح (ت ٨١٤هـ/ ١٤١١م) الشمس بن الشمس فقد حفظ القرآن بالمدينة وكتباً في فنون، وتعلَّم من والده القرآن، فتلا عليه بالقراءات السبع، وأذن له أبوه في الإقراء، وقد أخذ منه جماعة منها ابنه عبد الوهاب، وقد كان طلب عبد الوهاب ابنه أكثر وشهرته في الطلب أكبر، فقد سمع عبد الوهاب بن محمد بن صالح الحديث على البدر بن الخشاب، والزين المراغي، وعلى ابنه أبي الفتح المراغي، والجمال الكازروني^(٥)، وكذلك سمع على زينب ابنة اليافعي في سنة (٨٤٥هـ/ ١٤٤١م) الحديث المسلسل بالأولية وصحَّحه عن المسمعة (زينب) بخطه بإذنها^(٦)، وأخذ عن الجلال الخجندي في فنون وبرع في العربية^(٧)، وقد حدَّث وأقرأ الحديث، فممن قرأ عليه "البخاري" إبراهيم بن محمد الششتري^(٨)، وكذلك قرأ عليه ابن أخته الشمس العوفي في الفقه، و"صحيح مسلم" وغيره^(٩).

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤٨٦.

(٢) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤٨٦.

(٣) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ٣٤.

(٤) المصدر السابق، ص ٨٩.

(٥) ابن فهد: معجم الشيوخ، ص ١٥٨.

(٦) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٢٢٣.

(٧) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٣، ص ١٠٩.

(٨) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١٣٨، ٤٢١.

(٩) المعلمي: أعلام المكين، ج ١، ص ٧٨ - ٧٩.

— وقد سلك ابنه أبو الفرج طريقه في العلم، فحفظ الألفية وغيرها، واشتغل يسيراً وسمع على أبي الفتح المراغي إلا أنه غرق في سنة (٨٦١هـ/١٤٥٦م) بين الطور وينبع^(١).

* ويعد ناصر الدين عبد الرحمن بن محمد بن صالح أشهر أبناء محمد ابن صالح طلباً للعلم، وقد اتسعت مسموعاته وما قرأه على العلماء، فسمع من جده لأمه البدر عبد الله بن فرحون قطعة جيدة من "الأحكام الصغرى"^(٢) وكذلك سمع عليه مصنفه "الدر المخلص من التقصي والملخص"^(٣)، وسمع منه أيضاً "مسلسلات ابن مسدي"^(٤)، كما قرأ على الزين العراقي "تخريج الإحياء"^(٥)، كذلك سمع على العراقي شرحه للألفية^(٦) وسمع من المجد اللغوي قطعة من مؤلفه "الصلوات والبشر"^(٧)، وأجاز لناصر الدين عدداً من العلماء منهم: النور علي بن يوسف الزرندي وابن قاضي شهبه، وآخرون^(٨)، كما أجاز لعدد من الناس منهم: أبي بكر بن أحمد بن إبراهيم المرشدي المكي^(٩)، ولزَيْنب ابنة العلامة تقي الدين أبي الفضل بن فهد^(١٠)، وقد لمز ابن حجر القاضي

(١) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٦، ١١، ص ١٢٧.

(٢) "الأحكام الصغرى" هي: لعبد الحق بن عبد الرحمن بن خراط الإشيلي (ت ٥٨٢هـ/١١٨٦م) وهي أحاديث الأحكام في الحديث، ويشمل نحواً من ألف حديث وكأنه اختصره من الأحكام الكبرى له. انظر حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ١، ص ٨١.

(٣) "التقصي بحديث الموطأ" هو كتاب الحافظ يوسف بن عبد البر النمري (ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م) والملخص، (بكر الخاء) هو لأبي الحسن علي بن خلف القابسي (ت ٤٠٣هـ/١٠١٢م) وقد جمع فيه (٥٢٠) حديثاً مما اتصل به إسناده من حديث "الموطأ" مستقراً على رواية أبي سعيد سحنون بن سعيد عن مالك. المصدر السابق، ج ٢، ص ٦٥٨، ٧٢٤.

(٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٤٩ - ١٥٠؛ الضوء اللامع، ج ٢، ص ٤، ج ٤، ص ١٣١.

(٥) "تخريج الإحياء" هو: مختصر من كتاب "المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار" للعراقي. انظر حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ١، ص ٨٤.

(٦) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٤٩ - ١٥٠؛ الضوء اللامع، ج ٢، ص ٤، ج ٤، ص ١٣١.

(٧) هو: كتاب "الصلوات والبشر في الصلاة على خير البشر" لمجد الدين أبي طاهر محمد الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ/١٤١٤م). السخاوي: الضوء اللامع، ج ٢، ص ٤، ج ٤، ص ١٣١ - ١٣٢.

(٨) المصدر السابق، ج ٢، ص ٤، ج ٤، ص ١٣٢.

(٩) المعلمي: أعلام المكيين، ج ٢، ص ٨٦٥.

(١٠) ابن فهد: معجم الشيوخ، ص ٣٩٧ - ٣٩٨.

ناصر الدين عبد الرحمن هذا في الحديث، فقد قال: "وحدّث قليلاً وكان مزجي البضاعة"^(١)، كما أن ابن تغري بردي لم يصفه بما يشير إلى التحديث بل قال: "وكان من الفقهاء"^(٢)، وكان السخاوي لم يرتضِ ذلك، فقال بعد نقل كلام ابن حجر: "وأما غيره فوصفه بالفضل"^(٣).

— وقد سار على نهجه في طلب العلم ابنه أبو الفتح محمد بن عبد الرحمن بن صالح (ت ٨٦٠هـ/١٤٥٥م) فبدأ بحفظ القرآن، وتلا بالقراءات العشر من طريق النشر، وهو "النشر في القراءات العشر" لشمس الدين محمد بن محمد الجزري^(٤) وكان أخذه له على مصنفه ابن الجزري^(٥)، كما حفظ "الحاوي"، وحفظ أيضاً "جمع الجوامع"، وحفظ كذلك "الجمال" للزجاجي^(٦)، كما حفظ "ألفية الحديث"، وبذلك يكون قد حفظ في كل الفنون الكتب الأمهات المعتمدة المختصرة بها، كما اشتغل بالفقه على كبار فقهاء عصره، فقد اشتغل على والده عبد الرحمن بن صالح، كما اشتغل على الجمال الكازروني، والشمس العراقي، والجمال بن ظهيرة وآخرين^(٧)، كما تتلمذ على الكمال بن الهمام^(٨)، وأخذ "الحاجية" وغيرها عن أبي الحسن علي بن محمد الزرندي، وأما في الحديث فقد اعتنى به أيضاً أبو الفتح بن صالح، فقرأ "البخاري" وغيره على جماعة منهم: والده، وعلى الزين المراغي، وإذا علمنا أن الزين المراغي توفي سنة (٨١٦هـ/١٤١٣م)، فيكون سماعه منه دون

(١) ابن حجر: إنباء الغمر، ج ٣، ص ٣١٧.

(٢) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ١٥، ص ١١٦.

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، م ٢، ج ٤، ص ١٣٢.

(٤) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ٢، ص ٧٥٧.

(٥) هو علي بن إبراهيم شمس الدين الجزري المؤرخ، دمشق، حج مراراً وجاهور، توفي سنة (٨١٣هـ/١٤١٠م).

المقريزي: درر العقود، ج ٢، ص ٥٣٩؛ ابن حجر: إنباء الغمر، ج ٦، ص ٢٤٨.

(٦) وقد قيل في "الجمال"، أنه لم يشتغل به أحد إلا انتفع به، ألفه عبد الرحمن ابن إسحاق الزجاجي (ت ٣٣٩هـ/٩٥٠م) بمكة، وتناوله العلماء شرحاً ومباحثة واعتراضاً وجواباً وتعليقاً. حاجي خليفة: كشف

الظنون، ج ١، ص ٤٧٣-٤٧٤.

(٧) السخاوي: الضوء اللامع، م ٤، ج ٨، ص ٣٥.

(٨) المصدر السابق، م ٥، ج ٩، ص ١٠٣.

العشرين، كما قرأه هو و"الترمذي" على أبي الحسن الزرندي^(١)، كما سمع من آخرين من المدنيين والقادمين إليها كالجبال بن ظهيرة وغيره، وكذلك قرأ بنفسه وهو شاب، فسمع وقرأ في سنة (٨٢٣هـ/١٤٢٠م) الحديث على ابن الجزري، وكذا أخذ عنه المسلسل بالأولية وبالمصافحة^(٢).

أما من أجازته، فجماعة كبيرة منهم العراقي، والهيثمي، وآخرون وجمع ابن فهد من أجازوه في مشيخة بلغت مجلداً، وهذا يدل على اتساع شيوخ أبي الفتح رحمه الله. وقد أخذ عن أبي الفتح بن صالح جمع من العلماء منهم: السخاوي، فقد لقيه بالمدينة وأخذ عنه^(٣)، وأجاز له من المدينة أبو الفتح بن صالح، وآخرون^(٤).

— ويعتد إبراهيم بن محمد بن صالح الابن الأكبر لأبي الفتح بن صالح ممن سار على نهج أبيه في العلم والتعليم، فقد حفظ القرآن الكريم صغيراً، فجود القرآن غير مرة على السيد الطباطبي، وابن شرف الدين الششتري وغيرهما^(٥)، كما حفظ صغيراً "أربعين النووي" و"المنهاج" للنووي، وحضر "المنهاج" عند أبي السعادات بن ظهيرة حين كان بالمدينة^(٦)، بل كان أحد القراء فيه، وحفظ أيضاً "جمع الجوامع"، وألفية ابن مالك، و"المقدمات"^(٧)، وقد تتلمذ في الحديث على جماعة منهم أبوه، أخذ عنه "البخاري" وغيره، وسمع على الجبال الكازروني في سنة (٨٣٤هـ/١٤٣٠م)، وسمع كذلك من الحب المطري، وأبي الفتح المراغي، وسمع منه أخيه أبي الفرج، وأجاز له جماعة، وقرأ على أبي السعادات بن ظهيرة في "البخاري" بمكة، وقرأ "الشفاء" بتمامه عليه في المدينة، وأخذ بمصر عن جماعة من العلماء منهم السخاوي^(٨).

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٥١٤.

(٢) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٥١٥.

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٤، ص ٨، ص ٣٥.

(٤) المصدر السابق، ج ٦، ص ١١، ص ٤؛ الشماع: القبس الخاوي، ج ١، ص ٣٨٨.

(٥) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٨٦-٨٧؛ الضوء اللامع، ج ١، ص ١٤٩.

(٦) المصدر السابق، ج ٥، ص ٩، ص ٢١٥.

(٧) "المقدمات" هي منظومة في النحو والصرف والعروض والقافية لمحمد بن محمد النويري (ت ٨٥٧هـ/١٤٥٣م).

وهي ستمائة بيت. حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ٢، ص ٦٤٠.

(٨) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٨٦-٨٧.

وقد لمزه السخاوي في ضبطه فقال: "وغيره أثبت منه وأضبط"^(١)، لكن السخاوي عبّر بعبارة مهذبة حفظاً للعهد، لما أنزله بالمدرسة الباسطية وأحسن إليه، وفي الحديث الصحيح: ((حسن العهد من الإيمان))^(٢) ولذلك ختم السخاوي ترجمته بقوله: "وصليت خلفه التي تليها، بل أنزلني الباسطية والله يحسن عاقبته"^(٣).

— وأما الزكي الابن الثاني لفتح الدين بن صالح فهو محمد بن محمد (ت ٨٨٢هـ/١٤٧٧م)، حفظ القرآن و"الشاطبية"، و"المنهاج"، و"جمع الجوامع"، وعرضهما على جماعة^(٤).

— وطلب ولده ناصر الدين العلم كذلك، وهو أبو الفضل بن الزكي فحفظ القرآن والمنهاج، وعرضه على السخاوي مع جماعة في سنة (٨٨٠هـ/١٤٧٥م) واشتغل قليلاً، كما قرأ على السخاوي "القول البديع"، و"التقريب" وغيرهما^(٥).

— والابن الثالث لأبي الفتح هو الشمس محمد بن صالح (ت ٨٩١هـ/١٤٨٦م) لم تذكر المصادر شيئاً عن طلبه للعلم، إلا أن السخاوي ذكر أنه شارك أخوته وولد أخيه بعد اغتيال أخيه ولم يباشر ذلك^(٦) إنما أُغتيل أخوه الزكي بسبب قضائه على يد (العباسي)، وعبارة السخاوي تشير إلى مشاركته أخوته وابن أخيه في الوظائف، والتي يعبر عنها بـ: (المباشرة)، وهذا يقتضي أن يكون قد تحصّل على قدر من العلوم تؤهله لذلك، وإن لم يكن ثمة تنصيب عليه، فهو من بيت علم وفضل.

— وكذا كان حال ابنه أبي القسم محمد بن محمد بن صالح، إلا أنه نصّ على أنه ناب في الإمامة والقضاء، وهو يدل على تلقيه العلوم الشرعية أيضاً، ولا سيما وقد سمع من السخاوي بالمدينة^(٧).

(١) السخاوي: الضوء اللامع، م ١، ج ١، ص ١٤٩.

(٢) البخاري: الصحيح، ج ١، ص ٤٤٩.

(٣) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٨٧.

(٤) السخاوي: الضوء اللامع، م ٥، ج ٩، ص ١٠٢-١٠٣.

(٥) المصدر السابق، م ٥، ج ٩، ص ٢٢٦.

(٦) المصدر السابق، م ٥، ج ٩، ص ١٠٤.

(٧) المصدر السابق، م ٥، ج ٩، ص ٢٢٦.

— والابن الرابع لأبي الفتح هو صلاح الدين محمد بن محمد بن صالح حفظ القرآن، واشتغل وتلا بالقراءات على الشمس الششتري، ولازم الشهاب الأبخشي في الفقه وأصوله والفرائض والعربية، وقد استجاز له أبوه من الكمال بن الهمام، وقد أورد السخاوي في ذلك قصة طريفة، "فقد سئل الكمال على سبيل الإيناس عن نخلة حمراء ما اسمها؟ وكان بحديقة الحسينية قبل مسجد قباء، فقال له (حُلِّيَّة) فقال: فائني بشيء من ثمرها حتى أفيدك بفائدة في اسمها، فبادر وأحضر له قفة صغيرة، فابتهج وقال: إنما اسمها (حليوية) فقلبت الواو ياء ثم ادغمت الياء في أختها"^(١).

— وقد أجاز له بالإقراء من شيوخه أبو الفتح المراغي، وأبو الفرج المراغي، وأبوه فتح الدين، بل وزاد الأخير بالإفتاء وحضر دروسه، وقرأ كذلك اليسير من "شرح الورقات" في أصول الفقه على مؤلفه كمال الدين محمد بن محمد بن عبد الرحمن (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م)^(٢)، وقد أخذ كذلك عن السخاوي وسمع منه^(٣)، كما أجاز له جمع من العلماء ممن لقيهم في رحلاته.

— ومن كبار من قرأ عليه من تلاميذه: عبد الله بن أحمد عفيف الدين اليماني (ت ٩٢٥هـ/١٥١٩م)، فقد قرأ بالمدينة حين مجاورته بها على قاضيه صلاح الدين بن صالح^(٤).

— والابن الخامس لأبي الفتح هو مجد الدين محمد بن صالح، وقد طلب العلم فحفظ القرآن، و"أربعين النووي"، و"منهاجه"، و"ألفية النحو"، كما عرض على أبي الفرج الكازروني، وعلى أبي الفرج المراغي، وجوّد القرآن على ابن شرف الدين الششتري، وارتحل لطلب العلم، وسمع من السخاوي بالمدينة^(٥).

(١) السخاوي: الضوء اللامع، ٥م، ج ٩، ص ١٠٣.

(٢) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ٢، ص ٧٩٦.

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، ٥م، ج ٩، ص ١٠٤.

(٤) الشماع: القيس الحاوي، ج ١، ص ٤٣٦.

(٥) السخاوي: الضوء اللامع، ٥م، ج ٩، ص ١٠٤.

— وأما باقي أولاد عبد الرحمن بن محمد بن صالح فهم: محمد الشمس، وقد سمع على أبي الحسن المحلي بعض السيرة^(١)، ولم تتسع ترجمته في التحفة.

— ويحيى بن عبد الرحمن بن صالح المحيوي (توفي بعد ٨٤٩هـ/١٤٤٥م)، وقد طلب العلم، فصحب ابن العفيف الياضي، وأخذ عنه وقرأ على كل من والده عبد الرحمن بن صالح، وسمع الزين المراغي، وابن الجزري، وأجاز، والتنوخي وآخرون، وقد أجاز للتقي بن فهد وغيره^(٢).

— وقد طلب العلم أيضاً أخوه ولي الدين محمد بن عبد الرحمن بن صالح، ذكر السخاوي أنه سمع على أبي الحسن المحلي اليسير من "الاكتفاء" للكلاعي^(٣)، كان واسعاً في طلب العلم، فقد تولّى الخطابة، والقضاء، والإمامة بل استقلّ بالقضاء^(٤)، ومثل هذه المناصب لا يستطيعها إلا من كان له أهلية علمية عالية ولاسيما في القرآن والفقه، لذا فيتوقع أن يكون طلبه للعلم في سن مبكرة، وطلب العلم ابنه عبد الرحمن بن القاضي أبي عبد الله محمد، لكن لم تذكر ترجمته أيضاً توسعاً في ذلك كأبيه، إلا أنه ناب في القضاء والخطابة عن بني عمه^(٥) مما يشير إلى تعلّقه بالعلم أيضاً.

— وأما ابنه معين الدين بن محمد بن صالح، فقد رآه السخاوي شاباً يقرأ في "الشفاء" على قاضي المالكية بالمدينة خير الدين في سنة (٨٩٨هـ/١٤٩٢م) وحضر السخاوي الختمة، وهو أيضاً ممن قرأ عليه السخاوي^(٦).

— والابن السادس لناصر الدين عبد الرحمن هو العفيف عبد الله بن صالح (ت ٨٨٤هـ/١٤٦٩م)، وقد سمع من الزين المراغي، وابن الجزري، وأبي الفتح المراغي،

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٥١٥.

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، م ٥، ج ١٠، ص ٢٣١.

(٣) وهو "الاكتفاء في مغازي المصطفى ﷺ والخلفاء الثلاثة" للحافظ أبي الربيع سليمان بن موسى الكلاعي (ت ٦٣٤هـ/١٢٣٦م) ولم يذكر في هذا الكتاب الخليفة علي عليه السلام لعدم الفتوحات في عهده. الفلاني: صالح بن محمد، قطف الثمر في رفع أسانيد المصنفات في الفنون والأثر، تحقيق: عامر حسن صبري، (ط ١)، (جدة، دار الشروق، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م)، ص ١٤٨؛ حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ١، ص ١٦٦.

(٤) السخاوي: الضوء اللامع، م ٤، ج ٨، ص ٣٦.

(٥) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٥١.

(٦) المصدر السابق، ج ٢، ص ٥١٦.

وأجاز له كل من العراقي والهيثمي، وأبو اليمن الطبري، والجمال بن ظهيرة وآخرون^(١)، كما قرأ على السيد السمهودي أشياء وروى له "البيان والانتصار في زيارة النبي المختار"^(٢). وقد قرأ عليه من الطلاب: محمد بن عبد العزيز بن الفيومي، وهو زوج ابنة عبد الرحمن بن أبي عبد الله محمد^(٣)، وقرأ عليه أيضاً محمد بن عبد الرحمن بن الزين بن القطان (ت ٩٣٠هـ / ١٥٢٣م)^(٤).

— وكان ابنه محمد بن عبد الله بن صالح (ت ٨٩١هـ / ١٤٨٦م) ممن حفظ القرآن وبعض المتون، وسمع على أبي الفتح المراغي وغيره، وسمع من السخاوي وغيرهما^(٥).

أسرة الكازروني:

— مؤسس الأسرة وعميدها: محمد بن روزبة الكازروني، لم يكن مشهوراً بالعلم، وإنما كان حريصاً على أنواع من الخير وعلى تلقين أولاده حب العلم، ولذا ظهر العلم في أولاده وذريته من بعده.

* اشتغل ابن مؤسس الأسرة عبد الله بن محمد الكازروني، بالحديث والفقه، فسمع "صحيح مسلم" وغيره على البدر بن الخشاب في سنة (٧٧٢هـ / ١٣٧٠م)، بعد أن كان سمع "البخاري" كاملاً على البدر عبد الله بن فرحون في سنة (٧٦٢هـ / ١٣٦٠م)، وكان آخر ما ضبط من سني سماعه للعلم في سنة (٧٩٧هـ / ١٣٩٤م) على ما ذكره السخاوي^(٦).

— وقد اهتم عبد الله بتعليم أبنائه، فقد سمع ابنه أحمد بن عبد الله الكازروني "صحيح مسلم" مع أبيه على البدر بن الخشاب في سنة (٧٧٢هـ / ١٣٧٠م)، وكان له من

(١) المصدر السابق، ج ٢، ص ٥٢ - ٥٣.

(٢) وهي لداود الشاذلي وهو داود بن عمر الشاذلي الصيرفي (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م). انظر البغدادي: هدية العارفين، ج ٥، ص ٩٥.

(٣) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٥٢٣.

(٤) المصدر السابق، ج ٢، ص ٥١٠.

(٥) المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٩٦؛ الضوء اللامع، ج ٦، ص ١١، ص ١٢٩.

(٦) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٨٠.

العمر نحو ست سنوات^(١)، كما اهتم ذرية الابن الثاني لعميد الأسرة وهو محمد بن تقي الكازروني بالسماع أيضاً، فقد سمع على الكمال الكازروني^(٢).

— وسمع أخوه عبد الرحيم الكازروني على الزين المراغي^(٣)، وكذا كان سماع أخيه أبي البركات على الزين المراغي^(٤).

— وقد اشتغل بالحديث أيضاً ابنه عبد الرحمن بن أبي البركات الكازروني، فقد سمع من السخاوي وقرأ عليه في "شرح النخبة"^(٥).

— وأما ابن أخيه عبد الله بن عبد الوهاب الكازروني (ت ٨٩٨هـ / ١٤٩٢م)، فكان أكثر طلباً، فقد حفظ "المنهاج"^(٦)، واشتغل بالحديث فسمع كتاب "الأربعين" للنووي، وقد قرأ أيضاً "منسك" المراغي^(٧)، وهو كما هو ظاهر من اسمه مختصر بأحكام الحجّ وقد سماه "مرشد الناسك إلى معرفة المناسك"^(٨)، وقد وصفه السخاوي بأنه: "جامع مفيد"^(٩)، وقرأ أيضاً كتاب "الإيضاح" للنووي، كما سمع على السخاوي كتابه: "القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع"^(١٠)، وقد ذكر السخاوي أنه لازمه في سماع غيره من الكتب كـ "البخاري" وأنه قرأ عليه جملة من الكتب^(١١).

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١١٧.

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٥، ص ١٠، ص ٦٩.

(٣) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٧٠؛ المصدر السابق، ج ٢، ص ٤، ص ١٩٠.

(٤) المصدر السابق، ج ٣، ص ٦، ص ٦.

(٥) "شرح النخبة" هو: "نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر"، وهو مختصر مفيد في مصطلح الحديث للحافظ ابن حجر (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م)، اشتغلت به أيدي العلماء شرحاً ونظماً. حاجي خليفة، كشف الظنون، ج ٢، ص ٧٤٦.

(٦) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٥٧.

(٧) المصدر السابق، ج ٢، ص ٥٧.

(٨) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ٤، ص ٣١٣.

(٩) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٦، ص ١١، ص ٣١.

(١٠) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ٢، ص ٣٢٠.

(١١) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٥٧.

*والابن الثالث لعميد الأسرة هو الصفي أحمد بن محمد الكازروني (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٤٥م)، الزاهد الناسك العابد المشتغل الحريص على وقته، فعلى الرغم من وفاته في الحادية والثلاثين، إلا أنه جمع علماً وجلس للتعليم بما بُورِكَ له فيه، مما لا يُتاح لمن عاش ضعف عمره.

فقد حفظ القرآن في صغره وجوده، وقرأ بعض المتون كـ"الخواوي"، وقد قرأه الصفي من نسخة كتبها بخطه، وانتهت قراءته له في شوال من سنة (٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م)، السنة التي كتبها له^(١)، وكان الصفي يجلس للإقراء والتعليم من بعد صلاة الصبح وطلوع الشمس وحتى ارتفاع النهار ومُضَي نصف الوقت ما بين الصبح والظهر، ثم يتوجه إلى منزله، فيشتغل بالمطالعة إلى قبيل الظهر، فينام نومه خفيفة جداً ثم يقوم للصلاة، ويقرأ أيضاً بين الظهر والعصر^(٢).

وقد حفظ الصفي "التنبيه"، وحفظه للتنبيه يدل على قوة ذكاء وهمة عالية، ولم يكن "التنبيه" هو محفوظه الوحيد، بل حفظ "منهاج الطالبين" للنووي أيضاً، فجمع الخيارين في الفقه الشافعي، وقد اشتغل كذلك باللغة العربية، فقرأ "ألفية ابن معطي" في النحو^(٣)، وحفظها الصفي عن ظهر قلب، وقد دأب الصفي على الاشتغال حتى فاق، وأذن له في الفقه وأصوله والعربية، كما أذن له في الإفتاء والتدريس جماعة من شيوخه كالبهاء بن أبي البقاء السبكي، وابن كثير وغيرهما^(٤).

ولقد حصل الصفي العلوم المتنوعة من الفقه حتى أذن له في الإفتاء في العربية حتى وُصِف بأنه: "برع في المعاني والبيان والكلام"^(٥)، وفي محاسبة النفس والمراقبة، قد اجتمع مؤرخوه على أنه نال الدرجة العليا في الصلاح والدين والعلم المتين^(٦)، رحمهم الله تعالى.

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١٣٦.

(٢) المصدر السابق، ج ١، ص ١٣٧.

(٣) لزين الدين يحيى بن المعطي النحوي (ت ٦٢٨هـ/ ١٢٣٠م) وقد اشتغل بها العلماء شرحاً وإيضاحاً. حاجي

خليفة: كشف الظنون، ج ١، ص ١٧٦.

(٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١٣٦.

(٥) المصدر السابق، ج ١، ص ١٣٦.

(٦) المصدر السابق، ج ١، ص ١٣٦-١٣٧.

— وورث عن الصفي حب العلم ابنه أحمد بن أحمد الكازروني، فقد سمع مع أخيه أبي الجمال محمد، وابن عمهما أبي عبد العزيز بن عبد السلام، على البدر بن الخشاب "تساعياته الأربعين"^(١)، كما سمع عليه "البردة"^(٢)، كما سمع أيضاً القصيدة "الشقراطية"^(٣)، وهذا يدل على اهتمام الشهاب أحمد بالسير والتاريخ أيضاً، بل كان الشهاب كذلك له اهتمام بالقراءات، فإن من مسموعاته أيضاً القصيدة "الشاطبية"^(٤).

— وقد ورث حب العلم عن الشهاب أحمد ابنه أحمد بن أحمد الكازروني، وقد أثر عنه أنه سمع "سنن ابن ماجه" على الشيخ أبي الحسن الأبياري^(٥) في سنة (٨١٣هـ/١٨١٠م)، وكان سماعه دقيقاً، فقد وصف السخاوي ذلك بأنه: (ضبط الأسماء)^(٦).

— ويعد الابن الثاني للصفي أحمد هو أشهر هذه الأسرة الكازرونية مطلقاً بالعلوم، وهو محمد بن أحمد الكازروني (ت ٨٤٣هـ/١٤٣٩م)، وقد طلب العلم منذ صغره رفقة أخيه أحمد وابن عمهما عبد العزيز بن عبد السلام^(٧)، وقد سمع من جملة من الشيوخ بالمدينة وغيرها ومن القادمين إلى المدينة من العلماء من خارجها، وقد جمع في سماعه بين الفقه والحديث، أما الفقه فقد حفظ الحاوي^(٨)، وأما مسموعاته في الحديث فكثيرة جداً،

(١) "تساعيات الأربعين" قد انتخبها ابن الخشاب من تهذيب الكمال وسمّاها "الأحاديث العوالي من تهذيب الكمال" جاءت في ثلاثة أجزاء، فرغ منها في سنة (٧٩١هـ/١٣٨٨م). حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ٥، ص ٩٧.

(٢) "البردة" هي: القصيدة المشهورة والمسماة "الكواكب الدرية في مدح خير البرية" للبوصيري (ت ٦٩٤هـ/١٢٩٤م)، وضعها ميمية في (٢٦٢ بيتاً) وهي تجمع إلى المدح شيئاً من السيرة. المصدر السابق، ج ١، ص ٢٩٥ - ٢٩٦، وللعلماء استدراك مشهور على بعض أبياتها لما فيها من الغلو.

(٣) جاء في التحفة اللطيفة اسمها (الشقراطية) ولم أعر على مؤلف بهذا الاسم ولم يكن للشهاب أحمد اشتغال بالمنطق والفلسفة حتى تنسب إلى (سقراط)، ولذا ترجح لدي أن المراد هي (الشقراطية)، وهي لامية في السير، لمحمد يحيى بن علي الشقراطي (ت ٤٦٦هـ/١٠٧٣م). شرحها السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٩٧؛ حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ٢، ص ٣٠؛ ج ٤، ص ١٦٠.

(٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٩٧.

(٥) هو علي بن يوسف نور الدين الأبياري، من علماء دمشق، توفي سنة (٨١٣هـ/١٤١٠م). السيوطي: بغية الوعاة، ج ٢، ص ١٦٩.

(٦) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٩٧.

(٧) المصدر السابق، ج ١، ص ٩٧؛ ج ٢، ص ٤٣٣، ٤٣٥.

كالأمهات الست "البخاري"، و"مسلم"، و"السنن الأربعة" أخذها عن عديد من المحدثين، فعلى سبيل المثال حضر ختم البخاري في سنة (٧٦٢هـ/١٣٦٠م) على البدر عبد الله بن محمد بن فرحون، ثم سمعه على القاضي البدر بن الخشاب وسمع عليه كذلك "مسلم"، و"البخاري" على الجمال الخجندي الحنفي، وسمع ابن ماجة" على أبي الحسن بن العز الزرندي في سنة (٧٧١هـ/١٣٦٩م)، وسمع "سنن النسائي" الصغرى من الزين العراقي، وأما الكتب الحديثية الأخرى، فقد كثرت مسموعات الجمال منها باختلافها وتنوعها، فمن كتب العوالي: سمع من الزين أبي بكر المراغي "سداسيات" ^(١) الرازي ^(٢)، وقرأ الجمال الكازروني "أربعين الأجرى" ^(٣)، كما سمعها على المراغي، أما علم المصطلح وفنون الحديث، فقد أخذه عن العراقي من خلال "ألفيته" في الحديث وشرحها ^(٤)، كما حفظ "العمدة"، قرأه بنفسه على ابن الخشاب، وسمع كذلك "الشقراطيسية"، كما "قرأ الشاطبية" ^(٥)، وقد أجاز له جماعة كبير منهم العفيف المطري ^(٦) والعز بن جماعة النوير، والسراج البلقيني، والبهاء السبكي ^(٧)، وغيرهم كثير بل قال الصيرفي أنه: "اجتمع على المشايخ والعلماء والفضلاء سنيناً" ^(٨).

(١) ابن فهد: معجم الشيوخ، ص ٢١٧؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤٣٥. "سداسيات الرازي" في الحديث. حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ٢، ص ٣٠.

(٢) والرازي هو أبو عبد الله أحمد بن إبراهيم بن أحمد الرازي الشروط المعروف بأبي الخطاب والذي كان يقول فيه أبو طاهر السلفي (ت ٥٢٥هـ/١١٣٠م) لم يكن في وقته من الدنيا من يدانيه في علو الإسناد وخرج السلفي له السداسيات وله (٩١) سنة ثم اشتهرت السداسيات وصار العلماء يتناقلونها لعلو الإسناد. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٩، ص ٥٨٣.

(٣) "أربعين الأجرى" هي: لمحمد بن الحسن أبو بكر الأجرى المتوفى بمكة سنة (٣٦٠هـ/٩٧٠م). حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ٢، ص ١٠٤.

(٤) وهي التي فرغ منها الحافظ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي (ت ٨٠٦هـ/١٤٠٣م) في سنة (٧٦٨هـ/١٣٦٦م)، ثم شرحها وفرغ عنه في (٧٧١هـ/١٣٦٩م) في "فتح المغيث بشرح ألفية الحديث" وهي ملخص لكتاب "علوم الحديث لابن الصلاح. المصدر السابق، ج ١، ص ١٧٦.

(٥) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤٣٥.

(٦) ابن فهد: معجم الشيوخ، ص ٢١٧؛ الشماع: القيس الحاوي، ج ٢، ص ١٣٠.

(٧) الشراكاني: البدر الطالع، ج ٢، ص ١٢١.

(٨) الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، ج ٤، ص ١٨٦.

وأما تلاميذ الجمال الكازروني، فهم من الكثرة بمكان، بل قال في القبس الحاوي أن من سمع منه: "عالم لا يُحصَى"^(١)، فالجمال الكازروني هو أكثر هذه الأسرة تلاميذاً، وقد رزقه الله تعالى حرص الطلاب على الأخذ عنه والسماع منه وتلقي الفقه على يديه، وجاءوا إليه من كل حذب وصوب، فلا يكاد يحدث أو طالب علم وينشأ بالمدينة أو يمر بها إلا ويجلس إليه ويأخذ عنه على اختلاف مشاربهم وطبقاتهم وأنواعهم.

فأما من أجاز لهم فقد ذكر السخاوي أنهم: (كثيرون جداً)^(٢)، وربما سمع العالم منه ثم ابنه، كما سمع عليه التقي بن فهد، وكذا سمع منه ابنه النجم عمر بن فهد^(٣)، وربما يكثر عليه الطالب، فيأخذ منه علوم شتى في الفقه والحديث وغيرها، كما كان من أمر أبي الفرج المراغي، فقد قرأ عليه "البخاري" ثلاث مرات و"صحيح مسلم" و"سنن أبي داود" و"الترمذي" و"ابن ماجه" والدارقطني، و"الموطأ"، و"الشفاء" غير مرة، وأخذ عنه كذلك الفقه و"الحاوي"، و"التبیه"، و"المنهاج"، بل لازم دروسه من سنة (٨٢١هـ/١٤١٨م) حتى مات^(٤) أي (٢٢) سنة ما يقرب من ربع قرن.

وكان الجمال المطري منهجياً في مجالس السماع، بمعنى أن مجلس السماع كان محدداً لكل كتاب في مدة محددة، ولذلك وجدنا في تلاميذه من سمع في سنة كذا كتاب كذا، وآخرون سمعوا في سنة كذا كتاب كذا وهكذا.

فمثلاً قرأ على الجمال الكازروني جماعة "الموطأ" للإمام مالك في سنة (٨٢٠هـ/١٤١٧م)، وسنة (٨٢٥هـ/١٤٢١م)، ثم كان تدريس "الصحيح" وإسماعه في سنة (٨٢٧هـ/١٤٢٣م) وسنة (٨٢٨هـ/١٤٢٤م)، إلا أن أشهر سنوات الإقراء والسماع كانت في سنة (٨٣٤هـ/١٤٣٠م)، وفي سنة (٨٣٧هـ/١٤٣٣م)^(٥).

(١) السخاوي: الضوء اللامع، م، ٤، ج ٧، ص ٩٧؛ القبس الحاوي، ج ٢، ص ١٣٠.

(٢) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤٣٣.

(٣) ابن فهد: معجم الشيوخ، ص ١٩١-١٩٢.

(٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤٣٤.

(٥) المصدر السابق، ج ١، ص ١٥٤، ٤٣٩، ٤٨٤؛ الضوء اللامع، م، ١، ج ١، ص ٢٠٩.

وكما سمع منه الرجال كذلك سمعت منه النساء مثل أم هاني زينب ابنة العلامة تقي الدين أبي الفضل محمد بن أبي الخير محمد بن فهد الهاشمي، فقد أجاز لها الجمال الكازروني^(١).

ولم يكن الحديث وحده هو همة الطلبة وحاجتهم في الجمال الكازروني، بل كان الفقه أيضاً مبتغاهم وطلبتهم منه أيضاً ولاسيما وعلماء الأسرة الكازرونية كانوا مشهورين بالفقه، ولذا فلربما نجد في التراجم أن طالباً (تفقه بالكازرونيين)^(٢) وكان أشهر ما يقرأ على الجمال الكازروني هو كتاب "التنبية"^(٣)، ولم يزل الجمال الكازروني محدثاً يُسمع الحديث حتى قبيل وفاته، فكان وقد أسنَّ يحدث ويُقرأ عليه بالروضة^(٤).

وقد رُزق الجمال بذرية صالحة حدثنا المصادر عن اثنين ممن كان يطلب العلم ويتبعه هما (عمر ومحمد).

— أما السراج عمر الكازروني (ت ٨٦٥هـ / ١٤٦٠م)، فقد استظهر القرآن صغيراً، وحفظ بعض "المنهاج"، وسمع من الزين المراغي ولازم دروساً له، كما سمع "الموطأ"، و"الشفاء" على أبي إسحاق إبراهيم بن علي بن فرحون، كما سمع من نور الدين علي الزرندي ووالده، وسمع "صحيح البخاري" و"الموطأ" على ابن صديق^(٥).

— وقد أنجب السراج عمر ابنه: النور علي بن عمر السراج الكازروني (ت ٨٨٨هـ / ١٤٨٣م)، قد نشأ محباً للعلم رغم أنه نشأ يتيماً، فلم يتجاوز عمره نصف سنة يوم وفاة والده، ولازم السخاوي عند مجاورته بالمدينة وسمع منه^(٦).

(١) ابن فهد: معجم الشيوخ، ص ٣٩٧.

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، ٥م، ج ٩، ص ٥٦-٥٧.

(٣) ابن فهد: معجم الشيوخ، ص ٦٧-٦٨؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١٢١-١٢٢؛ المصدر السابق،

١م، ج ٢، ص ٢٨؛ العلمي: أعلام المكيين، ج ١، ص ٥٧٩.

(٤) السخاوي: الضوء اللامع، ٢م، ج ٣، ص ١٤٠-١٤١.

(٥) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٣٥٢؛ المصدر السابق، ٣م، ج ٦، ص ١١٧؛ الشماع: القبس الخاوي،

ج ٢، ص ٢٢؛ حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ١، ص ٤١٨.

(٦) السخاوي: الضوء اللامع، ٣م، ج ٥، ص ٢٧٠-٢٧١.

— وقد أنجب الجمال الكازروني أيضاً ابنة تزوّجها عبد الكافي الشامي، فأُنجبت له أبا البركات بن عبد الكافي الشامي سبط الجمال الكازروني، وهو ممن سمع السخاوي سنة (٨٨٤هـ/١٤٧٩م).

— ويعدُّ محمد بن الجمال هو أشهر أبنائه طلباً للعلم، بل يعدُّ أشهر الأسرة الكازرونية بعد أبيه الجمال، وهو ناصر الدين محمد بن محمد الكازروني (ت ٨٦٧هـ/١٤٦٢م)، استظهر القرآن صغيراً، وقرأ به بعدة قراءات، وحفظ "الخواي"، و"المنهاج"، و"ألفية ابن مالك"، وقد أخذ الفقه عن أبيه والزين المراغي، كما سمع "البخاري" من أبيه، ومن شيوخه أيضاً الرضي المطري والد الحب، وسليمان السقا، وأبي الفتح المراغي، وأجاز له الزين العراقي، وقد أخذ عنه جملة من التلاميذ ومن كبار العلماء والفضلاء، فقرأ عليه ابن عبد السلام الأول "البخاري"، وكذا قرأه عليه ناصر الدين محمد بن أبي الفرج المراغي، وكذا مسدّد بن محمد عبد العزيز الكازروني ابن عمه، وأخذ منه السخاوي الإجازة^(١)، وكذلك زار المدينة وأخذ عن أبي الفرج الكازروني الشيخ عثمان بن محمد بن عثمان الأزهري حيث حج سنة (٨٥٣هـ/١٤٤٩م)، وأخذ عنه أبي الفرج الكازروني^(٢)، وكذلك أخذ عنه بالمدينة جماعة منهم الزين بن القطان عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد^(٣)، ومن لطيف التراجم أن الشهاب الشكيلي أحمد بن محمد (ت ٨٨٩هـ/١٤٨٤م) قد سمع على الجمال الكازروني، ثم بعد ذلك قرأ "البخاري" في سنة (٨٦١هـ/١٤٥٦م) على والده ناصر الدين أبي الفرج الكازروني^(٤).

* أما أبناء ناصر الدين أبي الفرج الكازروني فكلهم ممن طلب العلم، لكن نلاحظ في تراجمهم أمرين:

الأمر الأول: هو سماع بعضهم صغيراً في السن جداً كأبناء الصفي الذين سمعوا في الرابعة والخامسة من سن العمر، أما الأمر الثاني: هو وفاقهم شباباً وفي بعضهم في حياة والدهم. وبالنسبة للسماع في الصغر، فهو يدل على ذكاء مفرط من جهة ومن جهة أخرى

(١) السخاوي: الضوء اللامع، ٥م، ج ٩، ص ٤٤.

(٢) الشماخ: القبس الخاوي، ج ١، ص ٤٧٧ - ٤٧٨.

(٣) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٣٥.

(٤) المصدر السابق، ج ١، ص ١٣٠.

فهو موافق للسنة فقد بوب البخاري (باب متى يصح سماع الصغير)، ثم روي حديث محمود بن الربيع رضي الله عنه قال: ((عقلت من النبي صلى الله عليه وسلم بحجة مجها في وجهي وأنا ابن خمس سنين من دلو))^(١).

وأما الأمر الآخر، وهو وفاة كثير من أبناء وذرية الصفي شاباً في حياة آبائهم فليس يدخل في ذلك إلا التذكير بحديث النبي صلى الله عليه وسلم: ((ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيه من الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة))^(٢)، وكذلك حديث النبي صلى الله عليه وسلم: ((لا يموت ثلاثة من الولد فيلج النار إلا تحلة القسم))^(٣)، وقد ذكر الحافظ ابن حجر في شرحه أن من العلماء من قال بأن هذا لا يختص بالصغير دون الكبير^(٤).

أحببت أن أقدم بذلك بين يدي تراجم أبناء أبي الفرج الكازروني؛ لأن جلهم مات شاباً في حياة أبيهم، بعد أن اشتغل بالعلم وأمل فيه أباه، ولا أدل على مدى ما يشعر به أبو الفرج الكازروني ممن فقدهم من أنه سمي ولداً له (عبد السلام) بعد عبد السلام الأول الذي مات شاباً مما يزيد عن الثلاثين عاماً كما سبق.

— فمن أبناء ناصر الدين الكازروني: الشهاب أحمد بن محمد (ت ٨٦٣هـ / ١٤٥٨م)، قام بحفظ الكتب التي يشتغل بها ذرية الكازروني عادة فبعد حفظ "القرآن" حفظ "المنهاج" و"الشاطبية" و"ألفية ابن مالك"^(٥)، كما عرض الحديث في سنة (٨٤٢هـ / ١٤٣٨م) وهو ابن خمس عشرة سنة على خلق كأبي الفتح المراغي والحب المطري وابن حجر، وأبي السعادات بن ظهيرة، كما سمع من جده الجمال^(٦)، وأخذ في رحلاته العلمية على جماعة كما يأتي ذكرهم، في مبحث الرحلات.

(١) ابن حجر: فتح الباري، ج ١، ص ٢٠٧، ح ٧٧. وقد رجح ابن حجر أن من فهم الخطاب سمع وإن كان دون ابن خمس وإلا فلا وقد استدلل على ذلك بنصوص ومنها قصة حديث الزبير وهو ابن ثلاث أو أربع سنين. المصدر السابق، ج ١، ص ٢٠٨.

(٢) البخاري: الصحيح، ج ١١، ص ٢٤١.

(٣) المصدر السابق، ج ٣، ص ١١٨، ح ١٢٥١.

(٤) ابن حجر: فتح الباري، ج ٣، ص ١٢٠.

(٥) السخاوي: الضوء اللامع، ج ١، ص ١٧٠ - ١٧١.

(٦) المصدر السابق، ج ١، ص ١٧٠ - ١٧١.

— وقد أنجب ولدًا أسماه (محمدًا)، وهو ممن اشتغل بالعلم أيضًا، وهو محمد بن أحمد الكازروني، سمع على أبي الفرج المراغي، و السخاوي^(١).

— والابن الثاني لأبي الفرج الكازروني هو العز عبد العزيز بن ناصر الدين الكازروني، وقد أخذ منه السخاوي^(٢).

— والابن الثالث هو النور علي بن أبي الفرج الكازروني (ت ٨٩٢هـ / ١٤٨٦م)، حفظ "القرآن" وكتبًا، واشتغل بالعلم، ولازم السخاوي في مجاورته وقرأ عليه "المقاصد الحسنة"^(٣) وغيرها، كما قرأ على السمهودي والشمس البليسي وأبي الفرج المراغي، وسمع من السخاوي أيضًا "القول البديع" و "مسند الشافعي"، وقرأ عليه كذلك "المقاصد الحسنة" في كثير من الأحاديث المشتهرة في السنة^(٤).

— والابن الرابع لأبي الفرج الكازروني هو عبد السلام الأول الكازروني (ت ٨٥٣هـ / ١٤٤٩م)، بدأ تلقين العلم بحفظ "القرآن"، و "المنهاج"، وقرأ "البخاري" مع أبيه، وعرض الحديث على الحب المطري، والبرهان الخجندي، وأبي الفرج المراغي وجماعة، وقد أدرك جده الجمال وسمع عليه أشياء، كما سمع على أبي السعادات ابن ظهيرة، وأجاز له ابن حجر^(٥).

— والابن الخامس هو عبد السلام الثاني، وقد تلقب كأخيه بالعز، وقد بارك الله لابن أبي الفرج في هذا الولد وإن كان لم يدرك رؤيته إمامًا، إلا أن سماعه في الرابعة من عمره من أبيه أثلج صدر أبيه ورجا فيه ما كان يرجوه لأخيه عبد السلام، وفعلاً اشتغل عبد السلام الثاني بالعلم صغيراً، فسمع اليسير من "الكتب الستة" على أبيه في سنة (٨٦٧هـ / ١٤٦٢م)، وحفظ القرآن، وسمع جميع "صحيح البخاري" على أبي الفرج

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤٣٦؛ الضوء اللامع، م ٤، ج ٧، ص ٨٢.

(٢) المصدر السابق، م ٢، ج ٤، ص ٢٣٠.

(٣) وهو مؤلف السخاوي في الأحاديث المشتهرة رتبته على حروف أوائل الأحاديث. حاجي خليفة: كشف

الظنون، ج ٢، ص ٦٢٩.

(٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٢٩٢؛ وجيز الكلام، ج ٣، ص ١٠٢٠.

(٥) السخاوي: الضوء اللامع، م ٢، ج ٤، ص ٢٠٧.

المراغي، كما سمع عليه "البردة"، و"الشفاء" ولازم السخاوي وسمع منه "المسلسل"، و"القول البديع"، و"مسند الشافعي"، و"أربعين النووي"، و"البردة" وغيرها^(١).

— والابن السادس هو أبو زرعة الكازروني (ت ٨٦٤هـ/١٤٥٩م)، وهو على الرغم من وفاته شاباً، كذلك إلا أنه نقل عنه أنه اشتغل بالعلم عند أبيه وغيره^(٢).

— والابن السابع هو محمد الشمس، وقد سمع من أبي الفرج المراغي، ومن السخاوي، واشتغل كبار أفراد الأسرة "بالمنهاج" وغيره^(٣).

— والابن الثامن هو محمد الجلال الكازروني (ت ٨٦٧هـ/١٤٦٢م)، وقد توفي قبيل أبيه بيسير سنة (٨٦٧هـ/١٤٦٢م)، ولم يبلغ الخمسين إلا أنه كان قرّة عين أبيه في العلم، فقد حفظ "القرآن"، و"العمدة"، وتلقّى عن جده، فقد قرأ عليه "البخاري" مراراً، كما أخذ عن أبيه، وبحث "المنهاج" على أبي السعادات بن ظهيرة، وسمع على أبي الفتح المراغي، وأخذ بعد سنة (٨٤٠هـ/١٤٣٦م) عن ابن حجر وكتب من "آماله"^(٤).

— وقد اشتغل بالعلم ابنه محمد أيضاً وهو محمد بن محمد الكازروني، حفظ القرآن صغيراً وكذا حفظ "أربعين النووي" و"منهاجه" على خاله الشيخ محمد المراغي، كما قرأ في أصول الفقه على الشهاب الأبيشيبي، وقرأ "الأجرومية"^(٥)، و"الألفية" في النحو، وقرأ على السخاوي بالمدينة وسمع عليه "مسند الشافعي"، و"الشفاء"، وقد أجاز له النجم عمر بن فهد وغيره^(٦).

* وأما الابن الرابع لعميد الأسرة وهو العز بن عبد السلام بن محمد الكازروني (ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م)، فقد قرأ الحديث على بدر الدين بن الخشاب، وحفظ "التنبيه"، و"المنهاج"، وقرأ "البخاري" على البدر بن فرحون، كما قرأ عليه كتاب "الأنباء المبيّنة"،

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٧٥.

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٦، ص ١١١.

(٣) المصدر السابق، ج ٥، ص ٩٨.

(٤) المصدر السابق، ج ٥، ص ١٩٧-١٩٨.

(٥) "الأجرومية" في النحو لأبي عبد الله محمد بن محمد الصنهاجي، المعروف بأبي أجروم (ت ٦٨٢هـ/١٢٨٣م).

حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ٢، ص ٦٤٢.

(٦) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٥، ص ٢٧٢.

وكذا سمع على الشمس محمد الششتري، أما شيخه الكازروني فكان أخوه الصفي فقرأ عليه من تصانيفه "منتهى المهمة في تصحيح التهمة" بالمسجد النبوي غير مرة، وأذن الصفي له في إقرائه، وكذا قرأ عليه تصنيفه في مسألة "استعمال الظرف الطاهر" من "الحاوي"، و"كفاية العابد" شرحاً وتفهماً وتعليماً، وكذلك كتاب "توجيه ما منع في مبادئ النظر من تخصيص الروضة بما بين القبر والمنبر"^(١)، وقد أخذ عن عبد العزيز عبد السلام الكازروني جماعة من العلماء منهم عبد الرحمن أبو الفرج المعروف بابن القطان (ت ٨٢٨هـ / ١٤٢٤م)^(٢).

— وقد مشى على درب أبيه في العلم البدر أبو الوفاء بن العز الكازروني، ففي سنة مولده كان البدر بن الخشاب قد أعطى الإجازة لأهل المدينة بكتبه وسائر مروياته إجازة عامة^(٣).

— وكذا كان حال الابن الآخر لعبد السلام وهو عبد العزيز الكازروني، فقد حفظ القرآن صغيراً، وحضر مجالس التحديث في سنة (٧٧٠هـ / ١٣٦٨م)، وله ثمان سنوات بالروضة النبوية، فسمع على البدر بن الخشاب "تساعياته الأربعين"، وكذلك "صحيح مسلم"، و"السرغتمشية" بقراءة أبيه، وكذا "صحيح البخاري"، و"البردة"، و"الشاطبية" وغير ذلك بقراءة غيره، وسمع على الزين المراغي "تاريخ المدينة" له سنة (٧٧٦هـ / ١٣٧٤م)، وفي سنة (٧٧٧هـ / ١٣٧٥م) عرض "التنبيه" بعد أن حفظه على محمد بن علي الزرندي، وعرض "القرآن" و"العمدة" على الجلال الخجندي الحنفي سنة (٧٧٨هـ / ١٣٧٦م)، كما عرض على الشمس أبي عبد الله محمد الششتري "خلاصة سيرة سيد البشر" للمحب الطبري، و"الشفاء"، وعرض على العراقي شرحه لـ "الألفية" وغير ذلك^(٤).

(١) الفاسي: العقد الثمين، ج ٥، ص ٤٢٨ - ٤٢٩؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٧٣.

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٣، ص ٢٣٥.

(٣) وإن كانت الإجازة العامة لغير محصور في صحتها محل نزاع بين أهل العلم. السيوطي: تدريب الراوي، ج ٢، ص ٣٣.

كما هي إجازة لطفل لا يميز وهي أيضاً محل خلاف والراجح جوازها. المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٨.

إلا أن الإجازة للبدر كانت بكتب بعينها وسائر مروياته، فهي إجازة خاصة وليست عامة والأرجح جوازها.

أيضاً. المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٣؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٥٢٢.

(٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٨٤؛ الضوء اللامع، ج ٢، ص ٢١٩.

— وقد أخذ ابنه الشمس محمد هذا المسلك الصالح في طلب العلم الذي سلكه أبوه عبد العزيز وجده عبد السلام، فحفظ صغيراً القرآن، و"العمدة"، و"التنبيه"، و"الحاوي"، و"المنهاج"، و"ألفية ابن مالك"، وهي الكتب التي درج أفراد الأسرة الكازرونية على حفظها، وقد اشتغل الشمس محمد بن عبد العزيز بن عبد السلام بالعلم صغيراً، فقد حرص أبوه أن يعلمه ويستجيز له، فأجاز للشمس البلقيني، والعراقي، والهثيمي، وابن الملقن والزين المراغي وأبي حامد المطري، وقد برع الشمس في النحو واللغة، فأخذ بقراءته النحو والصرف والمعاني وإعراب القرآن عن النور علي بن محمد بن علي الزرندي^(١).

ثم ترقى من القراءة إلى البحث، فقد بحث على أبي عبد الله محمد بن أحمد الوانوعي في "الألفية"، وفي "الجمال" للزجاج (ت ٣٣٩هـ/٩٥٠م)^(٢)، وقد قيل: لم يشتغل به أحد إلا انتفع به، وذلك لدعوة الزجاج بأن ينفع الله به قارئه، و دعوة الزجاج أصابت الشمس الكازروني، فقد برع في النحو مستفيداً من كتاب الزجاج، كما عرض على أبي عبد الله الوانوعي محمد بن أحمد بن عثمان التونسي (ت ٨١٩هـ/١٤١٦م)^(٣) كتاب "التقريب مختصر المقرب"^(٤)، وقد أخذ الشمس من "أصول الفقه" بطرف فقد بحث على الوانوعي "التنقيح" للقراقي، وحضر في الفقه والحديث على الجمال بن ظهيرة بمكة سنة (٨١٧هـ/١٤١٤م)، ولما اشتد عوده في الفقه والحديث ارتقى إلى البحث، فبحث على النجم السكاكيني الشافعي في "الحاوي"، وفي "البيضاوي"، وكذلك بحث عليه "ألفية ابن مالك"، في النحو و"التلخيص" في البلاغة، وبحث الشمس هذه الكتب الأمهات في الفنون يشير إلى ما وصل إليه من مستوى علمي عالٍ، مما دفع السكاكيني أن يأذن له بالإقراء والتدريس والإفتاء في ذي القعدة سنة (٨٣١هـ/١٤٢٧م)، أي وعمره (٣٦) سنة^(٥).

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة، ص ٥٢٣؛ الضوء اللامع، ٤م، ج ٨، ص ٦٠ - ٦١.

(٢) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ١، ص ٤٧٣.

(٣) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤٢١ - ٤٢٢.

(٤) والمقرب كتاب أبي العباس محمد بن يزيد المعروف بالبدر (ت ٢٨٥هـ/٨٩٨م) ومختصره هو لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي (ت ٧٤٥هـ/١٣٤٤م) وهما من الكتب المعتمدة في النحو. حاجي خليفة: كشف

الظنون، ج ٢، ص ٦٤٨ - ٦٤٩.

(٥) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٥٢٤.

ولما قدم ابن الجزري للحج ونزل المدينة في سنة (٨٢٢هـ/١٤١٩م) قرأ عليه عدد من كتبه ومصنفاته في علم القراءات، ولما دخل الشام وبيت المقدس ومصر، أخذ من علمائها كما سيأتي بيانه في الرحلات، وقد تتلمذ كثيرون على الشمس الكازروني منهم: أحمد بن محمد بن محمد بن محمد أبو الطيب المحب بن ظهيرة، فقد أخذ عليه كتاب "الحاوي"، وأذن له الشمس في إقرائه وتدريسه بعد التحرير والمراجعة والتثبت والمطالعة^(١).

— وكذلك تتلمذ عليه ابنه مسدد بن محمد الكازروني، وقد بدأ السماع صغيراً في سن الثالثة حيث ضبط السخاوي سماعه في شوال سنة (٨٣٤هـ/١٤٣٠م)، حفظ القرآن، و"العمدة"، و"المنهاج"، و"ألفية النحو"، ولما بلغ (١٢) سنة عرض على الجمال الكازروني والمحب المطري وأبي الفتح المراغي وأجازوه، وأجاز له ابن حجر وغيره^(٢).

— وقد ورث العز أبو الفضل ابن مسدد الكازروني (ت ٨٨٣هـ/١٤٧٨م) حب العلم والحرص على طلبه عن آبائه، فقد حفظ "القرآن" صغيراً، وحفظ "المنهاج"، و"ألفية النحو"، و"الشاطبية"^(٣)، ثم بدأ يتجه للعربية أدباً وبلاغة، فحفظ جانباً من "المقامات الحريرية"، كما اهتم أبو الفضل كذلك بالحساب فحفظ "المقلاصوي"، ثم "تلخيص ابن البناء"^(٤)، واهتم بالفرائض فحفظ "الفصول" وهي لمعاصره شهاب الدين أحمد ابن الهائم (ت ٨٨٧هـ/١٤٨٢م)، وكذلك حفظ "الرحبية"^(٥).

— وقد ظهر الاتجاه للأدب واللغة أكثر في أخيه العفيف أحمد بن مسدد (ت ٨٨٨هـ/١٤٨٣م) وقد حفظ القرآن، وبعض "البيضاوي"، كما قرأ على جده أبي

(١) السخاوي: الضوء اللامع، ج ١، ٢، ص ١٩٠-١٩١.

(٢) المصدر السابق، ج ٥، ص ١٠٦.

(٣) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٨٨-١٨٩.

(٤) "تلخيص ابن البناء" هو: "تلخيص أعمال الحساب" لأحمد بن محمد بن عثمان (ت ٧٢١هـ/١٣٢١م). حاجي

خليفة: كشف الظنون، ج ١، ص ٣٨٣.

(٥) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٨٩.

الفرج الفقه، كما قرأ بعض "المنهاج" و "إيضاح الناسك" و "تلاخيص البخاري" (١) على السخاوي، وسمع منه "المسلسل" (٢).

— والابن الثالث لمسدد هو الشمس محمد الكازروني، بدأ حياته العلمية بحفظ القرآن، و"الأربعين النووية" و"المنهاج"، و"التلخيص"، كما عرض في سنة (٨٦٥هـ/١٤٦٠م) وهو ابن خمس عشرة سنة على ناصر الدين أبي الفرج الكازروني، والشهاب الابشيطي، وأبي الفرج المراغي، وآخرين، وأخذ الفقه عن أبي الفتح تقي، ولازم عدداً من علماء عصره وأخذ عنهم، وسمع من جماعة خارج المدينة كعمر بن فهد، وأما السخاوي فقد سمع منه "المسلسل بالأولية"، و"المسلسل بيوم العيد"، كما أخذ عليه دروساً في الاصطلاح، ولازمه حين مجاورته بالمدينة، وأخذ عنه بعض "ألفية" العراقي في الحديث (٣)، إلا أن الفن الذي برع فيه الشمس أبو حامد دون أخويه هو ماانشطت إليه همته من دراسة المنطق، فقرأ "إيساغوجي"، و"شرح الرسالة الشمسية" (٤)، و"التهذيب" (٥)، وأذن له شيوخه في الإقراء والإفادة، منهم السخاوي (٦).

— وقد أنجب الشمس أبو حامد أيضاً ابناً أسماه (أحمد) بن محمد بن مسدد الكازروني، وقد نشأ في كنف أبيه وسمع من السخاوي غير مرة (٧).

— والابن الآخر لعبد السلام العز الكازروني سلك مسلك أبيه وأخوته في طلب العلم، وهو التقي محمد بن عبد السلام الكازروني (ت ٨١٥هـ/١٤١٢م)، طلب العلم صغيراً، فأحضر في سن الثالثة في سنة (٧٧٧هـ/١٣٧٥م) بالحرم المدني على الشمس

(١) "تلاخيص البخاري": لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ/٨٢٠م)، والمراد بها ما اتصل إلى رسول الله ﷺ من الحديث بثلاثة رواة. حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ١، ص ٤١٨.

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، م ١، ج ٢، ص ٢٢٥.

(٣) المصدر السابق، م ٥، ج ١٠، ص ٥٠.

(٤) "شرح الرسالة الشمسية": لعمر بن علي القزويني، تناولها العلماء شرحاً وتعليقاً وتحشية. حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ٢، ص ٨٩.

(٥) هو "تهذيب المنطق والكلام" لسعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (ت ٧٩٢هـ/١٣٨٩م). المصدر السابق، ج ١، ص ٤١٤.

(٦) السخاوي: الضوء اللامع، م ٥، ج ١٠، ص ٥٠؛ ابن طولون وابن المرد: متعة الأذهان، ج ٢، ص ٧٨٣.

(٧) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١٥٤.

التستري لسماع شيء من السيرة النبوية للمحب الطبري، كما سمع على البدر بن الخشاب، وقرأ بنفسه على ابن صديق، وعلى العراقي، والهيثمي شيئاً من "مصاييح السنة"^(١)، وأجازوه مناولة^(٢)، وسمع على الزين أبي بكر المراغي، وحفظ "العمدة"، و"التنبيه"، و"المنهاج"، و"ألفية ابن مالك"^(٣)

— وأورث التقيَّ حب العلم لولديه أبي حامد وأبي الفتح، فأبو حامد محمد الكازروني سمع مع أبيه في سنة (٨١٢هـ/١٤١٥م)، على الزين أبي بكر المراغي^(٤).

— وأبو الفتح محمد الكازروني (٨٧٧هـ/١٤٧٢م)، حفظ القرآن، كما حفظ كتباً لم تحددها لنا المصادر بل أطلق السخاوي أنه: "حفظ كتباً"^(٥)، وإن كنا نعتقد أنها لن تخرج عن الكتب التي اعتنت بها الأسرة الكازرونية كـ "الحاوي"، و"التنبيه"، و"الألفية"، مما تقدّم.

وقد أخذ أبو الفتح الفقه والعربية على الجمال الكازروني، وعن أبي السعادات بن ظهيرة، ولم يدرك أبو الفتح من محدّث المدينة الزين المراغي إلا صغيراً، فقد أحضر في السن الثالثة للسماع منه، سمع منه بعض الصحيح، إلا أنه أدرك ولديه أبي الفتح وأبي الفرج، فقرأ على أبي الفتح المراغي البخاري، وسمع على أبي الفرج المراغي، وقد كتب أبو الفتح في الإملاء عن الحافظ ابن حجر سمع عليه، وقد وصف بالبراعة في الفقه والعربية، وأنه تصدى للإقراء فانتفع به الطلبة^(٦).

— وأبناء أبي الفتح ممن طلب العلم وابتغاه كذلك، فأبو بكر بن أبي الفتح الكازروني حفظ "أربعين النووي"، و"المنهاج"، واشتغل على أبيه، ولازم السمهودي وسمع

(١) "مصاييح السنة": للحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٦هـ/١١٢٢م)، وهو نحو أربعة آلاف وخمسمائة حديثاً.

حاجي خليفه: كشف الظنون، ج ٢، ص ٥٦٩.

(٢) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٥٢٢. المناولة: أن يعطي الشيخ الكتاب للتلميذ ويقول أروي عني هذا.

انظر السيوطي: تدريب الراوي، ج ٢، ص ٣٨.

(٣) ابن حجر: ذيل الدرر الكامنة، ص ٢٢٥؛ السخاوي: الضوء اللامع، م ٤، ج ٨، ص ٥٧.

(٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٥٢٢.

(٥) السخاوي: الضوء اللامع، م ٥، ج ٩، ص ١٠٦.

(٦) السخاوي: الجواهر والدرر، ج ٣، ص ١١٥٩ - ١١٦٠.

على أبي الفرج المراغي، وسمع السخاوي، كما سمع على أمه في سنة (٨٧٨هـ/١٤٧٣م) وهي فاطمة بنت أبي اليمن المراغي المحدثه المشهورة^(١).

— وكذا كان سبيل ابنه محمد بن أبي بكر الكازروني، فقد سمع جدته فاطمة بنت أبي اليمن المراغي، كما سمع على السخاوي^(٢).

— وعبد السلام بن أبي الفتح الكازروني (ت ٨٤٦هـ/١٤٤٢م) حفظ "القرآن" و"المنهاج"^(٣) إلا أن اختلال عقله لم يمهل له ليكمل الطلب، غير أن ولده محمداً أبا الفضل (فضيل) ممن اشتغل بالعلم وسمع على السخاوي^(٤).

— والابن الثالث لأبي الفتح وهو محمد الشمس الكازروني حفظ "القرآن" و"الحاوي" و"المنهاج" و"ألفية ابن مالك"، وعرض واشتغل على أبيه وغيره وسمع على أبي الفتح المراغي والجمال الكازروني، وقرأ على أبي الفرج المراغي وسمع من السخاوي قليلاً، وأجاز له ابن حجر وجماعة^(٥).

— وأبناء الشمس الثلاثة كانوا أيضاً ممن اشتغل بالعلم، فأحمد بن محمد الكازروني ممن لازم السخاوي بالمدينة في سماع الكثير، وقراءة اليسير، وكتب رسالة السخاوي "القول البديع" وسمعا من لفظه، واشتغل على أبي الفرج المراغي وابنة أخيه فاطمة بنت أبي اليمن المراغي وهي جدته، ولزم السيد السمهودي وقرأ عليه البخاري في سنة (٨٨٣هـ/١٤٧٨م) واشتغل وفهم وفضل^(٦).

— والابن الثاني هو علي الكازروني، سمع على جدته فاطمة بنت أبي اليمن المراغي، وسمع كذلك من السخاوي^(٧).

(١) السخاوي: الضوء اللامع، ٦م، ج ١١، ص ٩٠-٩٢.

(٢) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤٦٣؛ المصدر السابق، ٤م، ج ٧، ص ١٩٩.

(٣) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٧٥.

(٤) السخاوي: الضوء اللامع، ٤م، ج ٨، ص ٥٧؛ ٦م، ج ١١، ص ١٢٩.

(٥) المصدر السابق، ٥م، ج ٩، ص ٢٢٨.

(٦) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١٤٧؛ الضوء اللامع، ١م، ج ٢، ص ١٩٣.

(٧) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٢٩٨-٢٩٩؛ الضوء اللامع، ٣م، ج ٦، ص ٢٠.

— والابن الثالث محمد المقبول، كان له مشاركة في العلوم ولاسيما في الفقه، فقد حفظ "القرآن"، و"أربعين النووي"، و"الحاوي"، و"المنهاج"، و"ألفية النحو"، وسمع على جده أبي الفتح، وعلى أبي الفرج المراغي وغيرهم، واشتغل بالفقه والعربية، والفرائض والحساب، وسمع من السخاوي، ولازمه، فقرأ عليه "الشفاء"، و"الموطأ" وغيرهما، وكتب بخطه "المقاصد الحسنة"^(١).

أسرة المراغي:

يكاد يكون عميد هذه الأسرة الزين أبو بكر المراغي (ت ٨١٦هـ/١٤١٣م) هو أكثر هذه الأسرة شيوخاً وتلاميذاً، وكان مبدأ طلبه للعلم مبكراً، وكان أول اشتغاله بالعلم بمصر، فأخذ عن كبار علمائها منهم التقي السبكي، والإسنوي^(٢)، وقرأ عليه "زوائد المنهاج" في الفقه^(٣)، والاشتغال بالفقه على الإسنوي، أكسب المراغي قوة في الفقه حتى أن الفقهاء كانوا يقصدونه كذلك للأخذ عنه^(٤)، كما سمع الزين المراغي "الإنباء المبينة عن فضل المدينة"^(٥) على البدر ابن فرحون، كما أخذ الزين المراغي على العفيف المطري شيخ المحدثين بالمدينة، فقرأ عليه "المسند" للإمام أحمد بالروضة^(٦)، و يكفي أن نعلم عن شيوخ الزين المراغي أنهم من الكثرة بحيث جمع المراكشي (مشیخة) له لم يكتب فيها إلا أسماء المشايخ الذين سمع منهم، ولم يضع فيها من أجازوه ممن لم يسمه منهم، وقد كانت أعدادهم كبيرة^(٧).

أما تلاميذ الزين المراغي، فكانوا من الكثرة بمكان، ولا يمكن أن يتم استيعابهم في بحث أو كتاب، لكن مما ينبغي معرفته أنه من اللطيف أن بعض شيوخته تتلمذوا عليه، فعبد

(١) السخاوي: الضوء اللامع، ٥م، ج ٩، ص ٢٨٥ - ٢٨٦.

(٢) هو عبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي الشافعي المصري، فقيه محدث، له العديد من المصنفات في هاذين العلمين، توفي سنة (٧٧٢هـ/١٣٧٠م). الحسيني: أبي بكر ابن هداية الله، طبقات الشافعية، تحقيق: عادل نويهض، (د.ط)، (بيروت، دار الآفاق الجديدة، ١٩٧١م)، ص ٢٣٦.

(٣) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ٢، ص ٦٩٩.

(٤) السخاوي: الضوء اللامع، ٦م، ج ١١، ص ١٩.

(٥) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ١، ص ١٨٧.

(٦) السخاوي: الضوء اللامع، ٢م، ج ٣، ص ١٣٩ - ١٤٠؛ ٦م، ج ١١، ص ٢٨ - ٢٩.

(٧) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج ٥، ص ٣٣؛ الهيلة: الحبيب، التاريخ والمؤرخون بمكة من القرن ٣هـ — ١١هـ (ط ١)، (مكة، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ١٩٩٤م)، ص ٩٧، ٩٩.

الواحد بن محمد بن إسماعيل بن هبة الله بن محمد ابن أبي جرادة، هو من شيوخ زين الدين المراغي وأجاز له، ثم صار تلميذاً عنده، وحدث عنه^(١)، وكذلك أحمد بن علي بن يوسف السجزي (ت ٧٦٣هـ / ١٣٦١م)، فقد سمع عليه أبو بكر بن الحسين المراغي، كما روى له عن شيء من أول تاريخ المدينة^(٢)، ويُظن أن ذلك قبل أن يتم الكتاب، فإنه فرغ من تبييضه في سنة (٧٦٦هـ / ١٣٦٤م) كما في "الضوء"^(٣)، وقد قال السخاوي عن تلاميذه: "سمع منه أولاده وسبطه المحب المطري وشيخنا - أي ابن حجر - والفاسي، ومن لا أحصيهم كثرة، وأصحابه بالإجازة الآن معدودون، ولا أعلم بالسماع منهم أحداً سوى أبي الفتح بن عليك بالمدينة، وأبي بكر بن فهد بمكة"^(٤).

لقد كان الزين المراغي علماً يفتخر كل محدث أنه سمع منه وأخذ منه الإجازة، وقد سجل بعضهم ذلك بخطه تأكيداً لحبه وافتخاره بذلك، فكتب الشيخ عبد الكريم بن عبد الرحمن القلقشندي (ت ٨٥٥هـ / ١٤٥١م) للسخاوي بخطه أن: أبا بكر المراغي أجاز له، وكذا اغتنم عبد الرحيم بن أحمد بن عبد المنعم بن كيرم الحسيني القيلوي البغدادي (ت ٨٥٩هـ / ١٤٥٤م) فترة بقاءه بمكة في الحج، فأخذ الإجازة من الزين المراغي، وكتب بذلك للسخاوي بخطه^(٥).

كما اجتمع في السماع على المراغي الأفراد من أسرة واحدة، فعمر بن علي بن عمر بن محمد قنان (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م)، سمع مع أبيه وأخيه على الزين المراغي في سنة (٨١٢هـ / ١٤٠٩م)، وكان المراغي قد جاوز الثمانين^(٦).

(١) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج ٣، ص ٣٦.

(٢) الفاسي: العقد الثمين، ج ٣، ص ١١٢-١١٣.

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٦، ص ١١، ص ٣٠.

(٤) المصدر السابق، ج ٦، ص ١١، ص ٢٩.

(٥) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٢، ص ٤، ص ١٩٨، ص ٢٠٠.

(٦) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٣٥١؛ المصدر السابق، ج ٣، ص ٦، ص ١٠٧.

كما اجتمع لبعضهم السماع من الزين المراغي، والتفقه بولده، كما كان حال أحمد بن محمد بن محمد بن عمر الخوارزمي (ت ٨٥٠هـ/١٤٤٦م) حيث أخذ عن الزين الحديث والفقه عن ولده^(١).

وقد بذل الزين نفسه للتحديث أصالة، فحدّث بأمهات الكتب الحديثة، وعنه أخذ طلاب العالم الإسلامي، حيث كان موقعه يجعله محط أنظار الطلاب والحجاج والوافدين على الحجاز، فحدّث بـ"صحيح البخاري"، و"صحيح مسلم"، و"سنن أبي داود"، و"سنن النسائي"، و"السنن لابن ماجه"، و"سنن الترمذي"، و"الموطأ"، و"ابن حبان"، و"سنن الدارقطني"، و"سنن الحميدي"، ومن سمعه منه هذه الأمهات: أحمد بن محمد بن ظهيرة القرشي (ت ٨٢٧هـ/١٤٢٣م)، قاضي مكة ومفتيها^(٢)، وعلي بن محمد بن ظهيرة القرشي (ت ٨٤٤هـ/١٤٤٠م)^(٣)، محمد بن عبد القوي البجائي المكي (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م)^(٤)، ومحمد بن عبد الوهاب الياضي المكي الشافعي (ت ٨٥٨هـ/١٤٥٤م)^(٥)، ومحمد بن علي الكيلاني (ت ٨٦٠هـ/١٤٥٥م)^(٦)، ومحمد بن محمد القسطلاني المكي (ت ٨٦٤هـ/١٤٥٩م)^(٧).

كما كان الزين المراغي يحدّث بغير الأمهات كـ"المسلسل بالأولية"، فقد سمعه منه الكثير، منهم : أحمد بن محمد بن أحمد المحب النويري المكي حيث سمعه من الزين المراغي بمكة^(٨)، كما حرص جمع من الطلاب على حضور (مجالس ختم) كتب الأحاديث، فحضر عليه "ختم البخاري" علي بن محمد بن محمد بن حسين بن ظهيرة

(١) المعلمي: أعلام المكيين، ج ١، ص ٤١٣.

(٢) الفاسي: العقد الثمين، ج ٣، ص ١٣٩ - ١٤٠، ١٤٢.

(٣) ابن فهد: معجم الشيوخ، ص ١٨٤.

(٤) المصدر السابق، ص ٢٣٣ - ٢٣٤؛ القراني: توشيح الديباج وحلية الابتهاج، ص ١٩٣.

(٥) المعلمي: أعلام المكيين، ج ٢، ص ١٠ - ١٣.

(٦) السخاوي: الضوء اللامع، م ٤، ج ٨، ص ٢٠١.

(٧) ابن فهد: معجم الشيوخ، ص ٢٥٦ - ٢٥٧؛ المعلمي: أعلام المكيين، ج ١، ص ٥٧.

(٨) السخاوي: الضوء اللامع، م ١، ج ١، ص ٨٤؛ الشماخ: القبس الخاوي، ج ١، ص ١٩٣.

(ت ٨٤٤هـ / ١٤٤٠م)^(١)، وحضر "ختم مسلم" محمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الحب الطبري (ت ٨٦٢هـ / ١٤٥٧م)^(٢).

كما حضر ابنه محمد الطبري (ت ٨٩٤هـ / ١٤٨٨م)^(٣)، وحضر محمد بن محمد بن حسين الأصبهاني (ت ٨٧٥هـ / ١٤٧٠م)، ختم "ابن حبان"، و"أبي داود"^(٤) وسمع جماعة من الطلاب الأجزاء الحديثية كـ "أربعين النووي" سمعه منه محمد بن محمد القيلوي (ت ٨٦٢هـ / ١٤٥٧م)^(٥)، وسمع "السيرة لمغلطاي" عطية بن محمد بن أبي الخير بن فهد الهاشمي^(٦)، وأما "جزء إبراهيم الحربي"^(٧)، فقد سمعه على الزين جماعة منهم عبد اللطيف بن أبي السرور الفاسي المكي (ت ٨٦٤هـ / ١٤٥٩م)^(٨) وكان الزين المراغي يحدث أيضاً بـ "المخلصيات"^(٩)، وهي أجزاء حديثية من حديث أبي طاهر محمد بن عبد الرحمن بن العباس المعروف بالمخلص^(١٠)، كما حدث أبو بكر المراغي الزين بعوالي الأحاديث، فحدث بـ: "سداسيات الرازي"، و"سداسيات الدارمي".

كما بذل المراغي نفسه للطلاب في جميع أوقاته، حتى بعد ما أسنَّ وجاوز الثمانين من عمره، حتى إن بعض طلبته وهو أبو بكر بن محمد بن إسماعيل بن الحسن التقي القلقشندي (ت ٨٦٧هـ / ١٤٦٢م) ذكر عنه أنه قرأ على الزين المراغي "صحيح البخاري"

(١) ابن فهد: معجم الشيوخ، ص ١٨٤.

(٢) الشماع: القبس الحاوي، ج ٢، ص ٣٤١ - ٣٤٢.

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، م ٥٥، ج ٩، ص ١٩١ - ١٩٢.

(٤) المصدر السابق، م ٥٥، ج ٩، ص ٧٧.

(٥) المصدر السابق، م ٥٥، ج ٩، ص ١١٧.

(٦) ابن فهد: معجم الشيوخ، ص ١٦١ - ١٦٢.

(٧) وأبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق الحربي من كبار المحدثين (ت ٢٨٥هـ / ٨٩٨م) صاحب غريب الحديث وغيره وله سبعة وعشرون مسنداً من كبار الصحابة. انظر حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ٦، ص ٧.

(٨) ابن فهد: معجم الشيوخ، ص ١٤٥ - ١٤٦.

(٩) "المخلصيات" من أجزاء الحديث، من حديث ابن طاهر محمد بن عبد الرحمن ابن مخلص الذهبي. حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ٢، ص ٥٢٧.

(١٠) ابن فهد: معجم الشيوخ، ص ٣٨٥.

في ثلاثة أيام، ومع ما في هذه المدة من المبالغة الواضحة^(١)، إلا أنها تشير في أصل الأمر إلى بذل المراغي وقته للطلبة.

فرغم تقدّمه في السنّ، إلا أنه استمر في إسماع الكتب الأمهات للطلبة ومحبي العلم، فسمع منه محمد بن عبد الرحمن بن الجمال في سنة (٨١٣هـ/١٤١٠م) أشياء^(٢)، وسمع في سنة (٨١٤هـ/١٤١١م) وكذلك كان في نفس السنة سماع أحمد بن أبي اليمن الطبري^(٣)، وسمع محمد بن عمر الجعجاع على المراغي سنة (٨١٥هـ/١٤١٢م).

ولم تقتصر مسموعات الطلبة على الزين المراغي على الحديث فحسب، بل كان الزين أبو بكر إماماً في فنون، لذا فقد سمع عليه الطلاب في الاعتقاد والفقه واللغة، فمما أخذه عنه الطلاب في الاعتقاد كتاب "الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد"، وقد سمعه منه الشيخ محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن فهد^(٤)، وقرأ عليه محمد بن علي بن محمد البليسي (ت ٨٦٧هـ/١٤٦٢م) مجلس "نفي التشبيه" لابن عساكر^(٥)، وفي اللغة أخذ عليه محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن فهد كتاب "مقامات الحريري"^(٦)، كما قرأ عليه عمر بن محمد بن محمد بن محمد بن أبي الخير بن فهد "بردة المديح" للبوصيري^(٧).

واغتتم الطلاب أيضاً كون الزين المراغي من الفقهاء المشهورين، فقرعوا عليه في الفقه، انظر إلى ابن فهد في ترجمته للشيخ حسين بن عبد الرحمن الأهدل بدر الدين أبو علي

(١) إذا كان صحيح البخاري قد أربى عن سبعة آلاف حديث، فلو افترضنا أن القلقشندي كان سريع القراءة جداً وقراءة الحديث في دقيقة لاحتاج إلى سبعة آلاف دقيقة (وبعض الأحاديث طويل جداً بالصفحات)، فلو كان ملازماً للزين المراغي أربع ساعات يومياً يقرأ بمفرده لاحتاج الأمر إلى ما ينيف على شهر، بل لو استغرق في القراءة جميع ساعات اليوم (٢٤ ساعة)، لاحتاج إلى خمسة أيام، مع القطع بأن ذلك مستحيل، ولذا قطعت بالمبالغة في هذا، وكان السخاوي استشعر ذلك فقال عقبه: (فإنه أعلم بذلك فهو شيء ما سمعته منه).

السخاوي: الضوء اللامع، ٦م، ج ١١، ص ٦٩-٧٠.

(٢) ابن فهد: معجم الشيوخ، ص ٢٢٤؛ المصدر السابق، ١م، ج ٢، ص ١٠٤-١٠٥.

(٣) المصدر السابق، ١م، ج ١، ص ٢١٩.

(٤) للبيهقي، وهو جزء مختصر فيه أصول الاعتقاد بالنصوص الشرعية من الآيات والأحاديث وأقوال السلف (مطبوع). ابن فهد: معجم الشيوخ، ص ٢٨٠-٢٨١.

(٥) المصدر السابق، ص ٣٨٥-٣٨٦.

(٦) المصدر السابق، ص ٢٨٠-٢٨١.

(٧) المصدر السابق، ص ١٩١-١٩٢.

(ت ٨٥٥هـ/١٤٥١م) حين يترجم له فيقول: "وسمع من فقهاء الحرم كالزین بن الحسین المراغي"^(١)، وهاهو السخاوي يترجم لمحمد بن موسى بن علي المراكشي الحافظ فيقول: "وتفقه أيضاً في المدينة النبوية بالزین المراغي"^(٢).

وكان أهم ما يحرص عليه الطلاب في أخذه عن المراغي "العمدة في شرح الزبد" لقاضي حماد شرف الدين البارزي، قرأه أحمد بن محمد بن ظهيرة (ت ٨٢٧هـ/١٤٢٣م)^(٣)، وأذن له الزین بالإفتاء والتدريس^(٤).

— وقد وقفت على أن ولده أبا الفتح ممن كان يقرأ عليه، فقد قرأ عليه في سنة (٨٠١هـ/١٣٩٨م)^(٥)، وفي سنة (٨١٢هـ/١٤٠٩م)^(٦) فإذا علمنا أن مولده كان سنة (٧٧٥هـ/١٣٧٣م) فيكون قد قرأ على أبيه وهو ابن (٢٦) سنة في الأولى وابن (٣٧) في الثانية، ولذلك فقد فاق الأقران.

ولم يقتصر طلاب الزین المراغي على الرجال، بل سمع منه الأطفال والنساء وحرص أولياؤهم على إحضارهم مجلس السماع.

— فقد حضر عبد اللطيف بن محمد السراج (ت ٨٦٤هـ/١٤٥٩م) مجلس السماع على المراغي وله (١٢) سنة (٨٠٣هـ/١٤٠٠م)^(٧)، كما اهتم التقي القرشي بإسماع عمر بن محمد أبي الخير ولده (ت ٨٨٥هـ/١٤٨٠م) على المراغي، فأحضره للسماع عليه، وكان مولد عمر في سنة (٨١٢هـ/١٤٠٩م)، فيكون قد سمع وله نحو ثلاث سنوات^(٨).

وأما من سمع من المراغي من النساء فكثير، وأهم ما وقفت عليه من ذلك: زينب ابنة عبد الرحيم أم محمد ابنة الزین العراقي (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م)^(٩)، ورقية ابنة الشمس محمد

(١) ابن فهد: معجم الشيوخ، ص ١٠٧-١٠٨.

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، م ٥٢، ج ١٠، ص ٥٦.

(٣) المصدر السابق، م ١، ج ٢، ص ١٣٤.

(٤) الفاسي: العقد الثمين، ج ٣، ص ١٤٢.

(٥) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٢٩٧.

(٦) المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٩٠.

(٧) السخاوي: الضوء اللامع، م ٢، ج ٤، ص ٣٣٥.

(٨) المصدر السابق، م ٣، ج ٦، ص ١٢٦؛ الشماع: القيس الحاوي، ج ٢، ص ٢٩-٣٠.

(٩) السخاوي: الضوء اللامع، م ٦، ج ١٢، ص ٤٢.

بن التقي محمد بن روزبة (ت ٨٥٨هـ/١٤٥٤م)^(١)، وستيت ابنة عبد الملك بن الكازروني (ت ٨٥٩هـ/١٤٥٤م)^(٢)، وأم الوفاء ابنة الرضي محمد الطبري (ت ٨٦١هـ/١٤٥٦م)^(٣).
 * وأما الشيخ أبو اليمن محمد بن أبي بكر المراغي (ت ٨١٩هـ/١٤١٦م)، فقد نشأ في بيئة علمية، فتفقه بوالده، وسمع عليه الكثير، فكان أول طلب للعلم أن حفظ القرآن، و"العمدة"، و"المنهاج"، و"ألفية ابن مالك" وهي الأساسيات من الكتب التي كان يشتغل بها العلماء في مبدأ طلبهم للعلم، وقد أخذ على العلماء منذ نعومة أظفاره، فكان أول عرض في سنة (٧٧٥هـ/١٣٧٣م) وله نحو (١١) سنة وكان ذلك على شيوخ بلده والقادمين عليها، ثم ارتحل وطاف البلاد وحمل عن جماعة من العلماء في كل البلدان، وأجازه جماعة منهم، كما لم يجزه بعضهم لصغر سنه، فأجازه محمد بن أبي البقاء السبكي في سنة (٧٧٧هـ/١٤٧٥م) بالمدينة وله (١٣) سنة^(٤)، وبعد سنة أي في سنة (٧٧٨هـ/١٣٧٦م) أجازه جماعة بالقاهرة وله (١٤) سنة^(٥)، ومن أجازه الجلال الخجندي والبلقيني وابن الملحق^(٦).

كما سمع على العز أبي اليمن بن الكويك^(٧) "الموطأ" سنة (٧٨٩هـ/١٣٨٧م)^(٨)، كما سمعه على البرهان بن فرحون في سنة (٨٨٩هـ/١٤٨٤م)^(٩)، وقرأ على الزين العراقي شرحه "لألفيته" في الحديث، وكان ذلك بالمدينة في سنة (٧٩٠هـ/١٣٨٨م)، وأذن العراقي

(١) المصدر السابق، ج ٦، ١٢، ص ٣٦.

(٢) للمعلمي: أعلام المكيين، ج ٢، ص ٧٨٥.

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٦، ١٢، ص ١٦١.

(٤) الشماع: القيس الحاوي، ج ٢، ص ١٥٣-١٥٤.

(٥) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤٥٣-٤٥٤.

(٦) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٤، ٧، ص ١٦١؛ الشماع: القيس الحاوي، ج ٢، ص ١٥٤.

(٧) هو محمد بن عبد اللطيف بن أحمد بن الكويك الإسكندري، كان يعد من سراة الناس وأكابرهم، برع في الفقه والحديث والنحو، مات بالقاهرة، سنة (٧٩٠هـ/١٣٨٨م). المقرئ: درر العقود، ج ٣، ص ٥٥؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ١١، ص ٣١٨.

(٨) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤٥٤؛ الضوء اللامع، ج ٤، ٧، ص ١٦١-١٦٢.

(٩) الشماع: القيس الحاوي، ج ٢، ص ١٥٤.

له في روايته وإفادته^(١)، وأخذ عن حافظ العصر أحمد بن علي بن حجر العسقلاني^(٢)، وكان أبو اليمن حسن القراءة، وقد وُصِفَت قراءته بأنها: (قراءة تدبر وتأمل)^(٣).

— وقد تلقى ولده الحسين بن محمد المراغي (ت ٨١٩هـ / ١٤١٦م) العلم على يد والده، بل قد أحضر وعمره ثلاث سنوات في سنة (٧٩٩هـ / ١٣٩٦م) للسمع على جده الزين المراغي، وحفظ بعض المتون، وتلقى العلم عن جماعة من العلماء، كالكمال الكازروني، وأبي حامد المطري^(٤).

— وقد سمع أخوه محمد بن محمد المراغي (ت ٨١٩هـ / ١٤١٦م) على جده أيضاً^(٥)، وقد مات مع أبيه وأخيه صغيراً بدرب الشام، فلم ينقل عنه كبير طلب العلم.

— وأما الأخت الكبرى لمحمد وأحمد والحسين، فهي زينب بنت أبي اليمن المراغي، وقد اشتغلت بالعلم رواية وسماعاً، وأجاز لها في سنة (٧٩٣هـ / ١٣٩٠م) وما بعدها جماعة منهم ابن الملتن والعراقي والهيثمي والنجم بن فهد^(٦)، وقد وقفت على أنها أجازت السراج عمر بن محمد بن محمد بن محمد بن حسين بن ظهيرة المكي، حيث جاء في ترجمته أنه أجاز له من المدينة زينب بنت أبي اليمن بن أبي بكر بن الحسين المراغي^(٧).

— والأخت الأخرى هي المحدثنة المشهورة فاطمة ابنة الجمال أبي اليمن المراغي، والمكناة بأُم الحسين، وقد بدأت المسيرة العلمية صغيرة، فأحضرت في الرابعة من المحرم سنة (٨١٢هـ / ١٤٠٩م) للسمع على جدها، وهذا دفع ابن عمها محمد بن أبي الفرج المراغي أن يقرأ عليها رغبة في إسماع أولاده الثلاثة: أحاديث عالية^(٨).

(١) السخاوي: الضوء اللامع، م ٤، ج ٧، ص ١٦١ - ١٦٢.

(٢) الشماخ: القبس الخاوي، ج ٢، ص ١٥٤.

(٣) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤٥٤.

(٤) السخاوي: الضوء اللامع، م ٢، ج ٣، ص ١٥٥.

(٥) المصدر السابق، م ٥، ج ٩، ص ٥٦.

(٦) ابن فهد: معجم الشيوخ، ص ٣١٦؛ السخاوي: الضوء اللامع، م ٦، ج ١٢، ص ٤٦.

(٧) الشماخ: القبس الخاوي، ج ٢، ص ٢٨ - ٢٩.

(٨) السخاوي: الضوء اللامع، م ٦، ج ١٢، ص ١٠٢.

* والابن الثاني للزين المراغي هو محمد (ت ٨٥٩هـ/ ١٤٥٤م) وهو أشهر آل المراغي علماً، ورواية، إذ طال عمره حتى عُمِّرَ وجاوز الثمانين، فانتشر علمه بالآفاق حتى عدّه السخاوي ثالث ثلاثة من شيوخه، أخذ عنه خلق كثير رواية ودراية^(١)، بدأ حياته العلمية برعاية والده المحدث أبي بكر المراغي (ت ٨١٦هـ/ ١٤١٣م)، فحفظ القرآن، و"العمدة"، و"الشاطبية"، و"ألفية العراقي" في أصول الحديث، و"ألفية النحو" لابن مالك، و"المنهاج" للنووي^(٢)، وهذه كلها مما يشتغل به الطلاب آنذاك، وزاد بأن حفظ "لمع الأدلة"^(٣)، كما حفظ "المنهاج" للبيضاوي، وقد بدأ المراغي حياته العلمية بالقراءة والعرض على الشيوخ في سنة (٧٨٦هـ/ ١٤٨١م) أي وله نحو (١١) سنة من العمر^(٤)، وسمع بالمدينة من شيوخها والقادمين إليها، فسمع من والده المحدث زين المراغي (٨١٦هـ/ ١٤١٣م) "البخاري"، و"مسلم"، و"جامع الترمذي" وغير ذلك^(٥)، كما سمع "الشفاء" عن جماعة منهم القاضي برهان الدين إبراهيم بن علي بن فرحون المدني^(٦)، وأخذ "البخاري"، و"النسائي" على الزين العراقي^(٧)، وقد تفقّه أبو الفتح بوالده، فقد قرأ عليه "العمد في شرح الزيد" من تصنيف الزين أبي بكر المراغي، كما قرأ عليه تكملته لشرح شيخه الاسنوي "الوفي بتكملة الكافي"^(٨) وأخذ الحديث عن الشيخ زين الدين العراقي^(٩)، وكتب له العراقي إجازة حافلة، وسمع من عبد الوهاب بن محمد بن صالح الكتاني (ت ٨٦٥هـ/ ١٤٦٠م) صحيح البخاري في سنة (٨١٥هـ/ ١٤١٢م)^(١٠)، وسمع وأجاز له

(١) الشماع: القبس الحاوي، ج ١، ص ٣٧٦، ٣٨٠.

(٢) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤٥٥ - ٤٥٦.

(٣) "لمع الأدلة": للحوييني عبد الملك بن عبد الله إمام الحرمين أبي المعالي (ت ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م) وهو كتاب مختصر

في أصول الدين. حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ٢، ص ٤٦٨.

(٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤٥٥ - ٤٥٦.

(٥) ابن فهد: معجم الشيوخ، ص ٢٢٠.

(٦) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٢١٩.

(٧) ابن فهد: معجم الشيوخ، ص ٢٢٠.

(٨) الشماع: القبس الحاوي، ج ٢، ص ١٥٦ - ١٥٧.

(٩) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤٥٦.

(١٠) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٣، ص ٥، ١٠٩.

خلق كثيرون جمع جملة كبيرة منها النجم عمر بن فهد الهاشمي في المشيخة التي خرَّجها لأبي الفتح المراغي^(١).

كما كان أبو الفتح يقصد المدارس أيضاً لسمع من العلماء، ومن المدارس التي قصدها بالمدينة (المدرسة الشهابية)، وقرأ هناك على العز بن جماعة^(٢).

وأما طلاب أبي الفتح المراغي فأكثر من أن يتم حصرهم وضبطهم، وذلك لنزوله الحرمين، وكونه من المعمرين، فقد أخذ منه أهل المدينة، ثم في السنة الخامسة عشرة الأخيرة من حياته، قصده الطلاب بمكة، بل كان الشيوخ بالمدينة يرسلون أبناءهم للسمع عليه بمكة، كما كان حال محمد بن محمد الشمس العوفي المدني، فقد ولد في سنة (٨٤٠هـ/١٤٣٦م) بالمدينة، إلا أنه قرأ وسمع على أبي الفتح المراغي بمكة^(٣)، كما لازمه أيضاً ابن الشيخة علي بن أيوب البرماوي (ت ٨٧٨هـ/١٤٧٣م) وقرأ عليه الحديث^(٤)، كما حرص الطلبة على استنساخ شرحه "للمنهاج" كما كان شأن أبي بكر بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن فهد (ت ٨٩٠هـ/١٤٨٥م)، حيث كتب بخطه الكثير من الكتب (الكبار) مثل شرح "المنهاج" لأبي الفتح المراغي^(٥)، كما سمع منه الطلاب من مختلف المذاهب^(٦).

وحيث تقدّم العمر بأبي الفتح، وعُمر كأبيه إلى ما بعد الثمانين، لذا نجد كذلك الرجل يسمع منه، ثم يسمع منه ولده كذلك، فإن شعبان محمد بن محمد بن علي بن شعبان سمع على أبي الفتح المراغي سنة (٨٥١هـ/١٤٤٧م) مع أبيه وعمه^(٧)، واعتنى عمر بن محمد بن محمد بن أبي الخير بن فهد بابنه عبد العزيز، فاستجاز له من أبي الفتح المراغي^(٨).

(١) ابن فهد: معجم الشيوخ، ص ٢٢١؛ المشيخ: إبراهيم بن حمود، تاريخ أم القرى ومكانة المرأة العلمية من خلال الدر الكمين، (ط ١)، (د. م. ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م)، ص ١٨١.

(٢) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٣٤٧.

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، ٥م، ج ٩، ص ١٢٩-١٣٠.

(٤) السخاوي: الضوء اللامع، ٣م، ج ٥، ص ١٩٥-١٩٦.

(٥) السخاوي: الضوء اللامع، ٦م، ج ١١، ص ٩٢؛ الشماع: القيس الخاوي، ج ٢، ص ٣٩٣.

(٦) المصدر السابق، ج ١، ص ٤٩٥؛ المعلمي: أعلام المكيين، ج ١، ص ٣٧٤.

(٧) السخاوي: الضوء اللامع، ٣م، ج ٥، ص ٢١٤.

(٨) المصدر السابق، ٢م، ج ٤، ص ٢٢٥.

وأبو الفتح يصنف أنه (مكي) ، ويصنف أنه (مديني)، وذلك لأنه وإن كان مديناً نشأةً ووفاءً، إلا أنه تردّد إلى مكة مراراً، ثم استقر فيها آخر خمس عشرة سنة من حياته، لذا عدّه المؤرخون في كل بلد منها^(١)، ففي ترجمة عبد العزيز بن عمر بن محمد بن محمد بن فهد (ت ٩٢٢هـ/١٥١٦م)، يذكر الشماع أن أباه أحضره وأسمعه على كثير من المكّيين ويمثل فيقول (كأبي الفتح المراغي)^(٢).

في حين أخذ منه الكثير من أهل المدينة مثل عمر بن عبد العزيز بن سراج الدين (ت ٨٩٧هـ/١٤٩١م)، فقد سمع من أبي الفتح المراغي، وكذا الواردين على المدينة يسمع على أبي الفتح كمحمد بن محمد بن سليمان (ت ٨٩٤هـ/١٤٨٨م)^(٣)، إلا أن من الشيوخ من جمع في سماعه على أبي الفتح المراغي بين الحرمين، فإبراهيم ابن محمد بن أبي بكر بن علي بن مسعود ابن أبي شريف (ت ٩٢٣هـ/١٥١٧م) سمع بمكة والمدينة على أبي الفتح المراغي^(٤)، وكذا كان الفتحي حسين بن حسن بن حسين بن علي الشيرازي نزيل الحرمين، حيث سمع من أبي الفتح المراغي بالروضة بالمدينة وبمكة^(٥).

ومنهم المكي الذي سمع بالمدينة على أبي الفتح كمحمد بن محمد بن أحمد بن حسن أبي البركات ابن الزين، فهو مكّي النشأة، إلا أن سماعه من أبي الفتح المراغي كان بالمدينة النبوية^(٦).

وأما ما كان يحدث به أبو الفتح المراغي، فكان أمهات الكتب الحديثية، وهي "البخاري"، و"مسلم"، و"أبو داود"، و"النسائي"، و"الترمذي"، و"ابن ماجه"^(٧)، ومن سمعه

(١) أجهدي البحث عن تلاميذ أبي الفتح حيث قرأ عليه وسمع منه بمكة والمدينة ما يزيد على السبعمئة نفس ووقت عليها ونقلتها في بطاقتي إلا أنني اخترت للدراسة ما كان يفيد فائدة في الحياة العلمية لأبي الفتح وللأسر العلمية بالمدينة بصفة عامة ، ويعد أبو الفتح المراغي من أكثر أسرة المراغي تلاميذاً، بل ربما فاق في ذلك أباه.

(٢) الشماع: القبس الحاوي، ج ١، ص ٣٩٧-٣٩٨، ٤٠١.

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، م ٣، ج ٦، ص ٩٣.

(٤) الشماع: القبس الحاوي، ج ١، ص ٨٣-٨٤.

(٥) السخاوي: الضوء اللامع، م ٢، ج ٣، ص ١٤٠-١٤١.

(٦) المصدر السابق، م ٥، ج ٩، ص ٤-٥.

(٧) المصدر السابق، م ١، ج ١، ص ٨٧.

منه : محمد بن عبد الله السنبسي المكي (ت ٨٧١هـ / ١٤٦٦م)^(١)، ومحمد بن خضر الشمس النيسابوري الشافعي (ت ٨٧٧هـ / ١٤٧٢م)^(٢)، وحسين بن حسن الغازي الشيرازي (ت ٨٩٥هـ / ١٤٨٩م)^(٣)، ومحمد بن أحمد بن يعقوب المكي القناوي (ت ٨٦٤هـ / ١٤٥٩م)^(٤)، وعبد القادر بن عبد اللطيف الأصغر الحنبلي (ت ٨٩٥هـ / ١٤٨٩م)^(٥). وإضافة إلى الكتب الستة حدّث أبو الفتح المراغي بـ "الموطأ"، و"سنن الشافعي"، و"المسلسل بالأولية"، و"مسلسلات العلائي"، و"الأربعين النووية"، و"الشمائل"، و"المصاييح"، و"الترغيب"، و"الألفية" للعراقي، و"الشفاء"^(٦)، ومن سمع منه عبد القادر بن أبي القسم الحيووي (ت ٨٨٠هـ / ١٤٧٥م)^(٧)، إبراهيم بن علي بن محمد بن ظهيرة القرشي^(٨)، عبيد الله بن محمد السيد الشافعي (ت ٨٩٥هـ / ١٤٨٩م)^(٩).

— وقد سمع جماعة من النساء من أبي الفتح المراغي، وأجاز لبعضهن منهن مسعودة ابنة المحب محمد بن محمد الطيري ولدت سنة (٨٥١هـ / ١٤٤٧م)^(١٠)، وأم هاني عفيفة (ت ٨٨٥هـ / ١٤٨٠م) ابنة القاضي أبي اليمن محمد النويري^(١١).

* وقد اشتغل الابن الثالث للزين المراغي بالعلم كذلك، فكان أبو النصر أحمد بن أبي بكر المراغي قد سمع على الزين العراقي، والهيثمي، وسليمان بن أحمد السقاء، والبرهان ابن فرحون (ت ٧٩٨هـ / ١٣٩٥م)^(١٢).

-
- (١) العلمي: أعلام المكيين، ج ١، ص ٥٢.
 - (٢) الشماع: القبس الحاوي، ج ٢، ص ١٨٩.
 - (٣) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٢، ص ١٣٩-١٤٠.
 - (٤) العلمي: أعلام المكيين، ج ٢، ص ٧٨١.
 - (٥) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٩٣، ١٩٥.
 - (٦) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٢، ص ١٤٠-١٤١؛ العلمي: أعلام المكيين، ج ١، ص ٢٣٧-٢٣٨.
 - (٧) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٢، ص ٢٨٤-٢٨٥.
 - (٨) المصدر السابق، ج ١، ص ٨٨-٨٩.
 - (٩) المصدر السابق، ج ٣، ص ١١٩.
 - (١٠) المصدر السابق، ج ٦، ص ٦٦.
 - (١١) المصدر السابق، ج ٦، ص ١٥٩.
 - (١٢) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١٠٤.

* أما الابن الرابع للزين المراغي فهو محمد الكمال أبو الفضل المراغي (ت ٨٤٣هـ - ١٤٣٩م) وقد طلب العلم صغيراً، فقد حضر على والده سنة (٨٠٦هـ / ١٤٠٣م) وله ثلاث سنوات، وسمع "سداسيات الرازي"، والأربعين" و"الغيلانيات"^(١) وغيرها، وسمع على أخيه أبي الفتح المراغي، وعلى النور المحلي سبط الزبير بعض "الاكتفاء" للكلاعي، وحفظ "المنهاج" وغيره، واشتغل على الجمال الكازروني، وكان من ضمن من حضر عليه "البخاري" في سنة (٨٣٧هـ / ١٤٣٣م)، وقرأ عليه أيضاً "الموطأ"، وأخذ الفقه والمعاني والبيان وغيرها على النجم بن السكاكيني بالمشاركة مع أخيه أبي الفتح، وقد روى النجم بن فهد عن أبي الفضل الكمال هذا وذكره في معجمه^(٢).

* أما الابن الخامس للزين أبي بكر المراغي فهو المحدث البارع أبو الفرج محمد (ت ٨٨٠هـ / ١٤٧٥م)، فقد بدأ حياته العلمية بحفظ القرآن، وذكر السخاوي أنه: (قام به على العادة في سنة (٨٢٠هـ / ١٤١٧م بمكة)^(٣)، وهذا يدل على مدى إتقانه له وقراءته به، كما حفظ "العمدة"، و"المنهاج"، و"ألفيتي الحديث والنحو" على عادة الأسرة المراغية في طلب العلم، وقد سمع على والده في صغره الكثير من أمهات الكتب والأجزاء الحديثية، فسمع "الصحيحين"، و"جامع الترمذي"، و"أبي داود"، و"الدارقطني"^(٤)، وأجاز له في الفقه والحديث جماعة من كل مذهب وفي كل فن.

ففي الفقه أجاز له من الشافعية: ابن الجزري والعراقي والمحب بن ظهيرة، ومن الحنفية: علي بن محمد بن علي الزرندي، ومن المالكية: التقي الفاسي وأبوه أحمد بن علي، وتفقّه بالجمال الكازروني، لكن كان أكثر انتفاعه في الفقه كان أخاه أبي الفتح، وكذلك في النحو أخذ عنه وعن النور الزرندي، وأخذ التفسير عن الجمال الزرندي، وسمع من ابن حجر^(٥)، وفي الحديث لازم أخاه أبا الفتح، وقرأ عليه كثيراً، وتدرّب به، وأذن له بالتدريس

(١) "الغيلانيات" من أجزاء الحديث، لأبي بكر محمد بن عبد الله الشافعي (ت ٣٥٤هـ / ٩٦٥م). حاجي خليفة:

كشف الظنون، ج ٢، ص ٢٠٨.

(٢) ابن فهد: معجم الشيوخ، ص ٢٢٢؛ الشماع: القيس الخاوي، ج ٢، ص ١٥٥.

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، م ٤، ج ٧، ص ١٦٦.

(٤) الشماع: القيس الخاوي، ج ٢، ص ١٥٩-١٦٠.

(٥) السخاوي: الضوء اللامع، م ٤، ج ٧، ص ١٦٦.

والإفتاء^(١)، وحديث بـ: "الأمهات الحديثية"، وبـ "معالم التنزيل"^(٢)، و"الأذكار"^(٣)، و"الأحياء"^(٤)، و"الرسالة"^(٥)، و"الشفاء"^(٦)، وكان أول تلاميذه الذين اعتنى بهم أبو الفرج هم أولاده أبو بكر والشمس وعبد الرحمن وفاطمة، وقد اشتهر منهم في حياته وبعد وفاته محمد الشمس، ولذلك نجد من جمع في سماعه بينهما، مثل عبد الكافي بن محمد بن أبي الفضل النفطي، فقد سمع على أبي الفرج وولده^(٧)، ويبدو أن أبا الفرج كان محط أنظار العلماء ممن يحرص على تلقي العلم، فإن منهم من استأثر بمجلس خاص به وهو محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن أبي بكر النصيب، فقد سمع (بانفراده) على (الزين) أبي الفرج بالمدينة^(٨)، ومن الطلاب من أكثر السماع على أبي الفرج ولازمه في قراءة الحديث وغيره، منهم محمد بن عبد الوهاب بن محمد بن يعقوب بن يحيى أبو المعالي بن التاج^(٩)، ومنهم من جاء ليسمع عليه من خارج المدينة، فمن تونس جاء عبد المعطي بن خصيب بن زايد بن جامع (توفي بعد ٨٩٩هـ/١٤٩٣م)^(١٠)، ومن اليمن، ابن الأهدل حسين بن صديق

(١) الشماع: القيس الحاوي، ج ٢، ص ١٥٩.

(٢) "معالم التنزيل" هو: كتاب في التفسير لأبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي (ت ٥١٦هـ/١١٢٢م).

حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ٢، ص ٥٨٩.

(٣) "الأذكار" هو: المسمى "حلية الأبرار وشعار الأخيار في تلخيص الدعوات والأذكار"، وهو كتاب مشهور

بأذكار النووي. المصدر السابق، ج ١، ص ٥٣٠.

(٤) "الإحياء" هو: من أجل كتب المواعظ وأعظمها للغزالي، اشتغل به العلماء شرحاً وتخریجاً واختصاراً. المصدر

السابق، ج ١، ص ٨٣-٨٤.

(٥) "الرسالة" أظهرها للقشيري أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن (ت ٤٦٥هـ/١٠٧٢م) وهي عمدة في السلوك

والمواعظ. المصدر السابق، ج ١، ص ٦٦١.

(٦) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤٣٩-٤٤٠، ٥٣٢-٥٣٣.

(٧) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٩٦.

(٨) الشماع: القيس الحاوي، ج ٢، ص ٢٩١. ولقب أبي الفرج: ناصر الدين، وإنما الزين هو لقب أبيه وابنه أبي بكر

فتمة خلل في النقل لكن كون النصيب ولد في سنة (٨٥١هـ/١٤٤٧م) يمنع من أن يكون قد سمع من الأب أبي

بكر، وسماعه من الزين بعيد لأنه توفي سنة (٨٥٨هـ/١٤٥٤م) فلا يسمع منه بانفراده فاعتمدت أنه أبو الفرج.

(٩) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٥٣٢-٥٣٣؛ الضوء اللامع، ج ٤، ص ١٣٧.

(١٠) الشماع: القيس الحاوي، ج ١، ص ٤٦٦-٤٦٧؛ المعلي: أعلام المكين، ج ٢، ص ٨٤٣.

الشافعي ولد سنة (٨٥٠هـ/١٤٤٦م)^(١) ومن القاهرة محمد بن أحمد الأميوطي الشافعي (ت ٨٨٩هـ/١٤٨٤م)، ومن الشام أبو بكر بن أحمد الدمشقي العيني^(٢)، وقد أخذ عن أبي الفرج من المكيين جماعة منهم عبد القادر بن عبد الهادي الحيوبي الأزهرى، ومحمد النجم أبو المعالي بن النجم بن ظهيرة^(٣).

* وأما الابن الأكبر لأبي الفرج المراغي فهو الزين أبو بكر محمد بن أبي الفرج (ت ٨٥٨هـ/١٤٥٤م)، حفظ "المنهاج"، و"ألفية" النحو صغيراً، وعرض وهو بعد العاشرة بقليل على جماعة، وكان ذلك في سنة (٨٤٢هـ/١٤٤٨م)، أجازته منهم: الجمال الكازروني، والشمس محمد الكازروني، والحب المطري، وسمع على الجمال الكازروني "الشفاء" بقراءة والده أبي الفرج المراغي، كما سمع على الجمال أيضاً "صحيح مسلم"، ولم يترك فرصة وجود عمه المحدث أبي الفتح المراغي حياً، فسمع عليه "الصحيحين"، كما سمع "المنهاج" على أبي السعادات بن ظهيرة حين إقامته بالمدينة سنة (٨٤٩هـ/١٤٤٥م)^(٤)، واشتغل قليلاً بالعلم، لكن مات كما سبق سنة (٨٥٨هـ/١٤٥٤م) مريضاً.

— وقد اشتغل ابنه الكمال أبو الفضل محمد بن أبي بكر المراغي (ت ٨٩٤هـ/١٤٨٨م) بالعلم، فسمع على جده أبي الفرج، فقرأ عليه "صحيح مسلم" سنة (٨٧٨هـ/١٤٧٣م) وله عشرون سنة، كما سمع على المحدث فاطمة بنت أبي اليمان المراغي، وهي ابنة أخي جده^(٥).

— كما اشتغل عبد الحفيظ بن محمد المراغي (ت ٩٢٣هـ/١٥١٧م) بالعلم كأبيه وأجداده، فحفظ القرآن، و"أربعين النووي"، و"المنهاج"، و"الأجرومية"، وسمع على عم أبيه الشمس محمد بن أبي الفرج، ثم سمع على السخاوي في سنة (٨٩٨هـ/١٤٩٢م)^(٦).

(١) الشماع: القبس الحاوي، ج ١، ص ٢٥٩.

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، م ٣، ج ٦، ٢٩٣-٢٩٤؛ م ٦، ج ١١، ص ٢٠.

(٣) المصدر السابق، م ٥، ج ٩، ص ٢٧٧؛ المعلي: أعلام المكيين، ج ١، ص ٢١٨.

(٤) السخاوي: الضوء اللامع، م ٦، ج ١١، ص ٧٢.

(٥) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤٩٣.

(٦) السخاوي: الضوء اللامع، م ٢، ج ٤، ص ٣٦.

— وقد أخذ أخوه عبد اللطيف عن السخاوي أيضاً بالمدينة، وكذلك كانت أخته أم الحسين ومريم ممن سمع من السخاوي بالمدينة^(١).

* وأما الابن الآخر لأبي الفرج المراغي فهو الشمس محمد المراغي (ت ٨٩١هـ / ١٤٨٦م)، حفظ القرآن و"المنهاج" للبيضاوي، و"المنهاج" للنووي، و"الأجرومية"، و"ألفية بن مالك"، وحفظ في الحديث "الألفية"، واعتنى بالقراءات فحفظ "الشاطبية"، وقرأ بالقراءات السبع كلها، وقد تفقه على المذهب الشافعي بالشمس محمد الكازروني وأبي الفرج بن محمد الكازروني، ومن علو همته التي اشتهر بها سمع على أبي الفتح بن تقي في فقه الحنفية، وعرض في العربية على الشهاب الأبيشيبي، وأخذ عنه في أصول الدين، وأصول الفقه، والفرائض، والحساب وغيرها، وانتفع به كثيراً، ولذلك كان يحله كثيراً، وأما الحديث فعرض على جماعة كالحب المطري وفتح الدين بن صالح، والجمال بن فرحون، والشمس محمد الكازروني، وأبي الفرج الكازروني، وقد بدأ سماعه للحديث منذ صغره فأحضر في أثناء سنه الرابعة على محدث المدينة الجمال الكازروني فسمع عليه، وكذلك سمع عليه في أثناء سن الخامسة، ولازم والده وعمره أحد عشر سنة أي في سنة (٨٤٥هـ / ١٤٤١م)، واستمر على هذه الملازمة حتى سنة (٨٨٠هـ / ١٤٧٥م) سنة وفاة والده، فبقي أكثر من ثلث قرن ملازماً له يقرأ عليه، فصار بكثرة ممارسته للسمع والقراءة بارعاً في ألفاظ الكتب الشهيرة مجيداً لقراءتها فصيحاً^(٢).

ومع هذا الكم الهائل من السماع والعرض، تحصّل له النبوغ في الحديث، فتصدر بعد أبيه للإسماع، وأصبح يقرأ عليه ما شاء الله من أهل بلده والقادمين عليها، وصار الرجل يسمع من أبيه ثم يسمع منه؛ كعبد الغني بن أحمد بن مرتضى الكتاني، فقد سمع على أبي الفرج بن المراغي وولده^(٣)، وكمحمد بن عبد العزيز أبي الفرج التميمي، فقد سمع على الشمس المراغي وأبيه أبي الفرج^(٤).

(١) المصدر السابق، ج ٦، ص ١٢، ص ١٢٥، ١٤١.

(٢) الشماع: القبس الخاوي، ج ٢، ص ٣٠٣.

(٣) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٩٢.

(٤) المصدر السابق، ج ٢، ص ٥٢٢.

ومن أخصّ من سمع منه السخاوي، وقد اغتبط السخاوي بذلك، لأنه وإن عاصر أبا اليُمن إلا أنه لم يقدر لهما الاجتماع به ولا الأخذ عنه، كما أن الشمس المراغي سمع من معاصره السخاوي أشياء حيث لقيه بمكة مراراً ثم بالمدينة، وصار يحضُّ الناس على الأخذ منه؛ لما شعر بتقدم السخاوي في العلوم وولاه بفضلته، وتفقدته واستأنس به كثيراً، حتى صار السخاوي يستحي من ذلك^(١)، وتلمذ على الشمس المراغي جماعة من الطلاب منهم محمد بن محمد بن ظهيرة، توجه مع أبيه إلى المدينة في مقتبل عمره فسمع على أبي عبد الله محمد بن أبي الفرج المراغي الشمس وكان مولد ابن ظهيرة هذا سنة (٨٨٠هـ/١٤٧٥م) فيكون سماعه وهو قريب العاشرة، وقد سمع منه "الشفاء" وغيره^(٢)، وأخذ عنه كذلك أبو بكر بن علي بن أبي بكر القاهري بن الفاوي (ت ٨٩١هـ/١٤٨٦م) سمع بالمدينة على الشمس الدين المراغي^(٣)، وقد سمع من أبي عبد الله الشمس المراغي الكثيرون من كبار المحدثين، فقد قال السخاوي: "...أخذ عنه الأكابر"^(٤).

— وقد أخذ عنه سبيله في طلب العلم ابنه محمد بن محمد المراغي، حفظ القرآن، و"أربعين النووي"، و"منهاجه"، وقرأ على أبيه "البخاري"، و"الشفاء"، وقد مات جده وله خمس عشرة سنة؛ ولذا فقد أدركه وسمع منه أشياء، كما سمع على ابنة عم أبيه فاطمة ابنة أبي اليُمن وغيرهما، وسمع من السخاوي، وقرأ عليه "الشفاء" وأكثر عنه، وكتب له السخاوي إجازة وصفها بأنها: (هائلة)^(٥).

— وسمع أيضاً عبد الرحمن بن محمد المراغي من السخاوي^(٦).

— ومن سمع العلم وطلبه أيضاً أسماء وعائشة ابنتا الزين أبي بكر المراغي عميد هذه الأسرة وكان سماعهما وطلبهما للعلم متقارباً، فكل منهما سمع من العز بن جماعة "جزءه الكبير" تخرجه لنفسه في سنة (٧٦٧هـ/١٣٦٥م)، كما سمعا "البردة"، و"الشقراطيسية"،

(١) الشماع: القبس الحاوي، ج ٢، ص ٣٠٤.

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٤، ص ٢٩٩.

(٣) الملمي: أعلام المكين، ج ١، ص ١٥٨.

(٤) السخاوي: وجيز الكلام، ج ٣، ص ٩٨٥.

(٥) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٥، ص ٢٠٦.

(٦) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٤٨؛ المصدر السابق، ج ٢، ص ١٢٤.

وحضرا ختم "الشفاء"، وكل منهما حدث وسمع منهما الفضلاء، وأخذ عن كل منهما التقى بن فهد^(١)، كما أجازتا لأم هاني زينب ابنة العلامة تقي الدين أبي الفضل بن فهد^(٢).

أسرة التستري:

كان أهم ما تميز به عميد الأسرة أحمد بن عثمان التستري (ت ٧٣٧هـ / ١٣٣٦م) هو اكتساب الأخلاق والآداب من الشيخ أبي بكر الشيرازي، إلا أن المصادر لم تذكر لنا اهتماماً له بالعلوم الشرعية لنفسه، وإن كان حريصاً على أن يكون ولده مشغولاً بها، ولذلك نجد أن ابنه الشمس محمد بن أحمد^(٣) مما سمعه كتاب "الشفاء"، سمعه على الشيخ محمد بن محمد بن حريث القرشي وكان خاتمة أصحابه، فصار منفرداً عنه به^(٤) مما رغب الطلاب في الحرص على سماعه منه، وقد سمعه منه علي بن محمد المحلي (ت ٨٣٨هـ / ١٤٣٤م)^(٥)، كما سمع من الأديب أبي محمد عبد الله السكري قصيدته الشهيرة التي أولها: (دار الحبيب أحق أن تمواها)^(٦).

— وأما ولده عبد الله بن محمد التستري (ت ٨٦٠هـ / ١٤٥٥م) فقد اشتغل بالعلوم أيضاً، فسمع بعض "صحيح البخاري" على البرهان علي بن صديق، وعلى الزين المراغي، وحدث الجمال بالحديث، ودرس العلم، وأجاز الطلاب، ومن أجازهم السخاوي^(٧).
— وكذلك اعتنى أخوه الشرف محمد بن محمد التستري بالحديث، وكان قد سمع من أبيه وغيره، وحصل الإجازات، وتصدر للحديث^(٨).

وأيضاً كان حريصاً على الحديث الابن الثالث للشمس محمد وهو أحمد بن محمد التستري، فقد قرأ على العفيف المطري - على باب داره - بالمدينة في سنة

(١) المصدر السابق، م ٦، ج ١٢، ص ٧٤.

(٢) ابن فهد: معجم الشيوخ، ص ٣٩٩.

(٣) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ١١٠.

(٤) ابن حجر: إنباء الغمر، ج ١، ص ٢٨٥.

(٥) المصدر السابق، ج ٨، ص ٣٦٥.

(٦) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤٢١.

(٧) المصدر السابق، ج ١، ص ٧٩؛ الضوء اللامع، م ٣، ج ٥، ص ٤٦.

(٨) المصدر السابق، م ٥، ج ٩، ص ٢٦.

(٧٦٢هـ/١٣٦٠م) "الجزء" الذي خرّجه له الذهبي، كما طلب من العفيف الإجازة لولديه أبي بكر وأم الحسن^(١).

ولم يكن الحديث هو اهتمام أفراد هذه الأسرة فحسب، بل كانت علوم القرآن هي أيضاً موضع اهتمام أفراد من الأسرة للجيل التالي، فكان الزين عبد الرحمن بن الجمال عبد الله التستري (ت ٨٨٧هـ/١٤٨٢م)، وقد لازم الشهاب الأبشيطي في دروسه وعمل مؤدباً للأطفال^(٢)، ومعلوم أن المؤدب أول ما يبدأ مع الأطفال في العلوم هو تعليمهم القرآن الكريم.

* وأما أخوه أحمد بن عبد الله التستري، فقد جمع بين الحديث والفقه، حيث سمع الحديث على الزين المراغي (ت ٨١٥هـ/١٤١٢م)، ثم الجمال الكازروني في سنة (٨٣٧هـ/١٤٣٣م) في الصحيح، كما كان مهتماً بالقراءات، فكتب قصيدة "ابن عياش" في القراءات الثلاثة في سنة (٨٣٣هـ/١٤٢٩م)^(٣)، وبلغ شأناً في ذلك ووصف به: (القارئ)^(٤).

* وكذلك كان حال ابنه الشهاب أحمد والشمس محمد، فأما الشهاب أحمد بن محمد التستري (ت ٨٧٧هـ/١٤٨٢م)، فقد قرأ على الجمال الكازروني في الصحيح كحال ابن عمه أحمد بن الجمال، وكذلك أخذ بمكة عن جماعة من علمائها، كما حفظ "المنهاج"، و "الشاطبية"، وكان مشاركاً في الفقه والعربية، وقد تلقى عليه الطلاب^(٥).

— وأما أخوه الشمس محمد بن محمد التستري فهو أشهر هذه الأسرة في القراءات حتى لقب بـ: "المقرئ ... خاتمة شيوخ القراء بالمدينة"^(٦)، وقد تصدى للإقراء وانتفع به أهل المدينة وغيرها طبقة بعد أخرى.

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١٣٣.

(٢) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٣٥.

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، م ١، ج ١، ص ٣٧٠.

(٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١١٧.

(٥) المصدر السابق، ج ١، ص ١٤٤؛ الضوء اللامع، م ١، ج ٢، ص ١٧١.

(٦) المصدر السابق، م ٥، ج ٩، ص ١٩٥.

— وقد امتد الاهتمام بالقراءة أيضاً للشمس محمد بن أحمد التستري (ت ٩٢٣هـ/١٥١٧م)، فقد حفظ القرآن، وقرأ ببعض الروايات على عمه الشمس محمد بن شرف الدين مع كونه اشتغل بالفقه، والعربية يسيراً، بل وبالحدیث، فقد قرأ على السخاوي "مسند الشافعي"، و"معظم البخاري"، وكتب له السخاوي "ثبناً"، كما اشتغل عند السيد علي السمهودي، وقرأ "البخاري" على القاضي الحنفي نور الدين الزرندي سنة (٨٥٥هـ/١٤٨٠م)^(١).

أسرة السمهودي:

أسرة (السمهودي) أسرة شافعية، درّس علماؤها المذهب الشافعي، ففي مصر كان جد مؤرخ المدينة بسمهود وهو أحمد بن أبي الحسن السمهودي (ت بعد ٨٢٠هـ/١٤١٧م)، يدرس العلم الشرعي منذ صغره، فحفظ القرآن، و"المنهاج"، وعدد من المتون^(٢).

— وقد استمر حب طلب العلم في ابنه عبد الله بن أحمد السمهودي (ت ٨٦٦هـ/١٤٦١م) الذي حفظ القرآن، و"المنهاج"، و"ألفية" ابن مالك، وارتحل إلى القاهرة ودرس على أيدي علمائها في وقته، وأذن له في التدريس والإفتاء^(٣)، ولما جاور بمكة لقي فيها عدداً من العلماء، أخذ عنهم منهم أبو القاسم النوري^(٤).

— أما شيخ السماهة بالمدينة الشريفة فهو علي بن عبد الله السمهودي (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م)، وقد بدأ رحلته مع التعلم بسمهود، فحفظ القرآن و"المنهاج"، ولازم والده وقرأ عليه "البخاري"، و"مختصر مسلم" للمنذري وغير ذلك، وقدم القاهرة معه

(١) ابن فرحون: (إبراهيم بن علي)، الديباج المذهب، م ٢، ص ١٩٤؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج ٤، ص ٧، ص ٨٢.

(٢) المصدر السابق، م ١، ج ١، ص ٢٨٠-٢٨١.

(٣) الشماع: القبس الخاوي، ج ١، ص ٤٤٩.

(٤) وهو محمد أبو القاسم النوري، قاضي مكة وابن قاضيها، أمام عالم فقيه. المقريزي: درر العقود، ج ٣، ص ٤٩٩؛

السخاوي: الضوء اللامع، م ٣، ج ٥، ص ٥٦.

ومفرده غير مرة، ولازم الشمس الجوجري^(١) في الفقه وأصوله والعربية، فكان مما قرأ عليه "الخزرجية"^(٢)، و"الأبشيطة"، و"المنهاج"، و"جمع الجوامع"، كما لازم المناوي^(٣)، وأخذ عنه "التنبية"، و"الحاوي"، و"البخاري" و"تفسير البيضاوي" وغيرها، كما حضر دروس البلقيني، وأذن له مشايخه في التدريس والإفتاء^(٤).

وأما الرحلة للمدينة، فقد لازم منذ سنة (٨٧٣هـ/١٤٦٨م) الشهاب الأبشيطي وحضر دروسه في "المنهاج" وغيره، وسمع جانباً من "تفسير البيضاوي"، وأكثر من السماع هناك على أبي الفرج المراغي، وقرأ على العفيف عبد الله ابن القاضي ناصر الدين ابن صالح أشياء وأجازوه كما سمع بمكة على كمالية ابنة محمد بن أبي بكر المرجاني وشقيقها الكمال أبي الفضل محمد والنجم عمر بن فهد، وفي المقابل انتفع بعلمه الكثير من الطلبة في الحرمين^(٥).

أسرة السخاوي:

— اعتنى عميد الأسرة محمد بن أحمد السخاوي (ت ٨٩٥هـ/١٤٨٩م) بالعلم صغيراً، فحفظ القرآن، و"الشاطبية"، و"مختصر الشيخ خليل"^(٦)، و"تنقيح القرافي"، و"ألفية

(١) هو أحمد بن حسن شهاب الدين الجوجري، فقيه نحوي، ناب في القضاء، وله العديد من مؤلفات، توفي بالقاهرة. المقرئ: دور العقود، ج ١، ص ٢٢٤؛ ابن حجر: أحمد بن علي، المجمع المؤسس للمعجم المفهرس، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٦م)، ص ٣٨٩.

(٢) "الخزرجية" وهي الشافعية في علم العروض والقافية، وهي في العروض لأبي محمد عبد الله الخزرجي (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م). حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ١، ص ٦٢٦.

(٣) هو شرف الدين أبو زكريا يحيى المناوي، كان عالماً رئيساً حشيماً، درس بعدة أماكن بالقاهرة، توفي سنة (٨٠٩هـ/١٤١٦م). ابن حجر: إنباء الغمر، ج ٦، ص ٢٤.

(٤) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٣، ص ٥، ج ٥، ص ٢٤٦.

(٥) المصادر السابق، ج ٣، ص ٥، ص ٢٤٧؛ العيدروسي: عبد القادر بن شيخ عبد الله الحسيني الحضرمي اليمني، النور السافر عن أخبار القرن العاشر، تحقيق: أحمد حالي وآخرون، (ط ١)، (دار صادر، بيروت، ٢٠٠١م)، ص ٩٦-٩٧.

(٦) لخليل بن إسحاق الجندي المالكي (ت ٧٦٧هـ/١٣٦٥م)، وهو من أشهر كتب المالكية المختصرة. حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ٢، ص ٥١٨.

ابن مالك" وغيرها^(١)، ويعد الإمام السيوطي^(٢) من أبرز تلاميذ القاضي الشمس، وقد سمع السيوطي من بعض نظمه^(٣).

— ودرج ابنه خير الدين محمد بن محمد السخاوي (ت ٩١٣هـ / ١٥٠٧م) سبيل أبيه في طلب العلم، وقد حفظ القرآن صغيراً بـ(سخا) ونشأ في كنف أبيه وحفظ "العمدة"، و"الشاطبية"، و"ألفية الحديث"، و"مختصر الشيخ خليل"، و"التنقيح" في الأصول للقرافي، و"الأجرومية"، و"ألفية ابن مالك"، و"كفاية المتحفظ"^(٤)، وبديعية^(٥) شعبان الآشاري المصري (ت ٨٢٨هـ / ١٤٢٤م) ومطلعها: "دع عنك سلعاً وسل عن ساكن الحرم"^(٦)، وقد عرضه أبوه على الكثير من العلماء وغيرهم، وعبر عن ذلك السخاوي بقوله: (عرضه أبوه على من هبَّ ودرج حتى الظاهر جقمق وأنعم عليه)، فكان ممن عرض عليه وسمع منه البلقيني والمحلي، وابن الهمام، والأقصرائي، و القرافي^(٧)، كما أخذ عن السخاوي، وحضر عنده بالروضة سنة (٨٩٨هـ / ١٤٩٢م)^(٨).

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤٤٠؛ الضوء اللامع، م ٤، ج ٧، ص ١١٠.

(٢) هو العلامة المؤرخ عبد الرحمن السيوطي، فقيه نحوي، له تصانيف مفيدة بلغت الخمسمائة، توفي بالقاهرة، سنة (٩١١هـ / ١٥٠٥م). ابن طولون وابن المبرد: متعة الأذهان، ج ١، ص ٣٩٤؛ الشوكاني: البدر الطالع، ج ١، ص ٣٣٥.

(٣) التنبكي: أحمد بابا، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، تحقيق: محمد مطيع، (د. ط)، (المملكة العربية السعودية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م)، ج ٢، ص ٢٢٦؛ مخلوف: شجرة النور الزكية، ص ٢٢٥.

(٤) "كفاية المتحفظ" هو: في اللغة لابن اسحق إبراهيم بن إسماعيل الأجدابي (ت ٦٠٠هـ / ١٢٦١م). حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ٥، ص ١٢.

(٥) البديعية هي قصيدة في مدح النبي ﷺ على بحر (البسط) من بحر الشعر، يكون رؤيها (أي آخرها) ميماً مكسورة، ويتضمن كل بيت من أبياتها نوعاً من أنواع علم البديع. أبو زيد: علي، البديعيات في الأدب العربي "نشأتها، تطورها، أثرها، (ط ١)، (عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م)، ص ١٨، ٤٦.

(٦) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ١، ص ٢٣٠.

(٧) السخاوي: الضوء اللامع، م ٥، ج ٩، ص ٤٧-٤٨.

(٨) مخلوف: شجرة النور الزكية، ص ٢٦٩.

— وواصل ابنه المحب محمد بن محمد السخاوي طلب العلم، فقد اعتنى به أبوه فحفظ القرآن بالمدينة، وحفظ كتباً كـ : "الرسالة"، و"المختصر"، و"التنقيح"، و"الشاطبية"، و"ألفية" ابن مالك، وعرض على السخاوي وعلى آخرين^(١).

— وقد طلب الشهاب أحمد بن محمد السخاوي (ت ٩٠٩هـ/١٥٠٣م) العلم قليلاً، فاشتغل بالسماع على المؤرخ السخاوي، وعلى صهره الجلال القمصي^(٢).

— وقد طلب ابنه عبد المعطي بن أحمد السخاوي (ت بعد ٩٤٢هـ/١٥٣٥م) العلم صغيراً، فحفظ القرآن، وكتباً كـ "الرسالة"، و"مختصر خليل"، و"التنقيح"، و"ألفية" النجوى، و"ألفية" الحديث، وكان أحد القراء عند عمه في الفقه، ولازم المؤرخ السخاوي، وكان يكتب بخطه، كما قرأ الحديث في الروضة الشريفة، واشتغل بالتفسير، ووضع كتاباً فيه في ستة أسفار^(٣).

(١) السخاوي: الضوء اللامع، ٥م، ج ٩، ص ١٩٩.

(٢) المصدر السابق، ٢م، ج ٤، ص ٩١.

(٣) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٢٠٦؛ رضا كحالة: معجم المؤلفين، ج ٢، ص ٣١٤.

ثانياً: الرحلات العلمية:

لقد تميّز سلف هذه الأمة بالشغف الشديد بالعلم وطلبه، حتى أن معظمهم كانوا يتلقون العلم عن آلاف الشيوخ، لذلك اشتهروا بقيامهم بالرحلات الكثيرة من أجل الحصول عليه.

وقد كانت هذه الرحلات تستغرق المسافات الشاسعة، لكي يبلغوا أماكن الشيوخ الذين يريدون تلقي العلم عنهم، وكانوا يبذلون المَهَج والأرواح رخيصة في سبيل هذه الغاية. ولم يعرف التاريخ أمة من الأمم رحلت في سبيل العلم وضربت في ذلك أروع الأمثال، وخلّدت في غضون ذلك الكثير من الوقائع التي تبرهن عظمة أولئك النفر الكريم الذين كرّموا العلم والعلماء مثل الأمة الإسلامية، ومن يقرأ عن كتب رحلاتهم في طلب العلم يرى كثرتهم، ومدى تكبّدهم المشاق، وطول سهرهم، وقيامهم في سبيل العلم، لاحتقر نفسه، وصغّر من شأنه.

لذلك عُرف علماء المسلمين بحبهم للرحلة في طلب العلم، مما دفع بعضهم للسفر من بلد إلى بلد؛ ليجلسوا بين يدي أحد العلماء الكبار؛ ليأخذوا عنه حديثاً أو اثنين أو أي علم من العلوم لا يجدونه عند غيره من العلماء، ومن يقرأ كتاب (الرحلة في طلب الحديث) للخطيب البغدادي يرى العجب العجيب من أمر علماء المسلمين وشدة حرصهم على العلم والإسناد العالي في الحديث الشريف.

واستمر علماء المسلمين في هذه الرحلات العلمية، والتي نشطت في هذا العصر الذي نحن بصدد دراسته، وخير دليل على ذلك النشاط، ما قام به علماء تلك الأسر العلمية التي عاشت في المدينة من رحلات علمية، تراوحت بين الكثرة في بعض الأسر والقلة في البعض الآخر، وسنورد بعض الأمثلة لهؤلاء العلماء على سبيل المثال لا الحصر.

ونحن كذلك نتوقع أن لا نجد كمّاً كبيراً من علماء المدينة قد رحل لطلب العلم وذلك لعدة عوامل:

منها: أن الوارد على المدينة من علماء الآفاق كثير وذلك لمكانتها الدينية، فلا نجد حاجاً لبيت الله الحرام أو معتمراً إلا وهو زائر لمسجد رسول الله ﷺ، وهذا يجعل المدينة

تغص بعلماء الآفاق طيلة العام، مما لا يحتاج ساكنها من طلبة العلم الرحلة للطلب، فما عليهم إلا الجلوس في المسجد النبوي، والتعرّف على العلماء والواردين.

ومنها: أن المجاورة في المدينة كانت مطلباً لكثير من العلماء الذين حصلت لهم هذه الفرصة، تعبداً في المسجد النبوي، وطلباً للعلم.

ومنها: أن المدينة لم تخلُ في سني العهد المملوكي من علماء في علوم مختلفة في الحديث واللغة العربية وغيرها، مما لم تنشط هم طلاب العلم مع ذلك إلى الرحلة للإقامة، فجلُّ ما يريدونه يجدونه بغير مشقة السفر.

كما أحب أن أشير هنا كذلك إلى أنه يمكن القول أن علماء الأسر جلُّهم إن لم يكن جميعهم ممن ارتحل في العلم إلى (مكة) خاصة، فإن مقدمهم للحج ما كان يمر دون سماع أو طلب أو تحديث وإسماع ونحو ذلك، فإن طالب العلم لا يشبع من العلوم كما جاء في الحديث: ((اثنان لا يشبعان طالب علم وطالب مال))^(١)، ويؤكد ذلك أن جمعاً من المحدثين نصّوا على سماعهم من أفراد من الأسر بمكة.

أسرة المطري:

— تعد الرحلة الأولى لهذه الأسرة التي قام بها عميدها الأول أحمد بن خلف المطري من مصر للمدينة، حيث انتدب للآذان بها، فجاء في أوائل العصر المملوكي واستوطنها، ثم تابعت رحلات أفراد الأسرة طلباً للعلم ومن هؤلاء:

— محمد بن أحمد المطري (ت ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م)، وهو العميد الثاني للأسرة، قد قام برحلات إلى مصر مراراً، وسمع بها من الديماطي^(٢) ولازمه كثيراً^(٣).

— عبد الله بن محمد المطري (ت ٧٦٥هـ/ ١٣٦٣م)، الذي تميّز عن والده بكثرة الرحلات للقاء الشيوخ، فقد رحل إلى العراق، ومصر، ودمشق، وحلب وكثير من

(١) الحاكم: أبي عبد الله النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، (ط١)،

(بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م)، ج ١، ص ٣٠٢.

(٢) هو محمد بن علي الديماطي، حدّث وسمع منه الفضلاء، توفي سنة (٧٨١هـ/ ١٣٧٩م). ابن حجر: الدرر

الكامنة، ج ٤، ص ٢١٦.

(٣) المقرئ: درر العقود، ج ٢، ص ٣٣٢؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤١٣.

الأقاليم^(١)، وحَدَّث ببغداد، والشَّام، والقاهرة^(٢)، قال عنه السبكي في معجم شيوخه: (عني بالطلب، ورحل إلى الأقطار)^(٣). ويُعدُّ العفيف أكثر أسرة المطري رحلة في طلب العلم رحمه الله.

— عبد الرحمن بن محمد المطري (ت ٧٧٢هـ/١٣٧٠م)، لم يرتحل التقى عبد الرحمن كثيراً في طلب العلم، حيث كان أخوه يُلزمه بالعكوف على الواردين إلى المسجد النبوي من العلماء للأخذ عنهم، فعوَّضه ذلك عن الرحلة، ثم إنه في آخر عمره رحل إلى حلب وتوفي بها، ولم تكن رحلته للإقامة، إذ كان مراده الوفاة بالمدينة النبوية، فلم يحصل له ذلك^(٤)، رحمه الله.

— الرضي محمد بن عبد الرحمن المطري (ت ٨١١هـ/١٤٠٨م)، رحل إلى مكة حاجاً وإلى الطائف للزيارة، وسمع الفاسي منه بما^(٥).

— الشمس محمد بن عبد الرحمن المطري (ت ٨٠٦هـ/١٤٠٣م)، رحل إلى مصر، والشَّام، واليمن، ودخل مكة، والتقى بعدد من علمائها منهم الفاسي^(٦).

— أحمد بن عبد الرحمن المطري (ت ٨٢٢هـ/١٤١٩م)، طالت رحلته حيث دخل اليمن، فأقام بها عشرة أعوام^(٧).

— محمد بن محمد المطري (ت ٨٥٦هـ/١٤٥٢م)، رحل إلى مكة، فسمع من أبيه، والجمال بن ظهيرة، والزين الطبري، ودخل القاهرة، وزار بيت المقدس، والخليل، وأجاز له كثيرون^(٨).

(١) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ١٥٠؛ العراقي: الذيل على العبر، ق ١، ص ١٥٦؛

الفيروزآبادي: المغامم المطابة، ج ٣، ١٢-٣٢.

(٢) علي السيد علي: الحياة الثقافية في المدينة المنورة، ص ١٦٦-١٦٧.

(٣) السبكي: معجم الشيوخ، ص ٢٠٦.

(٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٤٧-١٤٨.

(٥) الفاسي: العقد الثمين، ج ١، ص ١٥٣؛ السخاوي: الضوء اللامع، م ٤، ج ٧، ص ٢٩٩.

(٦) الفاسي: العقد الثمين، ج ٢، ص ١٠٥؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٥١٣.

(٧) ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٧، ص ١٥٤؛ الأنصاري: (ناجي محمد حسن)، التعليم في المدينة

المنورة، ص ٢٤٨.

(٨) ابن فهد: معجم الشيوخ، ص ٢٦٧؛ السخاوي: التبر المسبوك، ص ٤١٦-٤١٧.

— عبد الله بن محمد المطري، دخل القاهرة سنة (٨١١هـ/١٤٠٨م) لطلب العلم، وسمع من علمائها^(١).

— ومن أسرة المطري أيضاً رجل ابن أخت العفيف، وهو عبد العزيز بن يحيى بن العفيف عبد السلام (ت ٧٥٢هـ/١٣٥١م)، وهو ممن ارتحل إلى دمشق للقاء الشيوخ والأخذ عنهم، وتوفي بها^(٢).

أسرة الزرندي:

— رجل الشيخ يوسف الزرندي (ت ٧١٢هـ/١٣١٢م) في طلب العلم، فرحل إلى بغداد، والشام ومصر وسمع وحدث^(٣)، وكانت رحلته إلى المدينة مجاوراً أهم رحلاته العلمية، والتي نشأت بموجبها أسرة الزرندي في المدينة، وامتدت لعقود من الأزمان.

— وكان ابنه محمد بن يوسف الزرندي (ت ٧٤٧هـ/١٣٤٦م) ذا رحلة واسعة، فقد سمع الحديث بمكة والمدينة، وبيت المقدس، والكوفة والبصرة، ثم ارتحل إلى بلاد ما وراء النهر، فدخل خوارزم، واستفاد أهلها منه، ودخل العراق مرات، ثم كانت رحلته الأخيرة إلى شيراز، وهي الرحلة التي ألزمته بالمكوث هنالك حتى وفاته^(٤).

— وارتحل ابنه الآخر أحمد بن يوسف الزرندي (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م)، فدخل بغداد والشام والقاهرة، وسمع من الشيوخ والعلماء وأجازوا له^(٥).

— كما رحل محمد بن أحمد الزرندي (ت ٧٨٣هـ/١٣٨١م) إلى العراق ومصر والشام طلباً للعلم^(٦).

— وكان الابن الثاني للمؤسس وهو علي بن يوسف الزرندي (ت ٧٧٢هـ/١٣٧٠م) صاحب رحلة واسعة في طلب الحديث، فسمع بدمشق والقاهرة وبغداد ودخل خوارزم وغيرها، وتردد إلى مصر كثيراً، كما دخل اليمن في عام

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٨٢.

(٢) المصدر السابق، ج ٢، ص ١٩٠.

(٣) بن حبيب: تذكرة النبيه، ج ٢، ص ٤٨؛ ابن حجر: الدرر الكامنة، ج ٥، ص ٢٢٨.

(٤) الفيروزآبادي: المغنم المطابة، ج ٣، ص ١٢٨٥-١٢٨٦.

(٥) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١٥٩.

(٦) المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٤٢-٤٤٣.

(٧٥٧هـ/١٣٥٦م) فدخل زبيد^(١)، والتقى بالأئمة الحنفية واستفاد منهم، ثم ارتحل إلى الملك المجاهد علي بن داود^(٢)، فأكرمه غاية الإكرام، وعرض عليه الولاية فرغب عنها، ثم رجع إلى بلده^(٣)، ودخل العراق سنة (٧٧١هـ/١٣٦٩م)، وكان سماعه ببغداد مع أخيه، كما دخل دمشق^(٤)، كما سمع منه ببغداد يحيى بن محمد بن يوسف السعيدى (ت ٨٣٣هـ/١٤٢٩م)^(٥).

— ورحل حفيده علي بن يوسف الزرندي إلى غير مرة، وكان ينزل على الأمين الأقصري ويحضر دروسه^(٦).

— ورحل كذلك سعيد بن محمد الزرندي للقاهرة، وارتحل معه ابنه أبو الفتح محمد، والذي أخذ عن والده بالقاهرة سنة (٨٧١هـ/١٤٦٦م)، "شرح المجمع"^(٧)، وكذلك أخذ غيره من العلوم على عدد من علماء مصر^(٨).

— وكان ابن عمه محمد بن عبد الله الزرندي أوسع رحلة منه، فقد ارتحل إلى القاهرة سنة (٨٧٤هـ/١٤٦٩م)، فأخذ في الفقه وغيره عن الأمين الأقصري، بل قرأ عليه "سنن ابن ماجه"، وسمع عليه غير ذلك، وكذا قرأ على الحب بن الشحنة^(٩) وغيره، وسافر إلى الشام في التي تليها، فدخل حلب وزار بيت المقدس، والتقى بالعلماء وأخذ عنهم، كما سمع من

(١) زبيد بفتح أوله وكسر ثانيه، وهي مدينة مشهورة باليمن. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ١٣١.

(٢) هو علي بن داود بن يوسف بن رسول الملك المجاهد، من ملوك الدولة الرسولية، صاحب السيمن، (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م). الشوكاني: البدر الطالع، ج ١، ص ٤٤٤.

(٣) الفيروزآبادي: المغاني المطابة، ج ٣، ص ١٢٦.

(٤) الصفدي: أعيان العصر، ج ٣، ص ٥٨٤؛ ابن حجر: الدرر الكامنة، ج ٣، ص ٢١٧.

(٥) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٥، ص ١٠، ج ١٠، ص ٢٦٠.

(٦) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٣٠٨.

(٧) "شرح المجمع" هو: "مجمع البحرين وملتقى النهرين" في فقه الحنفية، وهو مختصر مشهور لمظفر الدين أحمد الساعاتي (ت ٦٩٤هـ/١٢٩٤م). حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ٢، ص ٤٩٧.

(٨) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٤، ص ٧، ج ٧، ص ٢٥٢.

(٩) هو محمد بن محمد ابن الشحنة الحنفي، قاضي القضاة بحلب، وعاملها وقيها، توفي سنة (٨١٥هـ/١٤١٢م).

المقريري: درر العقود، ج ٣، ص ١١٠؛ ابن حجر: إنباء الغمر، ج ٧، ص ٩٥.

السخاوي حين كان مجاوراً بالمدينة، وقدم بعد ذلك القاهرة أيضاً سنة (٨٩١هـ/١٤٨٦م)، فتلقّى العلم من عدد من علمائها^(١).

— وارتحل عبد السلام بن عبد الوهاب الزرندي (ت ٩٠٩هـ/١٥٠٣م)، إلى القاهرة غير مرة، وقرأ على ابن حجر "البخاري"، وحضر دروس المحلي، وسمع من السخاوي بمكة وكتب بعض تصانيفه^(٢).

— كما تردّد عبد الواحد بن عبد الوهاب الزرندي على القاهرة مراراً، وسافر لحلب وغيرها، وتردّد على السخاوي كثيراً^(٣).

أسرة ابن فرحون:

— تُعدّ أول رحلة لأفراد هذه الأسرة هي رحلة المؤسس أبو عبد الله محمد بن فرحون للمجاورة بالمدينة النبوية، ثم لم ينطلق هو وابنه الأكبر عبد الله منها إلا للحج، وقد حجّ كل منهما مراراً، بل حجّ البدر عبد الله (٥٥) حجة، التقى خلالها بالكثير من العلماء والشيوخ وطلبة العلم ممن سمع منهم وسمعوا منه .

— إلا أن علياً بن محمد بن فرحون (ت ٧٤٦هـ/١٣٤٥م) كان صاحب رحلة كبيرة لطلب العلم، فقد رحل إلى بيت المقدس، ودمشق، ونزل مصر فأخذ عن جماعة، وكان ذلك في سنة (٧٣٠هـ/١٣٢٩م)^(٤)، ووصل برحلته إلى مسقط رأس أبيه تونس، كما ارتحل إلى بلاد المغرب، ونزل فاس^(٥) وأخذ عن عدد من علمائها^(٦).

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٥٠٠ - ٥٠١؛ الضوء اللامع، م ٤، ج ٨، ص ١٠٩ - ١١٠.

(٢) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٧٢.

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، م ٣، ج ٥، ص ٩٤.

(٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٢٩٦؛ ابن القاضي: درة الحجال، ج ٣، ص ٢٤٢.

(٥) فاس: مدينة كبيرة ومشهورة، في بلاد البربر على بر المغرب. القرطبي: أخبار الدول، م ٣، ص ٤٣١.

(٦) ابن فرحون: (إبراهيم بن علي)، الديباج المذهب، م ٢، ص ١١٢ - ١١٣؛ المزي: الحياة العلمية في المدينة المنورة

في القرنين السابع والثامن الهجريين، ص ٢٢٧.

أسرة الخجندي:

— كانت الرحلة الأولى لعميد الأسرة أحمد بن محمد الخوجندي سنة (٧٤١هـ / ١٣٤٠م) إلى سمرقند، فدرس وأفاد^(١)، ثم ارتحل إلى بخارى، ونزل بمدرسة قديمة يقال لها (خان)، ينزلها الكثير من العلماء، فلقى بها عدد من علمائها، فأخذ عنهم واستفاد منهم، ودرس عليهم عدداً من الكتب^(٢) منها: "الجامع الصغير"^(٣)، و"تلخيص المفتاح"^(٤)، و"اللب"^(٥)، ثم كانت رحلته بعد ذلك إلى خوارزم، والتقى بعدد كبير من العلماء والشيوخ^(٦)، وقد أخذ بها عن السيد جلال الدين الكيلاني الحنفي، ولازمه إحدى عشرة سنة، قرأ وسمع عليه الكثير من المصنفات، بل قال السخاوي إنه: "أخذ عليه من الأصول، والفروع، والفرائض، والتفسير، والحديث ما يطول شرحه"^(٧)، فمما أخذ عنه "الهداية"، و"مصاييح السنة"، وبعض من "المشارك"^(٨)، و"الجامع الصغير"، و"الجامع الكبير"^(٩)، كما أخذ عن العلاء بن الحسام السغناقي (بكسر السين وسكون الغين المعجمة)، فقد قرأ عليه "تلخيص المفتاح"، كما سمع عليه "طوالع الأنوار"^(١٠)، وقرأ عليه جزءاً من "الكشاف"^(١١)،

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١٤٨؛ الشماع: القبس الخاوي، ج ١، ص ٢٢٩.

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، م ١، ج ٢، ص ١٩٥-١٩٦.

(٣) و"الجامع الصغير" هو من أشهر كتب الحنفية للإمام محمد بن الحسن الشيباني (ت ١٨٧هـ / ٨٠٢م)، ولم يرتب محمد بن الحسن مسأله، فرتبه كثير من العلماء منهم ترتيب الصدر حسام الدين عمر بن عبد العزيز ابن حازة (ت ٥٣٦هـ / ١١٤١م) واشتهر هذا الترتيب "بالجامع الصغير الحسامي". حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ١، ص ٤٤٣.

(٤) "تلخيص المفتاح" هو: "مفتاح العلوم" لسراج الدين يوسف السكاكي (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م). المصدر السابق، ج ٢، ص ٦١٦-٦٢٠.

(٥) "اللب" هو: "لب الألباب في علم الإعراب" وهو مختصر الكافية للبيضاوي في النحو. المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٥٨.

(٦) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١٤٨-١٤٩؛ الضوء اللامع، م ١، ج ٢، ص ١٩٥.

(٧) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١٤٩؛ الضوء اللامع، م ١، ج ٢، ص ١٩٥.

(٨) "المشارك" هو "مشارك الأنوار" للقاضي عياض، (مطبوع). الفلاني: قطف الثمر، ص ١٨٠.

(٩) السخاوي: الضوء اللامع، م ١، ج ٢، ص ١٩٥؛ الشماع: القبس الخاوي، ج ١، ص ٢٢٩.

(١٠) "طوالع الأنوار" هو: كتاب مختصر في الكلام للقاضي البيضاوي عبد الله بن عمر (ت ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م). حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ٢، ص ١٣١-١٣٢.

(١١) "الكشاف عن حقائق التنزيل" من كتب التفسير، اعتنى به العلماء شرحاً واختصاراً وتعليقاً وتخریجاً لأحاديثه وغير ذلك. حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ٢، ص ٤٠٣-٤١٠.

وبعض "تفسير البيضاوي"، وأخذ عليه سماعاً "البديع"^(١)، كما سمع منه "البزدوي"^(٢)، و"المغني"، وقد أخذ كتب الفقه والأصول عليه بكمالها، وأجاز له العلاء إجازة عالية^(٣). كما أخذ الشيخ أحمد بن محمد الخجندي عن البهاء الحلواني، وقد لازمه سنيماً وسمع عليه "التلخيص"^(٤)، و"الإيضاح" و"التمهيد"^(٥).

أما شيخه المتميز في القراءات فكان السراج الهمداني، فقد لازمه سنيماً، قرأ عليه "الشاطبية"، و"المقنع في رسم المصحف"^(٦)، وكتب له السراج إجازة بديعة^(٧).

ولم يقتصر أخذ الشيخ الخجندي عن العلماء الحنفية، بل ارتفعت همته بقراءة المذهب الشافعي، وذلك لما التقى بالعالم الشافعي المشهور حافظ الدين التفتازاني، فقد لازمه مدة، وقرأ عليه شيئاً من "المحرر"، كما أخذ بعض "الخواوي"، وبهذا يكون قد أكمل دراسة المذهب الشافعي؛ مما حدا بشيخه أن يعطيه إجازة بالمذهبتين^(٨)، كما التقى بالكمال البخاري، وقرأ عليه عدة من العلوم منها: "المنهاج" و"الكشاف" و"البزدوي"، و"الهداية"، وكذا من علوم العربية والبيان، وكذلك أخذ عليه جمع "شرح الإشارات" للطوسي، و"الإشارات والتنبيهات في المنطق والحكمة"^(٩)، وكذا سمع عليه بعض "القانون" في الطب،

(١) "البديع" لمظفر الدين ابن الساعاتي (ت ٦٩٤هـ/١٢٩٤م) وهو في أصول الفقه. المصدر السابق، ج ١، ص ٢٣١.

(٢) "البزدوي" علي بن محمد البزدوي (ت ٤٨٢هـ/١٠٨٩م) وهو من كتب أصول الحنفية. المصدر السابق، ج ١، ص ١٤٥-١٤٦.

(٣) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١٤٩.

(٤) وهو "تلخيص المفتاح في المعاني والبيان" لجلال الدين محمد القزويني (ت ٧٣٩هـ/١٣٣٨م) وهو كتاب مشهور في البلاغة. حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ١، ص ٣٨٤-٣٨٨.

(٥) "التمهيد" الظاهر أنه "التمهيد لقواعد التوحيد" لأبي المعين النسفي (ت ٥٠٨هـ/١١١٤م). المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٩٢.

(٦) "المقنع في رسم المصحف" لعثمان بن سعيد الداني (ت ٤٤٤هـ/١٠٥٢م) وهو مختصر يبين المتفق والمختلف فيه رسم المصاحف. المصدر السابق، ج ٢، ص ٦٥١-٦٥٢.

(٧) السخاوي: الضوء اللامع، م ١، ج ٢، ص ١٩٦.

(٨) المصدر السابق، م ١، ج ٢، ص ١٩٦.

(٩) لحسين بن عبد الله الشهرستاني (ت ٤٢٨هـ/١٠٣٦م). حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ٢، ص ١٣٢.

كما أخذ عليه "الشفاء"، وقد أخذ منه إجازة كتبها له، وصفها السخاوي بأنه: "لم يكتبها لغيره" (١).

كما تتلمذ كذلك على الشيخ عبد الرحمن النجاري سرجنك، فقرأ عليه "شرح التنقيح" (٢)، و "البزدوي"، و "المغني" (٣)، كما تتلمذ على الفخر الخوارزمي، فقرأ عليه "ديوان المتنبي" (٤) و "ديوان المعري" (٥)، وشيئاً من "الكشاف"، و "الفائق" (٦)، كما سمع عليه "المقامات" وشيئاً من النحو والصرف وغير ذلك وكتب له إجازة بليغة، وقد كانت مدة إقامته بخوارزم (١٢) سنة ونيفاً (٧).

ثم ارتحل الشيخ أحمد الحندي إلى عدد من المدن، التقى فيها بالعلماء وأخذ عنهم، منهم: الفيروز آبادي والفتازاني، ثم دخل دمشق ودرس على يد شيوخها (٨)، بعدها ارتحل صحبة الحاج إلى الحجاز، وأدرك بمكة عدداً من العلماء، فأخذ عنهم خاصة علم القراءات، ثم عاد إلى المدينة المنورة، وعزم على استيطانها، غير أنه عاد إلى الشام فدخل دمشق، ومعان (٩)، والخليل، وبيت المقدس، ولقي في رحلته العلماء وأخذ عنهم، ثم سافر إلى الحجاز فحج، ثم عاد إلى المدينة، وسافر بعدها إلى بغداد، وأقام بها أربعة أشهر مشغلاً بالذاكرة مع الفقهاء بها، ثم هم بالرجوع إلى الشام، فاحتال رفاقؤه، حتى أخفوا عنه جميع كتبه، فمكث

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١٤٩.

(٢) "التنقيح" لعبيد الله بن مسعود البخاري الحنفي (ت ٧٤٧هـ / ١٣٤٦م)، اشتغل به العلماء تعليقاً وشروحاً وتحشية. حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ١، ص ٤٠٠-٤٠٣.

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، م ١، ج ٢، ص ١٩٦.

(٤) هو أبو الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الشهير بالمتنبي، شاعر عباسي ولد بالكوفة في محلة كندة (٣٠٣هـ / ٩١٥م) مدح سيف الدولة وأشاد ببطولاته وحروبه مع الروم، وقد اشتهر بالشعر الحكيم مات مقتولاً سنة (٣٥٤هـ / ٩٦٥م). الشمالان: نورة المتنبي الإنسان والشاعر، (د. ط)، (مصر، ١٩١١-١٩١٢م)، ص ٩، ٢٤.

(٥) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ١، ص ٦١٢؛ ج ٢، ص ٣٧.

(٦) "الفائق ونسيم الرائق" لجار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ / ١١٤٣م). المصدر السابق، ج ٢، ص ٢١١.

(٧) السخاوي: الضوء اللامع، م ١، ج ٢، ص ١٩٦.

(٨) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١٥٠.

(٩) مدينة في طرف بادية الشام. ياقوت الحموي: معجم البلدان، م ٥، ص ١٥٣.

بيغداد، واشتغل بالطلب والمذاكرة والإفتاء مدة سنتين ونصف، عاد بعدها إلى المدينة، فلقي العفيف عبد الله المطري (ت ٧٦٥هـ / ١٣٦٣م)، والعفيف عبد الله اليافعي (ت ٧٦٨هـ / ١٣٦٦م)، فلازمه وسأله الإسماع، فأنظره مدة، ثم أمره بجمع "الكتب الستة" وغيرها مما يرد في الروضة، وأن يقرأ عليه من كلِّ بعضه، ويناوله إياها مع الإجازة، ففعل ذلك في "الستة"، و "الموطأ"، و "مسند الشافعي"، و "مسند أحمد"، و "الوسيط"، و "المصابيح"، و "شرح السنة"، و "جامع الأصول"، و "صحيح ابن حبان"، و "الشماائل" للترمذي، وأخذ كتب الغزالي الثلاثة: "بداية الهداية في الموعظة" و "منهاج العابدين" و "إحياء علوم الدين"، كما أخذ عنه "أربعين النووي"، قرأها في أربعة مجالس بحضور جماعة من الفقهاء في الروضة بجانب المنبر، وكذلك سمع عليه بعض تواليفه، وأجازه بها كلها^(١).

ولقي الشيخ الحنجدي بالمدينة أيضاً أبا عبد الله محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن الشماع المصري قاضي القدس، فقرأ عليه اليسير من "جامع الأصول"، وسمع عليه شيئاً من "الترمذي"، كما لقي العز بن جماعة، فسمع عليه "الشفاء" بالروضة، و "البردة"، و "الشقراطيسية"، وأجازه، وقرأ عليه بعض "الكشاف"، و "الفائق"^(٢).

— وقد اتصف أحمد بن الزين الحنجدي (ت ٨٨٠هـ / ١٤٧٥م) بالرحلة الواسعة فقد وُصف بـ: (الجوال)^(٣).

— أما ابنه الشمس محمد الحنجدي (ت ٨٩٩هـ / ١٤٩٣م) فكانت له رحلة علمية واسعة، فقد دخل مكة غير مرة، وأخذ بها علم الفلك والفرائض عن عدد من علمائها، كما ارتحل إلى القاهرة غير مرة، كان أولها في سنة (٨٧٤هـ / ١٤٦٩م)، فأخذ الفقه عن الأمين الأقصري، ولازم السخاوي وأخذ عنه^(٤).

— وارتحل محمد بن طاهر الحنجدي (ت ٨٤٣هـ / ١٤٣٩م) إلى القاهرة غير مرة في طلب العلم، إذ وصف بعلو الهمة والتحصيل^(٥).

(١) السخاوي: الضوء اللامع، م، ١، ج ٢، ص ١٩٩.

(٢) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١٥٢.

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، م، ١، ج ١، ص ٣١٩.

(٤) المصدر السابق، م، ٣، ج ٦، ص ٤٣١.

(٥) السخاوي: الضوء اللامع، م، ٤، ج ٧، ص ٢٧٣ - ٢٧٤.

— كما تردّد ابنه محمد بن محمد الخجندي (ت ٨٧٩هـ/١٤٧٤م) على القاهرة، ثم توجه للحبشة حيث مات بها^(١)، ولم تسعفنا المصادر عن رحلته هذه للقاهرة هل كانت لطلب العلم أو كان صعبة أبيه.

— أما ابن عمه محمد بن إبراهيم الخجندي (ت ٨٧٠هـ/١٤٦٥م)، فقد ارتحل لطلب العلم، فدخل القاهرة غير مرة، منها في سنة (٨٣٥هـ/١٤٣١م)، وسمع منها من البرهان شرحه على "البخاري" وأجاز له، كما كانت له رحلة إلى الشام^(٢).

— وكان لابنه محمد بن محمد الخجندي (ت ٨٥٨هـ/١٤٥٤م) رحلة، فقد سمع بالقاهرة على الحب الأقصري، كما اشتغل بالكمال ابن الهمام بها^(٣)، إلا أن وفاته في أوائل العشرينات من عمره قصر به عن اتساع رحلته رحمه الله.

— كما كانت لأخيه أحمد بن محمد الخجندي (ت ٨٨١هـ/١٤٧٦م) رحلة إلى القاهرة، فقد دخلها سنة (٨٥٧هـ/١٤٥٣م) وهو ابن عشرين سنة، كما دخل دمشق وأخذ عن علمائها^(٤).

— وارتحل ابنه الشمس محمد بن أحمد الخجندي (ت ٩٢٠هـ/١٥١٤م) رحلة واسعة، فدخل القاهرة عدة مرات، وتلقّى العلم عن عدد من علمائها، كما رحل إلى الهند، ودخل (دابول)^(٥) فأحسن إليه صاحبها، كذلك دخل عدن^(٦)

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٥٦١.

(٢) المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٠٣ - ٤٠٤.

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، م ٤، ج ٨، ص ٢٩٧ - ٢٩٨.

(٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١٣٠.

(٥) لم نعر على دابول بالذات ولعلها ديل وهي مدينة تقع في شبه القارة الهندية وينسب لها العديد من العلماء.

الجزري: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني، اللباب في تهذيب الأنساب، (د.ط.). (دار

صادر، بيروت، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)، ج ١، ص ٥٢٢.

(٦) عدن مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن، وبها مرفأً مراكب الهند، يجتمعون به التجار. ابن

منظور: لسان العرب، ج ٤، ص ٨٩؛ الأصبخري: إبراهيم بن محمد الفارسي، المسالك والممالك، تحقيق: محمد

جابر عبد العال، و محمد شفيق غربال، (د.ط.)، (وزارة الثقافة، ١٣٨١هـ/١٩٦١م)، ص ٢٦.

وأقام بها مدة، وسمع من السخاوي بمكة في مجاورته، وقرأ عليه "سنن أبي داود"^(١).

— وارتحل أبو النور علي بن محمد الخجندي (ت ٨٧١هـ/١٤٦٦م) إلى القاهرة ودمشق طلباً للعلم، فأما القاهرة، فقرأ على عدد من علمائها، منهم الشمس الشرواني، قرأ عليه "المطول"^(٢)، كما لازم الأمين الأقصري وأخذ عنه^(٣).

— وارتحل في طلب العلم أيضاً إبراهيم بن محمد الخجندي إمام الحنفية بالمدينة (ت ٨٩٧هـ/١٤٩١م)، فدخل القاهرة مراراً، أولها سنة (٨٧٤هـ/١٤٦٩م)، ولم يتم الأربعين من عمره، وضُبط له قدوم أيضاً في سنة (٨٨٦هـ/١٤٨١م)، فسمع بها على عدد من علمائها، وأخذ عنهم وأجازوا له^(٤)، وقرأ بمكة في (منى) على النجم بن فهد "الثلاثيات"^(٥)، ولازم الأمين الأقصري في فنون وقرأ عليه كثيراً^(٦)، وقد أجازته الأقصري بالإجازة التالية: "... قرأ عليّ جميع ألفية العراقي بحثاً، وغير ذلك من تألّفي ومروياتي، ... بحيث أفاد واستفاد، وأجاد فيما أبداه وأعاد، ... وأنه يستحق أن يُحتَي بين يديه للتقدير، ويُتردّد إليه للإيضاح والتصوير، ... فليتقدم لإقراء من يلتمس منه ذلك، وإبداء ما تحمله مما يتهذب به السالك، ناوياً بذلك وجه الله عز وجل"^(٧).

— وأما الابن الثاني للبرهان إبراهيم فهو: عبد الله بن إبراهيم الخجندي (ت ٨٦٣هـ/١٤٥٨م)، ارتحل في طلب العلم إلى مصر، فدخل القاهرة والإسكندرية وتوفي

(١) الضوء اللامع، م ٤، ج ٧، ص ٤٢.

(٢) "المطول" هو: شرح سعد الدين مسعود (ت ٧٩٢هـ/١٣٨٩م) "تلخيص المفتاح"، وهو أشهر شروح التلخيص وعليه حواش كثيرة. حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ١، ص ٣٨٥.

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، م ٣، ج ٥، ص ٢٧٧.

(٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٨٣.

(٥) الشماع: القبس الحاوي، ج ١، ص ٨١؛ المشيخ: تاريخ أم القرى ومكانة المرأة العلمية من خلال الدر الكمين، ص ٤٩.

(٦) السخاوي: الضوء اللامع، م ١، ج ١، ص ١٢٠.

(٧) الأنصاري: (ناجي محمد حسن)، التعليم في المدينة المنورة، ص ٢٥١-٢٥٢.

بها، ولم تسعفنا المصادر عن طبيعة رحلته العلمية، ولكنه كان مشاركاً في فضيلة العلم^(١)، مما يجعل دخوله إلى القاهرة والإسكندرية لا يخلو من فوائد علمية.

أسرة ابن صالح:

— كانت الرحلة الأولى للشيخ صالح بن إسماعيل التي هاجر فيها مجاوراً بالمدينة المشرفة، ومنها انطلقت رحلات الشيخ إلى مكة لأداء فريضة الحج، فكانت ثماني عشرة حجة، وإن لم تكن لطلب العلم، فإن الحاج لابد أن يسأل عما يصحّح به نسكه، كما كان علي ابنه كذلك مشهوراً بالصلاح، فكان من ذريته محمد بن أبي بكر بن محمد بن علي ممن ارتحل إلى القاهرة بعد اشتغاله بالعلم بالمدينة^(٢)، وكذلك ارتحل لها ابن أخيه أحمد بن سعيد وكان ذلك في أوائل سنة (٩٠٢هـ/١٤٩٦م)^(٣)، أما أصحاب الرحلة الواسعة في طلب العلم فهم أبناء (محمد بن صالح) العميد الثاني للأسرة.

— فقد كان لعبد الوهاب بن محمد بن صالح (ت ٨٦٥هـ/١٤٦٠م) رحلات متكررة إلى القاهرة طلباً للعلم^(٤).

— كما رحل محمد بن عبد الرحمن بن صالح (ت ٨٦٠هـ/٤٥٥م) للقاهرة، و زار كذلك بيت المقدس^(٥).

— وقد ارتحل أبناءه في طلب العلم، فارتحل إبراهيم بن أبي الفتح بن صالح (ت بعد ٨٩٧هـ/١٤٩١م) إلى القاهرة مراراً، أولها في سنة (٨٦٩هـ/١٤٦٤م)، ورجع في آخرها إلى المدينة سنة (٨٩٧هـ/١٤٩١م)، وبالقاهرة أخذ عن الأمين الأقصري، والتقي القلقشندي، ودخل الشام واليمن وغيرها^(٦)، مما يدل على اتساع رحلته.

— كما ارتحل ابنه محمد بن محمد بن صالح إلى الشام، والقاهرة، وغيرها غير مرة^(٧).

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٥-١٦.

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٤م، ص ٧، ص ١٩٦-١٩٧.

(٣) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٣٩٥؛ المصدر السابق، ج ٢م، ص ٣، ص ٢٥٥.

(٤) المصدر السابق، ج ٦م، ص ١١، ص ١٢٧؛ أعلام المكين، ج ١، ص ٧٨٧٩.

(٥) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٥١٥؛ الضوء اللامع، ج ٤م، ص ٨، ص ٣٤٣٥.

(٦) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٨٧؛ الضوء اللامع، ج ٥م، ص ٩، ص ١٠٣.

(٧) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٥م، ص ٩، ص ٢٢٦.

— وارتحل الابن الثالث لأبي الفتح وهو محمد الشمس إلى الشام، ومصر، واليمن وغيرها كما ذكره السخاوي^(١)، ولم يذكر لنا سبب الرحلة، وإن كانت رحلة بني صالح للشام ومصر واليمن غالباً ما يحفها الطلب والسماع والقراءة.

— وأما أبو القسم محمد بن أبي الفتح بن صالح فقد دخل القاهرة واليمن^(٢).

— أما أوسع أبناء أبي الفتح رحلة فهو محمد صلاح الدين بن صالح، فقد ارتحل في طلب العلم إلى اليمن، ومكة، والقاهرة، والشام، وبيت المقدس، وغيرها، ففي اليمن التقى بعدد من علمائها؛ منهم الفقيه عمر بن محمد بن عيد الزبيري تقي الدين اليماني الفقي (ت ٨٨٧هـ/١٤٨٢م)، أخذ عنه كثيراً من تصانيفه في الفقه الشافعي منها: "الإبريز في تصحيح الوجيز"، و"الإلهام لما في الروضة من الأوهام"، و"أنوار الأنوار لعمل الأبرار"، و"مهمات المهمات في اختصار الروضة والمهمات"^(٣)، ودخل الشام وبيت المقدس والتقى بالعلماء وأخذ عنهم، ودخل مكة وقرأ فيها على أبي الفتح المراغي، وحضر القاهرة وهو شاب في العشرين من عمره سنة (٨٦١هـ/١٤٥٦م)، فأخذ جملة من دروس العلم البلقيني، والديماطي، وتكرّر دخوله للقاهرة واستفاد من علمائها وأخذ عنهم.

والعجب من هذا العالم أن قدومه للقاهرة، كان أحياناً يطلب للمساءلة، ومع ذلك يحرص على العلم والطلب، ويحصل تمام الخير والفضل، بل خطب بالجامع الأزهرى، وأمّ بالناس في صلاة مغرب مع كونه مطلوباً للمساءلة^(٤)، وهذا من حرصه على العلم والتعلم.

— وأما أخوه مجد الدين محمد بن صالح فكان أيضاً صاحب رحلة، فقد قدم القاهرة والشام^(٥).

— ولعبد الرحمن بن محمد بن صالح رحلة طويلة في طلب العلم، فقد وصفه السخاوي بأنه: "جال في الأسفار إلى القاهرة والشام والروم وغيرها"^(٦)، وذكر أنه أكثر من

(١) المصدر السابق، ٥م، ج ٩، ص ١٠٤.

(٢) المصدر السابق، ٥م، ج ٩، ص ٢٢٦.

(٣) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ٥، ص ٦٣٣.

(٤) السخاوي: الضوء اللامع، ٥م، ج ٩، ص ١٠٢-١٠٣.

(٥) المصدر السابق، ٥م، ج ٩، ص ١٠٤.

(٦) السخاوي: الضوء اللامع، ٢م، ج ٤، ص ١٣٣.

السفر لدمشق والقاهرة، وكان في الكثير من سفرياته مع طلبه للعلم يطلب الرزق، وإن لم يحصل منه الكثير، فقد نعى السخاوي سفره أنه كان: "طلباً للرزق ولم يظفر بطائل"^(١).

— كما رحل محمد بن عبد الله بن صالح إلى مصر، والشام^(٢).

أسرة الكازروني:

— كانت الرحلة الأولى لعميد هذه الأسرة محمد بن روزبة الكازروني هي التي حلت به بالمدينة المشرفة، وقد ذكر له رحلات على سبيل الإجمال، فقد قال ابن فرحون إنه: "صحبه سفرأ، وحضرأ، ماشياً، وراكباً"^(٣)، مما يدل على سفره، لكنه لم يكن له اشتغال كبير بالعلم، فقد يكون سفره هذا للحج ونحو ذلك.

— ولم يشتهر بالرحلة أحد من ذرية عبد الله بن محمد الكازروني، أما التقي محمد بن محمد الكازروني الابن الثاني، فقد اشتهر بالرحلة حفيده عبد الله بن عبد الوهاب، فقد قصد اليمن، وأخذ عن فقيه اليمن (عمر الفتي) فقرأ عليه في "المنهاج"، و"الإرشاد"، ووصفه السخاوي بـ: (الرحال في طلب الفوائد)^(٤).

— أما الصفي أحمد الكازروني (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م) فهو صاحب رحلة واسعة في طلب العلم توارثها عنه العديد من ذريته أيضاً، فقد رحل الصفي إلى دمشق آخر سنة (٧٥٢هـ/١٣٥١م)، وقطنها سنة (٧٥٣هـ/١٣٥٢م)، ولم يخرج منها لغيرها إلا لزيارة بيت المقدس، ثم في سنة (٧٥٧هـ/١٣٥٦م) رجع إلى دمشق ثانية، وفيها أذن له شيوخه في الإفتاء والتدريس، كما كان يحج في كل سنة، ولم يترك الحج إلا في سنة وفاته لعجزه^(٥).

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٥١.

(٢) المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٩٦.

(٣) المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٧٥.

(٤) المصدر السابق، ج ٢، ص ٥٧.

(٥) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١٣٦، ١٣٨.

— وكذلك كان الحال بالنسبة لابنه محمد بن أحمد الكازروني فقد ارتحل إلى الشام ومصر، فأخذ بحلب عن الشهاب الأذرعي^(١)، ومن القاهرة عن السراج البلقيني^(٢).

— وورث ابنه عمر بن محمد الكازروني (ت ٨٦٥هـ/١٤٦٠م) حب الرحلة من أجداده، فسافر لطلب العلم، ودخل الشام، وبيت المقدس، وحلب، والقاهرة، وسمع بها من البلقيني، والسخاوي، كما حجّ مراراً، ما يزيد عن ثلاثين مرة^(٣).

— وكذلك كان حال الابن الثاني للجمال الكازروني، وهو أبو الفرج محمد بن محمد الكازروني (ت ٨٦٧هـ/١٤٦٢م)، فقد ارتحل إلى القاهرة مراراً، فأخذ عن ابن الكويك وأجاز له، وسمع على ابن حجر^(٤)، كما ارتحل إلى الشام وحلب وحماة، وأخذ عن جماعة من علمائها^(٥).

— وقد ارتحل عدد من أبناء أبي الفرج الكازروني لطلب العلم أيضاً، فكانت رحلة الشهاب أحمد مع أبيه إلى القاهرة والشام وحلب وحماة في سنة (٨٤٤هـ/١٤٤٠م) وأخذ عن ابن حجر، والمقرئ وغيرهما، ثم إلى الشام سنة (٧٤٥هـ/١٣٤٤م) على التقي بن قاضي شعبة، وابنه البدر محمد، وآخرون^(٦).

— وكذا ارتحل في طلب العلم الابن الآخر لأبي الفرج الكازروني، وهو الجلال واخبر أبو السعادات، فقد ارتحل إلى القاهرة مع أبيه وصهره أبي الفرج المراغي بعد سنة (٨٤٠هـ/١٤٣٦م)، وهناك أخذ عن الزين الزركشي^(٧)، وابن حجر^(٨).

(١) هو أحمد بن حمدان الشافعي الأذرعي، عالم حلب ومحدثها، له العديد من المصنفات الحديثية، توفي سنة (٧٨٣هـ/١٣٨١م). العراقي: الذيل على العبر، ج ٢، ص ٥٢٨.

(٢) الشماع: القبس الخاوي، ج ٢، ص ١٣٠؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٧، ص ٢٤٧.

(٣) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٣٥٢؛ الشماع: القبس الخاوي، ج ٢، ص ٢٢.

(٤) الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، ج ٤، ص ١٨٥؛ السخاوي: الضوء اللامع، م ٥، ج ٩، ص ٤٤.

(٥) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١٤٣؛ السخاوي: الضوء اللامع، م ١، ج ٢، ص ١٧٠ - ١٧١.

(٦) المقرئ: السلوك، ج ٤، ق ٣، ص ١١٩٧؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١٤٣.

(٧) هو عبد الرحمن بن محمد جمال الدين ابن الزركشي، برع في الفقه الحنبلي، وقام بتدريسه. المقرئ: درر

العقود، ج ١، ص ٣٧٩.

(٨) السخاوي: الضوء اللامع، م ٥، ج ٩، ص ١٩٧ - ١٩٨.

— لم تذكر لنا المصادر رحلة واسعة للعز عبد السلام بن محمد الكازروني (ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م)، إلا أنه قبل وفاته جاور بمكة^(١)، وهذا يُوجب أن يكون العز قد بث علمه أيضاً بمكة، فهي تعد رحلة علمية أيضاً، ولاسيما وأن الفاسي قد ترجم له في العقد الثمين باعتباره من علماء مكة^(٢).

— وأما ابنه العز عبد العزيز بن عبد السلام الكازروني (ت بعد ٧٨١هـ/١٣٧٩م)، فقد رحل إلى المسجد الأقصى، وأخذ هناك على الشمس الهروي بعض "شرحه لمسلم" وكان ذلك في سنة (٨١٧هـ/١٤١٤م)^(٣).

— وكذا رحل ابنه الشمس محمد بن عبد العزيز الكازروني (ت ٨٤٩هـ/١٤٤٥م) حضر في الفقه والحديث بمكة في سنة (٨١٤هـ/١٤١١م) عند الجمال بن ظهيرة، وكذا في سنة (٨١٧هـ/١٤١٤م)، ودخل الشام، فأخذ عن عدد من علمائها، كما دخل القدس، وأخذ من الشمس الهروي، وقرأ عليه بعض "صحيح مسلم"، كما دخل مصر، وأجاز له جماعة منهم البلقيني، وابن حجر وغيرهم^(٤).

— وكان حفيده عبد العزيز بن مسدد الكازروني له رحلة واسعة لعواصم العلم آنذاك، فقد رحل إلى الشام، ومصر، وسمع من علمائها^(٥).

— كما لقي أخوه أحمد بن مسدد الكازروني، المؤرخ العلامة السخاوي بمضى، أي في رحلة الحج، فقرأ عليه "ثلاثيات البخاري"، وسمع "المسلسل" وغير ذلك^(٦). وهذا يشير إشارة واضحة إلى حب العلم الذي كان في بني مسدد، بحيث كانوا يحرصون على السماع، والأخذ عن العلماء حتى في الحج.

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٧٣.

(٢) الفاسي: العقد الثمين، ج ٥، ص ٤٢٨-٤٢٩.

(٣) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٨٣-١٨٤؛ الضوء اللامع، ج ٢م، ص ٤، ج ٢١٩.

(٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٥٢٣-٥٢٤؛ الجواهر والدرر، ج ٣، ص ١١٤٨؛ المصدر السابق، ج ٤م،

ج ٨، ص ٦٠-٦١.

(٥) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٨٨-١٨٩.

(٦) السخاوي: الضوء اللامع، ج ١م، ص ٢٢٥.

— وكان للابن الثالث لمسدد وهو محمد بن مسدد الكازروني رحلة واسعة، فقد سمع بمكة من النجم عمر بن فهد في سنة (٨٨١هـ/١٤٧٦م)، كما رحل إلى الشام سنة (٨٨٣هـ/١٤٧٨م) وسمع عدد من علمائها، ودخل بالقاهرة، فأخذ من السخاوي "المسلسل بالأولية"، وبـ "يوم العيد" بشرطها^(١) ودروناً في علم الحديث^(٢).

— كما رحل محمد التقي بن عبد السلام الكازروني (ت ٨١٥هـ/١٤١٢م) إلى القاهرة، فأخذ على الهيتمي "مصاييح السنة"^(٣).

— ورحل ابنه محمد بن محمد الكازروني إلى مصر، والتقى بعلمائها، وأخذ عنهم منهم ابن حجر^(٤).

— وكان ابنه أبو بكر بن فتح الدين الكازروني قد دخل مصر والشام، والتقى بعدد من العلماء^(٥).

— وكان ابن أخيه محمد بن محمد الكازروني قد أخذ بمكة عند اجتيازه للحج عن عدد من العلماء والمشايخ^(٦).

أسرة المراغي:

— تعد الرحلة الأولى لأبي بكر بن الحسين المراغي عميد الأسرة هي رحلة الاستيطان بالمدينة المشرفة، فقد ورد المدينة في العقد الرابع من عمره، وهذه الرحلة هي أهم رحلات الزين المراغي، فقد حدّدت له اتجاهها جديداً في حياته بالمجاورة بالمدينة المشرفة، واستيطانها، إلا أنها لم تكن رحلته الوحيدة، فقد رحل إلى مكة مراراً، وجاور بها في آخر حياته لمدة عامين (٨١٤هـ/١٤١١م) و (٨١٥هـ/١٤١٢م) وحدّث بها الكثير، وسمع منه ابن

(١) شرط المسلسل بالأولية أن يكون حديث (الراحمون يرحمهم الرحمن) هو أول حديث يسمعه الطالب من شيخه، وشروط المسلسل بيوم العيد أن يكون روايته في يوم العيد. السيوطي: تدريب الراوي، ج ٢، ص ١٨٧-١٨٨.

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، م ٥٠، ج ١٠، ص ٤٩-٥٠.

(٣) ابن حجر: إنباء الغمر، ج ٢، ص ٥٣٣.

(٤) السخاوي: الجواهر والدرر، ج ٣، ص ١١٥٩-١١٦٠.

(٥) السخاوي: الضوء اللامع، م ٦٠، ج ١١، ص ٩٠.

(٦) المصدر السابق، م ٥٠، ج ٩، ص ٢٨٥-٢٨٦.

حجر بمكة، وسمع منه أيضاً بمعنى^(١)، كما تكررت رحلاته إلى القاهرة، فقد ذكر المقرئ أن: "تردد إلى القاهرة"^(٢)، فضبطت له رحلة إلى القاهرة في سنة (٧٨٦هـ/١٣٨٤م)، أي بعد نزوله المدينة بنحو عشرين سنة، حيث قرأ ابن الجزري عليه كتابه "تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة"^(٣)، كما ضبط له رحلة أخرى للقاهرة في سنة (٧٩٣هـ/١٣٩٠م) والتي اصطحب فيها ولده محمد الشرف أبو الفتح^(٤).

— وقد سلك أبو اليمن محمد بن أبي بكر المراغي (ت ٨١٩هـ/١٤١٦م) سبيل أبيه في الرحلة، فرحل لمكة مراراً والتقى بعلمائها، ودخل مصر في مقتبل عمره سنة (٧٧٨هـ/١٣٧٦م) وسمع البلقيني، وابن الملقن، والعراقي، وابن حجر وغيرهم، ورحل إلى الشام في سنة (٨١٩هـ/١٤١٦م)، إلا أنه لقي حنفة على يد بعض اللصوص مع ولديه رحمهم الله^(٥)، ورحلة أبي اليمن واسعة، وإن لم يصلنا منها الكثير، ويكفي في وصفها قول ابن حجر عنه: "وطاف البلاد واجتمع بي كثيراً"^(٦).

— وكان ابنه الحسين بن أبي اليمن معتنياً أيضاً بالرحلة، فقد وصفه السخاوي بأنه: (نزير الحرمين)^(٧)، وهذا يعني مجاورته بمكة أيضاً.

* وأما الابن الثاني لأبي بكر فهو أبو الفتح محمد (ت ٨٥٩هـ/١٤٥٤م) كان كأبيه واسع الرحلة، بل قد فاق أباه في ذلك، فقد دخل القاهرة مع أبيه في سنة (٧٩٣هـ/١٣٩٠م)، وأقام عامين، التقى فيهما بعدد من علمائها درس عليهم، وأخذ عنهم منهم البلقيني، وابن الملقن، والعراقي، والهيشمي وغيرهم^(٨)، ودخل أبو الفتح اليمن كثيراً، وأخذ ممن لقيه من علمائها^(٩)، كما تردد أبو الفتح على مكة مراراً، بدءاً من سنة

(١) ابن حجر: إنباء الغمر، ج ٣، ص ٢٣.

(٢) المقرئ: درر العقود، م ١، ص ١٧١.

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٦، ص ١١، ص ٣٠.

(٤) الشماع: القبس الحاوي، ج ٢، ص ١٥٥.

(٥) المصدر السابق، ج ٢، ص ١٥٤.

(٦) السخاوي: الضوء اللامع، م ٤، ج ٧، ص ١٦٢.

(٧) المصدر السابق، م ٢، ج ٣، ص ١٥٥.

(٨) ابن فهد: معجم الشيوخ، ص ٢٢٠.

(٩) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ٢، ص ٧٦٦.

(٨٠٠هـ/١٣٩٧م)، أي وهو شاب في الخامسة والعشرين من عمره، وجاور بها سنيماً، سمع من عدد من علمائها منهم والده الزين المراغي، والقاضي جمال الدين بن ظهيرة^(١)، إلا أن أشهر رحلاته المكية كانت بعد مقتل أخيه الكمال أبي الفضل، فكان ذلك سبب انتقاله إلى مكة في سنة (٨٤٤هـ/١٤٤٠م)، واستمر بها حتى مات أي ما يزيد عن خمس عشرة سنة^(٢)، وهي مدة كبيرة كانت كافية لأن ينسب أبو الفتح إلى المكين بعد نسبته إلى المدنيين^(٣).

— وأما أبو الفرج بن أبي بكر المراغي المحدث المشهور، فكانت رحلته الأهم إلى مصر في سنة (٨٤٣هـ/١٤٣٩م)، وبها أخذ من الحافظ ابن حجر، وكتب عنه "الأمال"، وقطعة عن "فهرسته"، وقرأها، وكذلك قرأ "شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر"، قرأه في مجالس آخرها سادس جمادى الآخرة سنة (٨٤٤هـ/١٤٤٠م)^(٤)، وأجاز ابن حجر له، وكتب له على "شرح النخبة" ما نصه: "قرأ عليّ: جمع هذا الشرح قراءة بحث وتفهم وتأمل لما تضمنه وتدبر، بحيث صار أهلاً لإقراءه وإفادته، وإبدائه للطلابين وإعادته، وقد أذنت له في روايته عني وتبليغه لمن رام الاستفادة مني"^(٥).

— وقد ارتحل كذلك الكمال محمد بن الزين المراغي (ت ٨٩٤هـ/١٤٨٨م) إلى الهند، ودخل عدداً من مدنها، ولم تحدد لنا المصادر وقت سفره، إلا أنها حددت مرجعه في سنة (٨٨٨هـ/١٤٨٣م) أو سنة (٨٨٩هـ/١٤٨٤م)^(٦)، وذكرت لنا أنه جلس بالهند (مدة)، فيكون سفره في العشرينيات من عمره، ولم يستقر بالمدينة، بل سافر مرة ثانية إلى مصر، فقد قدم القاهرة في ربيع الأول سنة (٨٩١هـ/١٤٨٦م) بعد موت عمه (وهو زوج

(١) السخاوي: الضوء اللامع، م، ج ١، ص ١٤٧؛ الجابري: الحياة العلمية في الحجاز، ص ٢٦٩.

(٢) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤٥٦.

(٣) اتفق المحدثون أن من بقى مدة ببلد نسب إليها، وكانت العرب تنسب إلى قبائلها فلما جاء الإسلام وغلب عليهم سكنى القرى انتسبوا للقرى والمدائن وإذا جمع بين النسب للقبيلة والبلد قدم النسب للقبيلة، قال عبد الله ابن

المبارك وغيره (من قام في بلدة أربع سنين نسب إليها). انظر السيوطي: تدريب الراوي، ج ٢، ص ٣٨٥.

(٤) السخاوي: الضوء اللامع، م، ج ٧، ص ١٦٦؛ الشماخ: القبس الحاوي، ج ٢، ص ١٦٠.

(٥) السخاوي: الجواهر والدرر، ج ٣، ص ١١٣٦.

(٦) السخاوي: الضوء اللامع، م، ج ٧، ص ١٩٠.

أمه أيضاً) الشمس محمد بن أبي الفرج المراغي، واجتمع بالسخاوي هناك، وحضر بعض دروسه، وسمع عليه بعض الأحاديث، ثم ارتحل إلى الروم لقبض أوقافهم على الحرمين، فمات بها وله نحو سبعة وثلاثين عاماً^(١).

— وارتحل ابنه كذلك عبد الحفيظ بن الكمال المراغي إلى القاهرة، بعد أن سمع من السخاوي، وعمل بالوظائف هناك، وعلا فيها^(٢).

— أما الشمس محمد بن أبي الفرج المراغي (ت ٨٨٠هـ/١٤٧٥م) فلم تُعلم له رحلة إلا إلى مكة، فقد ارتحل إليها مراراً للحج، وسمع فيها السخاوي، وأخذ عنه السخاوي أيضاً^(٣)، وعدم رحلته رغم تقدّمه في العلوم هو أنه كان مقعداً لا يستطيع المشي لما تقدم، بل كان يُحمل إلى المسجد، فلم تتسع رحلته بذلك.

— وكذلك كان ابنه أبو بكر محمد المراغي، فلم تتعدّ رحلته (مكة)، وكان يلزم أباه لخدمته، وقد أهله ذلك للسماع كثيراً بمكة، فأخذ عن السخاوي، وقرأ عليه بمكة سنة (٨٩٤هـ/١٤٨٨م)، وكان قد لقيه قبل ذلك بالمدينة، ثم قرأ عليه مرة ثانية بمكة أشياء أخرى^(٤).

أسرة التستري (الششتري):

— كانت الرحلة الأولى لهذه الأسرة التي قام بها العميد الأول للأسرة أحمد بن عثمان التستري (ت ٧٣٧هـ/١٣٣٦م) للمدينة المنورة مجاوراً ومستوطناً بها، وهي الرحلة التي أثّرت هذه الأسرة العلمية بالمدينة، ولم يُعرف للشيخ أحمد أي انتقال لطلب العلم وهو بالمدينة^(٥)، فلم تُذكر أي رحلة له خارج المدينة، كما إن جُلَّ اهتمامه كان منصرفاً للعبادة، والاهتمام بتعليم أولاده، فلم يذكر له طلب للعلم أو رحلة فيه.

(١) المصدر السابق، ٥م، ج ٩، ص ٢٠٦.

(٢) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٠٩-١١٠؛ المصدر السابق، م ٢، ج ٤، ص ٣٦.

(٣) الشماع: القيس الحاوي، ج ٢، ص ٣٠٣-٣٠٤.

(٤) السخاوي: الضوء اللامع، م ٥، ج ٩، ص ٢٠٦.

(٥) الفيروز آبادي: المغامم المطابة، ج ٣، ص ١١٦٧-١١٦٨.

— وأما ولده الشمس محمد بن أحمد التستري (ت ٧٨٥هـ/١٣٨٣م) فقد سافر وارتحل، ومن ذلك أنه رحل إلى مكة، ودرس بالحرم المكي، وسمع من عدد من علمائها^(١)، كما كان حفيده عبد الرحمن بن عبد الله التستري (ت ٨٨٧هـ/١٤٨٢م) مؤدباً للأطفال بمكة إضافة إلى كونه مؤدباً للأطفال بالمدينة، كما رحل إلى الشام حيث مات بها^(٢).

— وقد أرخ السخاوي لعثمان بن عبد الله التستري أنه مات بالحبشة^(٣)، ومثل هؤلاء العلماء لا ينزلون بلداً إلا وينشرون علومهم وفقهم، ولا سيما في مثل تلك الأصقاع التي قلَّ فيها العلم، إضافة إلى نظرة أهلها إلى عالم المدينة أو عالم مكة أنه من خير علماء الأرض، فلا بد أن يلتفتوا حوله وينهلون من علمه.

— وقد نزل مكة كذلك الشهاب أحمد بن محمد التستري، وبقي فيها ما يزيد عن عشرين سنة، أخذ فيها عن عدد من علمائها^(٤).

— أما المقرئ الشمس محمد بن محمد التستري، فكانت رحلته إلى القاهرة بعد الأربعين نافعة له، فقد أخذ عن الحافظ ابن حجر^(٥).

— أما رحلة محمد بن أحمد التستري (ت ٩٢٣هـ/١٥١٧م)، فهي رحلة إدارية ليست علمية، فقد رحل إلى الروم لاستخلاص الأوقاف^(٦)، إلا أننا ندرك أيضاً أن قاضياً عالماً مثل الشمس محمد لابد أن ينشر علمه وهو بهذه الأرض، ولا سيما وتحصيل الأوقاف يحتاج إلى علم وبيان ونصح، مما يمكن أن تشبه بالرحلات العلمية أيضاً.

أسرة السمهودي:

— لعلي بن عبد الله السمهودي (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م) رحلات علمية كثيرة مما ساعد على وجود صلات وثيقة بينه وبين علماء تلك البلاد التي زارها، فقد كانت له

(١) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ١١٠-١١٢.

(٢) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٣٥.

(٣) المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٤٥.

(٤) المصدر السابق، ج ١، ص ١٤٤؛ الضوء اللامع، م ١، ج ٢، ص ١٧١.

(٥) المصدر السابق، م ٥، ج ٩، ص ١٩٥.

(٦) المصدر السابق، م ٤، ج ٧، ص ٨٢.

رحلاته إلى مصر ومكة والمدينة وبلاد الشام^(١)، إذ زار القدس مرات عديدة، وقام برحلات متكررة بينها وبين مكة والمدينة^(٢)، وهو أمر طبيعي إذ أنه اقتدى برسولنا الكريم ﷺ الذي دعا إلى زيارة هذه الأماكن بقوله: ((لا تشدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا))^(٣)، كما زار مصر، وتكررت زيارته لها بوصفها مركزاً من مراكز العلم آنذاك^(٤).

أسرة السخاوي

— ارتحل عميد الأسرة محمد بن أحمد السخاوي (ت ٨٩٥هـ/١٤٨٩م) من بلدته (سخا) إلى القاهرة في سنة (٨٣١هـ/١٤٢٧م) فأقام بها سبع سنين، وسمع بها من ابن حجر والتقي بن فهد وابن الهمام وآخرين، ثم عاد إلى بلده وحجَّ في سنة (٨٤٠هـ/١٤٣٦م)، ورجع إلى بلده، واستمر بها إلى سنة (٨٥٩هـ/١٤٥٤م)، ثم قَدِم القاهرة، فتردد على المشايخ، فكان ممن لقيه البلقيني، والخلعي، وابن الشحنة، وأبو الفرج المراغي وغيرهم^(٥).

— كما ارتحل ابنه خير الدين محمد السخاوي (ت ٩١٣هـ/١٥٠٧م) إلى القاهرة، وتردَّد عليها كثيراً بعد مجاورة أبيه بالمدينة، كما زار القدس، والخليل^(٦).

— وواصل محمد بن محمد السخاوي الرحلة في طلب العلم فنزل القاهرة، والتقى بالمؤرخ السخاوي، واشتغل على السيد السمهودي^(٧).

(١) ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٨، ص ٥٠ - ٥١؛ رضا كحاله: معجم المؤلفين، ج ٢، ص ٤٦٣.

(٢) الشماخ: القيس الحاوي، ج ١، ص ٥٠١ - ٥٠٣؛ العبدروسي: النور السافر، ص ٩٤ - ٩٧.

(٣) البخاري: الصحيح، ج ٣، ص ٦٣.

(٤) سندي: هدى، موارد السمهودي، ص ١١٥ - ١١٦.

(٥) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤٤٠.

(٦) السخاوي: الضوء اللامع، م ٥٨، ج ٩، ص ٤٨.

(٧) السخاوي: الضوء اللامع، م ٥٨، ج ٩، ص ١٩٨ - ١٩٩.

الفصل الثاني

النتاج العلمي للأسر العلمية

وفيه:

- المبحث الأول: العلوم الشرعية.
- المبحث الثاني: العلوم اللغوية والأدبية.
- المبحث الثالث: العلوم الاجتماعية.

المبحث الأول: العلوم الشرعية.

العلم ميراث النبوة، والعلم يأخذ شرفه من المعلوم به، فأشرف العلوم هي العلوم الشرعية؛ لأن بها سعادة المرء في الآخرة، فهي أفضل ما يتعلمه المرء، وكانت العلوم الشرعية ذات الحظ الأوفر في الانتشار والتأثير على ثقافة العصر المملوكي، فقد تميّز ذلك العصر بظهور مجموعة من العلماء الموسوعيين الذين أثروا المكتبات العربية بعدد وافر من المعارف الشرعية المتنوعة^(١) ومن أهمها: علم القراءات والتفسير والحديث والفقه، ولقد شارك العديد من أفراد الأسر العلمية بالمدينة في التأليف في هذه العلوم، فمن هؤلاء:

أسرة المطري:

اشتغل بعض أفراد أسرة المطري بالتأليف والتصنيف منهم:

— **العفيف المطري** (ت ٧٦٥هـ / ١٣٦٣م) يصفه السبكي بأنه: "كتب بخطه"^(٢)، فمن مؤلفاته في الحديث: "جزء حديثي"^(٣)، وهو من مروياته، لكن لم يقم هو بجمعه بل انتقاه له الذهبي^(٤)، وهذا الجزء كان محل اهتمام الطلاب، فكانوا يعرضونه على العفيف^(٥).

أسرة الزرندي:

— **صنّف الشمس محمد بن يوسف الزرندي** (ت ٧٤٧هـ / ١٣٤٦م) الكتب العديدة^(٦)، فصنّف مصنفاً أسماه: "بغية المرتاح إلى طلب الأرباح"، وهي أربعون حديثاً بأسانيداً شرحها^(٧)، وصنفها لسلطان فارس^(٨)، وأثنى في ديباجته على السلطان ومدحه،

(١) ساعاتي: يحيى محمود، صورة الحياة العلمية في القرن التاسع الهجري من خلال الضوء اللامع للسخاوي،

(د.ط)، (دار العلوم، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢)، ص ٦٧، ٧١.

(٢) السبكي: معجم الشيوخ، ص ٢٠٦.

(٣) "الجزء الحديثي" هو الأحاديث المروية عن رجل واحد من الصحابة أو من بعدهم. الكتاني: الرسالة المستطرفة، ص ٦٤.

(٤) العراقي: الذيل على العبر، ق ١، ص ١٥٦؛ السبكي: معجم الشيوخ، ص ٢٠٦.

(٥) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٢٧٢.

(٦) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ١٠٥ - ١٠٦؛ ابن حجر: الدور الكامنة، ج ٥، ص ٦٣.

(٧) المصدر السابق، ج ٥، ص ٦٣.

(٨) لم أعثر له على ترجمة.

وكيف قابله الأخير بالعطاء والمال والتعظيم^(١)، وقد ذكر في مقدمته عن أسباب تأليفه، فقال بعد البسملة والحمد: "وبعد، فإني قد استخرت الله تعالى، وكتبت هذه الأوراق عن بعض من سمعت عليه في الآفاق وأودعتها صحاح الأحاديث وعيونها وبدائع الحكم وفنونها، وجعلتها أربعين حديثاً من الصحاح، وسميتها بغية المراتح إلى طلب الأرباح، رجاء أن ينتفع بها منيب أو يتعظ ويعمل بها من له في الآخرة حظ ونصيب..."^(٢).

— وله أيضاً من المصنفات "مشيخة"، نقل ابن حجر أنها خرّجها له البرزالي عن مائة شيخ وتعقبه بقوله "مات البرزالي قبله بأكثر من ثلاثين سنة"^(٣)، وقد ذكره صاحب الأعلام فقال: "خرّج له البرزالي مشيخة عن مائة شيخ، ومات البرزالي قبله"^(٤)، ويبدو أنه أخذه من ابن حجر، إلا أنه لم يلاحظ أن وفات الشمس الزرندي كانت وهو ابن نحو (٤٥ سنة)، فإذا كان العلم البرزالي قد خرّج له مشيخة قبل موته وبينهما في الوفاة (٣٠ سنة)، فهذا يقتضي أنه سمع هؤلاء الشيوخ وهو قبل الخامسة عشر وهو غير مقبول، فالأظهر أن هذه "المشيخة" هي التي خرّجها له الذهبي كما ذكره الفيروزآبادي^(٥) أو العراقي كما قاله ابن فهد^(٦) وكانت وفاة الذهبي ووفاته في سنة (٧٤٨هـ/١٣٤٧م).

وقد سمع أحمد بن علي بن محمد بن موسى المحلي المدني هذه "المشيخة" عن ابن السقا^(٧).

— وقد نقّح علي بن يوسف الزرندي (ت ٧٧٢هـ/١٣٧٠م) حواشي بنسخته من "صحيح البخاري" في سنة (٧٦٨هـ/١٣٦٦م)، وصححها^(٨).

(١) الفيروزآبادي: المغانم المطابة، ج ٣، ص ١٢٨٦.

(٢) الزرندي: (محمد بن يوسف)، بغية المراتح على طلب الأرباح، (مخطوط بمكتب الملك عبد العزيز بالمدينة)، رقم ٦٥٨، ق ٣.

(٣) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج ٥، ص ٦٣.

(٤) الزركلي: الإعلام، م ٧، ج ٧، ص ١٥٣.

(٥) الفيروزآبادي: المغانم المطابة، ج ٣، ص ١٢٨٥.

(٦) ابن فهد: معجم الشيوخ، ص ٧٨.

(٧) رضا كحالة: معجم المؤلفين، ج ٣، ص ٧٨١.

(٨) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٣٠٥.

ولم يصلنا من مؤلفاته الدينية ذكرٌ لمؤلفات أخرى، وإن كان ابن فرحون ذكر أنه:
"له التصانيف الحسنة"^(١)، وقال الفيروزآبادي عن مؤلفاته أنها: "تشوق المستفيدين
إيقاناً"^(٢)، وقال المقرئزي كذلك: "وله تصانيف حسنة"^(٣).

ويمكن أن تعتبر مقامته "المفاخرة بين مكة والمدينة"^(٤) من تصانيفه الشرعية، إذ قد
حشد الأدلة القرآنية، والحديثية للدلالة على فضل كلٍ.

أسرة ابن فرحون:

— أُلّف عبد الله بن محمد بن فرحون (ت ٧٦٩هـ/١٣٦٧م) عدة مؤلفات في الفقه
والحديث، كما خرّج له الشريف ابن سكر المصري نزيل مكة "مشيخة"، كبيرة، حافلة،
مشملة على شيوخه ومروياته^(٥).

ومن مؤلفاته في الحديث: "الدر المخلص من التقصّي والمخلص"، وهو في الجمع بين
كتابي "التقصي" لأبي عمر يوسف بن عبد البر النمري (ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م)، في تقصي
أحاديث الموطأ، المرفوعة أو الموصولة أو المنقطعة^(٦)، وكتاب "المخلص" هو لأبي الحسن علي
بن محمد بن خلف القابسي (ت ٤٣٠هـ/١٠٣٨م)، وهو تلخيص "للموطأ"، مشتمل على
خمسائة وعشرين حديثاً، متّصل الإسناد، مقتصراً على رواية أبي عبد الله عبد الرحمن بن
القاسم من رواية سحنون عن مالك^(٧)، فجمع البدر بن فرحون بين أحاديث الكتّابين^(٨).

— "كشف الغطا في شرح أحاديث مختصر الموطأ"، وهو شرح لكتابه السابق "الدر
المخلص"^(٩)، وقد شرّحه في أربع مجلدات، ووصفه السخاوي بأنه: (شرح عظيم)^(١٠).

(١) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ١٠٦.

(٢) الفيروزآبادي: المغام المطابة، ج ٣، ص ١٢٦٠.

(٣) المقرئزي: درر العقود، ج ٢، ص ٤٧٦.

(٤) الزرندي: (نور الدين علي)، المرور بين العلمين، ص ٧٠.

(٥) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٨٧.

(٦) الكتّاني: الرسالة المستطرفة، ص ١٢.

(٧) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ٢، ص ٧٢٤.

(٨) ابن القاضي: درة الحجال، ج ٣، ص ٥١.

(٩) ابن القاضي: درة الحجال، ج ٣، ص ٥١.

(١٠) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٨٨.

— "شرح مختصر التفريع"، وأصله "التفريع" هو كتاب ابن الجلاب المالكي (ت ٣٧٨هـ / ٩٤٩م)، وهو أبو القاسم بن الجلاب وكتابه هذا مصنف كبير، في مسائل الخلاف^(١)، وقد شرح ابن فرحون مختصره في الفقه المالكي أسماه: "كفاية الطلاب في شرح مختصر الجلاب"^(٢).

— كما صنف البدر بن فرحون في التفسير، وذكر الفيروزآبادي أنه: "صنف وأفاد، وألف وأجاد"^(٣).

وله: "نهاية الغاية في شرح الآية" وهو أسئلة وأجوبة على آيات من القرآن^(٤)، وقد ذكر السخاوي أنه: "في غاية الجودة والإتقان"^(٥).

— أما النور علي بن محمد بن فرحون (ت ٧٤٦هـ / ١٣٤٥م)، فله عدة مؤلفات في الشريعة منها: "حواشي على شرح ابن الحاجب"، في الفقه^(٦)، "الجواب الهادي على أسئلة الشيخ أبي الهادي"^(٧)، وله أيضاً "غنية الراغبين في اختصار منازل السائرين"^(٨)، كما له "شرح حديث أم زرع"^(٩).

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٦، ص ٣٨٣.

(٢) ابن القاضي: درة الحجال، ج ٣، ص ٥١.

(٣) الفيروزآبادي: المغامم المطابة، ج ٣، ص ١٢٤٩؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٢٩٧.

(٤) المصدر السابق، ج ٢، ص ٨٨؛ ابن القاضي: درة الحجال، ج ٣، ص ٥١.

(٥) ابن فرحون: (إبراهيم بن علي)، الدباج المذهب، م ١، ص ٤٠٢.

(٦) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٢٩٦.

(٧) "الشيخ أبي الهادي" هو: أحد شيوخ القيروان في وقته سأل أبا الحسن بن فرحون عن أسئلة من القرآن والسنة فأجاب عنها. ابن فرحون: (إبراهيم بن علي)، الدباج المذهب، م ٢، ص ١١٤.

(٨) "منازل السائرين إلى الحق المبين" هو كتاب في أحوال السلوك لشيخ الإسلام عبد الله بن محمد بن إسماعيل الأنصاري الهروي الحنبلي (ت ٤٨١هـ / ١٠٨٨م)، وهو كتاب مفيد في بابه، شرحه الكثير من العلماء. انظر حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ٢، ص ٦٦٦. وأشهر شروحاته كتاب "مدارج السالكين" لابن القيم، وهو مطبوع مشهور.

(٩) "شرح حديث أم زرع" هو حديث مشهور، وفيه ذكرت أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها للنبي ﷺ أن إحدى عشرة نسوة اجتمعن على أن لا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئاً ثم ذكرت ما ذكرته كل واحدة بعبارة اللطيفة، وقد قام العلماء بتجريد الشروح المفردة لهذا الحديث، واستخرجوا منه الفوائد الشرعية واللغوية. ابن حجر: فتح الباري، ج ٩، ص ٢٥٤.

— "الزاهر في المواعظ والحكايات والأحاديث والذخائر"^(١)، ولعله هو الكتاب الذي أشار إليه أخوه البدر، بأنه في مجلدات من جمعه، مشتمل على فوائد وغرائب^(٢)، وكان مادته هي المادة التي يُلقِيها في مواعظه.

— أَلَف البرهان إبراهيم بن علي بن فرحون (ت ٧٩٩هـ / ١٣٩٦م) كتاباً ضخماً في الفقه المالكي أسماه: "تسهيل المهمات في شرح جامع الأمهات"، وهو "شرح مختصر ابن الحاجب" في الفقه وضعه في ثمانية أسفار^(٣)، لم يسبق إلى مثله، وهو حفيّل للغاية كما وصفه ابن مخلوف^(٤).

كما وضع كتاباً في الأحكام، وصفه مترجموه بأنه نفيس^(٥)، وهو كتاب "تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام"^(٦)، وقد يُقال له "التبصرة في أدب القضاء"^(٧)، وجاء في التحفة أنه "منزلة الحكام"^(٨)، ووصفه ابن مخلوف بأنه: "لم يُسبق لمثله، وفيه من الفوائد ما هو معروف"^(٩).

ووضع كذلك كتاباً في "الحسبة"، إلا أنه لم يكمله^(١٠)، ووضع منسكاً سماه: "إرشاد السالك إلى (أفعال) المناسك"، وصفه السخاوي بأنه: (حسن)^(١١)، وقد نسبته السخاوي في مكان آخر لأبيه علي باسم: "السالك إلى أفعال المناسك"^(١٢)، ولعلهما

(١) بدر: (عبد الباسط)، الحياة الثقافية في المدينة المنورة في العصر المملوكي، "مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة" ع ٥٤، ص ٧٠.

(٢) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ٢٢٨.

(٣) ابن فرحون: (إبراهيم بن علي)، الديباج المذهب، ٢م، ص ١١٤.

(٤) مخلوف: شجرة النور الزكية، ص ٢٢٢.

(٥) ابن حجر: إنباء الغمر، ج ١، ص ٥٣١؛ السخاوي: وجيز الكلام، ج ١، ص ٣٢٦.

(٦) المزني: الحياة العلمية في القرنين السابع والثامن الهجريين، ص ٢٢٧.

(٧) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ١، ص ٢٩٥.

(٨) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٨٢.

(٩) مخلوف: شجرة النور الزكية، ص ٢٢٢.

(١٠) ابن فرحون: (إبراهيم بن علي)، الديباج المذهب، ١م، ص ٤؛ المزني: الحياة العلمية في القرنين السابع والثامن الهجريين، ص ٢٢٧.

(١١) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٨٢؛ القرائي: توشيح الديباج، ص ٢٣.

(١٢) السخاوي: الضوء اللامع، ٥م ج ١٠، ص ١٢٦.

منسكان!! وقد أشار ابن فرحون إلى الداعي إلى تأليفه "إرشاد السالك إلى أفعال المناسك" في مقدمته، وهو كون المناسك من الدين، وقد حرّض على تعلمها الرسول ﷺ، وحكم تعلّمها لقاصد الحج هو الوجوب لإجماع العلماء على ذلك^(١).

وله كتاب: "درر الغواص في أوهام الخواص"، على الأبواب في كراريس، وهو في الفقه وربما قيل له "درة الغواص"^(٢) أو "نبذة الغواص"^(٣)، ويقال له أيضاً: "درة الغواص في محاضرة الخواص"، وذكر ابن مخلوف أنه عبارة عن: "الغاز في الفقه"^(٤).

كما وضع كتاباً في علم أصول الفقه أسماه: "إقليد الأصول"، وهو مختصر "التنقيح" للعراقي^(٥)، وقد اختصره البرهان بن فرحون إلا أنه لم يُتمه^(٦).

وله أيضاً: "بروق الأنوار في سماع الدعوى"، ولم يكمله^(٧)، وهو في القضاء أيضاً كما يظهر من اسمه، وله "مقدمة في مصطلح ابن الحاجب"، أطلع عليها ابن مخلوف وذكر أن: "تأليفه كلها غاية في الإجادة لاتساع علمه"^(٨).

— وألّف أبو اليّمن محمد بن إبراهيم بن علي بن فرحون (ت ٨١٤هـ / ١٤١١م) كتاباً أسماه: "المسائل الملقوطة"، قال ابن مخلوف إنه: "مشتمل على فوائد جمة"^(٩).

(١) ابن فرحون: إبراهيم المدني، إرشاد السالك إلى أفعال المناسك، تحقيق: محمد بن الهادي أبو الأحنف، (ط ١)، (الرياض، مكتبة العبيكان، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م)، ج ١، ص ٥٧.

(٢) بدر: (عبد الباسط)، الحياة الثقافية في المدينة المنورة في العصر المملوكي، "مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة" ٥٤، ص ٧٣.

(٣) رضا كحالة: معجم المؤلفين، ج ١، ص ٤٨.

(٤) مخلوف: شجرة النور الزكية، ص ٢٢٢.

(٥) كتاب التنقيح هو "تنقيح الفضول في الأصول"، لشهاب الدين بن أبي العباس أحمد بن إدريس القرافي المالكي، جمع فيه إلى "المحصول" للرازي المسائل التي بكتاب "الإفادة" للقاضي الفاضل عبد الوهاب المالكي دونه على مائة فصل، في عشرين باباً. حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ١، ص ٤٠٣.

(٦) الزيني: الحياة العلمية في القرنين السابع والثامن الهجريين، ص ٢٢٧.

(٧) ابن فرحون: (إبراهيم بن علي)، الديباج المذهب، م ١، ص ٣.

(٨) مخلوف: شجرة النور الزكية، ص ٢٢٢.

(٩) المرجع السابق، ص ٢٣٩.

أسرة الخجندي:

— يعد الشيخ أحمد بن محمد الخجندي (ت ٨٠٢هـ / ١٣٩٩م) من المكثرين في التصنيف، وصفه الصيرفي بأن له: "مصنفات كثيرة، وتعليقات مفيدة"^(١).
وقد صنف كتباً منها: "شرح البردة" في مجلد كبير^(٢)، جمعه بعض تلاميذه من إملائه في الحرم النبوي الشريف^(٣)، وهذا الكتاب كان مشهوراً حتى أن الخجندي صار يعرف بـ: "شارح البردة"^(٤)، وقد ذكر السخاوي أنه: "في مجلد ضخيم، أسس وأمعن فيه من التصوف مع الإعراب واللغات وما لا بد للشرح منه"^(٥).
كما للشيخ الخجندي أيضاً: "شرح على الأربعين النووية"، و"الأربعين التوحيدية"، وأسماء: "الأنوار التفريديّة في شرح الجوامع الأربعينية"، وشرع في شرح "الشفاء"، فكتب منه قطعة في كراريس^(٦)، وأسماء: "الوفا"^(٧)، كما له: "تفسير" و"حاشية على الكشف"، ووضع رسالة لطيفة في "علم الكلام"^(٨) وله في السلوك: "الشراب الطهور"، وبآخره شرح قصيدة ابن الفارض التي يقال لها: "القصيدة الخمرية"^(٩).

(١) الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، ج ٢، ص ١٢٨.

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، ١م، ج ٢، ص ١٩٩.

(٣) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ٢، ص ٢٩٨.

(٤) السخاوي: وجيز الكلام، ج ١، ص ٣٤٧.

(٥) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١٥٣.

(٦) الزركلي: الإعلام، ج ١، ص ٢٢٦.

(٧) البغدادي: هدية العارفين، ٥م، ص ١١٨.

(٨) السخاوي: الضوء اللامع، ١م، ج ٢، ص ٢٠٠.

(٩) "القصيدة الخمرية" ويقال لها أيضاً "الميمية"، وأولها:

سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم

شربنا على ذكر الحبيب مدامه

وهي اثنان وثلاثون بيتاً لعمر بن علي بن الفارض (ت ٦٣٢هـ / ١٢٣٤م). حاجي خليفة: كشف الظنون،

ج ٢، ص ٣٠٠-٣٠١؛ البغدادي: هدية العارفين، ٥م، ص ١١٨.

وصنّف كذلك في الحديث كتاب "فردوس المجاهدين"، يشتمل على ما يتعلق بالجهاد من الآيات والأحاديث، وشرحها في مجلد ضخّم^(١)، وله عشر رسائل في الكلام على آيات وأحاديث^(٢).

وصنّف في أسماء الله وصفاته أرجوزة أسماها: "راح الروح وسلسل الفتوح"، اشتملت على نحو ألف اسم^(٣)، وذكرها الزركلي بأنها: (ألف بيت)^(٤)، وهذا أقرب. — وقد كتب البرهان إبراهيم بن أحمد الخجندي (ت ٨٥١هـ/١٤٤٧م) "شرحاً على الأربعين النووية"^(٥).

— ووضع الشمس محمد بن أحمد الخجندي (ت ٨٩٩هـ/١٤٩٣م) "منسكاً" قرأه عليه ابن عم أبيه الشمس محمد بن أحمد (ت ٩٢٠هـ/١٥١٤م)^(٦).

— كما صنّف محمد بن أحمد الخجندي (ت بعد ٩٢٠هـ/١٥١٤م) "القول الفاصل حين ما يُكره ويُستحب من النوافل"^(٧)، وله أيضاً رسالة عن "صلاة الرغائب"، وقد بيّن سبب وضعها، فقال بعد الحمد والبسملة: "يقول العبد الفقير إلى الله تعالى المعروف بالتقصير محمد بن أحمد الخجندي الحنفي عامله الله بلطفه الخفي، كنت توجّهت في عام ثلاث عشرة وتسعمائة إلى البلاد العثمانية؛ لتقبيل أيادي الملك السعيد السلطان بايزيد تغمّده الله بالرحمة والرضوان، وأسكنه فسيح الجنان، فرأيت الروم لهم اهتمام بصلاة الرغائب في شهر رجب، وهي شائعة في غالب المساجد من غير نكير، فأنكرتها عند من حضرنى في

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١٥٣.

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، م ١، ج ٢، ص ٢٠٠؛ حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ٢، ص ٢٣٩.

(٣) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١٥٣.

(٤) الزركلي: الإعلام، ج ١، ص ٢٢٦؛ بدر: (عبد الباسط)، الحياة الثقافية في المدينة في العصر المملوكي، "مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة" ع ٥٤، ص ٧٤.

(٥) السخاوي: وجيز الكلام، ج ٢، ص ٦١٨؛ رضا كحالة: معجم المؤلفين، ج ١، ص ١٢؛ الزركلي: الإعلام، ج ١، ص ٢٩.

(٦) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤٣٠ - ٤٣١.

(٧) البغدادى: هدية العارفين، م ٦، ص ٢٢٨.

تلك الليلة وقلت هذه بدعة، وعزمت إذا وصلت إلى بلدي أن أكتب فيها ما أطلعت عليه من كلام...^(١).

أسرة ابن صالح:

— صَنَّفَ محمد بن صالح (٧٨٥هـ/١٣٨٣م) كتاباً أسماه "التذكير في مختصر الكافي لابن شريح"، في القراءات السبع^(٢).

— وقد وضع التقي بن فهد "مشيخة" لأبي الفتح بن صالح (٨٦٠هـ/١٤٥٥م)، اقتصر فيها على شيوخه المحيذين فقط، ومع ذلك بلغت المشيخة مجلداً^(٣)، كما وضع أبو الفتح بن صالح "نظم القراءات العشر"^(٤)، وقد عمل على التصريح بأسماء القراء نظماً واختصاراً حسناً، كما يقول السخاوي^(٥)، ويشير إلى أفضلية هذا الكتاب على "الشاطبية"، ورغم ذلك لمزه السخاوي بقوله: "ولكنه غير سالم من اللحن"^(٦).

أسرة الكازروني:

— اشتغل الصفي أحمد بن محمد الكازروني (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م) بالتصنيف مع حداثة سنه في علوم الفقه وأصوله وغيره، فمما وضعه في الفقه تعليقاً أسماه: "منتهى المهمة في تصحيح التهمة"^(٧)، كما شرح مسألة استعمال (الطرف الطاهر) من "الحاوي"، وهو كتاب الفقه الشافعي، واستوعب أقسامها ومفاهيمها، كما أُلِّف: "كفاية العابد"، في العبادات من الفقه.

(١) الخجندي: محمد بن أحمد، رسالة عن صلاة الرغائب، (مخطوط بمكتبة الملك عبد العزيز، رقم ٢٥٤/٢٠٠)، ق ٢.

(٢) رضا كحالة: معجم المؤلفين، ج ٣، ص ٣٥٢.

(٣) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٥١٥؛ الضوء اللامع، ج ٤، ص ٨، ص ٣٥.

(٤) رضا كحالة: معجم المؤلفين، ج ٣، ص ٤٠٢.

(٥) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٤، ص ٨، ص ٣٥.

(٦) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٥١٤-٥١٥.

(٧) المصدر السابق، ج ١، ص ١٣٦-١٣٧. والتهمة هي لابن النعمان بشير بن أبي بكر الزين البتريزي (ت

٦٤٦هـ/١٢٤٨م). حاجي خليفة: كشف الظنون ج ٥، ص ١٩١.

كذلك له مصنفٌ في أصول الفقه في "مسمى العموم وأن العام المخصص حقيقة"^(١)، كما له كتاب "تفسير اليسير" في تفسير القرآن الكريم، وقد بين فيه موضوعه بقوله: "وموضوعه القرآن... والقرآن الكلام المنزل على محمد ﷺ المتحدّي به بأقصر سورة منه، المنقول تواتراً... والغرض منه معرفة الأحكام الشرعية..."^(٢).

— وقد صنّف ابنه الجمال محمد بن أحمد الكازروني (ت ٨٤٣هـ/١٤٣٩م) عدة مصنفات منها: "شرح الفروع" لابن الحداد^(٣)، وقد شرحها الجمال بن الصفي في مجلد^(٤). كما كتب الجمال تفسيراً، اعتمد فيه على القرطبي، فكان له كالمرآة ينظر فيه وينقل منه الأحكام، والأحاديث، وأسباب النزول^(٥)، وإذا علمنا أن تفسير القرطبي اهتم فيه مؤلفه جداً بالأحكام وأنه مالكي المذهب، فيمكن أن ندرك حينئذ أهمية تفسير الكازروني، حيث اعتمد على القرطبي مع اللمحة الشافعية التي لا توجد في تفسير القرطبي، وكون الجمال فقيهاً شافعيّاً محنكاً، فلا بد أن تكون له لفتات في ذلك مما يعطي الأهمية لكتابه. وللجمال الكازروني أيضاً كتاب "بحر السعادة في الأخلاق والأدب" وهو باللغة الفارسية^(٦).

كما له شرح على "مختصر التنبيه"، والأظهر أنه "المغني في مختصر التنبيه"، فقد ذكر في ترجمة الجمال أن من مصنفاته "مختصر المغني" للبارزي، وله شرح "مختصر التنبيه"، فالظاهر أن الجمال شرح كتاب هبة الله بن عبد الرحيم بن إبراهيم البارزي (ت ٧٣٨هـ/١٣٣٧م)، والذي أسماه البارزي: "المغني في مختصر التنبيه"^(٧) أو أنه اختصر "المغني" ثم شرحه، وقد

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١٣٦-١٣٧.

(٢) الكازروني: أحمد بن محمد، تفسير اليسير، (مخطوط بمكتبة الملك عبد العزيز، المدينة، رقم ١٥٥)، ق ٢.

(٣) و"الفروع" في المذهب الشافعي، لمحمد بن أحمد ابن الحداد المصري، وهو من الكتب التي تناولتها أيدي العلماء بالشرح والبيان وتنافسوا في ذلك لدقتها وغموضها. حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ٢، ص ٧٢٦، ٢٤٠.

(٤) الشوكاني: البدور الطالع، ج ٢، ص ١٢١.

(٥) السخاوي: الضوء اللامع، م ٤، ج ٧، ص ٩٧. وتفسير القرطبي هو المسمى بـ "جامع أحكام القرآن والمبين لما تضمن من السنة وآية الفرقان" لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي المالكي (ت ٦٦٨هـ/١٢٦٩م) وهو مشهور وحافل. حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ١، ص ٤٢٢.

(٦) البغدادي: هدية العارفين، م ٦، ص ١٩٤.

(٧) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ٦، ص ٣٩٤.

يكون "مختصر المغني" كتاباً وضعه الجمال للمبتدئين، ثم عمد إلى أحد مختصرات التنبيه فشرحه، وقد نصَّ على ذلك السخاوي، حين قال إنه: "شرح مختصر التنبيه للشرف عيسى بن أبي غرارة البجلي في ثلاثة أسفار لم يبيّضه، وكذا كتب في آخر حياته (شرحاً على شرح التنبيه)"^(١)، وهذا يدل على اهتمامه بكتاب "التنبيه".

— وضع أحمد بن مسدد الكازروني كتاب "الخدائق الغوالي في المفاخرة بين قباء والعوالي"^(٢)، وهذا وإن كان كتاب أدب، وضعه على شكل مقامة أدبية رائعة، إلا أن موضوعه كان في حشد الفضائل والمآثر لكلا الموضعين، وجمع المناقب التي لكل، وهذا لا يتأتى لأديب مجرد عن العلوم الشرعية، فقد ملأه الكازروني بالشواهد من الكتاب والسنة اقتباساً^(٣). ولذا فهو يُعد من الآثار (الدينية) لهذه الأسرة، فلا غرو حينئذ أن يقرّظ هذا الكتاب غير واحد، منهم الشيخ محمد اليميني^(٤)، والسخاوي^(٥).

أسرة المراغي:

لقد تركت لنا أسرة المراغي تراثاً علمياً متميزاً في عدة علوم، فلقد نبغ فيها الكثير من العلماء والمحدثين:

— فأبو بكر الزين بن الحسين المراغي (ت ٨١٦هـ / ١٤١٣م) كان واسع الرواية جداً، قام الحافظ ابن حجر بتخريج أربعين حديثاً له عن أربعين شيخاً، وقام الزين بالتحديث بها^(٦)، وقد سمعها منه عدد كبير من العلماء وطلبة العلم^(٧).

(١) الشوكاني: البدر الطالع، ج ٢، ص ١٢١.

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، م ١، ج ٢، ص ٢٢٥.

(٣) الكازروني: (أحمد بن مسدد)، الخدائق الغوالي، ص ١٥.

(٤) هو محمد بن أبي بكر التعزي اليماني الشافعي، يعرف بابن الخياط، كان من علماء اليمن وفقهائها ومحدثيها.

المقريزي: درر العقود، ج ٢، ص ٣٩٥.

(٥) الكازروني: (أحمد بن مسدد)، الخدائق الغوالي، ص ١٦؛ السخاوي: الضوء اللامع، م ١، ج ٢، ص ٢٢٥.

(٦) ابن حجر: إنباء الغمر، ج ٣، ص ٢٣.

(٧) ابن فهد: معجم الشيوخ، ص ٣٨٥.

كما خرّج للزين المراغي، الحافظ جمال الدين المراكشي^(١) "مشيخة" عن مشايخه بالسماع، وقد قال السخاوي أنه: (أجاد فيها)^(٢)، ووصفها الفاسي بأنها: (حسنة) وكان ذلك في سنة (٨١١هـ/١٤٠٨م) والمراغي قد جاوز الثمانين^(٣)، وقرأها المراكشي على الزين بنفسه في نفس السنة^(٤).

وقد ذكر المراكشي في أول "مشيخته"^(٥) عن الشيخ المراغي أنه: "ممن علا في الحديث سنده، وقلّ رواته، ولكن كثر عدده، وكان قد سمع من قديم صغيراً من مدة ثمانين عاماً... فجمعت له هذه المشيخة، ممن ظفرت به من المشايخ الذين سمع منهم دون غيرهم ممن أجازوا له الرواية عنهم"^(٦).

وقد قام عمر بن فهد بعمل "مشيخة" كذلك لأبي بكر الزين المراغي ولولديّه أبي الفتح، ثم أبي الفرج، مع أنه وُلِدَ قبل وفاة المراغي بخمس سنوات؛ إذ كان مولده سنة (٨١٢هـ/١٤٠٩م)، إلا أنه أحضر فسمع الكثير من المراغي، ومع كثرة مسموعاته منه خرّج هذه "المشيخة" لشيخه وفاءً له بعد موته^(٧).

كما احتوى كتاب "تحقيق النصرة بمعالم دار الهجرة" لأبي بكر بن الحسين المراغي على الكثير من المباحث الشرعية التي يمكن أن يصنّف بكونه أثراً دينياً، وليس مجرد كتاب تاريخ للمدينة، وذلك واضح في مقدمة الكتاب، حيث جعله في ثلاثة فصول: الأول في فضل المدينة وسكانها، والثاني في أسماء المدينة، والثالث في فضل المسجد الشريف، وفي الباب

(١) هو محمد بن موسى المراكشي المكي الشافعي، محدث أديب، توفي سنة (٨٢٣هـ/١٤٢٠م). الفاسي: العقد الثمين، ج ٢، ص ٣٦٤.

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، م ٦، ج ١١، ص ٢٩.

(٣) الفاسي: العقد الثمين، ج ٢، ص ٣٦٤.

(٤) السخاوي: الضوء اللامع، م ٢، ج ٤، ص ١١٩.

(٥) حقق هذه المشيخة محمد صالح بن عبد العزيز المراد.

(٦) الهيلة: التاريخ والمؤرخون، ص ٩٧، ٩٩.

(٧) السخاوي: الضوء اللامع، م ٣، ج ٦، ص ١٢٦، ١٢٨.

الثاني كان الكلام عن آداب زيارة المسجد وزيارة البقيع، وفي الرابع بيان فضائل جهات المدينة، وكذلك في الخاتمة في فضل الموت بالمدينة^(١)، وكلها من المباحث الشرعية الدينية. أما الكتاب الفقهي المشهور لأبي بكر المراغي فهو: "العمد في شرح الزبد" أو "العمدة في شرح الزبدة"، و"الزبد" كتاب للبارزي في الفقه الشافعي، وقيل اسمه "صفوة الزبد"، صَنَّفَه الإمام شرف الدين أبو القاسم هبة الله البارزي (ت ٧٣٨هـ / ١٣٣٧م)^(٢). وله كتاب في الفقه آخر هو: "شرح المنهاج" النووي، بعد تكملته لشرح شيخه الإسنوي، حيث بلغ منه إلى "كتاب المساقاة"^(٣) وأسماه "الوافي بتكملة الكافي"^(٤)، يُقال شرع فيه في حياة شيخه^(٥) إلا أن "شرح الإسنوي" ذكر في كشف الظنون أن اسمه "الفروق"^(٦)، وتابعه في هدية العارفين^(٧).

كما وضع الزين المراغي منسكاً في أحكام الحج أسماه: "مرشد الناسك إلى معرفة الناسك"^(٨)، وصفه السخاوي بأنه: "صغير مفيد جامع"^(٩).

ووضع الزين المراغي أيضاً كتاب في تسليية من أصيب، وهو مختصر لكتاب "الحرز المعد لمن فقد الولد" والذي ألفه أبو القاسم عبد الغفار بن محمد السعدي (ت ٧٢٢هـ / ١٣٢٢م)^(١٠)، وهو كما يتضح من اسمه فيه النصوص التي تتعلق بفضل مَنْ صبر على فقدان الولد، و كان قد توفي له ولد فوضعه.

(١) حمدان: المدينة المنورة بين الأدب والتاريخ، ص ٩٥-٩٦.

(٢) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ٢، ص ٣٩٤.

(٣) المصدر السابق، ج ٢، ص ٦٩٩.

(٤) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٦، ص ١١، ج ١١، ص ٣٠-٣١.

(٥) المراغي: (أبو بكر)، تحقيق النصرة، ص ١٧.

(٦) وهذا الشرح هو نواة الشرح المنسوب لابنه أبي الفتح المسمى بـ: "المشرع الروي في شرح منهاج

النووي" حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ٢، ص ٦٩٩.

(٧) البغدادي: هدية العارفين، ج ٦، ص ٤٥٤.

(٨) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ٤، ص ٣١٣.

(٩) المراغي: (أبو بكر)، تحقيق النصرة، ص ١٧؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج ٦، ص ١١، ص ٣١.

(١٠) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ٣، ص ٢٥٣.

— وكان من المشهورين بالنتاج الشرعي أيضاً من آل المراغي الشيخ المحدث أبو الفتح محمد المراغي (ت ٨٥٩هـ/١٤٥٤م)، له عدة مؤلفات ففي الحديث خرج له عمر بن فهد الهاشمي مشيخة كبيرة، ذكر فيها جملة من شيوخ أبي الفتح وأسمائها: "الفتح الرباني بمعجم الشيخ أبي الفتح العثماني"^(١)، ومن مؤلفات، أبي الفتح المراغي أيضاً: شرحه للمنهاج للنووي المسمى بـ: "المشرع الروي في شرح منهاج النووي" في ثلاث مجلدات^(٢)، كما اختصر شرح البخاري والمسمى بـ: "فتح الباري بشرح صحيح البخاري" للحافظ ابن حجر^(٣)، وقد اختصره أبو الفتح المراغي في أربع مجلدات أسماها "تلخيص أبي الفتح لمقاصد الفتح"^(٤).

— وأما أبو الفرج محمد المراغي (ت ٨٨٠هـ/١٤٧٥م)، فإن أول ما يطالعنا في ترجمته بين المصادر هي "مشيخته" التي خرّجها له عمر بن فهد (٨٨٥هـ/١٤٨٠م)^(٥)، كما كان لأبي الفرج المراغي حواش على الكثير من الكتب وُصفت بأنها: "مفيدة"^(٦)، وهي الحواشي على كتب العلوم الأساسية للطلاب كـ "منهاج البيضاوي"، و "المنهاج الأصلي"، و"ألفية ابن مالك"، و"التلخيص" في البلاغة، و "الجمال في المنطق"^(٧).

أسرة السمهودي:

— لأسرة السمهودي تاريخ علمي راسخ، فقد خلف لنا علي بن عبد الله السمهودي (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م) مجموعة من الكتب الفقهية والأصولية، كذلك في الحديث، والتاريخ والسيرة، والتي أصبحت فيما بعد مصدراً من المصادر الهامة التي ينهل من

(١) ابن فهد: معجم الشيوخ، ص ٢٢١؛ الهيلة: التاريخ والمؤرخين، ص ١٤٧، ١٥٥.

(٢) الشماع: القبس الخاوي، ج ٢، ص ١٥٧.

(٣) "فتح الباري بشرح صحيح البخاري" من أعظم شروح البخاري وشهرته وانفراده بما يشتمل عليه من الفوائد الحديثة والكلمات الأدبية والفوائد الفقهية تغني عن وصفه، وقد استغرق في شرحه من سنة (٨١٧هـ/

١٤١٤م) إلى سنة (٨٤٢هـ/١٤٣٨م). حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ١، ص ٣٢.

(٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤٥٨.

(٥) السخاوي: الضوء اللامع، م ٤، ج ٧، ص ١٦٦.

(٦) الشماع: القبس الخاوي، ج ٢، ص ١٥٩؛ حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ٧، ص ١٦٧.

(٧) الشماع: القبس الخاوي، ج ٢، ص ١٦٠. و"الجمال في المنطق" لابن مرزوق التلمساني. المصدر السابق، ج ١،

ص ٤٧٢، ج ٧، ص ١٦٧.

معينها المؤرخون والعلماء والفقهاء، ولقد وقفنا على معظم مؤلفاته التي منها ما هو مطبوع ومنها ما لم يطبع، فهي بذلك تحتاج إلى جهد العلماء، حتى يخرجوها من مكانها ويقوموا بتحقيقها.

ولولا حريق المدينة الشهير سنة (٨٨٦هـ/١٤٨١م)^(١)، والذي احترق فيه ما يزيد على ثلاثمائة مجلد من أنفس المجلدات^(٢)، لشهدنا ثروة لا تقدر بثمن، وبالرغم مما فُقد في الحريق فإن ما بقي يعتبر ثروة طيبة وعلم غزير، ويُضاف إلى رصيد السهمودي الذي اعتبر عالم متميز في الفقه والأصولين (أصول الدين وأصول الفقه) مع تفرّده في الأدب^(٣)، فهو صاحب المؤلفات الشهيرة في الفقه الشافعي، وفي علم الأصول^(٤).

وله كذلك مؤلفات في الحديث فمن مؤلفاته: "در السموط"^(٥)، وهي رسالة في بيان شروط الوضوء عدد صفحاتها خمس وعشرون صفحة، كما ألّف رسالة: "الغماز على اللماز في الأحاديث المشهورة"^(٦)، حيث جرّد فيها المؤلف أحاديث الرسول ﷺ الضعيفة^(٧)، والموضوعة^(٨)، والتي

(١) احترق المسجد النبوي نتيجة صاعقة أصابت منارته، ولهبت النار، وأنشق رأس المنارة، وأصاب ما نزل من الصاعقة سقف المسجد، واشتعل الحريق بجميع سقف المسجد وأبوابه وما فيه من خزائن الكتب والمصاحف. السهمودي: وفاء الوفاء، ج ٢، ص ٦٣٣، ٦٣٥.

(٢) علي السيد علي: الحياة الثقافية في المدينة المنورة، ص ٢٦٩.

(٣) الجاسر: السهمودي أشهر مؤرخي المدينة، "مجلة العرب"، (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، رمضان ١٣٩٢هـ/ تشرين، أكتوبر، ١٩٧٢م)، ص ٧، ج ٣، ص ١٧٨.

(٤) السهمودي: وفاء الوفاء، ج ١، ص ٤-٥؛ شاكرو: مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، (ط ١)، (د. م، ١٩٩٠م)، ج ٤، ص ٤١٢؛ سندي: هدى، موارد السهمودي، ص ١١٠.

(٥) الشماخ: القيس الخاوي، ج ١، ص ٥٠١-٥٠٢؛ الزركلي: الأعلام، م ٤، ج ٤، ص ٣٠٧.

(٦) السهمودي: علي بن عبد الله: الغماز على اللماز في الأحاديث المشهورة، تحقيق: محمد إسحاق السلفي، (ط ١)، (الرياض، دار اللواء، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، ١٠-١١.

(٧) "الحديث الضعيف" هو: كل حديث لم يجتمع فيه صفة الحديث الصحيح والحديث الحسن. السيوطي: تدريب الراوي، ص ١٤١؛ الخطيب: محمد عجاج، أصول الحديث علومه ومصطلحاته، (ط ٤)، (دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م) ص ٣٣٧.

(٨) الحديث الموضوع هو: ما نسب إلى رسول الله ﷺ اختلاقاً وكذباً مما لم يقله أو يفعله أو يقره، وروايته محرمة. السيوطي: تدريب الراوي، ص ٢٣٩؛ الخطيب: أصول الحديث، ص ٤١٥.

لا أصل لها عند الأئمة والحفاظ، ورثتها على حروف المعجم، ويكون بذلك قام بخدمة عظيمة للسنة النبوية الشريفة، كما له أيضاً: "مواهب الكرم الفتح في المسبوق المستغل بالاستفتاح"^(١)، وله: "شفاء الأشفاق لحكم ما يكثر بيعه في الأسواق"، و"الغرر البهية في شرح المناسك النووية"، و"اللؤلؤ المنثور في نصيحة ولاية الأمور"، وهو مجموعة من النصائح جمعت من كتب متعددة، جعلها في أربعة مجلدات، معتمداً فيها على آيات من القرآن الكريم والحديث والأقوال والأمثال^(٢)، كما ألف أيضاً "العقد الفريد في أحكام التقليد"^(٣)، و"الجواهر الشفاف في فضل الأشراف"^(٤).

كما صنّف في المسائل الفقهية فوضع رسالته: "الأنوار السنية في جواب الأسئلة اليمنية"^(٥)، و"الإفصاح في شرح الإيضاح"، وهو كتاب فقهي في مناسك الحج^(٦)، كما له: "أمنية المعتنين بروضه الطالبين"، وهو عبارة عن حاشية لكتاب الروضة للنووي، وقد كان يدرّسه للطلبة، وصل فيه إلى باب الربا ولم يكمله^(٧)، كذلك ألف "جواهر العقدين في فضل الشرفين"^(٨)، وهما فضل العلم والنسب، ويعتبر السمهودي متفرداً في اختياره لمثل هذا المؤلف، فلم يكتب في هذين الشرفين أحد قبله، وقد بذل فيه جهداً في جمع معلوماته، كما جمع السمهودي "مجموعة من الفتاوى" المفيدة في مجلد^(٩)، كما له بحث في مسألة

(١) الشماخ: القبس الحاوي، ج ١، ص ٥٠٢؛ الكتاني: الرسالة المستطرفة، ص ١٤٤.

(٢) رضا كحالة: معجم المؤلفين، ج ٢، ص ٤٦٣.

(٣) بدر: (عبد الباسط)، الحياة الثقافية في المدينة المنورة في العصر المملوكي، "مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة"، ٥٤، ص ٧٨-٧٩.

(٤) بكر أبو زيد: طبقات النسايب، (مخطوط في مكتبة الحرم المكي، رقم/٣٩)، ق ١٥٩.

(٥) وهو مخطوط في الخزانة العامة بتونس. انظر الجاسر: السمهودي أشهر مؤرخي المدينة، "مجلة العرب"، س ٧، ج ٣، ص ١٦٨-١٦٩.

(٦) السمهودي: علي بن أحمد خلاصة الوفاء بأخبار دار المصطفى، (ط ١)، (دمشق، المكتبة العلمية، ١٣٩٢هـ)، ج ١، ص ١٦؛ العيدروسي: النور السافر، ص ٩٧.

(٧) ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٨، ص ٥٠؛ البغدادي: إيضاح المكنون، ٣، ص ١٢٧.

(٨) السمهودي: علي بن عبد الله: جواهر العقدين في فضل الشرفين، تحقيق: موسى بناي العليلى، (بغداد، مطبعة العاني، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م)، ص ٥-٦.

(٩) الشوكاني: البدر الطالع، ج ١، ص ٤٧٠-٤٧١؛ العيدروسي: النور السافر، ص ٩٦؛ سندي: هدى، موارد السمهودي، ص ١٠٦.

"فرش البسط المنقوشة"، ألّفه للرد على من خالفه الرأي، وقد قرّطه^(١) له أئمة القاهرة^(٢)، كما له "الأموال المسفرة عن دلائل الآخرة"^(٣)، كما جمع السهمودي "مشيخة"، وطلب من النجم ابن فهد أن يخرّجها له، ففعل ابن فهد ذلك، وبدأ فيها وعظم السهمودي، ولكن عاجلته المنية قبل إتمامها، فأكملها ابنه العز عبد العزيز، وانتفع السهمودي بهذه "المشيخة" وحدث بما فيها^(٤).

أسرة السخاوي:

— شرح خير الدين محمد بن محمد السخاوي (ت ٩١٣هـ/ ١٥٠٧م) "مختصر خليل"^(٥)، وقد اطلع السخاوي على قطعة منه، أوقفه عليه القاضي خير الدين، لأماكن من المختصر، وقد أكمل من القضاء إلى آخر الكتاب وقُرئ عليه بالمدينة^(٦).

— ووضع عبد المعطي بن أحمد السخاوي (ت بعد ٩٤٢هـ/ ١٥٣٥م) كتاباً في تفسير القرآن في ستة أسفار وسماه: "فتح المجيد"، أو "فتح الحميد"^(٧).

وله في الفقه "شرح الشامل"^(٨)، والظاهر أن الشامل هذا هو كتاب لهدام بن عبد الله الأدميري المالكي (ت ٨٠٥هـ/ ١٤٠٢م) في الفقه المالكي^(٩).

(١) التقاريط هي: عبارة عن مقالات وصفية يكتبها الأصدقاء لأصدقائهم أو نحوهم، يمتدحون بها شيئاً من نتاج أقلامهم وثمار عقولهم مثل كتاب أو قصيدة جيدة أو ديوان شعري، أو رسالة ونحو ذلك. سليم: محمود رزق، موسوعة عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي، (د. ط)، (القاهرة، مكتبة الأدب، ١٣٧٤هـ/

١٩٥٥م)، ٥م، ١، ج ٣، ص ٢٨٧.

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، ٣م، ج ٥، ص ٢٤٧.

(٣) الجاسر: رسائل في تاريخ المدينة، ص ٣٥ - ٣٦.

(٤) السخاوي: الضوء اللامع، ٣م، ج ٥، ص ٢٤٧؛ الهيلة: التاريخ والمؤرخون بمكة، ص ١٤٧، ١٥٤.

(٥) رضا كحاله: معجم المؤلفين، ج ٢، ص ١١١.

(٦) السخاوي: الضوء اللامع، ٥م، ج ٩، ص ٤٨.

(٧) رضا كحاله: معجم المؤلفين، ج ٢، ص ٣١٤.

(٨) التنبكي: كفاية المحتاج، ج ١، ص ٣٠٥.

(٩) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ٢، ص ٦١.

المبحث الثاني: العلوم اللغوية والأدبية:

إن أهم ما يلفت النظر إلى الأدب في العهد المملوكي أنه كان مواكباً للحركة العلمية؛ حيث يجمع طالب العلم بين التحصيل العلمي والتحصيل الأدبي، فمثلاً نراه عالماً في التفسير أو في أي علم من العلوم الشرعية، بجانب تفوقه في حفظ الأدب شعراً ونثراً، وهي خاصية من خصائص الثقافة الإسلامية، فلا تكاد تخلو ترجمة من تراجم العلماء المتميزين من هذا التمازج، ذلك أن الأدب بأنواعه يصقل القرائح ويفتح الأذهان ويهذب السليقة، مما يؤكد أن العلوم اللغوية أصل من أصول العلوم الشرعية، فكتب التفسير وشرح الحديث مليئة بالنصوص الشعرية والنثرية يستشهد بهما في الدلالة على المعنى^(١).

ومما سبق يتضح لنا أن العصر المملوكي في المدينة المنورة حفل بعلماء اللغة العربية وفروعها المختلفة الذين صنفوا في مختلف مجالاتها، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر:

أسرة الزرنندي:

— يُعدُّ النور علي بن يوسف الزرنندي (ت ٧٧٢هـ / ١٧٧٠م) من أشهر أسرة الزرنندي اشتغلاً باللغة العربية، بل قال ابن فرحون إنه: "انفرد اليوم بعلم اللغة"^(٢)، وقد أثنى عليه الصفدي، وهو ذواقة للأدب فقال: "ولكلامه رونق ورصانة، ونظم ونثر"^(٣)، ومن مديحه؛ ما نظمته مدحاً للسلطان حسن^(٤) لما جاءته ولايتا القضاء والحسبة حيث قال:

سلا من سلاني والفؤاد له عسى يقرن الحسن إلى وجهه الحسن^(٥)

واستحسن الفيروز آبادي من شعره أبياتاً من قصيدة وصفها بأنها طويلة جاء فيها:

أشتاق قربك والليالي تبعد وأروم عطفك والزمان ينكد

ما غير الهجر المقيم ولا الجفا ما كنت من حسن المودة تعهد

(١) بدر: (عبد الباسط)، ملامح الأدب في المدينة المنورة في العهد المملوكي "مركز بحوث ودراسات المدينة

المنورة"، (ربيع الثاني، جمادى الآخرة، ١٤٢٥)، ج ٩٤، ص ٣٣-٣٤.

(٢) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ١٠٦.

(٣) الصفدي: أعيان العصر، ج ٣، ص ٥٨٤.

(٤) الناصر حسن ابن السلطان الناصر محمد بن قلاوون، تولى السلطة سنة ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م، وبقي بها حتى سنة

(٧٥٢هـ / ١٣٥١م). السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٢٨٧.

(٥) المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٠٥.

إن كان في تلفي رضاك فأني أهوى هواك وأبتغي ما يقصد^(١)
وقد ذكر له المقرئ أبياتاً في المدينة والشوق إليها منها:
قف بأحد ومغاني طيبة حبذا لكل المغاني والربا^(٢)
وقد وُصف نظمه بأنه: "حسن رائق"^(٣)، وأن شعره: "حسن"^(٤).
وقد صنّف علي بن يوسف الزرندي أيضاً كتاب "القواعد في النحو واللغة" سمعه
منه ابن سكر^(٥).

إلا أن أشهر مصنفاته اللغوية هي مقامته^(٦) الفريدة المشهورة باسم "المرور بين
العلمين"^(٧) في مفاخرة الحرمين^(٨)، وصفها ابن حجر بأنها: "بديعية"^(٩)، وربما قيل لها:
"مناظرة الحرمين ومناضلة المحلين"، وذكرها المؤرخون أيضاً باسم: "المفاخرة بين مكة
والمدينة"، ومن سمعها منه ابن سكر^(١٠).

وهي موضوعة في جمع فضائل الحرمين، فكأنَّ الحرمين اجتماعاً في ميدان الفخر،
وصار كل منهما يفخر على الآخر بفضائله^(١١)، وقد استخدم فيها الزرندي الأسلوب

(١) الفيروزآبادي: المغائم المطابة، ج ٣، ص ١٢٦١ — ١٢٦٢.

(٢) المقرئ: درر العقود، ج ٢، ص ٤٧٧.

(٣) العراقي: الذيل على العبر، ق ٢، ص ٣٢٥؛ السخاوي: وجيز الكلام، ج ١، ص ١٨٢.

(٤) السخاوي: تراجم العلماء والمحدثين، ق ٥٦.

(٥) المقرئ: درر العقود، ج ٢، ص ٤٧٧.

(٦) المقامة هي قصة قصيرة مسجوعة تشتمل على عظة أو ملحّة كان الأدباء يظهرون براعتهم فيها، وتعتبر المحسنات

البديعية من أهم ركائزها. ابن منظور: لسان العرب، م ٥، ص ٣٤٥؛ الرازي: أبو بكر، المعجم الوسيط،

(د. ط)، (المكتبة الإسلامية، د. ت)، ج ٢، ص ٧٦٨؛ الجابري: الحياة العلمية في الحجاز، ص ٥١٨.

(٧) العَلَم: العلامة الزمانية أو المكانية مثل أعلام الحرم، ولعله أراد المرور بين علمي مكة والمدينة.

(٨) كتاب محقق منشور: حققه محمد العيد الخطراوي. وقد قامت بنشره مكتبة دار التراث بالمدينة المنورة.

(٩) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج ٣، ص ٢١٧.

(١٠) رضا كحالة: معجم المؤلفين، ج ٢، ص ٥٤٦.

(١١) كبريت: الجواهر الثمينة في محاسن المدينة، ج ١، ص ٣٢٣.

القصصي الجذاب فيها، وهي مملوءة بالأدلة القرآنية والحديثية، ونهج فيها أسلوب السجع^(١) والمحسنات^(٢) المختلفة، قرضها له السخاوي^(٣).

— وكان أيضاً عبد السلام بن عبد الوهاب الزرندي (ت ٩٠٩هـ/١٥٠٣م) ممن ينظم الشعر ويتكسب به^(٤).

أسرة ابن فرحون:

— صنف البدر عبد الله بن محمد بن فرحون (ت ٧٦٩هـ/١٣٦٧م) العديد من كتب العربية، فإنه قد برع في العربية صغيراً، وتصدر وهو ابن ثمان عشرة سنة، وله في ذلك عدة مؤلفات منها^(٥):

"إعراب قصيدة: بانت سعاد"، وقد وقف عليها أبو حيان المفسر إمام العربية، فأثنى عليه واستعظم ذلك عليه، وقال: "ما ظننت أنه يوجد بالحجاز مثله"^(٦)، كما عرضها ابن فرحون على سراج الدين الدمنهوري، فاستحسنها^(٧)، وقد أسمى مؤلفه هذا بـ: "شفاء الفؤاد في إعراب بانت سعاد"^(٨).

(١) السجع لغة: مشتق من الساجع وهو المستقيم وقيل من سجع الحمامة وهي ترجيعها الصوت، وأما السجع في الكلام هو أن تأتي مقاطع الفصول على ألفاظ متوازنة ومتعادلة. وفي الاصطلاح هو: اتفاق الفواصل من الكلام المنثور على حرف واحد، ويقال للجزء الواحد منه سجعه وتجمع على سجعات. القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٢، ص ٣٠٢.

(٢) المحسنات البديعية هي تزيين الألفاظ والمعاني بألوان بديعة من الجمال اللفظي أو المعنوي، وهي تشمل المحسنات اللفظية مثل الجناس والسجع والاقتراس، والمحسنات المعنوية مثل الطباق والتورية. علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، (د. ط)، (مصر، دار المعارف، ١٩٦٤م)، ص ٢٦٣.

(٣) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٣٠٥.

(٤) المصدر السابق، ج ٢، ص ١٧٢؛ الضوء اللامع، ج ٢، ص ٤٤، ج ٤، ص ٢٠٦.

(٥) ابن القاضي: درة الحجال، ج ٣، ص ٥١.

(٦) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٨٧.

(٧) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ٢٢٩.

(٨) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٨٨؛ ابن القاضي: درة الحجال، ج ٣، ص ٥١.

وله: "شرح قواعد الإعراب"^(١)، و"العدة في إعراب العمدة"، وكتاب العمدة هو "عمدة الأحكام عن سيد الأنام" لعبد الغني بن عبد الواحد المقدسي الحنبلي (ت ٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م)، وهو من أشهر كتب الحديث^(٢)، وقد سلك ابن فرحون فيه مسلكاً لم يسبق إلى مثله، وكان معجباً به ويقول عنه: "حررته على منوال لم يُنسَج عليه"^(٣)، وهو آخر ما أُلِّف^(٤)، وله أيضاً كتاب: "التيسير في محكمي البناء والتغيير"^(٥)، وهو في النحو والصرف وأوجه بناء الكلمة، كما يظهر من اسمه، وله أيضاً: "المسالك الجلية في الفوائد العربية"^(٦).

كما أن للبدر أبي محمد بن فرحون العديد من النظم الجيد الكثير، ختم تاريخه "نصيحة المشاور"، بعدة قصائد^(٧).

— ويعدُّ أبو الحسن النور علي بن محمد بن فرحون (ت ٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م) هو الأبرز في النتاج اللغوي، ولا غرو فقد كرَّس حياته لعلوم العربية، حتى إنه ندم على ذلك!^(٨)، وقد لزم الاشتغال بالعربية في المسجد النبوي، فمما له من المصنفات فيها: "نزهة النظر ونجبة الفكر في شرح لامية العجم"^(٩)، وذيلها له، وذكر ابنه في طبقاته أن كتابه "النزهة" هذا اشتمل على: "لغة كثيرة وصناعة بديعة"^(١٠).

(١) فهو شرح لكتاب "الإعراب عن قواعد الإعراب" لابن هشام (ت ٧٦٢هـ/ ١٣٦٠م) في النحو. حاجي خليفة:

كشف الظنون، ج ١، ص ١٥٣.

(٢) المصدر السابق، ج ٢، ص ١٦٩.

(٣) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ١٣١.

(٤) ابن القاضي: درة الحجال، ج ٣، ص ٥١.

(٥) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٨٨.

(٦) ابن القاضي: درة الحجال، ج ٣، ص ٥١.

(٧) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ٢٧٢-٢٧٣؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٨٦.

(٨) الفيروز آبادي: المغام المطابة، ج ٣، ص ١٢٥٠.

(٩) "لامية العجم" هي: لمؤيد الدين بن إسماعيل الحسين ابن علي الطفراي (ت ٥١٤هـ/ ١١٢٠م)، ومطلعها:

(أصالة الرأي صانتني عن الخطل) وحلية الفضل زانني لدى العطل

وهي قصيدة أدبية مشتهرة عند العلماء لذا تناولوها بالشرح والبيان. حاجي خليفة: كشف الظنون،

ج ٢، ص ٤٥١.

(١٠) ابن فرحون: (إبراهيم بن علي)، الديباج المذهب، م ٢، ص ١١٤.

وكان النور علي تربطه صداقة بالصفدي الشامي^(١)، فطلب منه شرحه للامية، وهو الذي أسماه: "الغيث الذي انسجم في شرح لامية العجم"، فكأن الصفدي تأخر عليه في بعث شرحه له، فكتب إليه النور:

قد طال هذا الوعد ياسيدي فانظر لمقصودي وكن مسعدي
أنت صلاح الدين حقاً فكن صلاح دنياي التي تعتدي
وجُدْ بغيث الأدب المنتقى واسقِ رعاك الله قلباً صدي
بدأت بالإحسان فاختم به ياخاتم الخير ويا مبتدي

فكتب إليه الصفدي يعتذر عن تأخره بسبب أن الكتاب ليس عنده، لأن هناك من استعاره، فقال له:

أقسمت لو كان الذي تبتغي عندي لم أمنعه من سيدي^(٢)

ويبدو أنه لم ينقطع التواصل بينهما في هذا الصدد، فقد ذكر الصفدي أن أبا الحسن أرسل تشطيراً^(٣)، له نظماً على "لامية العجم" بحيث أضاف شطرين في صدر البيت وعجزه لكل القصيدة، وقد بعث بها للصفدي يسأله رأيه في ذلك وأولها:

أصالة الرأي صانتني عن الخطل وشرعة الحزم زادتني عن المذل
وحلة العلم أغتني ملابسها وحلية الفضل زانتني لدى العطل
مجدي أخيراً ومجدي أولاً شرع وسؤددي ذاع في حللي ومرتحلي^(٤)

قال الصفدي: وهي كلها على هذا النمط، يأتي إلى كل بيت فيجعل لكل صدر عجزاً ولكل عجز صدرأ، وقد وقع هذا الصنيع من الصفدي موقعه، فأثبتها بكاملها في

(١) هو صلاح الدين خليل بن أيك الصفدي الشافعي، أديب بارع، له العديد من المصنفات المفيدة، توفي بدمشق سنة (٧٦٤هـ/١٣٦٢م). السبكي: طبقات الشافعية، ج ١٠، ص ٥.

(٢) الصفدي: أعيان العصر، ج ٣، ص ٥٠٩؛ ابن حجر: الدرر الكامنة، ج ٣، ص ١٩٠.

(٣) الشطر: نصف البيت ويسمى الأول صدرأ والنصف الثاني عجزاً. والتشطير: هو أن يعمد الشاعر إلى أبيات غيره. فيضيف شطراً لكل صدر أو عجز. انظر في ذلك الهاشمي: السيد أحمد، ميزان الذهب في صناعة شعر العرب، (مكة، مكتبة عباس الباز، ١٣٩٩هـ)، ص ١٩.

(٤) الصفدي: أعيان العصر، ج ٣، ص ٥٠٩ - ٥١٠؛ ابن حجر: الدرر الكامنة، ج ٣، ص ١٩٠ - ١٩١؛ السخاوي: وجيز الكلام، ج ١، ص ١٨.

كتابه "التذكرة" وكتب عليها تقریظاً فقال فيه: "وقفت على هذا النمط الغريب، والأسلوب الذي ما سلك شعبه أديب، والألفاظ التي تُجيد الجيد، ...، والعبارة التي هي أشهى من عصر شباب ما شيب بمشيب، والنظم الذي شاب منه رأس الوليد، لقد ... أفادها أعجازاً وصدوراً، ...، فالله يُعزّج حِمى الأدب منه بفارس الجولة، ويدبم لأيامه بفوائده خير دَوْلِه، بِنَمِّه وكرمه إن شاء الله تعالى" (١).

ولم يكن النور علي ناظماً فحسب، بل كان أيضاً ناقداً أديباً، ذكر الصفدي أنه استعار منه "المقامات الجزرية" ليقف عليها، إلا أنها لم تُرق له، ورآها دون ما كان يظنه فيها فكتب عليها بخطه: (يقول الفقير إلى الله تعالى علي بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن فرحون اليعمرى المدني عفا الله عنه: لما نظرت "مقامات الجزرية"، رأيت ألفاظها حُوشية، وحُلَّ أسجاعها غير مطرزة، ولا موشية، لم يسق روضها ماء البلاغة المستعذب، فما أنبت أرضها زهر اللفظ المَهْدَّب، ومع هذا فطالما كلف نفسه فيها وعذب، وعندي أن من لم يستحسن كذبا لم يكذب:

ظنَّ الفصاحة في الغريب فآثره فلكم من فقره هي فاقره
قرحت قريحته وفات قبولها ياكراً من بعد ذلك خاسره (٢)

وله أيضاً: "الشرح المغني لقصيدة عمرو الجني"، وهي مشتملة على المديح النبوي، و "شرح قصيدة كعب بن زهير"، وهي قصيدة: "بانت سعاد" (٣)، كما وضع "ديوان شعري" في المدائح النبوية (٤)، وأشار أخوه إلى أنه: "كبير، وأنه مشتمل على مدح غيره" (٥).

ومن نظمه في المدائح النبوية الذي ذكره مترجموه:

شرف الرسول ومدحه لا ينفذ ولو أن كل الخلق فيهم مُسعد
الوهم قصر عن بلوغ صفاته وكذا اللسان وإن علا فمقيد

(١) الصفدي: أعيان العصر، ج ٣، ص ٥١٠ - ٥١١.

(٢) المصدر السابق، ج ٣، ص ٥١١.

(٣) ابن فرحون: (إبراهيم بن علي)، الديباج المذهب، م ٢، ص ١١٤.

(٤) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ٢٢٨؛ بدر: (عبد الباسط)، الحياة الثقافية في المدينة

النورة في العصر المملوكي، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة" ع ٥٤، ص ٧٠.

(٥) المصدر السابق، ص ٢٢٨.

والله لا يحصي فضائله امرؤ
ولو أبداً لأحمد يحمد
كل الوجود إذا تحقق ناطق
إن خير العالمين محمد^(١)

أسرة الخجندي:

— كتب الشيخ أحمد بن محمد الخجندي "شرحاً على التلخيص" للقزويني في علوم
البلاغة، إلا أنه لم يتمه، كما كان له نظم ونثر كثير^(٢).

— كما كان محمد بن أحمد الخجندي (ت ٨٩٩هـ/١٤٩٣م) شاعراً، مجيداً كثير
الأدب، له "شرح البائية" ولم يكمله، وشرح "البردة" وغير ذلك^(٣)، وقد ذكر السخاوي
أنه كتب له بخطه عدة قصائد من نظمه، وأورد من ذلك قوله:

عملت^(٤) الخطايا ثم جئتك تائباً
وفي توبتي ما قد علمت من النقص
وإني لأرجو العفو عما جنيته
لأني رأيت الفضل يشمل من يعص
وقوله:

حملت ذنوباً أثقل الظهر حملها
وهذا كتابي للقبائح جامع
ووالله مالي صالح قد عملته
ولكنني في رحمة الله طامع
وقوله:

إذا ضاق صدري أو تبدل خاطري
وأصبح فكري بالهموم يُوزعُ
أفوض أمري كله لمدبّرٍ
وأسلمه نفسي فما شاء يصنع^(٥)

— ويعدُّ البرهان بن أحمد الخجندي (ت ٨٥١هـ/١٤٤٧م) من أبرز الأسرة إنتاجاً
في الأدب، فقد برع في العربية، وتعالى الأدب حتى وصف بأنه: "فاضلاً، بارعاً، ناظماً ناثراً،

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٢٩٨.

(٢) المصدر السابق، ج ١، ص ١٥٣.

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، م ٣، ج ٦، ص ٣١٤.

(٤) في الأصل فراغ مكان (عملت) وقد قيل لي أن وضع كلمة (عملت) يفيد تمام المعنى والوزن إذ هي من البحر الطويل.

(٥) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤١٥ - ٤١٦.

بليغاً^(١)، وقد جمع لنفسه "ديواناً، وأنشأ عدة "رسائل"، بحيث انفرد في المدينة بذلك^(٢)،
ومما أثر في نتاجه الشعري مراسلاته مع الأدباء، فقد كان يتراسل مع سميّه الأديب البرهان
الباعوني الدمشقي^(٣)، ومن شعره اللطيف ما كتب به في الإجازات:

أَجَزْتُ لَهُمْ أَبْقَاهُمْ اللَّهُ كُلَّ مَا رَوَيْتُ عَنِ الْأَشْيَاحِ فِي سَالِفِ الدَّهْرِ
وَمَالِي مَنْ تَرَى وَنَظْمٍ بِشَرْطِهِ عَلَى رَأْيٍ مَنْ يَرَوِي الْحَدِيثَ وَمَنْ يُقْرِئُ
وَأَسْأَلُ إِحْسَانًا مِنَ الْقَوْمِ دَعْوَةً تُحَقِّقُ لِي الْآمَالَ وَالْأَمْنَ فِي الْحَشْرِ^(٤)

وقد تكلم البقاعي في أدب البرهان بشيء من النقد، حيث زعم أن جيّد شعره
قليل، وأنه ينتقل فيه من بحر إلى بحر، ومن لجة إلى فقرة، وأضاف بأنه بالعربية غير واف،
وكثير منه سفساف^(٥)، وتصدير السخاوي كلام البقاعي بقوله: "زعم" يشير إلى أنه لا
يرتضي ذلك منه، ولاسيما وقد شهد ابن فهد له بأنه: "نظم الشعر الحسن"^(٦)، كما أن
المنقول من شعره جيد، وذكر السخاوي أنه أورد منه شيئاً في معجم المدينيين (ولعله أراد
التحفة اللطيفة)، وفيها من شعر البرهان:

بِاللَّهِ حَبِيْبِي غَنِّ لِي عَنْ حَيِّ لَيْلَى وَالسَّمَرِ
وَعَنِ الْعُذَيْبِ وَبَارِقِ وَعَنِ السَّحَابِ مَعَ الْمَطَرِ
وَعَنِ الْعُوَيْرِ وَحَاجِرِ مَعَ سَاكُنِيهِ وَالْعُرْرِ
وَعَنِ الْعَقِيْقِ وَرَمَةِ وَالْمُنْحَنِ وَعَنِ الزُّمَرِ^(٧)

(١) السخاوي: الضوء اللامع، م، ١، ج ١، ص ٢٤.

(٢) السخاوي: تراجم العلماء والمحدثين، ق ٨٨؛ التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٦٤؛ رضا كحالة: معجم المؤلفين، ج ١، ص ١٢.

(٣) هو إبراهيم بن أحمد شهاب الدين الباعوني الشافعي، فقيه، أديب، له مصنفات في العربية والأدب، توفي سنة (٨٧٠هـ/١٤٦٥م). ابن تغري بردي: الدليل الشافي، ج ١، ص ٧.

(٤) ابن فهد: معجم الشيوخ، ص ٣٨؛ السخاوي: التبر المسبوك، ص ١٨٨.

(٥) السخاوي: الضوء اللامع، م، ١، ج ١، ص ٢٤.

(٦) ابن فهد: معجم الشيوخ، ص ٣٨.

(٧) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٦٤ - ٦٥؛ وجيز الكلام، ج ٢، ص ٦١٨.

ومن شعره أيضاً:

كن جوابي إذا قرأت كتابي لا تردن للكتاب جواباً
واعفني من نعم وسوف ولي شغل وكن خير من دُعِي فأجاباً^(١)

— ويمكن أن نعتبر الكتاب التاريخي الذي وضعه الشمس محمد بن إبراهيم الخنجدي (ت ٨٧٠هـ / ١٤٦٥م) في تأريخه لواقعة "سرقه قناديل المدينة" من الكتب الأدبية، فقد وضعه نظماً ونثراً، ووصفه السخاوي بأنه: "جزء بليغ"^(٢).

وكان الشمس محمد شاعراً، مجيداً، ورث حب الشعر ونظمه عن والده البرهان ومن نظمته:

أمل يطول وفي آجالنا قصر والدهر ينكي والأيام معبر
والنفس في غفلة عما يُراد بها والقلب من قسوة كأنه حجر^(٣)

وقوله:

عرفتك يادنيا فلا تتزيني فلست بمغرور بعاجلك الدني
أبي الله إلا أن أراك خسيصة فإن شئت ترهد لي وإن شئت هوني
كأني بصفو العيش منك مُكدر كأني بما زينت من زخرف فيني
فسلمك حرّب واجتماعك فرقة وأمنك خوف بيسر أنت لمتني^(٤)

وأنشد قصيدة لقاضي مكة الجلال بن ظهيرة أبو السعادات أولها:

ظممت لرؤيتك السعيدة مكة واهتز من شوق إليك المنبر
واستوحش الحرم الشريف وأهله والبيت كاد من الجوى يتطفر
والحجر والحجر الشريف وزمزم وكذا المقام مع الصفا متكدر^(٥)

(١) المقرئ: درر العقود، ج ١، ص ١٥٣.

(٢) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤٠٣ - ٤٠٤.

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٣، ص ٢٤٥ - ٢٤٦.

(٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٥٠٣.

(٥) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٥، ص ٢١٣.

— وقد سلك علي بن محمد الخجندي (ت ٨٧١هـ/ ١٤٦٦م) مسلك أبيه في حب
النظم والعربية وقرض الشعر، فكان بارعاً في العربية، والمعنى، والبيان، ووصف نثره بالحسن،
وشعره بالكثير الجيد^(١).

فمما نظمها لما بلغه وفاة أبيه:

إن مات والدي الشفيق فإن لي دمعاً يسيل عليه الوجنت
ولربما كفّ الحزين دموعه صوناً لهمة عن الهفوات^(٢)

أسرة ابن صالح:

— كان محمد بن صالح (ت ٧٨٥هـ/ ١٣٨٣م) أديباً شاعراً، وصفه أحمد الكازروني
بأنه: "أفصح الخطباء، وأبلغ الأدباء"^(٣)، ومن الضروري أن يكون الخطيب عالماً باللغة
والأدب بليغاً، وقد وقفت على بعض أبيات له قرضها في مناسبات عدة فقد كتب إلى
الفخر المصري:

تمتّع بالوصال ولا تبالي بماذا فات من جاه ومال
فقد أصبحت ضيفاً ثم جاراً لخير العالمين ذوي المثال

وله قصيدة يهني بها الشهب بن النقيب حين قدومه للمدينة منها قوله:

يا أيها الخير الشهير لك الهنا بزيارة المصطفى متمكناً

وقد رثى جماعة منهم الجمال المطري، والصدر والعماد بن القاضي شرف الدين بن
الأميوطي، وغيرهم وذلك بالمرثي التي أودعها في آخر تاريخه.
وقال في أمير المدينة:

إن الخليفة ودها تبقى لها وآلى فرد بالشكر وراحم ضعفه
فالوقت سيف يا حبيب ومثلكم شاعت مكارم فتمم (أمره)^(٤)

(١) المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٧٧.

(٢) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٢٩٢.

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٦، ص ١٢، ص ١١٤؛ علي السيد علي: الحياة الثقافية في المدينة، ص ١٥٩.

(٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤٨٦.

— وكان من المهتمين بالأدب أيضاً من أسرة ابن صالح يحيى بن عبد الرحمن بن صالح (ت ٨٤٩هـ/١٤٤٥م)^(١).

أسرة الكازروني:

— ذكر السخاوي أن محمد بن محمد الكازروني له "نظماً" في العشرة المشهود لهم بالجنة، كما أنه صنّف كراسة في الصاعقة التي ضربت المدينة في سنة (٨٩٨هـ/١٤٩٢م)، وهي على شكل نظم ونثر، وقد أرسلها إلى السخاوي ومعها بيتان من الشعر يقول فيها:

سألتك يا من لي بعين الرضى وسد بسدّل الترعيي أو جبر
تمهّد عذري كون أي من البشر فمثلي من أخطا ومثلك من ستر^(٢)

— وقد ألّف أحمد بن مسدد الكازروني (ت ٨٨٧هـ/١٤٨٢م)، كتاب "نثر البديع من الأدب في زهر المراثي والنّذب"^(٣)، وكان لهذا الكتاب دافع لوضعه، وهو أنه قد مات أخوه عبد العزيز بن مسدد بدمشق سنة (٨٨٢هـ/١٤٧٧م) أو التي تليها ولم يبلغ الثلاثين من عمره، فوضع أخوه العفيف أحمد هذا الكتاب، يرثي فيه أخاه عبد العزيز^(٤).

أما كتابه الآخر فهو: "الخدائق الغوالي في المفاخرة بين قُباء والعوالي"^(٥)، وهو كتاب له اتجاه فريد، فهو تصوير مفاخرة بين (قُباء) و(العوالي) على شكل مقامة أدبية رفيعة، وكلا الموضوعين قد وطّاه قدم رسول الله ﷺ، فيصوّر العفيف محاوراً بينهما يذكر الأول فضائله مفتخراً، ويردّ عليه الثاني متحدياً ومنافساً، وهكذا.

وقد ملأه الكازروني بالأساليب البديعية من السجع والمحسنات اللفظية معاً، مشيراً إلى براعته في البلاغة والبديع، كما شحنه بمجموعة من الأمثال العربية، والشعر من إنشائه ومن عند غيره، وقد ربّبه على مقامة تتضمن مقدمة وثمان مقالات وخاتمة، ففي المقالة الأولى

(١) السخاوي: الضوء اللامع، ٥م، ج ١٠، ص ٢٣١.

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، ٥م، ج ٩، ص ٢٧٢.

(٣) الكازروني: (أحمد بن مسدد)، الخدائق الغوالي، ص ٨؛ البغدادي: هدية العارفين، ٥م، ص ١٣٤؛ بدر: (عبد الباسط)، الحياة الثقافية في المدينة المنورة في العصر المملوكي، "مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة"، ٥ع، ص ٧٧.

(٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٨٩؛ الضوء اللامع، ٢م، ج ٤، ص ٢٣٥.

(٥) البغدادي: هدية العارفين، ٥م، ص ١٣٤.

يبدأ قُبَاء بالحوار ويرد عليه العوالي، وهكذا تستمر المحاوراة نفيًا ومناقشة، حتى تنتهي المقالات، وعند الختام يتحاكم قُبَاء والعوالي، مستعرضاً أدلتهم، فترجّح حجة قُبَاء على خصمه العوالي وتظهر أفضليته عليه، ومن ثمّ يعترف العوالي بأن قُبَاء أفضل منه.

ولم يتطرق أحد من العلماء إلى موضوع مثل هذه المفاخرة بين البلدين بأسلوب المقامة إلا نور الدين الزرندي، فقد عمل، كما تقدم مقامة في المفاخرة بين مكة والمدينة^(١).

— وكتاب العفيف الذي وضعه في تاريخ واقعة حريق المدينة سنة (٨٨٦هـ/ ١٤٨١م) والذي أسماه: "ورود النعم وصدور النقم"، يمكن أن نعتبره من كتب اللغة كذلك من جهة العاطفة التي ألّف بها الكازروني كتابه، وهي عاطفة الأديب ولا غرو، فقد كاد يهلك في هذا الحريق.

ومما أثر عنه في مطر ليلة الحريق:

لم أنسَ إذ زادت بجنح الدجى سافرة عن ثغرها بارقة

نادى رقيب الوصل في أثرها يا قوم قد أنذرتكم صاعقة

وله أيضاً: "مرثية"، وهي قصيدة في رثاء شيخه الشهاب الأبشيطي، وقد أورد السخاوي منها قوله:

يا مالك الحسن حال الحول واجتمعت مني ومنك شروطٌ توجب الصدقة

وأنت تعلم فقري من وصالك لي ولست أطلبك غير القوت والنفقة^(٢).

أسرة المراغي:

لقد ظهر لأسرة المراغي مشاركات في الأدب واللغة، وكان أول من ظهرت له هذه المشاركات عميد الأسرة الزين أبو بكر المراغي (ت ٨١٦هـ/ ١٤١٣م) فمن نظمه:

وقف ابن معلق الفقير على الذي أعيت آماليه النهي إعياء

فتقاصرت عن شأوه مدّاحه ولقد سَمَوْا نحو السماء ثناء

(١) الكازروني: (أحمد بن مسدد)، الخدائق الغوالي، ص ١٥-١٦.

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، ١م، ج ٢، ص ٢٢٦.

فثنى الفقيـر عن الثناء عنانه لكنه مد العنان دعـاء

وبخطه كتب التقاصر يرتجي لحظ الكرام إذا رأوه رجاء^(١)

كما يمكن أن نعتبر آخر كتابه "تحقيق النصرة" من المشاركات الأدبية للمراغي أبي بكر بن الحسين، إذ جعل الفصل الثاني من الخاتمة في ذكر ما يشوق إلى المدينة من أشعار^(٢)، كما نلاحظ (الأسلوب الأدبي) الرفيع للزين المراغي في كتابة "تحقيق النصرة"، إذ يقول في مقدمته مبيناً سبب التأليف: "فاستخرت الله تعالى في جمع مقاصدهما بحذف الإسناد، مقرّباً بذلك طريق الإبعاد، تابعاً في الغالب لفظ من ذيل مع تحرير عبارة، وتفتيح إشارة، وقد أثبت في بعض المواضع ما لم يذكره لاختصاره أو غرابته، ليحمل من سلمت جلده من الحسد على تحصيله بعنايته، وضمت إليه من اقتناص سوانح الشوارد، وفرائد الفوائد ما عظم عند الخاصة وقعه، وربما ألبأ إلى الاختصار والمناسبة إلى تقديم وتأخير، وحذف وتطويل وتكرير"^(٣).

— وقد نبغ من أسرة المراغي في الأدب أبو اليمن محمد بن أبي بكر المراغي (ت ٨١٩هـ / ١٤١٦م)، وُصف بأنه: "مهر في الأدب ونظم الشعر المقبول"^(٤)، ومن أشهر ما نظمه وتداولته كتب العلماء ما نظمه في ذكر آبار المدينة، وهي قوله:

إذا رمت آبار النبي بطيبة فعدتها سبع مقالاً بلا وهن
أريسٌ وغرسٌ رومةٌ وبضاعة كذا بُصّةٌ قل بيرحا مع العهن.

وهذان البيتان سمعهما منه والده وأخوه أبو الفتح وأبو الفرج، ونقلهما السخاوي من خطه^(٥)، ونقلها صاحب "الجواهر الثمينة في محاسن المدينة" وذكر أن آبار النبي ﷺ كثيرة إلا أن المشهور منها سبع، وذكر بيتي أبي اليمن المراغي^(٦)، ونقل هذا النظم أيضاً السخاوي في

(١) السخاوي: تراجم العلماء والمحدثين، ق ٢٣؛ الضوء اللامع، م ٦، ج ١١، ص ٣٠.

(٢) حمدان: المدينة المنورة بين الأدب والتاريخ، ص ٩٦.

(٣) الأنصاري: عبد الرزاق بن فراج، معجم ما ألفت عن المدينة المنورة "مجلة العرب"، (رجب، شعبان، ١٤١٦هـ /

ديسمبر، يناير ١٩٩٦م)، س ٣، ج ١، ص ٧٦-٧٧.

(٤) السخاوي: الضوء اللامع، م ٤، ج ٧، ص ١٦٢.

(٥) المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٥٣-٤٥٤.

(٦) كبريت: الجواهر الثمينة في محاسن المدينة، ج ١، ص ٢٧٠.

تنسكه الذي وصفه عند توجهه للحج سنة (٩١٥هـ/١٥٠٩م)، والذي أسماه: "بلغة المقتنع في آداب نسك المتمتع"^(١).

وقد مدح أبو اليمن السخاوي لما ولي مشيخة المدرسة البيبرسية^(٢) بأبيات سجل منها السخاوي قول أبي اليمن:

يا حافظ الوقت ويا من سما بالعلم والحلم وفعل الجميل^(٣)

— كتب أبو الفرج محمد بن أبي بكر المراغي (ت ٨٨٠هـ/ ١٤٧٥م) حاشية مفيدة على كتاب "عروض الأندلسي" لأبي محمد بن عبد الله الأنصاري الأندلسي (ت ٥٤٩هـ/ ١١٥٤م)^(٤).

أسرة السمهودي:

بالرغم من أن أسرة السمهودي لم تترك آثاراً — على حد علمي — في اللغة العربية إلا أن لعل السمهودي (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م)^(٥)، أشعاراً تناثرت بين طيات الكتب في أغراض مختلفة من بينها قصيدة في المديح النبوي، حوت ما يزيد على الستين بيتاً مطلعها:

يُضَامُ بِحُبِّكُمْ يَا غَرْبَ رَامَةٍ نَزِيلٌ أَنْتُمْ صِرْتُمْ مُرَامَةٍ
وَيَعْدُو مِنْ أَعَادِيهِ عَلَيْهِ عِدَاةٌ صَارَ قَصْدُهُمْ اهْتِضَامَةً^(٦)

(١) الشماخ: القبس الخاوي، ج ٢، ص ١٥٤.

(٢) بناها الملك الظاهر بيبرس البندقداري بالقاهرة وبدأ بناؤها سنة (٦٦٠هـ/ ١٢٦١م) وانتهى سنة (٦٦٢هـ/ ١٢٦٣م) وكان بهذه المدرسة خزانة كتب عظيمة، تشمل على أمهات الكتب في مختلف العلوم، كما كان مكتب لتعليم الطلاب الأيتام من المسلمين، وكانت تصرف لهم المعونات والكسوة، وقد أوقف عليها، وهي من أجل مدارس القاهرة والإشراف عليها متداول تارة يكون بين الخنفية وتارة بين الشافعية. المقرئ: تقي الدين أحمد بن علي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار "الخطط المقرئية"، (د. ط.)، (مكتبة الآداب، د. ت.)، ج ٤، ص ٣٦؛ السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (د. ط.)، (دار الفكر العربي، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م)، ج ٤، ص ٢١٦؛ ابن دقماق: نزهة الأنام في تاريخ الإسلام، ص ٤٠؛ العراقي: الذيل على العبر، ق ١، ص ٢٠.

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، م ٤، ج ٧، ص ١٦١-١٦٢.

(٤) المصدر السابق، م ٤، ج ٧، ص ١٦٧؛ حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ٢، ص ١٤٦.

(٥) الجاسر: السمهودي أشهر مؤرخي المدينة، "مجلة العرب"، س ٧، ج ٣، ص ١٧٨.

(٦) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٢٨٠.

ومن نظمه أيضاً:

صبّ من حسن الصناعة إن سبا
والحافظ صبّ من صبايته صبا^(١)

ألا إن ديوان الصباية قد سبا بما
نفوساً سكارى من رحيق شرابه

أسرة السخاوي:

— كان الشمس محمد بن أحمد السخاوي (ت ٨٩٥هـ/١٤٨٩م) ماهراً في علوم اللغة والأدب، ولاسيما الشعر، فكان يقرضه، ولاسيما في باب (المديح)، فامتدح به الأكابر وارتفق في معيشته بذلك، واستمر يمدح ويأخذ على مديحه، حتى تولى القضاء، وعندئذ اتجه إلى قرص (القصائد النبوية) لمدح خير البرية، وقد رسخت قدمه في ذلك وحاذ غيره فضلاً، وقد امتدح الشمس السخاوي المؤرخ، السخاوي بعد أن سمع منه في القاهرة كتابه: "القول البديع" ثم سمعه مرة أخرى بالروضة الشريفة، فقد قرضه بقصيدة عصماء يوم ختمه، ثلّيت بين يدي المؤرخ، وقد احتفظ المؤرخ السخاوي عنه من نظمه أشياء في نحو كراسة، مما سمعها منه بمضى وأثنى عليه^(٢).

وقد أثبت المؤرخ السخاوي شيئاً من نثره الحسن فيما كتب له القاضي السخاوي قائلاً: "وقد أحسنت الأوقات بالمدينة النبوية، وكأنها كانت منامات، وتحصر العبد بل غالب أهل المدينة فيما يليق لمحكم، ولعل - إن شاء الله تعالى - من فضله أن يهيئ العودة مرة أخرى، ويطول المقام بها بكل العيال على أحسن حال، وأسأل الله أن يحفظ سيدنا شيخ الإسلام حافظ نسبه خير الأنام، اللهم احفظه في الإقامة والرحيل يا جليل يا جميل، احرسه بعينك التي لا تنام يا ذا الجلال والإكرام، واجعلنا وإياه في حماية سيد المرسلين"^(٣).

— وكذلك كان ابنه خير الدين محمد السخاوي (ت ٩١٣هـ/١٥٠٧م) محباً للأدب ناظماً للشعر، فقد ذكر السخاوي أن له نظماً ونثراً^(٤).

(١) السخاوي: الضوء اللامع، ٣م، ج ٥، ص ٢٤٨.

(٢) المصدر السابق، ٤م، ج ٧، ص ١١١.

(٣) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤٤١.

(٤) السخاوي: الضوء اللامع، ٥م، ج ٩، ص ٤٨.

المبحث الثالث: العلوم الاجتماعية

كان لعلم التاريخ في المدينة المنورة دور ونصيب بارز في الازدهار الذي شهدته الحياة الثقافية في عصر الماليك، فقد قام معظم مؤرخي المدينة في ذلك العصر بتدوين أهم الأحداث المحلية والسياسية بوجه خاص، بجانب اهتمامهم بالعلماء المسلمين؛ لذا تميّزت مؤلفاتهم باهتمامها البالغ بالتراجم والوفيات والأمور الدينية، ذلك أن مؤرخي المدينة بصفة خاصة قد تشبّعوا بعلوم الدين أولاً ثم اللغة ثم بقية العلوم الأخرى، فاستطاعوا أن يجمعوا بين دراسة العلوم الدينية المختلفة وبين علم التاريخ، فجاز لنا أن نطلق على الواحد منهم عالم الدين المؤرخ^(١).

وفي عصر الماليك كثر العلماء والمؤلفون الذين عنوا بتدوين التاريخ، فألفت العديد من كتب التراجم والسير الشخصية، وتكسّب بعض المؤرخين في تلك الفترة من كتاباتهم، وقد تكاثّر عدد التراجم في ذلك العصر إلى درجة كبيرة^(٢).

وقد حظي الحجاز في عصر الماليك بكثير من المؤرخين والعلماء، الذين دارت كتاباتهم حول المدينتين المقدستين مكة والمدينة، فأرّخوا لهما وترجموا لعلمائهما، ومن أهم هؤلاء العلماء وآثارهم:

أسرة المطري:

اشتهر أفراد من أسرة المطري ببروز مؤلفاتهم في (تاريخ المدينة)، وهي تحوي معلومات جغرافية وتاريخية عن المدينة المنورة، ولاسيّما في كتاب الجمال المطري، وكتاب العفيف، وإذا بحثنا عن السبب المباشر للتصنيف في التاريخ دون العلوم الشرعية الأخرى نجد أن التاريخ لا يتطلب التصنيف فيه التفرغ الكامل، بل يمكن أن يضع الشيخ ترجمة أو معلومة تاريخية ثم في اليوم الذي يليه يضع معلومة أخرى وهكذا، ولذا فلم تكن وظيفة الآذان مثلاً مانعة للجمال والعفيف من وضع التصنيف في التاريخ دون غيره.

(١) علي السيد علي: الحياة الثقافية في المدينة، ص ١٧٤.

(٢) الدوادار: بيرس، زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، تحقيق: زبيدة محمد عطا، (د.ط)، (د.م)، (د.ت)، ج ٩،

ثم إن اختيار (المدينة)، لتكون موضع التصنيف إنما يرتبط بالجانب الروحي من حب للمدينة النبوية ومودة أرض المجاورة للمسجد النبوي، وغير ذلك من المعاني التي تدفع إلى وضع التصنيف لهذه الأرض الطيبة.

ويؤكد ذلك عدم وجود مؤلفات للأسرة في غير تاريخ المدينة، إلا أننا وجدنا للعفيف المطري "ذيلاً على طبقات الشافعية" لابن كثير^(١)، وصفه الزين بن رجب بأنه مفيد^(٢)، وليس ثمة عجب في ذلك؛ فإن حب المذهب الشافعي وكون التصنيف في الطبقات مماثلاً للتصنيف في تاريخ المدن، لذا كان هذا النوع من التصنيف محل اهتمام العفيف أيضاً. — فأما كتاب الجمال محمد بن أحمد المطري (ت ٧٤١هـ / ١٣٤٠م)، "التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة"^(٣)، فقد وصفه مترجموه بأنه : "تاريخ مفيد"^(٤)، والكتاب في الأصل هو ذيل على كتاب "الدرة الثمينة"، وهو كتاب وضعه محب الدين محمد بن محمود الحافظ ابن النجار، لما سأله أهل المدينة أن يجمع لها تاريخاً فرّبه على ثمانية عشر باباً^(٥)، فجاء الجمال المطري فذّله، وذكر فيه أخبار المدينة وما ورد في فضلها^(٦)، وكان هذا الكتاب مما يقرأ عليه^(٧).

— وللجمال المطري (ت ٧٤١هـ / ١٣٤٠م)، كتاب آخر أسماه "إتحاف الزائر"^(٨)، من عنوانه أنه يهتم بتعريف زائر المدينة بما يشرع من أمور في آداب الزيارة، وربما كان به ما

(١) السخاوي: الإعلان بالتوبيخ، ص ١١٣؛ حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ٢، ص ١٢٠.

(٢) علي السيد علي: الحياة الثقافية في المدينة المنورة، ص ١٦٧.

(٣) الأنصاري، (ناجي محمد)، التعليم في المدينة المنورة، ص ٢٤٧؛ الزركلي: الاعلام، ج ٥، ص ٣٢٥ - ٣٢٦. (كتاب مطبوع بالمكتبة العلمية بالمدينة، حوى فوائد جمة، وقد حقق هذا الكتاب عبد الله بن سليمان بن محمد اللهيبي في رسالة ماجستير بجامعة الملك عبد العزيز، كلية الآداب (عام ١٤٠٥هـ).

(٤) المطري: (محمد بن أحمد)، التعريف بما أنست الهجرة، ص ٧؛ ابن حجر: الدرر الكامنة، ج ٣، ص ٤٠٣ - ٤٠٤؛ البغدادى: إسماعيل بن محمد باشا، إيضاح المكثون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب

والفنون، (د. ط)، (دار الفكر)، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، ص ٣٢٦.

(٥) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ١، ص ٥٦٦.

(٦) مصطفى: شاعر، التاريخ العربي والمؤرخون، ج ٤، ص ٤١٦ - ٤١٧.

(٧) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج ٣، ص ٢٤؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤١١.

(٨) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ٦، ص ١٢٠؛ رضا كحالة: معجم المؤلفين، ج ٣، ص ٦٢.

يتعلق بتراجم أهم العلماء الواردين على المدينة، فيلحق بالتاريخ أيضاً، وإنما ذكرت ذلك لما تقدّم أن التصنيف في العلوم الشرعية لم تنشط له همة الجمال المطري، وإنما نشط لكتابة التاريخ.

— وأما العفيف عبد الله بن محمد المطري (ت ٧٦٥هـ / ١٣٦٣م) فكتابه في التاريخ أسماه "الإعلام فيمن دخل مدينة النبي ﷺ من الأعلام"^(١)، وهو ممن استفاد منه السهمودي في تاريخه^(٢)، وقد وضعه على حروف المعجم (أ، ب، ت) وراعى الترتيب كذلك في الآباء والأجداد وبقيّة الأنساب، ثم أرفق الأسماء بالكُنْي والأَنساب ونحوها، ثم النساء، وهو نفس ترتيب المحدثين في تراجم الرواة، ولا غرر فقد كان العفيف إماماً في علم الرجال^(٣)، وهو مما يجعل المراجعة سهلة لمن أراد الاستفادة منه والاعتناء به^(٤)، وقد نقل عنه السخاوي في غير موضع^(٥).

أسرة الزرندي:

— وضع محمد بن يوسف الزرندي (ت ٧٤٧هـ / ١٣٤٦م) كتاباً في المناقب أسماه: "درر السمطين في مناقب السبطين"^(٦)، وقد أسماه صاحب الكشف: "درر السمطين في فضائل المصطفى والمرضى والسبطين"^(٧)، وذكره كحالة باسم: "نظم درر السمطين في فضائل المصطفى والمرضى والبتول والسبطين"^(٨)، وصف فيه فضائل النبي ﷺ وآل بيته،

(١) السبكي: معجم الشيوخ، ص ٢٠٦؛ الزركلي: الاعلام، م ٤، ج ٤، ص ١٢٦؛ بدر: (عبد الباسط)، الحياة الثقافية في المدينة المنورة في العصر المملوكي "مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة" ع ٥٤، ص ٧١.
(٢) الأنصاري: (عبد الرزاق بن فراج)، معجم ما ألفت عن المدينة المنورة "مجلة العرب"، س ٣١، ج ١ ص ٦٦. (والكتاب مفقود).

(٣) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ١٥١.
(٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٥٥؛ الجابري، الحياة العلمية في الحجاز، ص ٥٤٣.
(٥) الشماع: القبس الحاوي، ج ١، ص ٢١٧.
(٦) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج ٥، ص ٦٣؛ السخاوي: تراجم العلماء والمحدثين، ق ٥٦.
(٧) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ١، ص ٥٧١؛ البغدادي: هدية العارفين، م ٦، ص ١٥٧.
(٨) رضا كحالة: معجم المؤلفين، ج ٣، ص ٧٨١.

واختصر بعضهم اسم الكتاب، والأظهر أنه لم يكن (نظماً)؛ إذ لم يعرف عنه رحمه الله الاشتغال بالشعر والنظم^(١).

— وقد ذكر كحالة له مصنفًا باسم: "معارج الوصول إلى معرفة آل الرسول"، ويحتمل أنه يكون المصنف السابق "درر السمطين"، وقد يكون هو أيضاً كتاب "مولد النبي" الذي ذكره كحالة أيضاً، أو هو غيرهما^(٢).

أسرة ابن فرحون:

— للبدر عبد الله بن محمد بن فرحون (ت ٧٦٩هـ/١٣٦٧م)، كتاب في تاريخ المدينة أسماه: "نصيحة المشاور وتعزية المجاور"، وهو كتاب حافل، اعتمد عليه من جاء بعده، إضافة إلى مشاهداته، وهو آخر كتبه تأليفاً^(٣)، وقد ابتدأ كتابه بذكر مسألة فقهية رداً على من أنكر وضع حجرٍ أو أحجارٍ بالمسجد النبوي، لبيان موضع العالم الحاكم أو المفتي، وأطال في ذلك بالنقول والأدلة، ثم ذكر بدع الإمامية التي أراح الله منها، وأطال في ذلك، ثم تكلم عن (الخدام الصالحين)^(٤) وذكر شيوخهم، ثم تكلم عن جماعة من المجاورين وأطال في ذلك، ثم تكلم عن القضاة والأئمة والأمراء، وختم الكتاب بذكر شيء من تراجم والده وأخويه، أعقبه بجملة من أشعاره في قصة محاولة قتله، وفي فضل المدينة.

(١) وقد ذكر الزركلي أنه في مكتبة (طوبقبو) تحت رقم ٢/ ٢٣١. انظر: الأعلام، ٧م، ج ٧، ص ١٥٣.

(٢) رضا كحالة: معجم المؤلفين، ج ٣، ص ٧٨١.

(٣) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ١٠.

(٤) في اللغة واحد الخدم والجمع خدام ويخدمه خدمه فهو خدام، ويقال أخدمت فلان واستخدمته أي سألته أن يخدمني. وفي الاصطلاح. هي وظيفة مشتقة من الخدمة حيث يقوم صاحبها بالخدمة الفعلية في الحرمين. ابن عباد: إسماعيل، الخيطة في اللغة، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، (ط ١)، (عالم الكتب، ١٤١٤هـ/١٩٩٤)، ج ٤، ص ٣٠٨؛ الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج ٤، ص ١٠٤؛ الباشا: الفنون الإسلامية، ص ٤٠٤. ويطلق على خدام الحرم الاغا أو الاغوات، والاغوات كلمة تركية تعني الأخ الكبير وتطلق على صغار الضباط وأحياناً على كبارهم وتأتي بمعنى السيد أو رئيس الخدم وهم فئة من الناس يقومون بخدمة الحرمين الشريفين في مكة المكرمة، والمدينة المنورة ويكون عادة من الخصيان. الأنصاري: (ناجي محمد حسن)، تحفة المحبين والأصحاب، ص ٥٣؛ الدهمان: محمد أحمد، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، (ط ١)، (دار الفكر، دمشق، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م)، ص ١٨؛ العبيكان: طرفة عبد العزيز، الحياة العلمية والاجتماعية في مكة في القرنين السابع والثامن للهجرة، (د. ط)، (الرياض، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م)، ص ٢٦١.

والكتاب هو مشاهدات وذكريات الشيخ عن أحواله وأحوال عصره، وأهل المدينة ممن عاصروهم، وخبر أحوالهم، فهو تاريخ شاهد عيان على هذه الحقبة والتي انتهت قبل وفاته بقليل.

وقد جاء في آخر الكتاب: (وكان الفراغ من تأليفه الحادي عشر من شهر رمضان العظيم أحد شهور سنة (٧٧٤هـ/١٣٧٢م)، ولا شك أن ثمة خطأ في ذلك؛ لأن المؤلف توفي سنة (٧٦٩هـ/١٣٦٧م)، فقد يكون ذلك تاريخ النسخ، أو يكون سبق قلم ويكون الفراغ من قبل ذلك، وعلى كلٍ فهو يشير إلى أن هذا الكتاب متأخر التأليف ويدل عليه أيضاً ما ورد فيه من تواريخ متأخرة فقد ترجم للعديد ممن مات متأخراً كالقاضي تقي الدين (ت ٧٦١هـ/١٣٥٩م)^(١)، وكان آخر من ترجم من أمراء المدينة الأمير زين الدين عطية بن منصور^(٢)، وكانت ولايته في سنة (٧٦٠هـ/١٣٥٨م)، واستمر في ولايته الأولى حتى سنة (٧٧٣هـ/١٣٧١م)^(٣)، وهو ما لم يدركه البدر بن فرحون.

وكان آخر ما وقفت عليه من تاريخ في الكتاب هو ضبط ولاية القاضي شمس الدين محمد بن سليمان الحكوري، وكانت كما يقول ابن فرحون في ذي الحجة سنة (٧٦٦هـ/١٣٦٤م)^(٤)، فيكون تاريخ الانتهاء من تأليف الكتاب هو متأخر عن ذلك أي في سنتي سنة (٧٦٧هـ/١٣٦٥م)، أو سنة (٧٦٨هـ/١٣٦٦م)، أو سنة (٧٦٩هـ/١٣٦٧م)^(٥)، وهي سنة وفاته.

(١) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ٢٢٩.

(٢) هو الأمير عطية بن منصور بن جهاز بن شيحة، اشتهر بالورع والتقوى، ولي المدينة بعد أخيه جهاز بن منصور، وباشر الولاية على خير حال، كان زاهداً في الدنيا طالباً للآخرة، أمنت الناس في عهده على أنفسهم وأهلهم وأموالهم. الفيروز آبادي: المغامم المطابة، ج ٣، ص ١٢٥٥ - ١٢٥٩.

(٣) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٥٧.

(٤) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ٢٣١.

(٥) هذا العرض للكتاب من واقع النسخة المطبوعة وكنت أود رؤية دراسة لمحقق النسخة للكتاب، لكن لم أجد شيئاً، فعملت على الكتاب، وقرأته، وتصفحته كله، وكان في ذلك فائدة، والحمد لله.

— ولأخيه أبي الحسن النور علي كتاب: "تاريخ الأخبار والتعريف بنسب المختار"^(١)، وهو الذي أشار إليه أخوه بأنه: "ديوان كبير في مدح النبي ﷺ"^(٢)، وإنما يمكن تصنيفه في التاريخ؛ لاشتماله عليه، كما يظهر من اسمه، وقد ذكر البغدادي أن اسمه: "الاعتبار وتواريخ الأخبار والتعريف النسبة إلى النبي المختار"^(٣)، فكأنه أشار فيه إلى شرف نسب آل فرحون بزواج أبيهم من الشريفة الحسينية.

— وقد وضع إبراهيم بن علي بن فرحون (ت ٧٩٩هـ / ١٣٩٦م) سفره الضخم في التراجم الذي أسماه: "الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب"^(٤) تداوله العلماء وانتفعوا به في عصره وبعده، وقد اشتغل به السخاوي، حيث لم يرتضِ ترتيب كتابه^(٥)، فرتبّه ترتيباً معتبراً كما ذكر^(٦)، وجرّد زياداته عن "المدارك"^(٧)، وهو عمدة في تراجم المالكية، فجرّد منه السخاوي ما لم يذكره ابن فرحون في مجلد، وهو يشير إلى أن كتاب ابن فرحون فاته الكثير، وقد أشار إلى ذلك أيضاً بقوله: "جمع من أعيانهم نحو ستمائة رتبهم على حروف المعجم"^(٨).

وقد حصرها ابن مخلوف بنيف وثلاثين وستمائة نفس، جمعها نحو عشرين مؤلفاً^(٩)، والكتاب حفل بالتعريف بإمام المذهب، ثم الرواة عنه والمجتهدين في مذهب طبقة بعد طبقة^(١٠)، وقد ذكر بعض المعاصرين أيضاً له كتاباً في "طبقات علماء الغرب"^(١١).

(١) بدر: (عبد الباسط)، الحياة الثقافية في المدينة المنورة في العصر المملوكي، "مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة" ع ٥٤، ص ٧٠.

(٢) وهو محفوظ في خزانة الرباط تحت رقم: ١٣٤٨. انظر الزركلي: الإعلام، م ٥٥، ج ٥، ص ٦.

(٣) البغدادي: هدية العارفين، م ٥٥، ص ٧٠٩.

(٤) ابن فرحون: (إبراهيم بن علي)، الديباج المذهب، م ١٠، ص ٥١.

(٥) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٨٢.

(٦) السخاوي: الإعلان بالتوبيخ، ص ١٠١.

(٧) وهو "ترتيب المدارك والمسالك لمعرفة مذهب الإمام مالك" في تراجم المالكية للقاضي عياض اليعصب (ت ٥٤٤هـ / ١١٤٩م). حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ١، ص ٣٣٢.

(٨) السخاوي: الإعلان بالتوبيخ، ص ١٠١.

(٩) مخلوف: شجرة النور الزكية، ص ٢٢٢.

(١٠) ابن فرحون: (إبراهيم بن علي)، الديباج المذهب، م ١٠، ص ٣-٤.

(١١) بدر: (عبد الباسط)، الحياة الثقافية في المدينة المنورة في العصر المملوكي، "مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة" ع ٥٤، ص ٧٠.

أسرة الخجندي:

— يمكن أن نعتبر "شرح البردة" لأحمد بن محمد الخجندي (ت ٨٠٢هـ / ١٣٩٩م) من المصنفات التاريخية من حيث كون أبياتها تحوي عشرات الأبيات في ذكر المعراج، والجهاد، والمولد النبوي، وهذا ما يستغرق نحو ثلثها، فاعتبار هذا الشرح من كتب التاريخ ممكن في الجملة، وكذا الحال بالنسبة لـ "شرح الشفا"، فقد شرح فيه وكتب منه كراريس^(١).

— وقد وضع أبو الفتح محمد بن إبراهيم الخجندي (ت ٨٧٠هـ / ١٤٦٥م) جزءاً أرخ فيه لواقعة سرقة القناديل في المدينة سنة (٨٦٠هـ / ١٤٥٥م) سماه "عجائب القرن فيمن تمجّم على قناديل الحجرة"^(٢).

أسرة ابن صالح:

— وضع محمد بن صالح (ت ٧٨٥هـ / ١٣٨٣م) كتابين في التاريخ؛ الأول في ترجمة شيخه ومؤدّبه أبي عبد الله القصري أسماه: "الدرة الفصيحة في مناقب شيخ الصدق والنصيحة"، وأما كتابه الآخر فهو: "تاريخ المدينة"، ذكر فيه جماعة ممن رأهم وعرفهم من العلماء والقضاة وخدام الحرم وأعوام المسلمين وغيرهم، وهو التاريخ الذي طالعه السخاوي ونقل منه^(٣).

— وكان عبد الرحمن بن محمد بن صالح (ت ٨٢٦هـ / ١٤٢٢م) ممن أثبت وقائع تاريخية للمدينة، لكن لم يصل لنا أنه كتب كتاباً في ذلك، فقد ذكر السمهودي أنه رأى بخط شيخه ناصر الدين المراغي (ت ٨١٦هـ / ١٤١٣م) أشياء نقلها من خط قاض طيبة الزين عبد الرحمن بن صالح، يتضمن ما كان يرد من الحاصل كل سنة^(٤).

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١٥٣.

(٢) المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٠٤؛ الضوء اللامع، م ٣، ج ٦، ص ٢٤٥ - ٢٤٦.

(٣) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤٨٥.

(٤) السمهودي: وفاء الوفاء، ج ٢، ص ٥٨٦؛ الجاسر: رسائل في تاريخ المدينة، ص ١٨٨.

كما أرّخ عبد الرحمن كذلك لواقعة نهب جهاز بن هبة^(١) الحاصل^(٢) والتي أدت باعتزال المراغي للقضاء في سنة (٨١١هـ/١٤٠٨م)، فقد ذكر السمهودي أنه رأى بخط شيخه ناصر الدين المراغي (ت ٨١٦هـ/١٤١٣م) قائمة بما أخذه جهاز من القبة، شملت عدداً من القناديل، بلغ وزنها أكثر من ٤٣ قنطاراً من الفضة، إضافة إلى صندوقين من الذهب^(٣).

وقد اعتمد السخاوي على هذا التاريخ كثيراً في تحفته اللطيفة^(٤).

أسرة الكازروني:

— صَنَّف الصفي أحمد بن محمد الكازروني (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م) مصَنِّفاً في التاريخ أسماه: "المنتخب"، وهو ما انتخبه من كتاب "صفوة الصفوة" لأبي الفرج عبد الرحمن الجوزي (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م) وهو مختصر من "حلية الأولياء" لأبي نعيم في تراجم الزهاد، ولما كان أبو العباس الصفي من الزهاد، لذا فقد نبعت همته لاختصار كتاب ابن الجوزي، فجمع له في أربع كراريس، وأردفه بنحو كراسة من حكم الزهاد وأقوالهم، وسماه "المنتخب"، وقد وصفه السخاوي بأنه: "لا يستغني عنه من عنده ذوق، ولديه توق"^(٥).

كما وضع الصفي كتابه "توجيه ما منع في مبادئ النظر من تخصيص الروضة بما بين القبر والمنبر"، يردُّ به على الرمي مصَنَّف "المسترشد"، والذي رأى أن الروضة هي كامل

(١) هو جهاز بن هبة بن جهاز بن منصور الحسيني، ولي إمرة المدينة ثلاث مرات كان أولها سنة (٧٨٣هـ/١٣٨١م)، وآخرها سنة (٨٠٥هـ/١٤٠٢م)، مات مقتولاً سنة (٨١٢هـ/١٤٠٩م). ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ١٣، ص ١٧٦؛ عبد الغني: تاريخ أمراء المدينة، ص ٢٩١.

(٢) جمعها حواصل، وهي بمعنى مخزن وحانوت وتشتمل على مصطبة بظاهرها باب والحواصل هي التي يساق إليها محصول الأصناف المتنوعة كالأخشاب والحديد وما أشبه ذلك. محمد محمد أمين وليلى علي إبراهيم: المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية، (د.ط.)، (القاهرة، د.ت)، ص ٢١.

(٣) الجاسر: رسائل في تاريخ المدينة، ص ١٩٠.

(٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٩١، ٩٥؛ ج ٢، ص ١٦٠.

(٥) المصدر السابق، ج ١، ص ١٣٧.

المسجد^(١)، ويمكن أن يصنّف رد الصفي هذا في كتب "الجغرافيا" من جهة اهتمامه بتحديد الأماكن، توجيهاً لقول النبي ﷺ: ((ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة))^(٢).

— وقد وضع الجمال بن أبي السعادات الكازروني كراسة يؤرّخ فيها للصاعقة التي ضربت المدينة في أول الثلث الأخير من ليلة ثالث عشر رمضان سنة (٨٨٦هـ/١٤٨١م) ومات فيها أبوه أبو السعادات، حيث كان يُسبّح بالمنارة الرئيسية عند نزول الصاعقة، ونشب بسببها الحريق^(٣).

— وكتب العفيف أحمد بن مسدد الكازروني، كتاب "الخدائق الغوالي في المفاخرة بين قباء والغوالي"، وهو مقامة أدبية إلا أنه لأجل موضوع الكتاب وهو (المفاخرة)، حشد فيه الروايات التاريخية التي يتبيّن فضل كل من الموقعين^(٤)، وبهذا يمكن أن يصنّف كتاباً تأريخياً من هذا الوجه.

كما وضع كذلك تأريخاً لواقعة حريق نشب بالمدينة سنة (٨٨٦هـ/١٤٨١م)، في كتاب سماه: "ورود النعم وصدور النقم"^(٥).

أسرة المراغي:

وضع عميد الأسرة تاريخاً للمدينة التي قطنها نصف قرن من الزمان، فقد كتب الزين أبو بكر المراغي (ت ٨١٦هـ/١٤١٣م) تاريخاً أسماه "تحقيق النصره بتلخيص معالم دار الهجرة"، وصفه السخاوي بأنه: "تاريخ حسن"^(٦)، والكتاب هو تلخيص لكتابين هما: كتاب "الدرر الثمينة في أخبار المدينة" لمحب الدين محمد بن محمود بن النجار (ت ٦٤٣هـ/١٢٤٥م)، رثبه على (١٨) باباً^(٧)، والكتاب الثاني هو كتاب المطري المسمى

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة: ج ١، ص ١٣٦-١٣٧؛ الضوء اللامع، م ٥، ج ٩، ص ٢٧٢.

(٢) البخاري: الصحيح، ج ١١، ص ٤٦٥، ح ٦٥٨٨.

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، م ٥، ج ٩، ص ٢٧٢.

(٤) الكازروني: (أحمد بن مسدد)، الخدائق الغوالي، ص ١٥.

(٥) السخاوي: الضوء اللامع، م ١، ج ٢، ص ٢٢٥.

(٦) السخاوي: تراجم العلماء واخلاقهم، ق ٢٣؛ المصدر السابق، م ٦، ج ١١، ص ٣٠.

(٧) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ١، ص ٥٦٦.

"التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة"^(١)، وسبق في ترجمة المطري أنه ذُيِّل على كتاب ابن النجار، فيكون الزين قد اختصرهما، وهذَّبهما، بأنه كان: "تابعاً في الغالب للفظ المطري مع تحرير عبارة وتفتيح إشارة، مع ما ضم إليه من اقتناص شوانح الشوارد، وفرائد الفوائد... مع كونه مختصر وقدم وأخر وحذف وطوّل"^(٢)، وقد فرغ المراغي من تبييض هذا الكتاب في رجب سنة (٧٦٦هـ/١٣٦٤م)^(٣).

وللزين المراغي كتابٌ آخر في التاريخ، وهو "روائح الزهر" مختصر الزهر الباسم في سيرة أبي القاسم عليه السلام، وأصله للحافظ علاء الدين مغلطاي (ت ٧٦٢هـ/١٣٦٠م)، وهو مشهور لمكانة مؤلفه وما فيه من الفوائد^(٤)، وقد اعتنى العلماء به شرحاً وتحشية واختصاراً، منهم الزين المراغي، فلخص كتاب مغلطاي، وأخذ زبدته وخلاصته، ووضعها في هذا (الروائح) العطرة، ولا سيما (مغلطاي) أحد شيوخه^(٥).

أسرة السمهودي:

— يعدُّ نور الدين علي السمهودي (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م)، مؤرِّخ المدينة عن جدارة، فقد تصدَّى لجمع تاريخها، وبذل كل جهده في ذلك^(٦)، فمن أشهر ما ألفه في كتب التاريخ والتراجم: "اقتضاء الوفاء بأخبار المصطفى"^(٧)، ويطلق عليه معظم المؤرخين: "اقتضاء الوفاء بأخبار دار المصطفى"^(٨)، ويعتبر هذا الكتاب من أكبر كتب السمهودي وهو كتاب حافل، لخص فيه ما أمكنه الوقوف عليه من تاريخ المدينة ومعالمها وأخبارها، ولكن الكتاب

(١) المراغي: (أبو بكر بن الحسين)، تحقيق النصرة، ص ٤٢.

(٢) الأنصاري: (عبد الرزاق بن فرج)، معجم ما ألف عن المدينة المنورة، "مجلة العرب"، س ٣١، ج ١-٢، ج ١، ص ٧٦-٧٧.

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، ٦م، ج ١١، ص ٢٩-٣٠.

(٤) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ١، ص ٦٨٤.

(٥) السخاوي: الضوء اللامع، ٦م، ج ١١، ص ٢٩.

(٦) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٢٨٠.

(٧) الجاسر: رسائل في تاريخ المدينة، ص ٣٤-٣٥؛ السمهودي أشهر مؤرخي المدينة، "مجلة العرب"، س ٧، ج ٣، ص ١٦٨-١٦٩.

(٨) السمهودي: خلاصة الوفاء، ج ١، ص ١٥-١٦؛ العيدروسي: النور السافر، ص ٩٦-٩٧؛ شاعر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون، ج ٤، ص ٤١٣.

احترق قبل أن تراه عين، وذلك في حريق المسجد النبوي الشهير سنة (٨٨٦هـ / ١٤٨١م)^(١).

و قوة الكتاب تأتي لما فيه من أحداث، جاءت عبر شهود عيان، لم يسبقه إليها أحد من مؤرخي المدينة، والله در الشيخ إبراهيم بن أبي الحرم الشافعي حين قال:
من رام يستقصي معالم طيبة ويشاهد المعدوم كالموجود
فعليه باستخلاص تاريخ الوفا تأليف عالم طيبة السهمودي^(٢)

ثم اختصر الكتاب في آخر سماه "وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى"، وهو كتاب في أربعة أجزاء، رتبته على ثمانية أبواب، وذكر فيه أسماء المدينة وفضائلها وأخبار سكانها، والكتاب في مجمله تلخيص لما اطلع عليه المؤلف من تواريخ المدينة لابن زُبالة ويحيى الحسيني وابن شبة وابن النجار والمطري والمراغي والفيروز آبادي وغيرهم، وقد فرغ من تأليفه سنة (٨٨٦هـ / ١٤٨١م)^(٣).

وقد اختصره السهمودي في "خلاصة الوفاء بأخبار دار المصطفى"، وهو صغير في حجمه لا يتجاوز نصف "وفاء الوفاء"، لكنه برغم صغره فقد حوى مقاصده^(٤).
كذلك ألف السهمودي "ذروة الوفاء بأخبار المصطفى"، وهو عبارة عن كتاب يختص بعمارة المسجد النبوي، وقد كتبه السهمودي بعد الحريق مباشرة^(٥).

وله كذلك "الجوهر الشفاف في فضائل الإشراف"^(٦)، كما له رسائل تتعلق بتاريخ بعض الآثار النبوية مثل "الوفاء بما يجب لحضرة المصطفى"^(٧)،

(١) السهمودي: وفاء الوفاء، ج ١، ص ٢؛ بدر: (عبد الباسط)، الحياة الثقافية في المدينة المنورة في العصر المملوكي

"مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة" ع ٥٤، ص ٧٨-٧٩.

(٢) الأنصاري: (عبد الرحمن)، تحفة الخبير والأصحاب، ص ٢٧١.

(٣) السهمودي: وفاء الوفاء، ج ٤، ص ١٤٢.

(٤) المصدر السابق، ج ١، ص ٤-٥.

(٥) سندي: هدى، موارد السهمودي، ص ١٠٨؛ بدر: (عبد الباسط)، الحياة الثقافية في المدينة المنورة في العصر

المملوكي "مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة"، ع ٥٤، ص ٧٨-٧٩.

(٦) السهمودي: الجوهر الشفاف في فضائل الإشراف، (مخطوط بمركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي

بجامعة أم القرى، رقم: ٥٦، تاريخ تراجم)، ومكتبة الحرم المكي، رقم: (٣٩).

(٧) الجابري: الحياة العلمية في الحجاز، هامش رقم ٦، ص ٥٥٤.

ورسالة تتعلق بتنظيف داخل الحجرة النبوية التي تحوي القبور الكريمة الثلاثة هي "النصيحة الواجبة القبول في بيان وضع منبر الرسول"، وله أيضاً: "كشف الجلباب والحجاب عن القدوة في الشباك والرحاب"^(١).

أسرة السخاوي:

— وضع عبد المعطي بن أحمد السخاوي (ت بعد ٩٤٢هـ/١٥٣٥م) كتاباً في تاريخ المدينة وغيرها^(٢).

علم الجغرافيا:

من أبرز الأسر العلمية التي ألّفت في الجغرافيا، نذكر ما يلي:

أسرة المطري:

— ويمكن اعتبار كتاب "التعريف بما آنتست الهجرة من معالم دار الهجرة" للجمال محمد بن أحمد المطري (ت ٧٤١هـ/١٣٤٠م)، من المصنّفات في الجغرافيا أيضاً إضافة كونه مصنّفاً تاريخياً، فقد تضمّن جغرافياً للمدينة المنورة بأوديتها، ومساجده، وحدودها، وحرّمها، وأبارها، وعيونها، وخذقها الذي حفره الرسول ﷺ^(٣).

ويعد كتاب العفيف عبد الله بن محمد المطري (ت ٧٦٥هـ/١٣٦٣م) "الإعلام فيمن دخل مدينة النبي ﷺ من الأعلام"^(٤)، من الكتب الجغرافية، بل قد وردت به معلومات جغرافية ليست عند غيره، فقد نقل أحمد بن محمد شهاب الدين قاضي مكة الطبري عن المطري ما يتعلق بموضع (بئر رومة) الوارد فيها الحديث في الصحيح: ((من يحفر بئر رومة فله الجنة))^(٥)، فقد اعتمد الطبري على نقل المطري أنّها قد خربت^(٦)، مما يدل على اشتغال الكتاب على المعلومات الجغرافية.

(١) المرجع السابق، ص ٥٥٤.

(٢) التنبكي: كفاية المحتاج، ج ١، ص ٣٠٥؛ رضا كحاله: معجم المؤلفين، ج ٢، ص ٣١٤.

(٣) الجابري: الحياة العلمية في الحجاز، ص ٥٥٩.

(٤) السبكي: معجم الشيوخ، ص ٢٠٦؛ الزركلي: الأعلام، م ٤، ج ٤، ص ١٢٦؛ بدر: (عبد الباسط)، الحياة

الثقافية في المدينة المنورة في العصر المملوكي "مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة" ع ٥٤، ص ٧١.

(٥) البخاري: الصحيح، ج ٥، ص ٧٧، ح ٢٧٧٨.

(٦) الفاسي: العقد الثمين، ج ٣، ص ١٦١، ح ١٦٣.

أسرة الزرندي:

— ويمكن أن تعتبر في الجملة أن كتاب "المرور بين العلمين في مناظرة الحرمين" لعلي بن يوسف الزرندي (ت ٧٧٢هـ/١٣٧٠م)^(١)، من كتب الجغرافيا، إذ اشتمل على وصف العديد من الأماكن في البلدين، وإن لم يكن في الأصل موضوعاً لذلك.

أسرة الكازروني:

— ألف أحمد بن مسدد الكازروني كتابه "الخدائق الغوالي في المفاخرة بين قباء والعوالي"^(٢)، والكتاب وإن كان مقامه أدبية، إلا أنه استهدف موضعين جغرافيين بالمدينة، وهما من أبرز الأماكن المشهورة بالمدينة منذ عصر صدر الإسلام^(٣).

أسرة المراغي:

— كما يمكننا أن نعتبر تاريخ "تحقيق النصرة" لأبي بكر المراغي (ت ٨١٦هـ/١٤١٣م) من كتب الجغرافيا أيضاً، بل كونه كتاباً جغرافياً أشد من كونه كتاباً تاريخياً؛ لأننا إذا عرضنا أبواب الكتاب، نجد أنها ألصق بالجغرافيا في الجملة، ففي المقدمة جعل المراغي الفصول الثلاثة في فضل المدينة وسكانها، ثم في أسماء المدينة، ثم في فضل المسجد الشريف، وجعل الباب الأول في الهجرة، والثاني في وفاة النبي ﷺ وصاحبه، وهذه الفصول والأبواب لها تعلق بالتاريخ، وكذلك لها تعلق بالجغرافيا في ذكر مسجد النبي ﷺ وقُباء ومسجد الجمعة وذكر البقيع، وأما الباب الثالث، وهو ما جاء في فضل جبل أحد وذكر المساجد والآبار، وكذلك الباب الرابع في ذكر أودية المدينة وحدود حرمها وجبالها وجهاتها^(٤)، وهذه ألصق بالجغرافيا منها بالتاريخ.

وأهم ما يميز الكتاب جغرافياً أن المؤلف وقف على بعض المعالم وتحدث عنها، ووصفها مشاهدة وعياناً وتابع ما طرأ على معالم المدينة من أطواره وأحوال وأحداث إلى عصر المراغي في أوائل القرن التاسع الهجري، كما أن المراغي ذكر اختلافاً في تحديد بعض الأماكن، فيذكر الخلاف ويميل أو يرجح بعضها، وكذلك عن أسماء بعض المعالم، وربما

(١) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ١٠٦؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٣٠٥.

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، م ١، ج ٢، ص ٢٢٥.

(٣) الكازروني: (أحمد بن مسدد)، الخدائق الغوالي، ص ١٥.

(٤) انظر المراغي: (أبو بكر)، تحقيق النصرة، ص ٢٥.

اعتمد في ذلك على ما يأخذه عن شيوخه أو بعض المصادر، كما يحدد المسافات بين المدينة وبعض المعالم حولها، وينبّه على بعض الآثار التي اندثرت وعلى سبب تسمية بعض المعالم^(١).

علم الطب:

ومن أبرز الذين ألفوا فيه:

— إبراهيم بن علي بن فرحون (ت ٧٩٩هـ / ١٣٩٦م)، له "منتخب مفردات ابن البيطار في الطب والأدوية المفردة"^(٢).

(١) المراغي: (أبو بكر)، تحقيق النصرة ص ٣٠، ٣٦.

(٢) ابن فرحون: (إبراهيم بن علي)، الديباج المذهب، م ١، ص ٣-٤، السخاوي: تراجم العلماء والمحدثين، ق ٢٣.

ومفردات ابن البيطار للطبيب ضياء الدين عبد الله بن أحمد المالقي (ت ٦٤٦هـ / ١٢٤٨م)، وقد وصف بأنه

أجمع وأنفع الكتب الطبية. حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ٢، ص ٦٢٣-٦٢٤.

الفصل الثالث

أثر الأسر العلمية على الحياة العامة

وفيه:

- المبحث الأول: أثرها في الحياة الدينية.
- المبحث الثاني: أثرها في الحياة السياسية.
- المبحث الثالث: أثرها في الحياتين الاجتماعية والاقتصادية.

المبحث الأول: أثر الأسر في الحياة الدينية.

لا شك أن العلم يؤثر في حياة الناس العامة، إلا أن أكثر تأثيره إنما هو في الحياة الدينية للارتباط الوثيق بينهما، وتأثيره يختلف من بلد لآخر، إلا أن تأثيره في المدينة المشرفة كان أوسع وأكبر لمكانة الحرم النبوي ومكانة المدينة في قلوب الناس عامة وقلوب ساكنيها خاصة، ولذلك كان تأثير الأسر العلمية على الحياة الدينية واسعاً من حلقات ودروس ووظائف دينية وغير ذلك، ولذا كان من المحتتم بحث ذلك، ولاسيما وأن الأسر العلمية كانت في الواقع بمجملها تقود الناس في المدينة، فهم الحكام الحقيقيون لحياة الناس رغم وجود الأشراف في سدة الحكم.

أولاً: دور الحلقات في المسجد النبوي وأثرها الديني:

المسجد هو أقدم المؤسسات التعليمية في الإسلام، حيث ارتبط به التعليم ارتباطاً وثيقاً، فأصبح هو المكان الرئيسي لنشر الثقافة الإسلامية، وذلك بقيام حلقات العلم فيه، ومنذ أن قام كانت هذه مكانته على مرّ السنين، وفي مختلف البلاد الإسلامية^(١). ولم يزل المسجد منبراً للعلوم الشرعية، يُدرس فيه قواعد الإسلام، وأحكام الدين وفيه كانت تبحث أمور المسلمين بشتى أنواعها سياسية واجتماعية، وفيه تعقد محكمة للقضاء العادل، وفيه يجتمع المقاتلون وتعقد لهم الأولوية ومنه يكون البعوث، وفي المسجد كان النبي ﷺ يستقبل السفراء والوفود، وعلى منبره كانت تلقى الخطب، بينما تغص الروضة الشريفة بالحضور لحلقات ومجالس العلم^(٢)، وفوق كل هذا هو بيت الله الذي لا يحتاج أحد أن يطلب الإذن لدخوله.

(١) الشامخ: محمد عبد الرحمن، التعليم في مكة والمدينة آخر العهد العثماني، (ط٢)، (دار العلوم الرياض،

١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)؛ شلي: أحمد، موسوعة النظم والحضارة الإسلامية "التربية الإسلامية نظمها، فلسفتها،

تاريخها"، (ط٦)، (مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٨م)، ص ١٠٢.

(٢) علي السيد علي: الحياة الثقافية في المدينة المنورة، ص ١٢٣.

وأول مسجد بني في الإسلام هو مسجد قباء^(١)، ثم بني النبي ﷺ مسجده بيديه الشريفتين، وقد كرم الله هذا المسجد وهو أهل لهذا التكرم، فجعله من المساجد الثلاثة التي تشدُّ إليها الرحال، كما جاء في الحديث الشريف^(٢)، وقد قام المسجد النبوي الشريف بتهيئة مكان تعليم المسلمين أمور دينهم ودنياهم، ونشر العلم، وقد كان أعظم مدرسة على مرّ التاريخ حيث كان الرسول ﷺ يقيم حلقات العلم بنفسه، ويشجّع من يقيمها، ويجلس إليهم فيها، ويرغب في القيام بها والحضور إليها بشقّ السبل، ويبين فضلها ويحذر من التقصير فيها^(٣)، وقد ورد في كثير من الكتب الصحاح وكتب السنة العديد من أحاديثه ﷺ التي تدعو لذلك، منها ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((وما اجتمع قومٌ في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا حفتهم الملائكة، ونزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده))^(٤).

وقد أصبح المسجد بعد الهجرة مكاناً لتلقي العلم والتدبر لآيات القرآن وأحكامه، ولدراسة الحديث النبوي، فقد كان المعلم يجلس في ركن من أركانه، ويتحلق الطلاب حوله على شكل حلقة تصغر وتكبر حسب المعلم ومقدرته والمادة المدروسة وروادها، وكانت هذه تعقد أسوةً بالرسول ﷺ، ومن بعده بالخلفاء الراشدين، وقد تعلم في هذه الحلقات الكثير من الصحابة، ومنهم على سبيل المثال: الخليفة علي بن أبي طالب وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما^(٥)، وهكذا مارس المسجد النبوي دوره على مرّ العصور.

(١) مسجد قباء هو: أول مسجد بني في الإسلام، عند قدوم النبي ﷺ المدينة مهاجراً، وقد أسس على التقوى، والصلاة فيه تعدل بعمره. الفيروز آبادي: المغامم المطابة، ج ٣، ص ١٠١١ - ١٠١٢؛ ابن بطوطة: محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي، الرحلة، "تحفة النظر في غرائب الأمصار" (ط ٣)، (بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م)، ص ١٤٤ - ١٤٥؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٤٥.

(٢) أي قوله ﷺ: ((لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد...)) أخرجه البخاري ومسلم.

(٣) الجابري: الحياة العلمية في الحجاز، ص ٣٢٦.

(٤) ابن ماجة: السنن، ج ١، ص ٨٢، ح ٢٢٥؛ النووي: أبي زكريا محي الدين بن شرف، رياض الصالحين، تحقيق:

محمد ناصر الدين الألباني، (ط ٣)، (بيروت، دمشق، المكتب الإسلامي، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)، ص ٣٢٩.

(٥) الإبراشي: محمد عطية، التربية الإسلامية وفلاسفتها، (ط ٣)، (إحياء الكتب العربية،

١٣٩٥هـ/١٩٧٥م)، ص ٧٥.

وفي عصر سلاطين المماليك كان المسجد الحرام والمسجد النبوي جامعتين كبيرتين لنشر العلوم الإسلامية^(١)، وقد اجتمع فيها العلماء والطلاب من كل حذب وصوب، وقد اهتم سلاطين المماليك بالمسجد النبوي وأولّوه كل عناية ورعاية؛ كي يقوم بمهامه كاملاً^(٢).

وقد وصف لنا الرحالة ابن بطوطة حينما زار المدينة المنورة سنة (٧٢٨هـ) / (١٣٢٧م)، وصف المسجد النبوي وما به من حركة دؤوبة في مجال العلم والتعليم، فقال: "والناس قد حلّقوا في صحنه حلّقاً، وأوقدوا الشمع الكبير، وبينهم ربعات القرآن الكريم يتلونه، وبعضهم يذكرون الله،..."^(٣).

وقد كان حلقات العلم بالمسجد النبوي الأثر البالغ في تعليم وثقافة أهل المدينة وكان أثرها الديني واضحاً^(٤).

والمسجد النبوي بحلقاته، وبما يقدمه من علم، لم تُعد الحلقات فيه قاصرةً على علوم الشريعة فحسب، بل تبعثها كذلك علوم اللغة والأدب والفلك والحساب، وإن كانت هذه الأخيرة أقلّ حلقات من الأولى^(٥).

واستمرت حلقات العلم في المسجد النبوي في الانعقاد منذ ذلك الوقت إلى يومنا هذا، وهذا الإقبال على الدراسة في المساجد أكثر من الإقبال على الدراسة في المدارس، له ما يفسّره ويميّزه، ذلك أن حلقات العلم في المساجد كانت ميسرةً للطلاب حسب أعمالهم ومصالحهم وسنّهم، كما أنه ليس هنالك قيود على أعداد الطلاب، بل المسجد مفتوح لمن يرغب، وحقّ التعليم مكفول للجميع.

وقد تنوّعت هذه الدروس التي كانت تلقى في حلقات المسجد النبوي فمنها:

(١) الجابري: الحياة العلمية في الحجاز، ص ٣٣٠.

(٢) علي السيد علي: الحياة الثقافية في المدينة المنورة، ص ١٢١، ١٢٣.

(٣) ابن بطوطة: الرحلة، ص ١٤٦.

(٤) آل مشاري: مئى، المجاورون في مكة والمدينة، ص ١٣٤.

(٥) سندی: هدى، موارد السهودي، ص ٣٦.

١- دروس في علم القراءات، وقد حظيت بعناية العلماء، حيث أشار الرحالة ابن جبير إلى أن تأثير القراء والوعاظ كان لهم أثر عظيم في الحياة الثقافية والعلمية^(١).

٢- درس الفقه وأصوله، وقد تناول العلماء هذا العلم، حسب المذاهب المعروفة فمنهم: الشافعي والمالكي والحنفي والحنبلي، وهناك الكثير من الفقهاء الذين سيأتي ذكرهم وقد قاموا بتدريس هذه المذاهب الأربعة في المسجد النبوي^(٢).

وفي مجالس الفقه لم يكن يكتفي بالسماع فقط، بل كان الطلبة يدونون ما يدور في هذه المجالس، وهذا أشبه بنظام تدوين المحاضرات حالياً^(٣)، وربما أُملي عليهم الشيخ من الحواشي والتعليقات والشروح المفيدة على الكتب، ممَّا ولَّد الكثير من المصنفات العلمية لاحقاً.

٣- دروس علم الحديث، وقد اهتم علماء الحجاز ومجاوروه اهتماماً كبيراً بالحديث، وبذلوا كل ما بوسعهم في سبيل نشره، ومن ذلك عقد الحلقات التعليمية بالمسجد الحرام والمسجد النبوي، كما أنهم حدَّثوا بالكثير من مروياتهم من كتب السنن الكبيرة المشهورة، وقد ساعد على انتشار هذا العلم وجود أشهر الحديثين في المسجد النبوي^(٤)، وكانت الكتب الكثيرة تُختَم في الروضة الشريفة، من صحيح البخاري ومسلم، والشفاء لعياض، وغيرها كما يأتي ذكره.

وقد وصفت كتب المعاصرين بعض القواعد التي ينبغي أن يلتزم بها المحدث أثناء درسه لطلبة الحديث، من ذلك حسن المعاملة وتقريب الحديث إليهم، ولا يخل عليهم بعلم ويصرهم بمواقع الجرح والتعديل والتوجيه والتعليل والصحيح والمعتل وما إلى ذلك^(٥)، مما يشير إلى أهمية هذه الدروس ومكانتها بالحرم النبوي الشريف.

(١) ابن جبير: الرحلة، (د. ط)، (دار صادر، بيروت، د. ت)، ص ١٥٩ - ١٦٠؛ الجابري: الحياة العلمية في الحجاز، ص ٣٣٥.

(٢) سندي: هدى، موارد السموودي، ص ٣٧.

(٣) علي السيد علي: الحياة الثقافية في المدينة المنورة، ص ١٢٧.

(٤) الجابري: الحياة العلمية في الحجاز، ص ٣٤٥.

(٥) علي السيد علي: الحياة الثقافية في المدينة المنورة، ص ١٢٧.

٤ — كما كان هنالك دروس في اللغة والأدب، فمن جنبات المسجد خرج الأدباء، وفي حلقاته ظهر النحاة واللغويون وغيرها.

ويمكن أن ندرك وجود نوعين من الحلقات بالمسجد النبوي:

أ — الحلقات العامة:

وهي الحلقات العامة التي يتطوع فيها العلماء دون أجرٍ أو تكليفٍ من أحد وهي حلقات دائمة تستمر باستمرار مدرّسيها على قيد الحياة.

ومن العلماء الذين ساهموا في التدريس في هذه الحلقات^(١):

أسرة المطري:

— لم نتحفا المصادر عن حلقة علم لمؤسس الأسرة أحمد بن خلف المطري، وإنما كان ذلك في ترجمة ابنه محمد بن أحمد جمال الدين المطري (ت ٧٤١هـ / ١٣٤٠م)، فقد كان يجلس للتدريس بالمسجد النبوي^(٢)، وكان ذلك بالروضة الشريفة، فقد ذكر ابن فرحون أن الداخل: "كان إذا دخل المسجد الشريف وجد الروضة المشرفة قد غصّت بالمشايخ المعتبرين مثل الشيخ جمال الدين المطري"^(٣)، وقد يكون جلوسه للتدريس، كما قد يكون للعبادة من حيث إن عبارة ابن فرحون تقتضي وجود عدد من الشيوخ يجتمعون بهذا المكان الذي ليس فيه متسعٌ للتدريس للجميع غالباً، إلا أنه قد يُحمّل على اختلاف الوقت والذي يؤيده:

— أن عفيف الدين عبد الله بن محمد المطري (ت ٧٦٥هـ / ١٣٦٣م)، كان يُلقي دروس الحديث بالروضة، وسمع منه جمع من التلاميذ "مسند الشافعي" بالروضة سنة (٧٥٣هـ / ١٣٥٢م)، منهم أخوه تقي الدين عبد الرحمن^(٤).

(١) من الجدير بالذكر أن التنصيب على العالم كان مدرّساً يعني بالمسجد النبوي، لأنهم ينصوا على تدريسه بالمدارس باسم المدرسة، كما أنه باستقراء من وجدت النص على أنه كان يدرس، وجدت في مكان آخر النص على أنه كان بالروضة مثلاً، لذا حملت كل ما وجدته نصوا على أنه كان مدرّساً على تدريسه بالمسجد النبوي، لأنه المفهوم عند الإطلاق ولما تقدم.

(٢) الأنصاري: (تاجي محمد)، التعليم في المدينة، ص ٢٤٧.

(٣) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ١٩٦.

(٤) المقرئ: درر العقود، ج ٢، ص ٣٣٢؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٤٨.

— كما درس بالمسجد النبوي أبو حامد محمد بن عبد الرحمن المطري (ت ٨١١هـ/١٤٠٨م)، فقد جاء في ترجمته أنه: "حدث، ودرّس"^(١).
— كذلك ولده المحب محمد بن عبد الرحمن المطري (ت ٨٥٦هـ/١٤٥٢م)، فقد وصفه السخاوي بأنه كان: "إماماً، عالماً، مدرّساً"^(٢).

أسرة الزرندي:

— تولى يوسف بن الحسن الزرندي (ت ٧١٢هـ/١٣١٢م) تدريس الحديث بالمسجد النبوي الشريف^(٣).
— كما تولى محمد بن يوسف الزرندي (ت ٧٤٧هـ/١٣٤٦م) التدريس بالحرم النبوي بالمدينة^(٤)، ودرّس كذلك بفارس، حيث نصّبهُ سلطانها مدرّساً للحديث في مسجد والده^(٥)، وكان بالمدينة رئيساً بعد أبيه، ودرّس في الفقه والحديث^(٦).
— كما درس محمد بن أحمد الزرندي (ت ٧٨٣هـ/١٣٨١م) بالمدينة كذلك رغم أنه كان مع عمه بشيراز حتى وفاته سنة (٧٤٧هـ/١٣٤٦م)^(٧).
— وقد اجتمع مترجمو النور علي بن يوسف الزرندي (ت ٧٧٢هـ/١٣٧٠م) على أنه كان: "مدرّساً له الدروس المفيدة"^(٨)، وكذلك ذكر المقرئ أن له دروساً مفيدة^(٩)، وأن دروسه أحيّت علم أبي حنيفة النعمان بعد ذهابه، وعلى أهمية الفوائد التي يلقيها ويغرسها في قلوب الطلاب^(١٠).

-
- (١) السخاوي: الضوء اللامع، م ٤، ج ٧، ص ٢٩٩-٣٠٠؛ المديرس: المدينة المنورة في العصر المملوكي، ص ٢٦٢.
(٢) السخاوي: التبر المسبوك، ص ٤١٦-٤١٧؛ المصدر السابق، م ٥، ج ٩، ص ١٠٢.
(٣) ابن حبيب: تذكرة النبيه، ج ٢، ص ٤٨.
(٤) الزركلي: الاعلام، م ٧، ج ٧، ص ١٥٢-١٥٣؛ رضا كحالة: معجم المؤلفين، ج ٣، ص ٧٨١.
(٥) الفيروز آبادي: المغام المطابة، ج ٣، ص ١٢٨٥-١٢٨٦.
(٦) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج ٥، ص ٦٣.
(٧) المصدر السابق، ج ٣، ص ٤٦٢؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤٤٢-٤٤٣.
(٨) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج ٢، ص ٣٠٥.
(٩) المقرئ: العقود الفريدة، ج ٢، ص ٤٧٧.
(١٠) الفيروز آبادي: المغام المطابة، ج ٣، ص ١٢٦٠.

— كما قام ابنه محمد بن علي الزرندي (ت ٧٨٣هـ / ١٣٧١م) بتدريس فقه الحنفية، وكان ذلك بعد موت أبيه سنة (٧٧٣هـ / ١٣٧١م)^(١).

— وكذلك كان شأن حفيده علي بن محمد الزرندي (ت ٨٢٣هـ / ١٤٢٠م) فقد تصدّر للتدريس، يقول عنه السخاوي: "حدث ودرّس"^(٢).

— كما اضطلع بالتدريس، ومهامه سعيد بن محمد الزرندي (ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م) حيث برع في استحضار المذهب الحنفي ودرس للطلبة^(٣).

— ثم تولى التدريس ابنه علي بن سعيد الزرندي (ت ٩١٦هـ / ١٥١٠م)، وكانت حلقاته بالمسجد النبوي في الفقه والحديث^(٤).

— وقد درّس بالمسجد أيضاً محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب الزرندي، وذلك بعد أن أذن له في ذلك^(٥)، وهذا يقتضي أن التدريس بالمسجد كان يفتقر إلى الإذن، ولعله أريد الإذن من العلماء كحال محمد بن أحمد الخجندي (ت ٨٩٩هـ / ١٤٩٣م) الآتي ذكره.

أسرة ابن فرحون:

— كان نور الدين علي بن محمد بن فرحون (ت ٧٤٦هـ / ١٣٤٥م)^(٦) صاحب درس مشهود في الفقه والعربية بالمسجد النبوي^(٧)، عادة ما يحضره كبار الفقهاء من المالكية إضافة إلى طلبة العلم ومحبيه، لما كان يحتويه من فوائد علمية مع حسن أداء وطريقة من قبل الشيخ، حتى أن السراج الدمهوري كان يوصي طلبة العلم بحضور حلقات ابن فرحون

(١) المقرئ: العقود الفريدة، ج ٣، ص ٢٦٤.

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٣، ص ٣٢٧.

(٣) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٤٠٤؛ المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٥٦.

(٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٣، ص ٢٧٧؛ الضوء اللامع، ج ٣، ص ٢٢٥.

(٥) المصدر السابق، ج ٤، ص ١٠٩ - ١١٠.

(٦) الصفدي: أعيان العصر، ج ٣، ص ٥٠٩؛ ابن حجر: الدرر الكامنة، ج ٣، ص ١٩٠؛ ابن القاضي: درة الخجال

في أسماء الرجال، ج ٣، ص ٢٤٢.

(٧) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ٢٦٠ - ٢٦٩؛ ابن فرحون: (إبراهيم بن علي)، الدياج

المذهب، ج ٢، ص ١١٣ - ١١٤؛ الفيروز آبادي: المغامر المطابة، ج ٣، ص ١٢٤٩ - ١٢٥٠.

ويقول لهم: (إذا حضر الفقيه زين الدين فاحضروا معكم الدواة والورق، حتى تقيّدوا من فوائده ومن أشعاره واستشهاداته)^(١).

- كما تصدّر برهان الدين إبراهيم بن علي بن فرحون (ت ٧٩٩هـ / ١٣٩٦م)^(٢) للتدريس بالمسجد سنة (٧٩٣هـ / ١٣٩٠م)^(٣)، فقد استطاع أن يبرز دقائق المذهب المالكي من خلال ما كان يلقيه من دروس^(٤).

أسرة الخجندي:

— يعدُّ أحمد بن محمد الخجندي (ت ٨٠٢هـ / ١٣٩٩م) من كبار المدرسين بالمدينة، وصف بأنه: "رأس المدرسين في المدينة النبوية، وصدر المتصدّرين بالروضة الشريفة"^(٥) لعدة سنين^(٦)، وذكر السخاوي أنه: "استمر يدرّس ويروي بالمدينة أكثر من أربعين سنة"^(٧). وعبارة السخاوي تدل على استمراره في التدريس أربعين سنة، وهذا يعني أنه ولي التدريس وقت مقدمه للاستيطان أي سنة (٧٦٦هـ / ١٣٦٤م)، فتكون شهرته سابقة عليه، أو عرفه الطلاب في قدومه المدينة قبل ذلك، حين قدمها زائراً سنة (٧٦٣هـ / ١٣٦١م)، فلما نزلها عام (٧٦٦هـ / ١٣٦٤م)، كان معروفاً بما مما أهّله لتولي التدريس مباشرة بها. واستمراره هذا الوقت الطويل بالتدريس هيئته لأن يدرّس الأجيال المتعاقبة، وهو ما يعبر عنه السخاوي بقوله: "ونشر العلم وإحقاقه الأصغر بالأكبر"^(٨).

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٢٩٧.

(٢) ابن فرحون: (إبراهيم بن علي)، الديباج المذهب، ١م، ص ٣-٤.

(٣) ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٦، ص ٣٥٧؛ بدر: (عبد الباسط)، الحياة الثقافية في المدينة المنورة في العصر المملوكي "مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة"، ع ٥٤، ص ٣٧٣.

(٤) الأزهري: محمد البشير ظافر، طبقات المالكية "اليواقيت الثمينة في أعيان مذهب عالم المدينة"، (ط ١)، (القاهرة، الأوقاف العربية، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م)، ص ١٠؛ المزيني: الحياة العلمية في القرنين السابع والثامن الهجريين، ص ٢٢٦-٢٢٧.

(٥) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١٥٢.

(٦) الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، ج ٢، ص ١٢٨.

(٧) السخاوي: وجيز الكلام، ج ١، ص ٣٤٧.

(٨) السخاوي: الضوء اللامع، ١م، ج ٢، ص ١٩٩-٢٠٠.

— وكذلك كان محمد بن أحمد الخجندي حفيده (ت ٨٩٩هـ / ١٤٩٣م) يدرس شيخ الخدام (قائم)، وقد استفاد شيخ الخدام منه استفادة عظيمة، واستمر يدرس ويفيد بالمسجد النبوي في الفقه والعربية وغيرهما، وكان يقال: "إنه ليس بالمدينة حنفي" مثله ممن درس^(١)، وأذن له جمع من العلماء في التدريس، وتجدد له تدريس الحنفية قبيل موته بقليل فقد ذكر السخاوي أنه تجدد له بعد رجوعه في موسم سنة (٨٩٨هـ / ١٤٩٢م)^(٢).

— كما تصدر للتدريس البرهان إبراهيم بن الجلال الخجندي (ت ٨٥١هـ / ١٤٤٧م) فدرس، وحدث بالبخاري وغيره، وسمع منه الطلبة^(٣).

— ولما استحدثت وظيفة (إمامة الحنفية) بالمدينة، كان المتصدر بها الشمس محمد بن إبراهيم الخجندي (ت ٨٧٠هـ / ١٤٦٥م)، وخلفه في الإمامة والتدريس ابنه أحمد الشهاب^(٤)، مما يشير إلى أن الوظيفة لم تكن تقتصر على الإمامة، بل يُضاف لها تدريس الحنفية.

— وقام بالتدريس للحنفية بعده أخوه البرهان إبراهيم بن محمد الخجندي، وكان إمام الحنفية بها، ووصف بأنه صدر المدرسين مفيد الطالبين^(٥).

أسرة ابن صالح:

— يعدُّ العميد الثاني للأسرة محمد بن صالح (ت ٧٨٥هـ / ١٣٨٣م) أول من تولى التدريس بالمسجد النبوي، وكان تاريخ جلوسه للناس متقدماً، فقد كان إذا حضر مجالس وعظ أبي عبد الله القصري، قام بالقراءة للقرآن والحديث بين يدي القصري في مواعيد وعظه، ثم يقوم القصري بالتفسير والموعظة، وقد وقفنا على تحديد مكان هذه الحلقات، فكانت في رواق المسجد الحرام وفي صحنه وعند أبوابه منها باب الرحمة^(٦).

(١) المصدر السابق، ج ٣، ص ٣١٤ - ٣١٥.

(٢) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤١٥ - ٤١٦.

(٣) السيوطي: نظم العقيان في أعيان الأعيان، ص ١٥؛ المصدر السابق، ج ١، ص ٦٣ - ٦٤.

(٤) المصدر السابق، ج ١، ص ١٣٠؛ الضوء اللامع، ج ١، ص ٦٧.

(٥) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٨٣.

(٦) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤٨٥.

— وقد قرّر الأمير (خير بك)^(١) الصلاح محمد بن أبي الفتح بن صالح لتدريس الشافعية، وكأنه كان مستقراً في ذلك، ثم عرض له عارض منعه، فقد كان يقد على القاهرة للمساءلة مراراً، ويفهم ذلك من عبارة السخاوي حيث قال: "وقرّره الأمير خير بك من جديد في تدريس الشافعية من دروسه"^(٢)، ومقولة: (من جديد) تشير إلى تقلّده ذلك من قبل.

أسرة الكازروني:

لم يكن القدر للتدريس متاحاً لأي عالم، إلا أن النجوم من هذه الأسرة كانوا ممن يدرس بالحرم، ولا سيما وقد أذن لبعض منهم كبار علماء عصرهم بعد أن عرضوا عليهم ما لديهم من علوم.

ومن وقفت عليهم ممن تعانى التدريس من أبناء هذه الأسرة:

— الصفي أحمد بن محمد الكازروني (ت ٨٦٤هـ/١٤٥٩م)، فقد أذن له في التدريس جماعة من علماء عصره، إذ أذن له في تدريس النحو شيخه أحمد بن محمد المالكي^(٣)، كما أذن له في تدريس الفقه والحديث كلاً من البهاء بن أبي البقاء السبكي والقاضي الشمس محمد بن قاضي شعبة^(٤).

— وكذلك كان حال الجمال الكازروني، فقد أذن له أيضاً البهاء السبكي، والبلقيني^(٥)، ثم تولى التدريس بعده ابنه أبو الفرج ناصر الدين محمد (ت ٨٦٧هـ/١٤٦٢م)، وأذن له النجم السكاكيني بالتدريس سنة (٨٣١هـ/١٤٢٧م)، وعمر أبو الفرج (٣٦) سنة

(١) خيربك الأشرفي برسبائي كان من المقرين لسلطين الممالك، اشتهر بالخط الجيد، كان من المشتغلين بالقراءات والفقه وأصول الدين، محباً للعلم والعلماء، تميز بالسياسة والشجاعة وقول الحق، قدم مكة والتقى بعدد من العلماء وسمع منهم من ضمنهم السخاوي، توفي بمكة في سنة (٨٨٧هـ/١٤٨٢م) ودفن بالمعلاة. السخاوي: الضوء اللامع، ٢م، ج ٣، ص ٢٠٧-٢٠٨.

(٢) المصدر السابق، ٥م، ج ٩، ص ١٠٤.

(٣) هو أحمد بن محمد أبو العباس المالكي من علماء المدينة وفضلائها. السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١٣٦، ١٣٨.

(٤) هو محمد بن عبد البر بماء الدين أبو البقاء السبكي الشافعي، وصف بالعلامة المفتي شيخ الإسلام، له العديد من المصنفات العلمية، توفي سنة (٧٧٧هـ/١٣٧٥م). الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ٣، ص ٢١٠.

(٥) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤٣٣-٤٣٥؛ الضوء اللامع، ٤م، ج ٧، ص ٩٧.

آنذاك، فدرس وأخذ عنه الفضلاء^(١)، وذكر السخاوي تدرسه فقال عنه: "العالم، العلامة، والبحر الفهامة، مُدرّس الحرم النبوي، والمؤسّس بحسن تعزيره القوي"^(٢)، وهذا يشير إلى طريقة في التدريس بالتعزير؛ رغبة أن يؤسس الطالب تأسيساً جيداً في العلوم.

— ووُصِف ابنه علي بن محمد الكازروني (ت ٨٩٢هـ/١٤٨٦م) بأنه: "كنز المدرسين"^(٣)، وهو يدلُّ على تصدُّره للتدريس أيضاً.

— وكذلك درّس بالحرم النبوي عبد السلام الثاني أخو علي بن أبي الفرج الكازروني، وصفه السخاوي بقوله: "ثقة الأئمة المدرسين"^(٤).

— كما قام عبد الرحمن بن أبي البركات الكازروني (ت ٨٩١هـ/١٤٨٥م) بالتدريس بالمسجد النبوي^(٥).

— ومن درس بالحرم النبوي أيضاً العز عبد السلام بن محمد الكازروني (ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م)، وكان تدرسه في موضع أخيه الصفي أحمد بعد وفاته^(٦).

— كما قام ابنه عبد العزيز بن عبد السلام الكازروني (ت بعد ٧٨١هـ/١٣٧٩م) بالتدريس والتحديث بعد أبيه^(٧).

— وأذن النجم السكاكيني لمحمد بن عبد العزيز الكازروني بالإقراء والتدريس، كما أذن ابن ظهيرة له أيضاً بإقراء "الحاوي" وتدرسه بعد التحرير والمراجعة، والتثبُّت والمطالعة^(٨).

(١) المصدر السابق، م ٥٠، ج ٩، ص ٤٤.

(٢) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٧٥.

(٣) المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٩٨.

(٤) المصدر السابق، ج ٢، ص ١٧٥.

(٥) السخاوي: الضوء اللامع، م ٥٠، ج ٩، ص ٤٤.

(٦) الفاسي: العقد الثمين، ج ٥، ص ٤٢٨ - ٤٢٩.

(٧) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٧٣.

(٨) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٥٢٣ - ٥٢٤؛ الضوء اللامع، م ١٠، ج ٢، ص ١٩٠ - ١٩١.

أسرة المراغي:

من أبناء هذه الأسرة الذين أفادوا طلبة العلم بالمسجد النبوي:-

- زين الدين أبو بكر بن حسين المراغي (ت ٨١٦هـ / ١٤١٤م)، اشتهر وذاع صيته بين الناس عن طريق تدريس الحديث النبوي في الحرمين الشريفين بمكة والمدينة، فصار مورداً عذبا يقصده العلماء وطلاب العلم^(١).

أسرة التستري (الششتري):

لم تنصّ المصادر على أن أفراد من هذه الأسرة كانوا يتصدّرون حلقات بالمسجد النبوي، إلا أننا يمكن أن نستنتج ذلك من حيث إن أفراد من هذه الأسرة محدّثين كانوا ملازمين للمسجد النبوي في العادة، ولاسيّما وقد وصف الشمس محمد بن الشرف التستري (ت ٨٨٥هـ / ١٤٨٠م) بأنه: "خاتمة شيوخ القراء بالمدينة"^(٢)، والعادة أن يتم ذلك في المساجد.

أسرة السمهودي:

- قام علي بن عبد الله السمهودي (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م) بالتدريس في الحرم النبوي الشريف^(٣).

وقد كان تأهله للتدريس مبكراً قبل قدومه المدينة، فقد أذن له في التدريس عددٌ من مشايخه كالديري^(٤)، والجوجري^(٥).

(١) المراغي: (أبو بكر بن الحسين)، تحقيق النصرة، ص ١٤؛ المقريزي: السلوك، ق ١، ج ٤، ص ٢٧٧؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٧، ص ١٢٠.

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، م ٥٣، ج ٩، ص ١٩٥.

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، م ٣٣، ج ٥، ص ٢٤٦؛ الأنصاري: (ناجي محمد حسن)، التعليم في المدينة المنورة، ص ٢٥٤.

(٤) هو سعد الدين سعد بن محمد الديري، قاضي القضاة بمصر، برع في الفقه والأصول والعربية وتفسير القرآن، أفتى ودرس وأفاد. ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٧، ص ٣٠٦.

(٥) هو محمد بن عبد المنعم الجوجري، من فقهاء الشافعية بمصر، ناب بالقضاء، له عدة مؤلفات في الفقه، توفي سنة (٨٨٩هـ / ١٤٨٤م). السخاوي: الضوء اللامع، م ٤٣، ج ٨، ص ١٢٣.

أسرة السخاوي:

— تولى عبد المعطي بن أحمد السخاوي (ت بعد ٩٤٢هـ/١٥٣٥م) التدريس بالحرم الشريف^(١).

ب — الحلقات الخاصة:

المقصود بالحلقات الخاصة تلك الدروس التي كلف بها بعض الأمراء والوجهاء بعض علماء الأسر العلمية في المدينة؛ لتلقى في المسجد النبوي، نظير أجر معين، وتسمى هذه الدروس باسم الأمير أو الوجيه الذي دعا إليها، وتكون مؤقتة ومرهونة بالأمير أو الوجيه الذي قررها.

وقد اشتهر من هذه الدروس بالمدينة النبوية:

درس خيربك: قرره خير بك بن حنيت الأشرفي أحد الأمراء في عهد الظاهر جقمق والأشرف قايتباي (ت ٨٨٧هـ/١٤٨٢م)، وكان له مآثر حسنة منها الدروس التي قررها بالحرمين^(٢)، وقد ولّى من علماء أسر المدينة التدريس بدرسه الصلاح محمد بن أبي الفتح بن صالح لتدريس الشافعية من دروسه^(٣).

— درس الأمير سلال^(٤): قرره الأمير سلال نائب السلطة المملوكية في أيام السلطان الناصر محمد ابن قلاوون، وكان للأمير مآثر حسنة بالحرمين؛ منها هذه الدروس التي أوقفها. وقد رتب درساً بالمدينة أيام القاضي سراج الدين الدمهوري، وطلب منه مدرساً بها، فعرض السراج الوظيفة على أبي الربيع سليمان الغماري المالكي^(٥) مفتي المالكية، إلا أنه امتنع وقال له: أبا سراج الدين: وأين أنت عن الشيخ عبد الله بن فرحون؟ والله إنه

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٢٠٦.

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٢، ص ١٠٧ - ١٠٨.

(٣) المصدر السابق، ج ٥، ص ٩٩.

(٤) الأمير سلال كان نائب السلطة في أيام الناصرية، فاشتهر وعظم قدره في بداية القرن الثامن، له مآثر جليلة في الحرمين، فقد قام ببعض الإصلاحات في الحرمين. السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٤١١.

(٥) كان من شأنه التجرد والتقلل من الدنيا، كثير الصدقات، كان إليه مرجع الفتيا على مذهب الإمام مالك، مات بالمدينة ودفن بالبقيع. ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ٨٠ - ٨١؛ المصدر السابق، ج ١، ص ٤٢٣ - ٤٢٤.

أعلم وأحقُّ بها مني، وامتنع منها، مما اضطر السراج إلى أن يطلب أن يقوم بها الشيخ ابن فرحون (ت ٧٢٢هـ / ١٣٢٢م) ^(١).

— درس الفخر ناظر الجيش ^(٢): قرَّره الفخر ناظر الجيش بمصر في دولة السلطان محمد بن قلاوون ^(٣)، وقد درَّس به الشيخ البدر أبو محمد عبد الله بن محمد بن فرحون (ت ٧٦٩هـ / ١٣٦٧م)، وجاء المرسوم ^(٤) بذلك بعد وفاة أبيه بقليل في سنة (٧٢٣هـ / ١٣٢٣م) ^(٥).

— درس شعيب بن أبي مدين ^(٦)، وقرَّره صاحب المغرب أبو الحسن شعيب بن محمد التونسي (ت ٧٧٠هـ / ١٣٦٨م)، وأمر بالتدريس فيه أبا محمد عبد الله بن محمد بن فرحون (ت ٧٩٦هـ / ١٣٩٣م)، وقد جاء المرسوم بذلك في نفس العام الذي جاءه بدرس ناظر الجيش أي سنة (٧٢٣هـ / ١٣٢٣م)، وكان المساعد له فيه شيخه أبو عبد الله القصري ^(٧).
وقد أرَّخ البدر أبو محمد لذلك، وذكر قصة لطيفة مفادها أن الشيخ عز الدين الواسطي، وهو القارئ الذي كان يقرأ العربية على والده أبي عبد الله بن فرحون بشَّره بأنه

(١) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ٨٣؛ المصدر السابق، ج ١، ص ٤٢٤.

(٢) ناظر الجيش: من الوظائف الديوانية الرفيعة التي يعين شاغلها من قبل السلطان ويختاره من خاصته؛ ويحق لصاحب هذه الوظيفة الدخول على السلطان في مجلسه للنظر في مصلحته، ويعرض عليه الأشغال المتعلقة بعمله، وكانت مهمة ناظر الجيش هي النظر في أمر الجيوش وضبطها والنظر في أموالها. الباشا: الفنون الإسلامية، ج ٣، ص ١١٩٣.

(٣) ابن فهد: إتحاف الوري، ج ٣، ص ١٧٠.

(٤) يصدر المرسوم عن وظيفة تابعة للوزارة، وهي: استيفاء الصبغة، وهي وظيفة جليلة رفيعة القدر، وصاحب هذه الوظيفة يتحدث في جميع أنحاء المملكة، ويكتب المراسيم ويعلم عليها السلطان، وتكون المراسيم أحياناً بما يعمل في البلاد وأحياناً تكون بتقرير لما أوجبه أحد الملوك السابقين للبدء في معروف أو زيادة في إحسان لما سبق وتقرر، وقد يأتي المرسوم أيضاً باستخدام كبار الأشخاص في أعمال ما. وديوان استيفاء الصبغة من أرفع دواوين الأموال وفيه تثبت التواقيع والمراسيم السلطانية. القلقشندي: صبح الأعشى، م ٤، ص ٢٩.

(٥) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ٧٣.

(٦) هو: شعيب بن محمد بن جعفر بن شعيب التونسي، ولد سنة (٧٢٠هـ / ١٣٢٠م) كان عالماً في الفقه والنحو والفرائض، (ت ٧٧٠هـ / ١٣٦٨م). ابن حجر: الدرر الكامنة، ج ٢، ص ١٩٢؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٨، ص ٣٧٤.

(٧) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٨٦، ١٩٨.

يقوم بالتدريس مقام والده، ويتولَّى ثلاث ولايات في ذلك العام، فجاءه مرسوم بالتدريس في المدرسة الشهابية، وآخر بتدريس درس القاضي فخر الدين ناظر الجيش، والثالث من المغرب لشعيب بن أبي مدين، وذلك سنة (٧٢٣هـ/١٣٢٣م) وقد عقب على ذلك بقوله: "فأعان الله تعالى، ورزقني على الاشتغال إقبالاً كثيراً، وحُصِدَت حسداً عظيماً، وقُصِدَت بالأذى فزادني طولاً، كثير يظنون أنهم يسعون في إخمالي وخط منزلتي، وما سَعَوْا إلا في ظهوري ونشر فضيلتي. والله در القائل:

من خصَّ بالشكر الصديق فأغني أحبو بخالص ودي الأعداء
ورروا عليَّ معايي فحذرتمها ونفيت عن أخلاقي الأقداء
جعلوا التنافس في المعالي ديدني حتى رفعت بفعلي الجوزاء
ولربما انتفع الفتى بعده فالسم أحياناً يكون شفاء

ومع ذلك قابلتهم بالحلم عليهم، والإحسان إليهم، وصيرت إلى أن فرَّج الله تعالى، والنصر مع الصبر فله الحمد على كل حال^(١).

درس يلبغا^(٢)، وقد قرره الأمير يلبغا الاخاصكي الأتابكي، مدبر المملكة بمصر سنة (٧٦٣هـ/١٣٦١م) وهو وقف على الحنفية، ولم تُشر المصادر التي توفرت لدينا عن الهيئة الإدارية والتعليمية لهذا الدرس، وإن فاضت في وصف درسه الذي أقامه بمكة من نفس العام. وبما أن المقرر واحد، فلا بد أن يكون هناك ثمة تشابه في إدارة الدرسين، كوجود شيخ يتولَّى مشيخته ويصرف أموره، وكذلك وجود مراتب تصرف للمدرسين ومكافآت مالية للطلاب، وشروط التحاق بالدرس، فلم يكن مفتوحاً لجميع الطلاب^(٣).

وقد تولَّى التدريس به عدد من علماء المدينة، منهم أحمد بن محمد الخجندي (ت ٨٠٢هـ/١٣٩٩م) الذي وُصِف بأنه: "رأس المدرسين في المدينة النبوية"^(٤).

(١) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ٧٤.

(٢) هو يلبغا الغمري الخاصكي الأتابكي، صاحب الكيش، وسمي بذلك لإقامته به، وهو من ممالك الناصر حسن، الذي قتله فيما بعد، وقتل سنة (٧٦٨هـ/١٣٦٦م). ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ١٠، ص ٣٠٧؛ ج ١١، ص ٩٢.

(٣) الفاسي: العقد الثمين، ج ٢، ص ٢٩٦؛ ابن فهد: اتحاف الوري، ج ٣، ص ٣٠٢.

(٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١٥٢؛ الضوء اللامع، ج ١، ص ٢٠٠.

— درس القلانسي: وقد درّس به الجمال المطري (ت ٧٤١هـ / ١٣٤٠م) دروس الحديث^(١).

ولم تقتصر مشاركات الأسر العلمية في الدروس الخاصة بالمدينة، بل امتد ذلك للمسجد الحرام أيضاً، ومن ذلك:

— درس جقمق: وقد قرّره السلطان الظاهر جقمق أبو سعيد الجركسي، حيث قرّر درسه بالمسجد الحرام لقراءة صحيح البخاري، وعهد به إلى عالم من أسرة المدينة العلمية وهو فتح الدين محمد أبو الفتح المراغي (ت ٨٥٩هـ / ١٤٥٤م).

التدريس بمساجد خارج المدينة:

ومن علماء الأسر التي بالمدينة من تجاوز علمه، وسطع نجمه خارج حدودها، فدرّس بمساجد خارج المدينة منهم:

— محمد بن يوسف الزرندي (ت ٧٤٧هـ / ١٣٤٦م)، تولّى تدريس الحديث والفقه بمسجد والد سلطان فارس بشيراز عندما أقام بها^(٢).

وقد درّس كل من المطري والزين المراغي بالحرم المكي، كما تقدم ذكره.

ثانياً: الوظائف الدينية:

كانت الوظائف الدينية والمناصب الإدارية في العصر المملوكي من القضاء والحسبة والإفتاء والإمامة والخطابة، يتوارثها الأبناء عن الآباء، ويُكلّف بها الأخ بعد أخيه، بحيث كانت أشبه ما تكون وفقاً على أبناء الأسرة الواحدة، خاصة إذا توحّد مذهبهم^(٣)، وستتناول هذه الوظائف ودورها في إثراء الحياة الدينية، وأهم علماء الأسر الذين مارسوا تلك الوظائف:

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١٦٢.

(٢) الزرندي: (نور الدين على)، المرور بين العلمين، ص ٩؛ الفيروز آبادي: المغام المطابة، ج ٣، ص ١٢٨٦.

(٣) علي السيد علي: الحياة الثقافية في المدينة، ص ١٧٠.

القضاء^(١):

وهو الفصل بين الناس في الخصومات حسماً للنزاع^(٢)، واعتبر من الوظائف الدينية الكبرى المتصلة مباشرة برأس الدولة، وهو يقوم على الشريعة الإسلامية ويستمد أحكامه من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ^(٣)، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(٤). وقال تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾^(٥).

أما من السنة فقد قال رسول الله ﷺ ((إذا حكم الحاكم، فاجتهد، ثم أصاب فله أجران. وإذا حكم فاجتهد، ثم أخطأ فله أجر))^(٦).

ولو تتبعنا أمر القضاء بالمدينة، نجد أنه حين كانت تحت إمرة العبيدين^(٧) الذين حكموا مصر والشام بنحو قرنين من الزمان، كان القضاء والخطبة باسم المتولي من

(١) القضاء في اللغة: الحكم، والقاضي: القاطع للأمر، والحكم لها، واستقضي فلان أي: جعل قاضياً يحكم بين الناس، واصطلاحاً: إحكام الشيء وإمضاؤه والفراغ منه. ابن منظور: لسان العرب، م ٥، ص ٢٧٨؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٥، ص ٤٢٣ - ٤٢٤.

(٢) الخصري: محمد، إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء، تحقيق: يوسف بريوي وسمير عطار، (ط ١)، (دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م)، ص ١٧٤.

(٣) ياغي: إسماعيل أحمد: الحضارة الإسلامية وآثارها في الغرب، (ط ٢)، (مكتبة العبيكان، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م)، ص ٨٧؛ نواب: عواطف محمد يوسف، الرحلات المغربية والأندلسية "مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين" (د. ط)، (الرياض، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م)، ص ١٩٥.

(٤) القرآن الكريم: سورة النساء، آية (٦٥).

(٥) القرآن الكريم: سورة المائدة، آية (٤٤).

(٦) مسلم: صحيح مسلم، ج ٣، ص ٢١٥، ح ٤٥٠٧.

(٧) هم المنسوبون لميمون بن عبد الفتاح الباطني، وقد أسسوا دولتهم بمصر والشام، وقد نسبوا أنفسهم إلى فاطمة الزهراء، وتسموا بالخلفاء الفاطميين، وقد أنكر العلماء هذا النسب وطعنوا فيه منهم ابن فرحون، وقد قال على انتهاء دولتهم ما نصه: (وانقطعت تلك الشجرة الخبيثة التي لو لم يكن فيها إلا الحاكم أحد خلفائهم الذي حار في أمر نفسه، فادّعى مرة الإلهية وسأوى بين الأديان، وأراد مرة إخراج المصطفى ﷺ من حجرته الشريفة ونقله إلى مصر... وفعل ما هو مشهور). ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ٢٣٩.

العبيدين، حتى قطع صلاح الدين الأيوبي ذلك، وأقامها للخليفة العباسي في سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م).

ثم انقرضت في نفس السنة دولة العبيدين، وأظهر صلاح الدين السنة بمصر، ووُلِّي قاضياً من الشافعية، وبنى لهم مدرسة وأعزّها بعد ذلك، وأما أرض الحجاز، فلم يتيسّر له ذلك فيها؛ لانشغاله بأمر الجهاد وغير ذلك، فاستمرّ الأمر بيد الشيعة، وأهل السنة في ضعف عظيم، لا يقدّرون على الإقامة بين إظهارهم، إلا مع تحمّل مشاق عظيمة، تفوق الحد والوصف^(١).

وضيّق الشيعة على أهل السنة، حتى هجر بعضهم المناصب، وارتحلوا بأولادهم وأملاكهم ورحلوا، ورغم أن الأشراف بعثوا إليهم وأمنوهم أن يرجعوا إلى المدينة، فلم يفعلوا حتى أخذت أملاكهم وتملّكت، ثم استمرّ تغلّبهم على أهل السنة إلى ما بعد السبعمئة، حتى قال العلامة ابن فرحون: "ولقد أدركت جماعة من المجاورين والخدم، لا يقرؤون كتبهم، ولا يسمعون حديث نبيهم ﷺ، إلا خفية حتى قدم صاحب ابن حنا رحمه الله^(٢)، وأقام بالمدينة في سنة (٧٠١هـ/١٣٠١م)، فكثّر من قراءة المواعيد، وقام على آل سنان ... فهابوا مكانه من السلطان، واستعملوا التقية، حتى زعموا أنهم رجعوا كلهم سنية، وكان يأتيه من الينبوع قوافل بالدقيق والقمح والأرز وأنواع الحبوب، فيعطي منه الخدام والمجاورين، ويمدّ رؤساء الإمامين وكبار الشرفاء المقيمين، حتى شهدوا على أنفسهم أنهم سنية، ولا يحكمون بأحكام البدعة، ... ولم يزلوا كذلك، حتى سافر صاحب ابن حنا، فرجعوا إلى حالهم، ولكن بعد هضم جانبهم، وكسر شوكتهم، فاستمرت المواعيد والقراءات والاستماعات والسماعات، وذهبت ببركة إقامته كثير من البدع المؤسّسة في المسجد الشريف"^(٣).

(١) الجاسر: رسائل في تاريخ المدينة، ص ١٤١-١٤٢.

(٢) هو: أحمد بن محمد بن علي بن حسين، ويعرف بزين الدين بن صاحب جاور بالمدينة المنورة سنة (٧٠١هـ/١٣٠١م) أزال الكثير من البدع في الحرمين، توفي بمصر سنة (٧٠٤هـ/١٣٠٣م). السخاوي:

التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١٤٧.

(٣) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ٢٤؛ الجاسر: رسائل في تاريخ المدينة، ص ١٤٢-١٤٣.

ويمكن تحديد بداية القرن الثامن الهجري هو انتقال القضاء إلى أهل السنة، وكان ذلك في عهد الأمير أبي غانم منصور بن جهماز بن شيحة، والذي كانت إمرته في الفترة (٧٠٠ - ٧٢٥هـ / ١٣٠٠ - ١٣٢٤م)^(١)، في عهد الناصر محمد بن قلاوون الصالحى^(٢)، ومع قدوم صاحب ابن حنا أحمد بن محمد بن علي بن حسن (ت ٧٠٤هـ / ١٣٠٤م)^(٣).

— وأول القضاة من أهل السنة هو سراج الدين عمر بن أحمد بن الخضر الأنصاري الدمنهوري الشافعي (ت ٧٢٦هـ / ١٣٢٥م)، وقد تولى السراج الخطابة بالمدينة والإمامة، لأهل السنة خاصة في سنة (٦٨٢هـ / ١٢٨٣م)، وكان يؤذى في خطبته من الإمامية حتى تزوج ابنة القيشاني رئيس الإمامية؛ فانكف عنه الأذى وصار يخطب، ويصلي من غير حكم ولا أمر ولا نهي، إلا أن المجاورين كانوا يرومون أن يكون القاضي بينهم ولا سيما فيما يتعلق بأمورهم كالنكاح، والفصل في الخصومات، فكانوا يأتون إليه يطالبونه بذلك، فكان إذا فعل ذلك غضب عليه (علي بن سنان بن عبد الوهاب بن نميلة) القاضي الإمامي^(٤)، ويطلب الفاعلين لذلك، ويغررهم، ويسلط عليهم الشرفاء، مما دفع الكثير من المجاورين إلى عقد الأنكحة والفصل في الخصومات بأنفسهم، ثم رفعوا الأمر بعد ذلك إلى الناصر محمد بن قلاوون، وطلبوا أن يكون لأهل السنة حاكم يحكم فيهم ويحملهم على مذهبهم، فجاء بذلك تقليد للقاضي سراج الدين بالقضاء.

وقد قلده الناصر محمد بن قلاوون القضاء في المدينة في بداية القرن الثامن الهجري، وكان السراج رجلاً عاقلاً، علم أنه لا يستقر له الأمر مع الرفض إلا بالمدارة، فأبى أن يتولى القضاء حتى حضور الأمير منصور بن جهماز، فلما حضر قال له السراج: "جاءني مرسوم بكذا، وأنا لا أقبل حتى تكون أنت المولي لي، فإنك إن لم تكن معي، لم يتم أمري ولا ينفذ حكمي، فقال له: قد رضيت وأذنت فاحكم، ولا تغر شيئا من أحكامنا ولا حكامنا،

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٥٦.

(٢) والسلطان الملك الناصر أبو الفتوح ناصر الدين محمد بن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الصالحى، سلطان الديار المصرية، تولى السلطنة ثلاث مرات، وهزم خلال توليته هذه جيوش التتار هزيمة منكرة، واسترد

ملكه من المظفر بيبرس، توفي سنة (٧٤١هـ / ١٣٤٠م). ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٨، ص ٤١.

(٣) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ٢٤.

(٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٢٧٨.

فاستمر الحال على ذلك يحكم بين المجاورين وأهل السنة، وآل سنان يحكمون في بلادهم على جماعتهم، ومن دُعي من أهل السنة إليهم، ولا يقدر أحد أن يتكلم في ذلك، بل التقدّم في الأمور لهم، وأمر الحبس راجع إليهم، والأعوان تختصّ بهم وإلا سجلات تثبت عليهم، والسراج يستعين بأعوانهم ويحبسهم، واستمر الحال كذلك حتى مات السراج، وقد تقلد القضاء أربعين سنة^(١).

— وتولّى بعده الشرف أبو الفتح محمد بن محمد الأميوطي، فشدد على الأشراف، وسطا على الإمامية، ووبّخهم في المحافل، وسبّهم على المنبر، بحيث نزل مرة من المنبر لضرب واحد منهم، وقد دام في القضاء (١٧) سنة، وتوفي سنة (٧٤٥هـ/١٣٤٤م).

— فتولّى بعده التقي عبد الرحمن بن عبد المؤمن الهوريني، فاستتاب البدر عبد الله بن فرحون، وبجسن سياسة ابن فرحون أعرض الناس عن قضاة الإمامية، واعتزلوهم، ووقع التشديد عليهم في نكاح المتعة، والتكيل بفاعلها، وعزر من تكلم في الصحابة، وأخذت البدعة وأظهرت السنة^(٢).

وكان تولية القضاء يحتاج إلى مرسوم من السلطان المملوكي بمصر، وكان التنصيب يكون بأن يقرأ المرسوم بالوظيفة على دكة المؤذنين^(٣) بعد صلاة الجمعة، كما حدث مع أبي الحسن النور علي بن يوسف الزرندي الحنفي (ت ٧٧٢هـ/١٣٧٠م).

ومن الأسر العلمية علماء برعوا في القضاء، وكانوا شموساً مضيئة في سماء المدينة بسطوا الحق والعدل، فاطمأن ساكنوها على أنفسهم وأموالهم، وتفيّأوا ظلال دوحة عدلهم، ومن هذه الأسر:

(١) المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٣٠؛ الجهني: (ليلي)، رحلة بن بطوطة المسماة "تحفة النظار في غرائب الأمصار لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي الطنجي"، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ع ٥٤، ص ١٣٨.

(٢) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٢٩.

(٣) دكة المؤذنين هي: دكة من الخشب في وسط المسجد النبوي يُبلغ عليها المؤذنون خلف الإمام. ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ٢٠.

أسرة المطري:

— كان لأسرة المطري الباع في تولّي وظيفة القضاء بالمدينة، وهذا إنما يرجع إلى تضلّعهم بالعلوم الشرعية، مع كمال العقل والحنكة مع عميق النظر والفراسة، ولم يكن العميد الثاني للأسرة محمد بن أحمد المطري (ت ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م) قد تولّى القضاء أمثاله لوجود القاضي شرف الدين الأميوطي بهذا المنصب، وكان نائبه أحمد بن عبد الرحمن أبو العباس التادلي^(١)، وبسبب مشكلة حدثت بين القاضي ونائبه^(٢)، قام الأميوطي بعزله واستتاب عنه الشيخ جمال الدين المطري^(٣)، ولو لم تكن للمطري الأهلية لذلك المنصب، لما استتابه الأميوطي في الحكم.

— ومن تولّى القضاء أيضاً من هذه الأسرة عبد الرحمن بن أحمد تقي الدين المطري (ت ٧٧٢هـ/ ١٣٧٠م)، ووصف بـ: "أقضى القضاة" لمكانته العلمية^(٤).

— وتولّى ولده أبو حامد محمد المطري (ت ٨١١هـ/ ١٤٠٨م)، كذلك القضاء بالمدينة^(٥)، وكان قد ناب عن محمد علي النويري^(٦) قبل مباشرته، وقد تولّى القضاء بالمدينة بعد منازعة صهره زين الدين المراغي، وكان أبو حامد ناظراً لمكة، وكان بالطائف في أول سنة (٨١١هـ/ ١٤٠٨م) حيث جاء له التكليف بالوظيفتين في النصف الأخير من شهر ربيع الآخر منها، فرجع إلى المدينة، وباشرها في أوائل جمادى الأولى، وحج من نفس السنة،

(١) التادلي نسبة إلى تادلة، بلدة بين فاس ومراكش، واسمه أحمد التادلي الفقيه أبو العباس المغربي المالكي. المصدر

السابق، ص ١٤٩؛ الفيروز آبادي: المغامم المطابة، ج ٣، ص ١١٧٥-١١٧٦.

(٢) ذكر السخاوي ذلك فقال عن التادلي أنه نقم عليه القاضي شرف الدين، لكونه أثبت محضراً لنافع بن مطرف يشتمل على أن العهن قد باعه صاحبه في الحبس مقهوراً معصوباً فغضب القاضي غضباً شديداً، وترك الصلاة بالناس أياماً، ولم يحضر يوم الجمعة إلا بعد شدة، وعزل التادلي عن نيابته، واستتاب عوضه الشيخ جمال المطري.

السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١١٢؛ علي السيد علي: الحياة الثقافية في المدينة المنورة، ص ١٦٦.

(٣) المطري: (محمد بن أحمد)، التعريف بما آنست الهجرة، ص ٨.

(٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٤٧-١٤٨.

(٥) الفاسي: العقد الثمين، ج ٢، ص ١٠٥-١٠٦؛ المديرس: المدينة المنورة في العصر المملوكي، ص ٢٦٢.

(٦) هو محمد بن علي بن أحمد بن عبد العزيز بن القاسم النويري، ويعرف بالخضر ابن النور الهاشمي العقيلي المكي الشافعي (ت ٨٣٢هـ/ ١٤٢٨م)، ولي قضاء المدينة، ولكنه لم يياشر، فناب عنه القاضي أبو حامد المطري.

المعلمي: أعلام المكين، ج ٢، ص ٩٨٢.

ثم مرض ومات في ٢٦ من ذي الحجة (٨١١هـ/١٤٠٨م)^(١)، وعلى الرغم من قلة المدة التي بقى فيها قاضياً، إلا أنهم نصّوا على حسن سيرته في ذلك وأنه حُمدت مباشرته للقضاء^(٢).

— وقد ناب في القضاء عن أبي حامد ولده الخب محمد المطري (ت ٨٥٦هـ/١٤٥٢م) كما نصّ على ذلك السخاوي^(٣)، ولو لا أن أبا حامد رأى ولده الأهلية لذلك، لما أقدم على استنابته، ولا سيما قد أسنّ واقترب موته، لما تقدم من أن ولايته للقضاء كانت بدأت قبل موته بأشهر، وهو حريص أن يلقي الله بعمل صالح، فلا يستناب إلا من هو أهل لذلك.

أسرة الزرندي:

تولّى الشمس محمد بن يوسف الزرندي (ت ٧٤٧هـ/١٣٤٦م) القضاء بشيراز مدة من الزمان حتى موته، وقد تكون مدة تولّيه القضاء نحواً من عشر سنين، فقد ذكر ابن حجر أنه: "رحل إلى شيراز فولي القضاء بها حتى مات"^(٤)، والفاء تدل على التعقيب، فهذا يشير إلى أن توليه القضاء كان عقب وصوله لشيراز، وقد عبّر ابن فرحون عن ذلك بالفاء أيضاً^(٥)، وذكر الفيروز آبادي أن بقاءه بشيراز ما يزيد عن عشر سنين^(٦).

— ويعدّ علي بن يوسف الزرندي (ت ٧٧٢هـ/١٣٧٠م) أول من تولّى قضاء الحنفية بالمدينة^(٧)، وكان توليه كما قال السخاوي في سنة (٧٤٦هـ/١٣٤٥م)، في عهد الناصر حسن بن قلاوون (تولّى سنة ٧٥٥هـ/١٣٥٤م)^(٨).

(١) الفاسي: العقد الثمين، ج ١، ص ١٥٣؛ ابن حجر: إنباء الغمر، ج ٢، ص ٤١٤.

(٢) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٥١٣؛ الشماع: القيس الخاوي، ج ٢، ص ٢١٤.

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٥، ص ٩٩، ج ٩، ص ١٠١-١٠٢؛ وجيز الكلام، ج ٢، ص ٦٦٧.

(٤) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج ٥، ص ٦٣.

(٥) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ١٠٥-١٠٦.

(٦) الفيروز آبادي: المغانم المطابة، ج ٣، ص ١٢٨٦-١٢٨٧.

(٧) العراقي: الذيل على العبر، ج ٢، ص ٥٢٦.

(٨) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٣٠٥.

وذكر ابن فرحون أنه ولي الحكم والحسبة بتوقيع شريف من غير سعي ولا طلب بل ساقها الله إليه، لما علم من حاجة الخلق إليه، فقام بها أحسن قيام، ورجا الله له الزيادة والتمام، وعلل ابن فرحون ذلك الدعاء، بأنه سيف لأهل السنة دافع للبدعة المضلة، وقد قرئ مرسومه بالوظيفتين في يوم واحد على دكة المؤذنين بعد صلاة الجمعة، في أول سنة (٧٦٧هـ/١٣٦٥م)^(١)، وقال المقرئ أنه تولاهما أول سنة (٧٦٧هـ/١٣٦٥م)^(٢)، وكذلك قال الفيروزآبادي أنه تولاهما في سنة (٧٦٧هـ/١٣٦٥م)^(٣)، والأرجح ما ذكره السخاوي أن ذلك كان في سنة (٧٤٦هـ/١٣٤٥م)، ويؤكد أيضاً أن ابن تغري بردي، قال في ترجمته إنه ولي قضاء المدينة سنين، وهذا يشير إلى طول مدة توليه القضاء، والقول بأنه تولاه سنة (٧٤٦هـ/١٣٤٥م)، يجعل توليه القضاء ما يزيد عن ربع القرن، أما القول بأنه تولاه سنة (٧٦٧هـ/١٣٦٥م) فهو يُنبئ عن مدة قليلة، ربما لا تتجاوز السنوات الخمس.

كما اقترن توليه القضاء، فيما ذكره ابن فرحون والسخاوي والفيروز آبادي، بإقامة السنة، ودفع البدعة، وعادة لا يكون ذلك واضحاً إلا بعد مدة طويلة، ويؤكد ذلك ما جاء في الجواهر الثمينة حيث قال: "قال القاضي أبو المحاسن علي بن يوسف نجم الدين الزرندي الأنصاري الحاكم بالمدينة الشريفة والناظر في أمر الحسبة خادم السنة والحديث وذلك في سنة (٧٤٨هـ/١٣٤٧م)"^(٤) فهو يشير إلى توليه القضاء والحسبة كإن متقدماً على هذا التاريخ.

وقد خلفه في القضاء ابنه أبو الفتح محمد الزرندي (ت ٧٨٣هـ/١٣٨١م)، وقد وصف بـ: "السياسة والعدل"^(٥)، ورغم توليه هذا المنصب، إلا أن ابن العماد ذكر أنه كان: (متواضعاً)^(٦).

(١) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ١٠٦-١٠٧.

(٢) المقرئ: التبر المسبوك، ج ٢، ص ٤٧٧.

(٣) الفيروز آبادي: المغامم المطابة، ج ٣، ص ١٢٦٠.

(٤) الحسيني: الجواهر الثمينة، ج ١، ص ٣٢٣.

(٥) العراقي: الذيل على العبر، ق ٢، ص ٥٢٦-٥٢٧.

(٦) ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٦، ص ٢٨١-٢٨٢.

— ثم تولَّى الابن الآخر للنور علي وهو عبد الرحمن الزرندي (ت ٨١٧هـ/١٤١٤م)، وكان تولَّيه للقضاء بعد وفاة أخيه، أي في سنة (٧٨٣هـ/١٣٨١م)، وقيل سنة (٧٨٤هـ/١٣٨٢م)^(١)، وقد استمر في ذلك حتى وفاته سنة (٨١٧هـ/١٤١٤م)^(٢)، وكان إذا أشكل عليه أمر في حكومة، أو خصومة، أو أعضلت عليه المسائل، أرسل إلى الضياء الهندي^(٣) بمكة يرشده إلى الصواب، أو ما يقتضيه الأمر فيعينه^(٤).

— وتولَّى بعده ابن أخيه علي بن محمد الزرندي (ت ٨٢٣هـ/١٤٢٠م) وكان تولَّيه للقضاء بالمدينة بعد موت عمه سنة (٨١٧هـ/١٤١٤م)، واستمرَّ في القضاء نحو ست سنوات حتى وفاته سنة (٨٢٣هـ/١٤٢٠م)^(٥)، وكان محموداً عند الناس^(٦)، وهذا يكون للقاضي بعلمه، وعدله بين الناس، مما يشير إلى توفر أخلاق القاضي المحمودة لديه. وقد تولَّى بعده أخوه النجم يوسف بن فتح الدين^(٧).

— كما تولى بعده البرهان بن علي الزرندي القضاء أيضاً، فقد جاء في ترجمة ابنه محمد بـ "التحفة" أنه: محمد أبو الفتح بن القاضي تاج الدين بن القاضي نور الدين، إلا أن السخاوي لما عدَّد قضاة الحنفية بالمدينة قال: "ولم يل كل واحد منهم إلا بعد موت الذي قبله"^(٨) فإذا علمنا أن النجم يوسف بن محمد بن علي الزرندي توفي سنة (٨٣٩هـ/١٤٣٥م)، أي بعد وفاة فتح الدين بن عبد الوهاب بسنة، فلا بد أن يكون تولَّى فتح الدين للقضاء في حياة النجم، إذ يمتنع أن يتولى بعد وفاته، وقد مات قبله!!.

(١) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج ٣، ص ٤٤-٤٥.

(٢) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٤٢-١٤٣.

(٣) هو محمد بن محمد ضياء الدين الضغاني الهندي الحنفي، جاور ببلاد الحرمين، كان عالماً، فقيهاً، محدثاً، استفاد منه

طلبة العلم، توفي بمكة سنة (٧٨٠هـ/١٣٧٨م). الفاسي: العقد الثمين، ج ٢، ص ٢٩١.

(٤) المقرئ: العقود الفريدة، ج ٣، ص ٢٦٤.

(٥) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٢٨، ٩٥؛ الضوء اللامع، ج ٣، ص ٥، ٣٢٧.

(٦) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٢٩٥.

(٧) المصدر السابق، ج ١، ص ٣٢.

(٨) المصدر السابق، ج ١، ص ٣٢.

ولذا يمكن حمل ما ذكره السخاوي، على الأمر الأغلب لا الحصر، ولا سيما وقد ذكروا أن فتح الدين كان قائماً بأعباء القضاء وقت تولي نجم الدين يوسف له^(١).

— ثم بعد موته استقر ابنه سعد بن محمد الزرندي (ت ٨٦٨هـ/١٤٦٣م)، وكأنه لم تحمد سيرته، فقد لمزه السخاوي بقوله: "ولي قضاء الحنفية بالمدينة مع حسبتها، مع كونه عارياً من الفضائل"^(٢)، ولم يذكر شيئاً لذلك، إلا أنه ذكر أن سعداً قدم القاهرة غير مرة، وهو قاضي في أيام الظاهر جقمق (ت ٨٥٧هـ/١٤٥٣م)، وشكا إليه دينه وأنه ألف دينار، فأنعم عليه بها بعد أن حاققه عن سبب تحمله لدينه^(٣).

فلو كان قد فسد قضاؤه، لما ركبته هذه الديون، بل لكان يجد من يُقدّم له سداد الدين هدايا ورشاوى، ولو كان ثمة ملمز فيه يقدر، لما أنعم الظاهر جقمق عليه بها بعد أن حاققه، ثم إن الذي سعى له في القضاء (الأمين الأقصرائي)، وهو من العلماء، ولا نعتقد أنه يسعى في الوظيفة لغير كفاء بها، وقد جاءت الوظيفة وهو مسافر بالعجم، فرسم بنيابته أخيه سعيد، فقام سعيد بالقضاء نائباً عنه حتى جاء^(٤).

— وقد تولّى بعد موت سعد الزرندي (ت ٨٦٨هـ/١٤٦٣م) أخوه سعيد بن محمد الزرندي (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م)^(٥).

— وتولّى بعده ابنه علي بن سعيد الزرندي (ت ٩١٦هـ/١٥١٠م)، وذلك بعناية البرهان بن ظهيرة، حيث استكتب له محضر بذلك، واستمر في القضاء، ودخل القاهرة سنة (٨٩٧هـ/١٤٩١م) ولم يمكث بها طويلاً لانتشار الطاعون بها^(٦).

— وقد تولى القضاء بعد وفاته سنة (٩١٦هـ/١٥١٠م) أخوه أبو الفتح محمد بن سعيد الزرندي، واستمر في القضاء حتى وفاته، وتولى بعده القضاء والحسبة ولده سعد^(٧).

(١) المصدر السابق، ج ٢، ص ٥٣٢؛ الضوء اللامع، ج ٤، ص ٨، ص ١٣٥.

(٢) المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٥٣.

(٣) السخاوي: وجيز الكلام، ج ٢، ص ٧٦٢.

(٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٣٩.

(٥) المصدر السابق، ج ١، ص ٤٠٤؛ الضوء اللامع، ج ٢، ص ٣، ص ٢٥٦؛ أعلام المكين، ج ١، ص ٢٣٧.

(٦) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٢٧٧-٢٧٨.

(٧) المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٨٠.

— وقد ناب في القضاء أيضاً عن أبي الفتح بن محمد بن عبد الوهاب بن علي بن يوسف (ت ٨٣٨هـ/١٤٣٤م) ابنه الآخر أحمد بن محمد الزرندي (ت ٨٦٤هـ/١٤٥٩م)^(١).

— كما تولّى القضاء أيضاً ابن أخيه محمد بن عبد الله الزرندي^(٢).

— كما جاء في ترجمة عبد الوهاب بن المحب محمد بأنه الفقيه تاج الدين بن القاضي محب الدين، مما يشير إلى أن المحب محمد بن علي الزرندي تولّى القضاء أيضاً^(٣).

— وتولّى البهاء محمد بن محمد الزرندي (ت ٨٢٢هـ/١٤١٩م) القضاء في المدينة، وكان شافعيّاً^(٤)، فباشرها في سنة (٨٠٩هـ/١٤٠٦م)، ثم عُزل بعد زيادة على نصف سنة، وقد ذكر السخاوي بأنه: (باشر فيها بنكد)^(٥).

أسرة ابن فرحون:

— يمكن أن نعتبر أبا عبد الله محمد بن فرحون (ت ٧٢٢هـ/١٣٢٢م) أول قاضٍ من أسرة (ابن فرحون) رغم أنه لم يتولّ القضاء رسمياً، فقد كان في زمانه قد تسلّط (آل سنان) من الرافضة على قضاء المدينة، ولما كان الخطيب (السراج) يعقد النكاح بغير إذنه، فإنهم يعزرون الفاعلين لذلك، ويسلّطون عليهم أشراف المدينة، فكان المجاورون وأهل السنة إذا أرادوا عقد نكاح، أو فصل خصومة على مذهبهم، يأتون إلى أبي عبد الله محمد بن فرحون فيقول لهم: "لا أفعل حتى يأتيني كتاب ابن سنان، فيأتون ابن سنان ويعطونه، ما جرت به عادته، فيكتب لهم إلى ابن فرحون: يا أبا عبد الله، اعقد نكاح فلانة على فلان، أو أصلح بين فلان وفلان"^(٦)، وعليه فيكون قد عمل أبو عبد الله بالقضاء قبل تولّى ي السراج الدمنهوري القضاء مطلع القرن الثامن الهجري.

(١) السخاوي: الضوء اللامع، م ١، ج ٢، ص ١٤١.

(٢) الأنصاري: (عبد الرحمن)، تحفة المحبين والأصحاب، ص ١٥.

(٣) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٢٢٣.

(٤) ابن حجر: إنباء الغمر، ج ٣، ص ٢٠٩.

(٥) السخاوي: الضوء اللامع، م ٥، ج ٩، ص ١٦٦-١٦٧.

(٦) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٢٧٨، ٢٢٩-٢٣٠.

— ويعُدُّ ابنه البدر أبو محمد بن محمد بن فرحون (ت ٧٦٩هـ / ١٣٦٧م) هو أشهر قضاة هذه الأسرة، ويعود ذلك إلى أنه لما باشر الأحكام نيابة عن القاضي تقي الدين عبد الرحمن بن عبد المؤمن الهوريني (ت ٧٦٠هـ / ١٣٥٨م)^(١)، وذلك في سنة (٧٤٦هـ / ١٣٤٥م)، وكان له (٥٣) سنة، فبهمة وسياسته أزال الله تعالى أحكام الطائفة الإمامية من المدينة، فعزلت قضائهم وانكسرت شوكتهم، وخمدت نارهم، وسعى في عزل قضائهم، فنودي في شوارع المدينة بتبطل أحكامهم، والإعراض عن حكامهم، فكان ذلك أول أسباب قوة أهل السنة، وإخماد البدعة، وعلو أمرهم، كما يقول السخاوي ويضيف: "وكم له من حسنات في تمهيد إعزاز السنة، وإخماد البدعة"^(٢).

ويورد ابن فرحون هذه الفترة في تأريخه، فيقول عن وفاة القاضي الشرف الأميوطي (٧٤٥هـ / ١٣٤٤م) وتقليد القاضي الهوريني القضاء بعده في ذي الحجة آخر سنة (٧٤٥هـ / ١٣٤٤م): "وفي تلك السنة استنابني في الحكم، فسلكت مع الناس سبيل السياسة وسدّدت الأحكام، وجريت على الصلح بين الخصوم، فمال إليّ أهل المدينة، ورأوا أنني لا أخذ منهم شيئاً في حكم ولا إثبات، ولا وراقة، بل ربما أعطي من عندي مَنْ أتحقق ضرورته من الغرماء، فأحبيني أهل البلد، ومالوا عن قضاة الإمامية واعتزلوهم وتركوا المحاكمة عندهم، حتى إن القاضي حسن بن سنان الملقب عزيز، صار يجلس على باب زقاقنا، فإذا رأى المختصمين، دعاهما إليه، فلا يلتفتان إليه، ...، وبلغني أنهم اجتمعوا بالأمير طفيل، وشكوا عليه ما يلقون مني، فقال لهم: إذا سكت عنكم وعن أحكامكم، فلا تطلبوا منه غير ذلك، وقال القاضي نجم الدين مهنا بن سنان وكان أعلمهم وأرأسهم قطعت رزقنا يا فلان. فقلت له: ما تريدون مني إذا لم أتعرض لكم؟ فقال: والله ما قطع رزقي إلا أنت، صرت تكتب للناس بلا شيء، ...، ولم أزل معهم، كذلك حتى خمل ذكرهم، وماتوا أحياء، ولم يبقَ لهم في البلد أمر ولا نهي ...، ولقد أدركت من حكامهم فوق عشرة من آل سنان ومن الصفيان الذين كانوا عند رباط المعين، كلهم يحكم ويفصل الخصومة، إلا أن الحكم كان له

(١) الفيروز آبادي: المغامم المطابقة، ج ٣، ص ١١٢٩ - ١١٣٠؛ المصدر السابق، ج ٢، ص ١٣٧ - ١٣٨.

(٢) ابن فرحون: (إبراهيم بن علي)، الديباج المذهب، ١م، ص ٤٠١؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٨٨؛

حسن: (مئي)، أهم معالم الحضارة الإسلامية في مجتمع المدينة المنورة في العصر المملوكي، "مجلة كلية الدراسات

الإنسانية"، ٢٢ع، ص ١٦٦.

إذا حكم عليه القاضي من آل سنان أو يقول: ادفعني إلى الفقيه، فيرفعه ولا يراجعه، ...، ثم لم يزل أمرهم يتقاصر، وعددهم يقل، حتى مات كبارهم" (١).

وقد استنابه أيضاً القاضي البدر القيسي، والذي تولى بعد الهوريبي، و أرخ لذلك ابن فرحون أيضاً فقال: "ثم إن الفقيه الهوريبي كفّ بصره في أثناء تلك السنة...، فسافر إلى مصر...، واستمرت نائباً عنه في سنة سبع وأربعين، وشددت على الإمامية...، وحملت الناس على مذهب مالك، وأخذت البدعة وأظهرت السنة، ...، فلم يزد الناس إلا طاعة وإقبالاً، وفي تلك السنة، لقيني عز الدين حسن المسكي وزير الأمير طفيل، وكان من الوزراء العقلاء، فقال لي: يا فلان، خرج اليوم ملك من يد صاحبه يساوي عشرة آلاف، شهادة فلان وفلان، والله هذان ما يقبلان فيما يساوي عشرة دراهم، كيف يحلّ لكم تبقى المدينة بلا شهود؟ فأمرته أن يأمر غلام الأمير فينادي في الأسواق: لا يضع أحدكم خطه في ورقة، إلا أن يكون مريضاً عند الحكام، ولما وصل القاضي تقي الدين إلى مصر...، فعزل القاضي تقي الدين...، ثم ولي الحكم والخطابة والإمامة... بدر الدين حسن بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمن القيسي الشافعي المصري، وقدم إلى المدينة في شهر ذي الحجة من سنة ثمان وأربعين وسبعمائة، ...، وكان حاكماً جزلاً صلباً مهيباً، ...، قد شدد على الأشراف، وكتب إلى السلطان يشكو من طفيل، كما فعل مع القاضي شرف الدين مع طفيل أيضاً، فلما بلغ طفيلاً الخبر، صدر فيه كلام وتهديد في جهة القاضي بدر الدين، فلما بلغه ذلك خاف على نفسه، فخرج إلى مكة معتمراً ومعه جماعة... ولما توجه إلى مكة استنابني في الحكم إلى الموسم، ثم قدم ... إلى مصر، واستمرت نائباً عنه...، فجاءني في أثناء السنة، وهي سنة خمس وستين وسبعمائة، توقيع شريف بأن أجري على عادتي في الأحكام، وأن لا يتعرض لعزلي أحد من الناس الحكام" (٢).

(١) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ٢٢٢-٢٢٣.

(٢) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ٢٢٣-٢٣١.

وبعد أن أناب مرتين، اشتغل بقضاء المالكية في سنة (٧٦٥هـ/١٣٦٣م) إلى أن مات في سنة (٧٦٩هـ/١٣٦٧م)، وقد ناب عنه أخوه محمد بن محمد بن أبي القاسم في القضاء أيضاً^(١).

— وقد تولّى ابنه المحب محمد بن عبد الله بن فرحون قضاء المالكية بالمدينة بعد موت أبيه، فدام سنيناً كثيرة، وعزل غير مرة^(٢).

— واستقر بعده أخوه الشهاب أبو العباس أحمد بن عبد الله بن فرحون (ت ٧٩٢هـ/١٣٨٩م)، وكان بمصر فقدم المدينة، وباشر القضاء إلى أن مات^(٣).

— وقد تقلّد بعده القضاء ابن عمه البرهان إبراهيم بن علي بن فرحون (ت ٧٩٩هـ/١٣٩٦م)، وكان تولّيه القضاء منذ سنة (٧٩٣هـ/١٣٩٠م) حتى مات، وقد سار سيرة الحكام العادلين، لم تأخذه في الله لومة لائم، يتتصف للمظلوم من الظالم، فهابته الرعية واحترمه الناس^(٤).

— وخلفه في القضاء ابنه أبو اليمن محمد بن إبراهيم بن فرحون، وقد تولّى القضاء بعد أبيه^(٥).

— تولّى بعد أبي اليمن أبو البركات محمد بن محمد بن فرحون (ت ٨٢٢هـ/١٤١٩م)، فقد وصف بأنه: "قاضي المدينة المالكي"^(٦).

— وقد تولى بعده أخوه البدر عبد الله بن محمد بن فرحون (ت ٨٥٩هـ/١٤٥٤م)، والذي وُصف بأنه: "قاضي القضاة بدر الدين ابن قاضي القضاة محب الدين بن

(١) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج ٤، ص ٣٥٤.

(٢) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٥٠٢.

(٣) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١١٧.

(٤) المصدر السابق، ج ١، ص ٨١؛ المزيني: عبد الرحمن بن سليمان، الحياة العلمية في القرنين السابع والثامن

المهجريين، (د . ط)، (جدة، دار العلم، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، ص ٢٢٧.

(٥) المصدر السابق، ج ١، ص ١٥٩.

(٦) ابن حجر: إنباء الغمر، ج ٣، ص ٢٠٩؛ السخاوي: الضوء اللامع، م ٥٥، ج ٩، ص ١٢٧؛ وجيز الكلام،

ج ٢، ص ٤٥٧.

قاضي القضاة بدر الدين^(١)، فهو قاضي سليل القضاة، وقد استمر على القضاء حتى مات في ذي الحجة سنة (٨٥٩هـ/١٤٥٤م)^(٢).

— وقد ذكر السخاوي أن أحمد بن أبي عبد الله بن فرحون، قد وصف أيضاً بالقاضي^(٣)، فلعله ناب عن أبيه أو قريبه في الحكم.

أسرة الخجندي:

— ولي القضاء من أسرة الخجندي الشيخ يحيى بن إبراهيم الخجندي، فكان قاضي الحنفية بالمدينة، وقد ولي القضاء من غير سعي فيه، ثم عزل عنه مع كثرة أولاده وعياله، فسافر إلى القاهرة، فأعانه علمائها وأهلها، وأخرجوا له شيئاً بحيث يستغني عن القضاء^(٤). وكان تولّيه القضاء في آخر عهد الدولة المملوكية أو بداية عهد الدولة العثمانية، فإن كثرة عياله وقت عزله تدل على تزوجه قبل ذلك بزمان، وكونه (معمراً) يشير إلى أن قدومه حلب سنة (٩٦١هـ/١٥٥٣م) كان في آخر عمره، فقد توفي سنة (٩٦٣هـ/١٥٥٥م)، فيكون قد بقي نحو أربعين سنة في عهد المماليك، مما يمكن أن يكون تولّيه القضاء في هذا العصر.

أسرة ابن صالح:

— يعد أول من تولّى القضاء من أسرة ابن صالح العميد الثاني للأسرة محمد بن صالح بن إسماعيل (ت ٧٨٥هـ/١٣٨٣م)، حيث ناب في القضاء غير مرة^(٥)، وقد حُمدت سيرته في القضاء، وذلك يدل على أن القضاء الشافعي صار منصباً يتوارثه أولاده من بعده، بل صار (بيت ابن صالح) مشهوراً بالقضاء، حتى ذكر السخاوي في ترجمة أحد ذرية أخيه

(١) ابن فهد: معجم الشيوخ، ص ١٥٤.

(٢) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٨١.

(٣) المصدر السابق، ج ١، ص ١٥٩.

(٤) ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٨، ص ٣٤٠ - ٣٤١؛ الغزي: الكواكب السائرة، ج ٢، ص ٢٥٨؛ مزاحم:

كتاب قضاة المدينة، م ١، ق ١ - ٢.

(٥) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤٨٦.

علي بن صالح وهو (محمد بن أبي بكر بن محمد بن علي بن صالح) أنه: (ابن عم بني صالح قضائها) ^(١).

— وقد تولَّى القضاء بعد محمد بن صالح بن إسماعيل ولداه محمد وعبد الرحمن، فتاب محمد بن صالح (ت ٨١٤هـ / ١٤١١م) في القضاء عن أخيه عبد الرحمن ^(٢).

— وأما أخوه عبد الرحمن بن محمد بن صالح، فقد تولى القضاء نيابة عن قضائها أول الأمر، ثم استقل به في الحادي عشر ذي القعدة من سنة (٧٩٢هـ / ١٣٨٩م)، وحتى موته سنة (٨٢٦هـ / ١٤٢٢م)، أي نحو (٣٤) سنة، سوى ما تخلَّل ذلك من العزل غير مرة ^(٣)، فلما تولَّى القضاء استقلالاً سنة (٧٩٢هـ / ١٣٨٩م)، صُرف عنه بالجمال محمد بن علي النوري في سنة (٨٠٥هـ / ١٤٠٢م)، ثم أعيد، ثم صرف بيهاء الدين محمد الزرندي في جمادي الأولى سنة (٨٠٩هـ / ١٤٠٦م)، ثم أعيد، ثم صُرف بالزين أبي بكر ابن الحسين المراغي، ثم ولي بعد موت أبي حامد الطوفي في سنة (٨١١هـ / ١٤٠٨م) الخطابة والإمامة ثم أُضيف إليهما القضاء نيابة عن الجمال الكازروني فولي القضاء في ثاني عشرين ذي القعدة سنة (٨١٢هـ / ١٤٠٩م)، ثم عُزل به سنة (٨١٤هـ / ١٤١١م)، ثم أُعيد في سنة (٨١٥هـ / ١٤١٢م)، ثم استمر إلى أن مات ^(٤)، أي في الأحد عشر سنة الأخيرة من حياته، وكان مشكور السيرة القضائية ^(٥)، وهذه المدة الطويلة في القضاء، جعلت اسم (القاضي) أغلب عليه وإليه ينصرف الإطلاق في هذه الفترة؛ إذا قيل القاضي ابن صالح، أو قاضي طيبة ^(٦).

(١) السخاوي: الضوء اللامع، ٤م، ج ٧، ص ١٩٦ - ١٩٧.

(٢) المصدر السابق، ٥م، ج ٩، ص ٨٦.

(٣) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٤٩ - ١٥٠؛ الضوء اللامع، ٢م، ج ٤، ص ١٣١ - ١٣٢.

(٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٤٩ - ١٥٠.

(٥) المصدر السابق، ج ١، ص ٣٠؛ حسن: منى، أهم معالم الحضارة الإسلامية في مجتمع المدينة في العصر المملوكي،

"مجلة الدراسات الإنسانية"، ع ٢٢، ص ١٦٩.

(٦) الجاسر: رسائل في تاريخ المدينة، ص ١٨٨، ١٩٠.

— ويعُدُّ عبد الرحمن بن محمد بن صالح (ت ٨٢٦هـ/ ١٤٢٢م) أول من ولي القضاء الأكبر من أهل المدينة^(١)، وذلك إذ كان القضاء قبله يتبعون القاضي الأكبر في الإدارة، وقد يكون إمامياً أو يعين من قبل السلطان المملوكي بالاتفاق مع الأشراف من حكام المدينة^(٢)، فقد كان السلطان يرسل في كل سنة من الحاج شخصاً يقيم لأهل السنة الخطابة والإمامة، فيقيم نصف سنة، ثم يأتي في رجب إلى ينبع، ثم يليها غيره، ثم أضيف إليه مع الخطابة والإمامة القضاء، فكان أبو الفرج ناصر الدين عبد الرحمن أول من استقلَّ بالقضاء من أهل المدينة^(٣).

— ولم يل القضاء التاج عبد الوهاب بن محمد بن صالح (ت ٨٦٥هـ/ ١٤٦٠م) رغم اتساع علومه ورحلاته في الطلب، إلا أنه وصفه السخاوي بأنه "كان خيراً صالحاً ساذجاً"^(٤) وهذا يشير إلى طبيعة خلقية فيه لا تصلح للقضاء، فإن (السذاجة) قد تؤدي إلى أن الخصوم يستغلون ذلك لمصالحهم تحايلاً على القضاء.

— أما أبناء عمه عبد الرحمن، فقد ولي منهم القضاء أبو الفتح محمد بن عبد الرحمن بن صالح (ت ٨٦١هـ/ ١٤٥٦م) ناب عن أبيه في حال حياته، فلما مات استقل بذلك بعد موته سنة (٨٢٦هـ/ ١٤٢٢م)، واستمر ثمان عشرة سنة به، حتى سنة (٨٤٤هـ/ ١٤٤٠م) فتركه لأخيه، ويبدو أن سبب ذلك أنه اتهم بالمواطأة على قتل أبي الفضل المراغي الذي قتل في سنة (٨٤٣هـ/ ١٤٣٩م)، فرحل إلى القاهرة تاركاً القضاء لأخيه، وقد وُصف أبو الفتح بأنه كان: "مسدداً في قضائه"^(٥)، ووصف أيضاً بأنه من: (دهاة العالم)^(٦)، وكان أبوه يقول

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٤٩ - ١٥٠. ظهرت هذه الوظيفة لأول مرة في عهد هارون الرشيد (١٧٠ - ١٩٣هـ/ ٧٨٦ - ٨٠٨هـ)، وأول من تلقب بذلك القاضي أبو يوسف. وهي وظيفة دينية استمرت بهذا الفهم إلى عهد المماليك. الباشا: الفنون الإسلامية، ج ٢، ص ٨٧٣.

(٢) اشترط منصور بن جواز على الناصر محمد بن قلاوون (ت ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م) أن لا يغير القاضي شيئاً من أحكام الإمامة لأحكامهم بحيث اقتصر على الحكم بين المجاورين من أهل السنة. السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٢٨.

(٣) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٣٠.

(٤) المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٢٤.

(٥) المقريزي: درر العقود، ج ٣، ص ٣٣٦.

(٦) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٥١٥؛ الضوء اللامع، م ٤، ج ٨، ص ٣٥.

عنه أنه: "ولد نفسه"^(١)، لأجل دهائه، واجتمع له الأمرين: التسديد والتوفيق من الله مع ما وهبه الله من الذكاء والدهاء، وقد استطاع أن يجعل أوضاع القضاء مستقرّاً بالمدينة من خلال السنوات التي ناب فيها في القضاء أو استقل به، والتي هي نحو عقدين من الزمان أو يزيد.

— وقد ناب ابنه زكي الدين محمد بن أبي الفتح بن صالح في القضاء، وكان قد استقرّ بعد أبيه في الخطابة والإمامة بالمسجد النبوي، مع النظر عليه، فلما عُزل أخوه الصلاح وسافر إلى اليمن سنة (٨٨٠هـ/١٤٧٥م) جمع له معها القضاء، إلا أنه حكم على جماعة من أهل المدينة في دار أخذت منهم، فكان ذلك سبب مقتله، كما تقدّم في آخر سنة (٨٨٢هـ/١٤٧٧م)^(٢).

— كما ذكر السخاوي أن الابن الثالث لأبي الفتح بن صالح، وهو محمد الشمس قد شارك أخوته وولد أخيه بعد اغتيال أخيه، فلعله أراد أيضاً القضاء والوظائف التي تقلدها الزكي والصلاح وأبو القسم، إلا أنه لم يباشر ذلك، وقد مات عن بضع وأربعين سنة^(٣).

— وقد باشر ابنه أبو القسم محمد بن محمد الشمس القضاء نائباً^(٤).

— واستقلّ الابن الرابع لأبي الفتح بن صالح بالقضاء، وهو محمد صلاح الدين بعد استعفاء عمه ولي الدين أبو عبد الله محمد عن القضاء، ثم عُزل في سنة (٨٨٠هـ/١٤٧٥م) وأعيد بعد مقتل أخيه في سنة (٨٨٣هـ/١٤٧٨م)^(٥).

وبهذا يكون قد ولي القضاء أبو الفتح بن صالح وثلاثة من أولاده، وشارك حفيده أبا القسم فيه أيضاً.

— أما الابن الآخر لناصر الدين الذي ولي القضاء فهو يحيى بن عبد الرحمن بن صالح (ت بعد ٨٤٩هـ/١٤٣٥م)، ناب في القضاء عن أخيه أبي الفتح بن صالح^(٦).

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٥٣.

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، ٥م، ج ٩، ص ١٠٣.

(٣) المصدر السابق، ٥م، ج ٩، ص ١٠٤.

(٤) المصدر السابق، ٥م، ج ٩، ص ٢٢٦.

(٥) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٣١.

(٦) السخاوي: الضوء اللامع، ٥م، ج ٩، ص ٢٣١.

— وكذلك تولى أخوه أبو عبد الله محمد ولي الدين (ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م) القضاء استقلالاً بعد أن استُغفَى أخوه أبو الفتح في سنة (٨٤٤هـ / ١٤٤٠م)، ثم استُغفَى من القضاء، وأعرض عنه لابن أخيه محمد صلاح الدين، ويبدو أن ذلك كان قبل موته بيسير، فقد عبر عن ذلك السخاوي بقوله: "ولم يلبث أن مات سنة (٨٧٤هـ / ١٤٦٩م)"^(١).

— وقد ناب ابنه عبد الرحمن بن أبي عبد الله بن صالح عن أبناء عمه أبناء محمد بن أبي الفتح في القضاء، وكان غالب ذلك عند غيبتهم للحج^(٢).

— بقي أن نذكر أن أحمد بن مسدد الكازروني (ت ٨٨٧هـ / ١٤٨٢م)، الأديب المشهور من أسرة الكازروني، قد ذكر القاضي محمد بن صالح في مقامته التي أسماها "الخدائق الغوالي"، والتي صوّر فيها افتخاراً بين قباء والعوالي لما لكلٍ من فضل، وأنهما ترافعا إلى القاضي محمد بن صالح، والذي وصفه بأنه: "قاضي القضاة... وقاضي الشافعية بطيبة المحمدية"^(٣).

أسرة الكازروني:

— ناب محمد التقي بن الشرف الكازروني (ت ٨١٥هـ / ١٤١٢م) عن ابن عمه الجمال الكازروني في القضاء حين كان الجمال بالقاهرة يسيراً^(٤).

— كما ناب القضاء أحمد بن محمد الكازروني^(٥).

— أما الجمال محمد بن أحمد الكازروني (ت ٨٤٣هـ / ١٤٣٩م) فيعد أشهر آل الكازروني فيمن تولى القضاء، حتى كان يطلق عليه في ترجمته: "فقيه المدينة وقاضيه"^(٦)، على الرغم أنه لم يتولّ إلا مدة يسيرة^(٧)، وربما عبّر عن ذلك به في بعض

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٥١٦.

(٢) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٥١.

(٣) الكازروني: (أحمد بن مسدد) الخدائق الغوالي، ص ١٠٤.

(٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٥٢٢.

(٥) المصدر السابق، ج ١، ص ١٥٤. والمراد أن القاضي كان على الداخل والخارج من الأوقاف فأناوب الصفي عنه في ذلك.

(٦) الشماخ: القبس الحاوي، ج ٢، ص ١٣٠.

(٧) المقرئ: السلوك، ج ٤، ق ٣، ص ١١٩٧ - ١١٩٨؛ الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، ج ٤، ص ١٨٥ - ١٨٦.

الأحيان ^(١) ، وهي عبارة لها دلالة الشهرة والتمكّن من هذا المنصب، ولذلك وصفه ابن فهد بأنه: "قاضي القضاة" ^(٢).

ولي الجمال قضاء الشافعية بالمدينة دون الخطابة سنة (٨١٢هـ/١٤٠٩م) بعد موت قاضيه أبي حامد المطري، وكان ذلك في رجب، ولم يستمر طويلاً، حيث عزل في ١٨ ذي القعدة في نفس السنة بالقاضي ناصر الدين عبد الرحمن بن محمد بن صالح، ثم أعيد في سنة (٨١٤هـ/١٤١١م)، إلا أنه لم يباشر الوظيفة؛ لأنه كان بالقاهرة، لذا ناب عنه ابن عمه شرف الدين محمد التقي بن عبد السلام بن محمد الكازروني (ت ٨١٥هـ/١٤١٢م)، ثم صرف في أحد الجُماديين سنة (٨١٥هـ/١٤١٢م) بالقاضي ناصر الدين بن صالح، ولم يكن هذا آخر عهد الجمال بالقضاء، ففي سنة (٨٢١هـ/١٤١٨م) أعيد للقضاء عَوْضاً عن ناصر الدين عبد الرحمن بن ناصر، ثم صرف عن ذلك وكان هذا آخر عهده بالقضاء فلازم الأشغال والعبادة والإقبال على نفسه حتى مات ^(٣).

وعزل الجمال عن القضاء ليس لأمر يرجع إلى الطعن فيه، وإلا لَمَا أعيد بعد ذلك مرة بعد مرة، وقد يكون بسبب ذلك سواء كان أمراً سياسياً أو شيئاً آخر .

أسرة التستري (الششتري):

لم تكن همة أفراد هذه الأسرة متجهة لتولي المناصب الدينية. فعلى الرغم من تولّى بعض أفرادها القضاء، إلا أنهم لم يجمعوا إلى ذلك الخطابة والإمامة على عادة قضاء المدينة في العصر المملوكي. — فقد تولّى الجمال عبد الله بن محمد التستري (ت ٨٦٠هـ/١٤٥٥م) منصب أمين الحكم بالمدينة ^(٤).

— كما تولّى الشمس محمد بن أحمد التستري القضاء عَوْضاً عن القاضي ناصر الدين محمد بن صالح وكان ذلك في سنة (٩١٠هـ/١٥٠٤م)، فباشر الحكم منفرداً عن

(١) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ١٥، ص ٤٨٠.

(٢) المقرئ: درر العقود، ج ٣، ص ١٢٩؛ ابن فهد: معجم الشيوخ، ص ٢٦١.

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، م ٤، ج ٧، ص ٩٧؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٧، ص ٢٤٧.

(٤) السخاوي: الضوء اللامع، م ٣، ج ٥، ص ٤٦.

الخطابة والإمامة، واستمر إلى سنة (٩١٥هـ/١٥٠٩م)، ثم عُزل بالقاضي صلاح الدين محمد بن إبراهيم القطان سنة، ثم أُعيد للقضاء في التي بعدها، واستمر حتى مات^(١).

أسرة السخاوي:

— استمر عميد الأسرة محمد بن أحمد السخاوي (ت ٨٩٥هـ/١٤٨٩م) في قضاء المالكية بالمدينة النبوية سنة (٨٦٠هـ/١٤٥٥م) وله إحدى وأربعون سنة، وكان ذلك عقب وفاة القاضي التاج عبد الوهاب بن محمد بن يعقوب المدني، وقد تولاه بتزكية من الجمال ناظر الخاص، فقد مدحه وتكرّر مدحه له حتى وُلّي، وقد سافر لحل ولايته فباشر من ثاني عشر ذي الحجة، وقد وصفت سيرته في القضاء بأنها كانت حميدة مع تواضعه وبشاشته وعفته ونصر كلمة الشرع، فاغتنب أهل المدينة به في ذلك^(٢).

كما كانت له الأيدي البيضاء في قتل بعض الرافضة لما قاموا به من أعمال تنافي الشرع، كما كانت له مواقف غير ذلك مما جبن غيره عنها^(٣).

— وقد تولّى بعده ابنه خير الدين محمد بن محمد السخاوي (ت ٩١٣هـ/١٥٠٧م)، وصف بأنه: "أفضل منه، وامتن تديراً، ورأياً في القضاء"^(٤)، ولذلك كان محل اتفاق عليه بين أهل المدينة وعلمائها^(٥)، وقد تولّى القضاء قبيل سنة (٨٩٤هـ/١٣٨٨م)، فقد زار المؤرّخ السخاوي القاضي الشمس في أواخر ذي الحجة من سنة (٨٩٤هـ/١٤٨٨م)، وكان وقتها مريضاً^(٦)، فيكون تولّى ابنه القضاء في قبل هذه السنة.

— وقد ذكر بعضهم أن تولّى ابنه القضاء كان في سنة (٨٩٢هـ/١٤٨٦م)^(٧) وكان قبل ذلك ناب في القضاء، ولما زاد ضعف أبيه، راسل يسأل في استقراره عوضاً عنه في

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤٢٦.

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، م ٤، ج ٧، ص ١١١.

(٣) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤٤١ - ٤٤١.

(٤) المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٤١؛ الضوء اللامع، م ٤، ج ٧، ص ١١١.

(٥) التبكي: كفاية المحتاج، ج ٢، ص ٢١٦.

(٦) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤٤١.

(٧) المدير: المدينة المنورة في العصر المملوكي، ص ٢٣٤.

سنة (٨٩٢هـ/١٤٨٦م)، فأجيب^(١) وهو ليس جزماً بأن ذلك كان في نفس العام، إلا أنه أظهر لكونه أقام بالقضاء نحواً من ثلاثين سنة، وكانت وفاته سنة (٩١٣هـ/١٥٠٧م) وقد ذكر السخاوي أنه أحد القضاة المطلوبين بالقاهرة سنة (٨٩٦هـ/١٤٩٠م)، ثم عادوا في التي بعدها أي سنة (٨٩٧هـ/١٤٩١م)^(٢)، وقد أقام بالمدينة نحواً من ثلاثين سنة في قضائها^(٣).

— القضاء خارج المدينة

— تولّى محمد بن يوسف شمس الدين الزرندي (ت ٧٤٧هـ/١٣٤٦م) منصب القضاء بمدينة شيراز إلى أن توفي بها^(٤).

الخطابة^(٥) والإمامة^(٦)

كان الإمام الأصلي للمسجد النبوي خلال العصر المملوكي شافعي المذهب، وكثيراً ما جمع إليه الخطابة أيضاً^(٧)، ثم كان تعيين لباقي أئمة المذاهب.

وقد تناوبت الأسر العلمية في مناصبي الخطابة والإمامة في المسجد النبوي، و تولّى عدد من فقهاء هذين المنصبين داخل المدينة وخارجها، ومن أبرز أئمتها:

(١) السخاوي: الضوء اللامع، م ٤، ج ٧، ص ٤٨.

(٢) المصدر السابق، م ٤، ج ٧، ص ٤٨.

(٣) مخلوف: شجرة النور الزكية، ص ٢٦٩.

(٤) الزرندي: (نور الدين علي)، المرور بين العلمين، ص ٨ - ٩.

(٥) الخطابة هي اسم الكلام الذي يتكلم به الخطيب، ويسمى صاحبها خطيباً، والخطابة لها مدلولان عام وخاص،

العام تطلق على كل من يتحدث حديثاً عاماً مدافعاً عن رأي أو مفاخراً أو واعظاً، أو ما سوى ذلك، والخاص

هو ما له تعلق بالشعائر الإسلامية. الرازي: مختار الصحاح، ص ١٨٠؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٥،

ص ٤٣٥؛ التهانوي: محمد علي الفاروقي، كشف اصطلاحات الفنون، تحقيق: لطفي عبد البديع،

(د. ط)، (د. م، د. ت)، ج ٢، ص ١٧٧.

(٦) الإمامة كلمة مشتقة من أم أي تقدم وأصبح قدوة، ويراد بها هنا إمامة الصلاة. الرازي: مختار الصحاح، ص ٢٦؛

الباشا: الفنون الإسلامية، ج ١، ص ٩٢.

(٧) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ٢٠٨؛ المديرس: المدينة في العصر المملوكي،

أسرة المطري:

كانت العادة أن يلي الخطابة والإمامة القاضي^(١)، وقد تولّى جمع من أسرة المطري القضاء، فكانوا أئمة وخطباء بالمسجد النبوي.

— فالجمال محمد بن أحمد المطري (ت ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م)، استتابه الأميوطي في القضاء فكان نائباً له في الخطابة^(٢).

وقد أفادتنا المصادر بأن القاضي شرف الدين الأميوطي استتاب الجمال المطري في سنة (٧٤٢هـ/ ١٣٤١م)^(٣)، إلا أنه ربما يكون قد سبق ذلك أيضاً استتابه في سنة (٧٣٨هـ/ ١٣٣٧م)، حيث ورد أن الجمال المطري استتاب الشيخ إبراهيم بن مسعود بن سعد القاهري، في الخطابة والإمامة^(٤) وإنما كان المطري نائباً عن الأميوطي.

— وعلى هذه العادة ولي الخطابة والإمامة أيضاً التقي عبد الرحمن بن محمد المطري (ت ٧٧٢هـ/ ١٣٧٠م)، من حيث أنه تولّى القضاء أيضاً على العادة سالفة الذكر وهو ما ذكره الفاسي وغيره^(٥).

— وقد نصّت التراجم على تولي أبي حامد محمد بن عبد الرحمن المطري (ت ٨١١هـ/ ١٤٠٨م) الإمامة والخطابة بالمسجد النبوي في العام الذي توفي فيه لما تولى القضاء^(٦).

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٥١٣؛ رضا كحالة: معجم المؤلفين، ج ٣، ص ٦٢.

(٢) المصدر السابق، ج ١، ص ١٠٧؛ الزركلي: الاعلام، م ٥٥، ج ٥، ص ٣٢٦؛ بدر: (عبد الباسط)، الحياة الثقافية في المدينة المنورة في العصر المملوكي "مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة"، ع ٥٤، ص ٧٠.

(٣) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ١٤٨.

(٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٩٠.

(٥) الفاسي: العقد الثمين، ج ٢، ص ١٠٦؛ السخاوي: الضوء اللامع، م ٤٤، ج ٧، ص ٢٩٩ - ٣٠٠؛ الشماع:

القبس الحاوي، ج ٢، ص ٢١٤.

(٦) المقرئ: درر العقود، ج ٣، ص ٢١٠؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٧، ص ٩٣؛ المديرس: المدينة المنورة في

العصر المملوكي، ص ٢٦٢؛ علي السيد علي: الحياة الثقافية في المدينة المنورة، ص ١٦٦.

— كما ناب الخب محمد بن محمد المطري (ت ٨٥٦هـ/١٤٥٢م) عن والده في الإمامة والخطابة أيضاً^(١).

أسرة الزرندي:

— تولّى محمد بن محمد الزرندي (ت ٨٢٢هـ/١٤١٩م) الإمامة والخطابة في المسجد النبوي سنة (٨٠٩هـ/١٤٠٦م)، ثم عُزل بعد أكثر من نصف سنة من توليه القضاء^(٢).

أسرة ابن فرحون:

— يعدُّ الإمام أبو عبد الله محمد بن فرحون (ت ٧٢٢هـ/١٣٢٢م) أهلاً للإمامة، إلا أن ورعه وزهده كان يمنعه من تولّي هذا المنصب، ودرج على هذا الأمر ابنه أبو محمد عبد الله بن محمد بن فرحون (ت ٧٩٦هـ/١٣٩٣م) البدر القاضي، فقد أمّ في الحراب النبوي في بعض الصلوات، ودُعي أن يقوم بالإمامة والخطابة نائباً، فامتنع إعظماً للمقام النبوي^(٣).

أسرة الخجندي:

— قام الأمين الأقصري بإحداث وظيفة إمامة المقام الحنفي بالمدينة سنة (٨٦١هـ/١٤٥٦م)، فكان الشمس محمد بن إبراهيم الخجندي (ت ٨٧٠هـ/١٤٦٥م) هو أول من يلي ذلك من الحنفية، ويشاركه في ذلك محمد بن علي الزرندي، والذي لم يباشر الإمامة، فاستقلَّ بها محمد بن إبراهيم الخجندي حتى مات، ثم استمرت في ذريته بعده^(٤).

(١) السخاوي: الضوء اللامع، م ٥٠، ج ٩، ص ١٠١-١٠٢.

(٢) المصدر السابق، م ٥٠، ج ٩، ص ١٦٦-١٦٧.

(٣) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٨٧.

(٤) المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٠٣؛ الضوء اللامع، م ٣، ج ٦، ص ٢٤٥-٢٤٦.

— وتولّى محمد بن أحمد الخجندي (ت ٨٩٩هـ/١٤٩٣م) الإمامة بالمدينة، وكان حنفياً ليس بالمدينة حنفي مثله ممن درس وأفاد، وقد ترك "مشيخة الزمامية" بمكة لعدم رغبته في الإمامة بغير طيبة^(١).

— وخلف الشهاب أحمد أباه الشمس محمد الخجندي في إمامة الحنفية بالمدينة في سنة (٨٨١هـ/١٤٧٦م)^(٢).

— ثم بعد وفاة الشهاب في سنة (٨٨١هـ/١٤٧٦م)، استقرّ في الإمامة أخوه البرهان إبراهيم أبو تميم^(٣).

— ثم استقرّ في إمامة الحنفية بعده ابن أخيه الشمس محمد بن الشهاب أحمد (ت ٩٢٠هـ/١٥١٤م)، وكان ينوب عن عمه البرهان في حياته^(٤).

— كما تولّى يحيى بن إبراهيم الخجندي الإمامة في آخر العهد المملوكي من غير سعي، ثم عزل عنها^(٥).

أسرة ابن صالح:

اشتهر محمد بن صالح (ت ٧٨٥هـ/١٣٨٣م) بالخطابة والإمامة بالمدينة، فقد قال ابن حجر: إنه نسّاب في الخطابة بالمدينة أمّ بها^(٦)، ولم يزد كثيراً على ذلك، ووصفه السخاوي بأنه: "المقرئ نائب الخطابة والإمامة بالحرم الشريف"^(٧).

— وقد تولى أبنائه من بعده الخطابة والإمامة، فكان ناصر الدين عبد الرحمن بن محمد بن صالح (ت ٨٢٦هـ/١٤٢٢م)، تولّى الخطابة والإمامة في حادي عشر ذي القعدة

(١) المصدر السابق، ج ٣، ص ٣١٤-٣١٥.

(٢) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١٣٠؛ الضوء اللامع، م ١، ج ٢، ص ٦٧.

(٣) المصدر السابق، م ١، ج ١، ص ١١٩-١٢٠.

(٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤٣٠-٤٣١.

(٥) ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٨، ص ٣٤٠-٣٤١؛ الغزي: الكواكب السائرة، ج ٢، ص ٢٥٨؛ مزاحم:

كتاب قضاة المدينة، م ١، ص ٢.

(٦) ابن حجر: إنباء الغمر، ج ٣، ص ٢٨٥.

(٧) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤٨٤-٤٨٥.

سنة (٧٩٢هـ/١٣٨٩م)^(١)، وقد أقام في الخطابة أكثر من ثلاثين سنة، إلا أنه عُزل عنها في أثنائها وأعيد مراراً^(٢)، كما تقدّم في بيان أيام تولّيه القضاء، إلا أنه ربما عُزل من القضاء أو نيابته مع بقاء الخطابة والإمامة معه، كما حدث في سنة (٨١٢هـ/١٤٠٩م) حيث أعيد ابن صالح للخطابة والإمامة خاصة في حين كان الجمال الكازروني مستقراً بالقضاء^(٣).

— وقد باشر الخطابة والإمامة أيضاً أخوه الشمس محمد بن محمد بن صالح (ت ٨١٤هـ/١٤١١م)، إضافة للقضاء والنظر، نيابةً في عهد والده، ثم استقلّ بها بعد موت والده سنة (٨٢٦هـ/١٤٢٢م)^(٤).

— واستقر كذلك أبو الفتح محمد بن عبد الرحمن بن صالح (ت ٨٦١هـ/١٤٥٦م) في الإمامة والخطابة إضافة للقضاء والنظر، نيابة في عهد والده، ثم استقلّ بها بعد موت والده سنة (٨٢٦هـ/١٤١٩م)، واستمرّ ثمان عشرة سنة في القضاء حتى سنة (٨٤٤هـ/١٤٤٠م)، فتركه الأخيه واستمر على الخطابة والإمامة والنظر حتى موته سنة (٨٦١هـ/١٤٥٦م)^(٥).

— ويعدّ ابنه برهان الدين إبراهيم بن صالح (ت بعد ٨٩٩هـ/١٤٩٣م) من أهم أولاد أسرة ابن صالح الذين تولّوا الخطابة والإمامة بالمدينة، لكثرة الجدل الذي دار حول ذلك، فقد باشر إمامة التراويح بالمسجد النبوي، واستقرّ في ذلك وهو شاب في حياة والده؛ أي ولم يبلغ الثلاثين من عمره، وضمّ إلى ذلك الخطابة في حياة أخيه الزكي محمد، وشارك أيضاً بعد مقتل الزكي سنة (٨٨٢هـ/١٤٧٧م) فيهما^(٦).

وقد امتدّ به العمر مع قوة البدن، حتى خطب في أوائل القرن العاشر الهجري، إذ ذكر أنه كان يناوب مع غيره في الخطابة في ربيع الثاني سنة (٩٠٢هـ/١٤٩٦م)^(٧).

(١) المصدر السابق، ج ٢، ص ١٥٠.

(٢) ابن حجر: إنباء الغمر، ج ٣، ص ٣١٧.

(٣) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٣١.

(٤) المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٢٣.

(٥) المقرئ: درر العقود، ج ٢، ص ٢٢٢؛ السخاوي: الضوء اللامع، م ٤، ج ٨، ص ٣٥.

(٦) المصدر السابق، م ١، ج ١، ص ١٤٨-١٤٩.

(٧) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٩٢.

وهذا يدلُّ على أن خطبته هذه كانت مقرّرة مستقرّة متناوبة مع غيره، لا مجرد خطبة عابرة في آخر عمره.

ويبدو أنه أخذ على اليرهان بعض المخالفات استدعت أن يلزمه الناس، فقد ذكر السخاوي أنه قدح فيه، بحيث امتنع كثيرون من الصلاة خلفه، ولزم القاهرة زمناً لذلك^(١)، وفي سنة (٨٩٧هـ/١٤٩١م) سأله الملك - (وهو الأشرف قايتباي، فقد تسلطن سنة (٨٧٢ - ٩٠١هـ/١٤٦٧ - ١٤٩٥م) - أن يعطيه خمسين ديناراً، وذلك مقابل أن لا يؤم ولا يخطب، إلا أنه لم يوافق، ثم رجع في نفس العام (٨٩٧هـ/١٤٩١م) للمدينة على المشاركة في الخطابة فقط، إلا أنه عاد للإمامة، فقد ذكر السخاوي أنه صلّى خلفه في سنة (٨٩٨هـ/١٤٩٢م)، وأما الخطابة، فقد توقّف ثم استمر فيها، وضبط له خطبة خطبها حين توقف المطر في سنة (٨٩٩هـ/١٤٩٣م) وذكر فيها موعظة عما يدور من منكرات، وكانت هذه الخطبة في غير نوبته، والظاهر أنه ارتجلها، فلما عُوتب في ذلك (أي لكونه طلب منه ترك الخطابة) لم يذكرها لأنه كان بدلاً كما كان قد أسنّ وله قوة في ذلك^(٢).

وفي آخر عمره خطب دون المظاهر التي اعتادها الخطباء؛ من أن يمشي بين يديه عبيد أو خدم ونحو ذلك، مما أغضب بعض الخطباء، وطالبوا الانتصار للخطباء، فلم يحصلوا إلا ما لا خير فيه لهم^(٣).

— وقد تولّى أخوه زكي الدين محمد بن أبي الفتح بن صالح كذلك الخطابة والإمامة في المسجد النبوي بعد أبيه أبي الفتح محمد بن عبد الرحمن^(٤).

— وخلفه ابنه ناصر الدين محمد بن صالح في ذلك، إلا أن يكون السخاوي عبّر عن ذلك بعبارة تفيد عدم رضاه عن ذلك حيث قال: "وزاحم أعمامه بجزء في الخطابة والإمامة ورام أكثر من ذلك"^(٥).

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٨٦ - ٨٧.

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، ج ١، ص ١٤٨ - ١٤٩.

(٣) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٩٢.

(٤) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٩، ص ٢٢٦.

(٥) المصدر السابق، ج ٩، ص ١٠٣.

— والابن الثالث لأبي الفتح بن صالح هو الشمس محمد، وقد ناب في الإمامة والقضاء^(١).

— أما الابن الرابع لأبي الفتح صلاح الدين، فهو أشهر أبنائه في هذا الباب، فقد شارك أخوته ووالده في الخطابة والإمامة بالمدينة، وكان يقدّم في رحلاته الكثيرة للإمامة والخطابة أيضاً، فخطب بجامع الأزهر بالقاهرة، وأم بالملك في إحدى صلوات المغرب، وخطب بيت المقدس وخطب بالخليل، وأم بالأقصى، وقد سمع السخاوي خطابته وصلى خلفه^(٢).

— وكذلك شارك الابن الخامس لأبي الفتح مجد الدين محمد أخوته ووالده في الخطابة والإمامة، وقد وصف السخاوي ذلك بأنه: "باشره فأجاد"^(٣).

— وكذلك ناب في الإمامة بالمسجد النبوي يحيى بن عبد الرحمن بن صالح أخو فتح الدين، ناب عن أخيه أبي الفتح فتح الدين بن عبد الرحمن بن صالح^(٤).
— كذلك شارك أخوه القاضي أبو عبد الله محمد ولي الدين في الخطابة والإمامة، وقد وصفه السخاوي بأنه: "كان جيد الخطابة"^(٥).

وناب أيضاً ابنه عبد الرحمن بن صالح في الخطابة والإمامة، فكان ينوب في الخطابة غالباً عند غيبة بني عمه أبناء أبي الفتح بن صالح، وذلك حين يتجهون للحج، وأما الإمامة فكان ينوب عنهم كثيراً^(٦).

أسرة الكازروني:

— تولّى جمال الدين محمد بن أحمد الكازروني (ت ٨٤٣هـ / ١٤٣٩م) الخطابة والإمامة بالمدينة في سنة (٨٢١هـ / ١٤١٨م)، وكان قبل ذلك تولّى القضاء دون الخطابة^(٧).

(١) المصدر السابق، م ٥٠، ج ٩، ص ٢٢٦.

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، م ٥٠، ج ٩، ص ١٠٣، ٢٢٦.

(٣) المصدر السابق، م ٥٠، ج ٩، ص ١٠٤.

(٤) المصدر السابق، م ٥٠، ج ١٠، ص ٢٣١.

(٥) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٥١٦.

(٦) السخاوي: الضوء اللامع، م ٢٠، ج ٤، ص ١٣٣.

(٧) ابن فهد: معجم الشيوخ، ص ٢١٨.

وكان ذلك في سنة (٨١٢هـ/١٤٠٩م)، حيث بقيت الخطابة مفردة لناصر الدين عبد الرحمن بن صالح، وكان الجمال مفوهاً في الخطابة ولذا جاء في ترجمته أنه قاضي المدينة "وخطيبها"^(١).

— كما ناب محمد التقي بن عبد السلام الكازروني عن ابن عمه الجمال الكازروني في الخطابة والإمامة، لما ناب عنه في القضاء وقت كان الجمال بالقاهرة، وكان ذلك لمدة يسيره^(٢).

أسرة التستري (الششتري):

على الرغم من أن أئمة أسرة التستري كانوا قراء، إلا أنهم كانوا عزوفين عن التصدُّر للإمامة والخطابة، حتى إنَّ مَنْ ولي منهم القضاء لم يكونوا راغبين في ذلك، إلا أننا وجدنا من ولي ذلك منهم مثل الشمس محمد بن محمد التستري^(٣).

— وكذلك كان حال أخيه أحمد الشهاب بن محمد، فقد ناب أيضاً عن خاله فتح الدين بن صالح في الخطابة والإمامة^(٤).

وقد يُعزى ترك أفراد هذه الأسرة لذلك، لمحبتهم في الخفاء، ولاسيما وقد نسبوا إلى شيء من التزهّد.

الخطابة والإمامة خارج المدينة:

— خطب محمد صلاح الدين بن صالح (ولد ٨٤١هـ/١٤٣٧م) خارج المدينة ببيت المقدس والخليل وأم بالمسجد الأقصى^(٥).

(١) ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٧، ص ٢٤٧.

(٢) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٥٢٢.

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، ص ٥٣، ج ٩، ص ١٩٥.

(٤) المصدر السابق، ص ١٧١، ج ٢، ص ١٧١.

(٥) المصدر السابق، ص ١٠٣، ج ٩، ص ١٠٣.

ج - الوعظ^(١)

تُعتبر وظيفة الواعظ من الوظائف الدينية، هو والخطيب سواء بسواء، غير أن الخطيب له وقت محدّد للوعظ كخطبة العيدين والجمعة، بينما يكون عمل الواعظ في أي وقت أو كلما دعت الحاجة إلى ذلك^(٢)، وقد اشتهر من علماء الأسر وعظّاء انتقادات إليهم القلوب بوعظهم الذي تحدثت به المجالس والأماكن العامة، وهم ييشرون وينذرون بما جاء في الكتاب والسنة، نذكر منهم:

أسرة ابن فرحون:

اشتهر بالوعظ من أسرة ابن فرحون نور الدين علي بن محمد بن فرحون (ت ٧٤٦هـ / ١٣٤٥م)، وخصّص له كرسي عال بالروضة الشريفة، يجلس عليه كل جمعة بعد الصلاة يعظ الناس بصوت وأداء حسن، بحيث لا يملّ السامع من قراءته، بل يُتِلذذ بإطالته كما ذكر أخوه عنه^(٣)، وكان أدائه في الوعظ قريباً عن أداء المدرسين، "فكلما زاد إطناباً زاد إطراباً، وكل ما أكثر إغراباً زاد الحاضرون إعراباً لحسن حاله"^(٤).

وقد شبّه الناس أبا الحسن بن فرحون بابن الجوزي؛ نظراً إلى تمكنه من الوعظ، بل قد ذكر الفيروزآبادي أنه: "كلف به كل قلب وأحبه، وأصبح كل نفس تهوى وعظه صبة، حتى كأنه سلب ابن الجوزي لُبّه"^(٥).

(١) الوعظ والعظة والموعظة: النصيح والتذكير بالعواقب، وهو تذكير للإنسان بما يُلين قلبه من ثواب وعقاب، والواعظ هو من يقوم بإرشاد الناس وتوجيههم بالقول إلى الخير وعمل الصالحات. ابن منظور: لسان العرب، ٦م، ص ٤٦٣.

(٢) السبكي: تاج الدين عبد الوهاب، معيد النعم ومبيد النقم، تحقيق: محمد علي النجار وأبو زيد شلي وأخرون، (ط١)، (دار الكتاب العربي، مصر، القاهرة، ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م)، ص ١٣؛ الباشا: الفنون الإسلامية، ج ٣، ص ١٣٠٢.

(٣) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ٢٦٩؛ الصفدي: أعيان العصر، ج ٣، ص ٥٠٩؛ ابن حجر: الدرر الكامنة، ج ٣، ص ١٩٠.

(٤) الفيروز آبادي: المغامم المطابة، ج ٣، ص ١٢٥٠.

(٥) المصدر السابق، ج ٣، ص ١٢٥٠.

وكان أبا الحسن علي بن فرحون قد جمع هذه المواعظ في كتاب كبير أسماه "الزاهر في المواعظ والحكايات والأحاديث والذخائر"^(١).

أسرة الخجندي:

— ممن اشتهر بالوعظ بالمدينة من أسرة الخجندي عميدها أحمد بن محمد الخجندي (ت ٨٠٢هـ/١٣٩٩م)، فقد تصدّر للتدريس والوعظ بالمسجد النبوي منذ استقرّ بها سنة (٧٦٦هـ/١٣٦٤م)^(٢)، ومما أهله لذلك غير الخلفية العلمية التي اكتسبها في حياته ورحلاته، أنه كان زاهداً، عابداً، متقشفاً^(٣)، وهذا أجدى أن تصل موعظته للقلوب، فحال الواعظ يؤثر ولاشك في السامعين لمواعظه.

أسرة ابن صالح:

— كان محمد بن صالح (ت ٧٨٥هـ/١٣٨٣م)، يعظ الناس في المسجد النبوي^(٤).

أسرة المراغي:

— اشتهر أبو بكر المراغي (ت ٨١٦هـ/١٤١٤م)^(٥) بالوعظ في الحرمين الشريفين بمكة والمدينة^(٦).

(١) بدر: (عبد الباسط)، الحياة الثقافية في المدينة المنورة في العصر المملوكي، "مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة" ع ٥٤، ص ٧٠.

(٢) السخاوي: وجيز الكلام، ج ١، ص ٣٤٧؛ الزركلي: الأعلام، ج ١، ص ٢٢٥ - ٢٢٦؛ المرجع السابق: ع ٥٤، ص ٧٣ - ٧٤.

(٣) الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، ج ٢، ص ١٢٨.

(٤) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ٣٤؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤٨٥.

(٥) المقرئ: السلوك، ج ٤، ق ١، ص ٢٧٧؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٧، ص ١٢٠.

(٦) المراغي: (أبو بكر بن الحسين)، تحقيق النصرة، ص ١٤.

د - الآذان^(١):

من الوظائف اللازمة في المساجد والجماعات والمدارس وغيرها من المؤسسات التي تُقام فيها الصلاة في جماعة^(٢).

ويشترط في المؤذن معرفة الوقت ومعرفة الآذان وطرقه، كما يشترط فيه إبلاغ صوته للناس وينبغي أن يكون حسن الصوت والخلق والهيبة^(٣)، وأن يكون من أهل التقى والصلاح ومن العارفين بكتاب الله عز وجل^(٤)، ومن الأسر التي اشتهرت بالآذان نذكر ما يلي:

أسرة المطري:

إذا كان الآذان يعد من أهم الوظائف الدينية في العصر المملوكي بالمسجد النبوي، فإن أسرة المطري تعد أهم الأسر التي عنت بذلك من حيث إن مؤسس الأسرة هو أحد ثلاثة ممن انتدبوا من مصر للآذان بالمدينة، حيث لم يكن بها من لا يعرف الميقات كما تقدم، وتوارثت هذه الأسرة الوظيفة من بعد ذلك.

ومن عني بذلك من أسرة المطري بعد مؤسس الأسرة أحمد بن خلف الذي كان رئيس المؤذنين بالمدينة^(٥):

— ثم ابنه محمد جمال الدين المطري (ت ٧٤١هـ / ١٣٤٠م)^(٦)، وبقيت في يد أبنائه من بعده^(٧)، وقد عرف عن الجمال المطري تميزه في الآذان وحسن صوته^(٨)، وهو الذي

(١) الآذان في اللغة الإعلام، وآذان الصلاة معروف بأنه إشعار بدخول وقت الصلاة ومكانه المفدنة وهي المنارة، والمؤذن هو الذي ينادي بالآذان داعياً للمسلمين للصلاة وأول من أذن للصلاة في الإسلام هو بلال بن رباح ؓ.

الرازي: مختار الصحاح، ص ١٢.

(٢) الباشا: الفنون الإسلامية، ج ٣، ص ١١٦٣ - ١١٦٤.

(٣) السبكي: معيد النعم ومبيد النقم، ص ١١٥.

(٤) المديرس: المدينة المنورة في العصر المملوكي، ص ٢١٨.

(٥) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١٠٧.

(٦) الفيروز آبادي: المغام المطابة، ج ٣، ص ١٢٨٩ - ١٢٩٠.

(٧) حسن: متى، أهم معالم الحضارة الإسلامية في مجتمع المدينة في العصر المملوكي، "مجلة كلية الدراسات

الإنسانية"، ٢٢٤، ص ١٦٥.

(٨) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج ٣، ص ٤٠٣.

أكده ابن فرحون حيث قال: "لم نسمع أحسن من صوته في المنارة، كان يُفضّل على صاحبه محمد بن إبراهيم"^(١).

وقد أعطى الله سبحانه الجمال المطري قوة الصوت حتى بعد ما أسنّ، فقد بلغ السبعين سنة وكان لا يزال رئيساً للمؤذنين حتى موته^(٢) رحمه الله.

— ومنهم عبد الله بن محمد عفيف الدين المطري (ت ٧٦٥هـ / ١٣٦٣م)، أخذ وظيفة الآذان عن والده الجمال المطري، فكان أحد المؤذنين بالمسجد النبوي، حتى أصبح رئيساً للمؤذنين به^(٣).

— ومنهم عبد الرحمن بن محمد تقي الدين المطري (ت ٧٧٢هـ / ١٣٧٠م)، ولي الآذان أيضاً بالمسجد النبوي، حيث نصوا في ترجمة ابنه (محمد) أنه ولي الآذان كأبيه^(٤).

— وكذلك محمد بن عبد الرحمن أبو الهدى المطري (ت ٨٠٦هـ / ١٤٠٣م)^(٥)، وهو أخو أبي حامد، مما يشير إلى تعاقبهما في الآذان، ويكون الشمس أسبق في رئاسة المؤذنين، حيث تولّاها أخوه بعد موته سنة (٨١١هـ / ١٤٠٨م).

— ومحمد بن عبد الرحمن أبو حامد المطري (ت ٨١١هـ / ١٤٠٨م)، تناهت إليه رئاسة المؤذنين بالحرم النبوي في بداية سنة (٨١١هـ / ١٤٠٨م) بمئذنة الرئاسة كأبيه وجده، وكعه العفيف^(٦).

— كما كان ينوب محمد بن محمد المحب المطري (ت ٨٥٦هـ / ١٤٥٢م)، عن رؤساء المؤذنين بالمسجد النبوي^(٧).

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤١٤.

(٢) الفيروز آبادي: المغام المطابة، ج ٣، ص ١٢٩٠.

(٣) السبكي: معجم الشيوخ، ص ٢٠٦؛ المصدر السابق، ج ٣، ص ١٢٣٢؛ العراقي: الذيل على العبر، ق ١،

ص ١٥٦؛ المديرس: المدينة المنورة في العصر المملوكي، ص ٢٦١.

(٤) علي السيد علي: الحياة الثقافية في المدينة المنورة، ص ١٦٧.

(٥) الفاسي: العقد الثمين، ج ٢، ص ١٠٥؛ السخاوي: الضوء اللامع، م ٤، ج ٧، ص ٣٠٠.

(٦) الفاسي: العقد الثمين، ج ٢، ص ١٠٦ - ١٠٧؛ ذيل التقييد، ج ١، ص ١٥٣؛ ابن فهد: معجم الشيوخ،

ص ٢٦٧؛ الشماع: القبس الحاوي، ج ٢، ص ١٢١٤.

(٧) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١٦٢؛ وجيز الكلام، ج ٢، ص ٦٦٧.

أسرة الخجندي:

ذكر بعض الباحثين أن الجلال أحمد بن محمد الخجندي (ت ٨٠٢هـ / ١٣٩٩م) كان رئيس المؤذنين بالمدينة^(١)، وهذا لم أجد من نص عليه فيمن ترجم للجلال، ولم يذكر ذلك السخاوي، ولم يشر إليه عن كلام على رؤساء المؤذنين في القرنين الثامن والتاسع الهجري، فأغلب الظن أن ذلك من الوهم.

أسرة الكازروني

مارس أبو المعالي أحمد بن علي الكازروني (ت ٧٥٣هـ / ١٣٥٢م) وظيفة الآذان^(٢).

هـ - النظر^(٣) في المسجد النبوي:

كان الناظر في العهد المملوكي موظفاً من كتاب الأموال في بعض المؤسسات التي تجري فيها المعاملات المالية مثل الجوامع وغيرها، ومهمته التحدث في الأمور التي تخصها كإباحة ما يراه ضرورياً وصالحاً لها وهكذا^(٤).

وهذه الوظيفة وظيفة إدارية بحتة، مهمتها الإشراف الكامل على ما يحدث داخل الحرمين من بناء أو ترميم، إضافة إلى الإشراف على جميع العاملين بالحرمين، ولا يحتاج من يتولّى هذه الوظيفة إلى كفاءة علمية^(٥).

(١) بدر: (عبد الباسط)، الحياة الثقافية في المدينة المنورة في العصر المملوكي، "مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة"، ع ٣، ص ١٢٢.

(٢) ابن فهد: إتحاف الوري، ج ٣، ص ٢٥٩.

(٣) النظر في اللغة: تأمل الشيء بالعين، والناظر: الحافظ وهو من ينظر في الأموال، ويُرفع إليه حساباتها، لينظر فيها ويتأمل فمنها ما يعتمد عليه ويوقعه ومنها ما يردده، وهو يختلف بحسب ما يضاف إليه، كناظر المدرسة، وناظر الوقف، وناظر الحرم وغير ذلك. ابن منظور: لسان العرب، م ٦، ص ٢١١ - ٢١٢؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٥، ص ٤٣٧؛ باز: عبد الكريم علي، ناظر الحرم في العصر المملوكي، "مجلة جامعة أم القرى للبحوث العلمية"، (١٤١١هـ)، س ٣، ع ٥٥، ص ١٤٤.

(٤) الباشا: الفنون الإسلامية، ج ٣، ص ١١٧٧، ١١٧٩.

(٥) الطاسان: محمد صالح، الوظائف الدينية والإدارية بالمسجد الحرام في عهد دولة المماليك، "مجلة العصور" (١٤١٠هـ / ١٩٩٠م)، م ٥٢، ج ٢، ص ٣٠٢.

ويعتبر ناظر المسجد النبوي من الوظائف الدينية المهمة، وكان يعرف بناظر الحرم النبوي^(١)، ومن عمله أن يقوم بتفقد الأوقاف وتوزيع التمور عليها، وعلى طلبة العلم بالمدارس ويتفقدهم^(٢).

وتولّى هذه الوظيفة الكثيرون من العلماء المشهورين، ومن الأسر العلمية التي هي موضع دراستنا تولاها:

أسرة ابن صالح:

— تولّى عبد الرحمن بن محمد بن صالح (ت ٨٢٦هـ / ١٤٢٢م) النظر في المسجد النبوي، ويعدّ عبد الرحمن بن محمد بن صالح أول من ولي وظيفة النظر، إضافة إلى الوظائف الثلاث؛ القضاء والخطابة والإمامة، فقد كانت الوظائف الثلاث لا تضم لها وظيفة النظر، فلمّا كان زمان ناصر الدين أبو الفرج، ضم النظر لها، واستمرّ هذا الأمر في بنيه وأحفاده، فولي أبو الفتح محمد بن عبد الرحمن النظر إضافة إلى القضاء والإمامة، ثم ترك القضاء لأخيه ولي الدين أبي عبد الله محمد، واقتصر على الثلاثة الباقية، إلى أن مات سنة (٨٦٠هـ / ١٤٥٥م)، فاستقلّ بنوه الثلاثة بالقضاء والإمامة والخطابة والنظر كذلك^(٣).

— وقد استقرّ محمد الزكي بن محمد بن صالح في وظيفة النظر في مصالح المسجد النبوي بعد أبيه^(٤).

— كما زاحم ابنه ناصر الدين محمد بن صالح في جزء من هذه الوظيفة أيضاً أعمامه في حياتهم^(٥).

(١) بدرشيني: أحمد بن هاشم، أوقاف الحرمين الشريفين في العصر المملوكي، (رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م)، ص ٢٣٣.

(٢) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ٩٦ - ٩٧.

(٣) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٣١؛ ج ٢، ص ١٤٩ - ١٥٠.

(٤) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٩، ص ١٠٢.

(٥) المصدر السابق، ج ٩، ص ٢٢٦.

و — الفتيا: (١).

الفتيا والأحكام الشرعية تستمدُّ من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ولم يكن هناك أدنى مجال للكذب على رسول الله ﷺ في مطلع الإسلام؛ لما كان لدى الصحابة من الديانة التي تمنعهم من ذلك، لذا كان الصحابة يخافون الفتوى، ويهابونها، ولا يفتون إلا بعد التأكد من صحة فتواهم خوف الخطأ في الأحكام^(٢)، ذلك أن الفتيا أمر عظيم والمصارعة إليها خطر أعظم، وكان ابن عمر يجيب عن واحدة ويسكت عن تسع^(٣)، وقد لاحظت أن وظيفة الإفتاء في العصر المملوكي كانت تُسند أحياناً إلى القاضي أو الخطيب أو الإمام. ومن الأسر التي تولّى أفرادها هذا المنصب:

أسرة المطري:

من تولّى الإفتاء من أسرة المطري: عبد الرحمن بن محمد المطري (ت ٧٧٢هـ/١٣٧٠م)، حيث وُصف بـ: "مفتي المسلمين"^(٤).
— كما تولّى ولده محمد بن عبد الرحمن المطري (ت ٨١١هـ/١٤٠٨م)، الإفتاء، ووُصف بأنه: "درّس وأفق"^(٥).

أسرة الزرندي:

— تصدّر الشيخ علي بن يوسف الزرندي (ت ٧٧٢هـ/١٣٧٠م) للإفتاء^(٦)، حيث كان أهلاً لذلك لعلمه وفضله، كما لاشك كان مستفيداً في الإفتاء من تولّيه للقضاء كما

(١) الفتيا: من فتا أو استفتاه في مسألة فأفتاه أبانه له، والاسم (الفتيا) والفتوى وهي تبين المشكل من الأحكام والفتوى والفتوى والفتيا: ما أفق به الفقيه، والفتيا علم تروى فيه الأحكام الصادرة عن الفقهاء في الوقائع الجزئية ليسهل الأمر على القاصرين من بعدهم. ابن منظور: لسان العرب، ٥م، ص ٩٢؛ الرازي: مختار الصحاح، ص ٤٩١؛ طاش كيري زادة: مفتاح السعادة، ج ٢، ص ٦٠١.

(٢) الخصري: إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء، ص ١٧٦.

(٣) السبكي: معيد النعم، ص ١٠٢-١٠٣.

(٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٤٨.

(٥) الفاسي: العقد الثمين، ج ٢، ص ١٠٥؛ السخاوي: الضوء اللامع، ٤م، ج ٧، ص ٣٠٠.

(٦) المقرئ: درر العقود، ج ٢، ص ٤٧٧.

كان مستفيداً في القضاء من اشتغاله بالفتوى، فلا يكاد ينفصل أحد الأمرين عن الآخر في حال متولي القضاء من العلماء.

أسرة ابن فرحون:

— كان أبا عبد الله محمد بن فرحون (ت ٧٢٢هـ/١٣٢٢م) يفتي على مذهب مالك وكان مفتي المالكية بالمدينة الشيخ أبو الربيع إذا سُئل عن المسألة يقول للسائل: "هل سألت الشيخ أبا عبد الله ابن فرحون؟... فإن قال: لا، يقول: اذهب وأساله وأخبرني بما يقول لك، وإن قال: سألته يقول له: ماذا قال لك؟، فإذا أخبره نظر، فإن كان مما اتفقا عليه أمر السائل به، وإن كان فيه مخالفة ما، قال له: اذهب حتى اجتمع به، فيجتمعان ويحرران المسألة، ثم يأمران جميعاً السائل بما يتفقان عليه"^(١).

وهذا يشير إلى وجود ما يسمى الآن بـ: (المجمع الفقهي) وعدم استقلال الفقيه بالفتوى منفرداً، وهو يشير إلى تواضع الشيخ أبي الربيع وتقواه، كما يشير إلى تمكن ابن فرحون من مذهب مالك، وتأمله للفتوى أيضاً.

— وقد تصدر برهان الدين إبراهيم بن علي بن فرحون (ت ٧٩٩هـ/١٣٩٦م) للإفتاء في سنة (٧٩٣هـ/١٣٩٠م)، وقد جاوز الستين من عمره^(٢).

أسرة الخجندي:

— على الرغم من استيطان الشيخ أحمد بن محمد الخجندي (ت ٨٠٢هـ/١٤٠٠م)، المدينة في سنة (٧٦٦هـ/١٣٦٤م)، وكونه وارداً عليها، غريباً عن أهلها، إلا أنه سرعان ما تصدر للفتوى، فقد ذكر السخاوي أنه: "استمر أكثر من أربعين سنة يفتي بالمدينة"^(٣)، وكان سبب ذلك تميزه في الإفتاء على المذهب الحنفي، فقد لازم السيد الجلال الكيلاني الحنفي بخوارزم قريباً من إحدى عشرة سنة، حتى أذن له في الفتوى، كما

(١) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ٨٢.

(٢) بدر: (عبد الباسط)، الحياة الثقافية في المدينة في العصر المملوكي، "مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة"، ع ٥٤، ص ٣٧٣.

(٣) السخاوي: وجيز الكلام، ج ١، ص ٣٤٧.

اشتغل بالإفتاء لما دخل بغداد مدة سنتين ونصف، وكذلك أذن له مشايخه بالإفتاء، فكان في نحو الثلاثين من عمره^(١).

— ومن تولى الإفتاء من أسرته حفيده محمد بن أحمد الخجندي (ت ٨٩٩هـ/١٤٩٣م)، فقد أذن له فيه جمع من شيوخه^(٢).

أسرة ابن صالح:

— باشر الشمس محمد بن محمد بن صالح (ت ٨١٤هـ/١٤١١م) الإفتاء، كما أجاز أبو الفتح بن صالح لابنه صلاح الدين محمد بالإفتاء^(٣).

أسرة الكازروني

يمكن أن تُعتبر أسرة الكازروني ممن كان يقصد للإفتاء في المدينة، إذ مذهب الفتوى لا ينفصل بحال عن (الفقه) وكان الكازرونيون معتنين بالفقه بحثاً ودراسةً وتدریساً وتأليفاً، لكن وجدت جماعة من هؤلاء قد نصّ في ترجمتهم على هذا المنصب الشريف، وكثير منهم ممن أذن له علماء عصره بذلك.

ومن هؤلاء: الصفي أحمد وابنه الجمال وابنه ناصر الدين أبو الفرج.

— فالصفي أحمد بن محمد الكازروني (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م)، قد أذن له بالإفتاء جماعة من شيوخه كالبهاء السبكي وابن قاضي شهبة وغيرهم، فباشره بعفة ونزاهة^(٤).

— وابنه الجمال محمد الكازروني (ت ٨٤٣هـ/١٤٣٩م) وُصِفَ بأنه بارع في الإفتاء، وقد أذن له البهاء السبكي والبلقيني وغيرهما بالإفتاء، فباشره بعفة ونزاهة^(٥).

— وكذلك كان حال ناصر الدين محمد بن الجمال الكازروني (ت ٨٦٧هـ/١٤٦٢م)، فقد أذن له السكاكيني بالإفتاء وهو شاب كهل وعمره ٣٦ سنة أي في سنة (٨٣١هـ/١٤٢٧م)، فكان أهلاً له^(٦).

(١) السخاوي: الضوء اللامع، م ١، ج ٢، ص ١٩٥-١٩٩.

(٢) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤١٥-٤١٦.

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، م ٥، ج ٩، ص ١٠٣-١٠٤.

(٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١٣٦.

(٥) الشماع: القبس الحاوي، ج ٢، ص ١٣٠؛ الشوكاني: البدر الطالع، ج ٢، ص ١٢١.

(٦) السخاوي: الضوء اللامع، م ٥، ج ٩، ص ٤٤.

— وقد قام عبد السلام بن محمد (ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م) بالإفتاء أيضاً، وكان له باع فيه^(١).

— كما قام بالإفتاء محمد بن عبد العزيز، وكان ابتداء أمره به سنة (٨٣١هـ/١٤٢٧م)^(٢).

أسرة المراغي:

— تصدر أبو بكر بن حسين المراغي (ت ٨١٦هـ/١٤١٤م)، للفتوى بالمسجد النبوي^(٣).

أسرة السمهودي:

— يعتبر علي بن عبد الله السمهودي (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م) مفتي المدينة، فقد أذن له جماعة ومنهم الشهاب الشارمساحي^(٤) بعد أن امتحنه في مسائل^(٥) بالإفتاء^(٦)، فقام بالفتوى على مذهب الإمام الشافعي^(٧).

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٧٣؛ المديرس: المدينة المنورة في العصر المملوكي، ص ٢٧٦.

(٢) المصدر السابق، ج ٢، ص ٥٢٣ - ٥٢٤.

(٣) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ١٤، ص ١٢٥؛ بدر: (عبد الباسط)، الحياة الثقافية في المدينة المنورة في العصر المملوكي، "مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة"، ع ٥٤، ص ٧٤.

(٤) هو محمد بن محمد القاضي عز الدين الشارمساحي، من جملة أعيان القاهرة حشمة ورياسة ووجاهة، مع بشاشة الوجه والإحسان للناس والفقراء، توفي سنة (٨٠٣هـ/١٤٠٠م). ابن حجر: إنباء الغمر، ج ٨، ص ١١٨.

(٥) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٢٨٠؛ الضوء اللامع، م ٣، ج ٥، ص ٢٤٦.

(٦) الشماع: القبس الخاوي، ج ١، ص ٥٠١؛ العيدروسي: النور السافر، ص ٩٥؛ شاعر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون، ج ٤، ص ٤١٢.

(٧) الأنصاري: (ناجي محمد حسن)، التعليم في المدينة المنورة، ص ٢٥٤.

ز- الحسبة^(١)

الحسبة منصب ديني وأخلاقي أساسه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر^(٢)، قامت على تنفيذ معنى الآية الكريمة: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٣)، ومن الأسر العلمية التي تولّى أفرادها الحسبة:

أسرة الزرندي:

— يعدُّ أبو الحسن علي بن يوسف الزرندي (ت ٧٧٢هـ/١٣٧٠م) أول من تولّى أمر الحسبة من هذه الأسرة، وكان تولّيها في سنة (٧٤٦هـ/١٣٤٥م)، وقد ارتبط تولّيه لهذه المهمة بمدحه بأنه: (سيف لأهل السنة، دماغ للبدعة المضلة)^(٤)، وأنه: "لما كان أنصارياً، قام بنصر سنة المصطفى قياماً صحَّح به النسبة، دفع بسيف بأسه البدعة وأهلها"^(٥).

وهذا يشير إلى تميز في أمر الحسبة تميّز به أبو الحسن علي، حتى صار هذا علماً عليه بقي في ترجمته إلى يومنا هذا. وولي الحسبة بعده ابنه محمد فتح الدين، وكان ذلك سنة (٧٧٢هـ/١٣٧٠م)، أو سنة (٧٧٣هـ/١٣٧١م)^(٦).

(١) الحسبة لغة: العدّ، والحسبة مصدر احتسابك الأجر على الله، والاحتساب هو طلب الأجر، والمحتسب قيل أمّا مشتقة من حسبك، والمحتسب هو من يقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقيل سُمّي بذلك لأنه يكفي الناس حساب من يأخذ حقهم ويظلمهم. ابن منظور: لسان العرب، م ٢، ص ٧٧؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٥، ص ٤٢٤؛ ٧٩؛ أبو زيد: سهام مصطفى، الحسبة في مصر الإسلامية من الفتح العربي إلى نهاية العصر المملوكي، (د.ط.)، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م)، ص ٤٢.

(٢) عاشور: سعيد عبد الفتاح وآخرون، دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية، (د.ط.)، (دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٤م)، ص ١٦٧؛ الحسن: سعاد إبراهيم بن محمد، النشاط التجاري في مكة المكرمة خلال العصر المملوكي ٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م (رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، ص ٢٩٠.

(٣) القرآن الكريم: سورة آل عمران، آية: (١٠٤).

(٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٣٠٦-٣٠٧.

(٥) الفيروز آبادي: المغامم المطابة، ج ٣، ص ١٢٦٠.

(٦) المقرئ: العقود الفريدة، ج ٣، ص ٢٦٣.

— وقد تولَّى ابنه الآخر عبد الرحمن بن علي الزرندي (ت ٨١٧هـ / ١٤١٤م) الحسبة في المدينة كذلك، حتى صار يطلق عليه: "محتسب المدينة"^(١).

وقد كانت ولايته طويلة الأمد، ذكر المقرئ ما يشير إلى أنها نحو ثلث القرن، فقد قال: "وولي قضاء المدينة نحو ٣٣ سنة مع حسبتها"^(٢)، فكان هذه العبارة تدل على أنه تولَّى الأمرين (القضاء والحسبة) لهذه المدة، وكذلك قال ابن تغري بردي^(٣).

— وتولَّى الحسبة القاضي يوسف بن محمد الزرندي (ت ٨٣٩هـ / ١٤٣٥م)، ثم ابن عمه القاضي فتح الدين محمد الزرندي (ت ٨٣٨هـ / ١٤٣٤م)^(٤).

— كما تولَّى أمر الحسبة بعد ذلك أيضاً ابنه علي بن يوسف الزرندي (ت ٨٩٢هـ / ١٤٨٦م) بسعاية عمر بن عبد العزيز بن بدر كاتب الحرم، وذلك عوضاً عن علي بن سعيد الزرندي، ثم صُرف عن الحسبة به أيضاً^(٥).

— وتولَّاهما أيضاً القاضي سعد الدين بن محمد الزرندي (ت ٨٦٨هـ / ١٤٦٣م)^(٦).

— ثم تولَّاهما من بعد أخوه (سعيد) حتى وفاته سنة (٨٧٤هـ / ١٤٦٩م)^(٧).

— ثم تولَّاهما ابنه علي بن سعيد الزرندي (ت ٩١٦هـ / ١٥١٠م)، واستقرَّ فيها بعد موت أبيه سنة (٨٧٤هـ / ١٤٦٩م)، وكان ذلك بما أسعفه به البرهاني بن ظهيرة، الذي كتب له محضراً بتأهله لها، ثم انفصل عن الحسبة يسيراً بقريه النور علي بن يوسف الزرندي (ت ٨٩٢هـ / ١٤٨٦م)، ثم أُعيد إليها بعد أن أضيفت لشيخ الخدام المقر الشجاع شهاب الجمالي، وفوضها بعده لأخيه أبي الفتح محمد بن سعيد بن محمد بن عبد الوهاب^(٨).

(١) السخاوي: وجيز الكلام، ج ٢، ص ٤٢٥.

(٢) المقرئ: السلوك، ق ١، ج ٤، ص ٢٩٦.

(٣) ابن تغري بردي: الدليل الشافي، ج ١، ص ٤٠٢؛ النجوم الزاهرة، ج ١٤، ص ١٣٢.

(٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٥٣٢.

(٥) المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٠٨؛ الضوء اللامع، ج ٣، ص ٥٣.

(٦) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٣٩٢؛ الضوء اللامع، ج ٢، ص ٢٥٣.

(٧) المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٥٦.

(٨) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٢٧٧ - ٢٧٨.

— وتولّى بعده أخوه محمد بن سعيد الزرندي، واستمرّ في وظيفة الحسبة حتى وفاته، وتولّى بعده ابنه (سعد) الوظيفة^(١).

ح - التدريس^(٢):

لقد ازدهرت عملية التدريس، الأمر الذي تولّد عنه كثرة المدارس وتطوّرها، في العهد المملوكي، وتنافس السلاطين في إنشاء المؤسسات التعليمية والصرف عليها، وقد احتلّ المدرسون في ذلك العصر مكانة مرموقة؛ إذ كانت وظيفة المدرس من الوظائف الدينية ويشغلها علماء متدينون، وكان السلطان يعيّن أكابر المدرسين في مصر وولاياته الأخرى^(٣).
وقد وُضعت ضوابط وصفات للمدرس لا بد أن تتوفر فيه: فحقّ عليه أن يحسن إلقاء الدرس وتفهمه للحاضرين بأبسط الطرق، كما عليه أن يبتكر من الوسائل ما يسهّل مهمته، وعليه أن يتسلّح بعلم وافر وثقافة واسعة؛ حتى لا يجد العوام والجهلاء طريقهم لهذه المناصب^(٤).

المدارس في المدينة وخارجها:

ساهمت المدينة المنورة في ازدهار التعليم بصورة واضحة، حيث قامت بها بعض من المدارس التي أنشأها الملوك والأمراء والوجهاء والتجار، والمدارس بالمدينة غالباً ما تكون أربطة سابقة أو منازل هدمت، ثم بنيت مرةً أخرى بناءً يتناسب مع متطلبات المدرسة، ويقع أغلب هذه المدارس جوار المسجد النبوي، وكثيراً ما تتكون من طابقين، يسكن الطلاب الدور العلوي، ويستعمل الدور السفلي للمدرسين والمسؤولين عنها^(٥).

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤٨٠.

(٢) وهي مأخوذة من درس الكتاب دراسة إذا كرره للحفظ، ودرست تعلمت، ودرست الكتاب درساً أي ذلكته بكثرة القراءة، والمدرّس اسم فاعل من درس وهو المعلم الذي يقوم بتعليم الطلبة العلوم الشرعية من تفسير وحديث وفقه ونحو وتصريف وغير ذلك. الرازي: مختار الصحاح، ص ٢٠٣؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٥، ص ٤٣٦.

(٣) الباشا: الفنون الإسلامية، ج ٣، ص ١٠٦١.

(٤) السبكي: معيد النعم ومبيد النقم، ص ١٠٥-١٠٦.

(٥) المديرس: المدينة المنورة في العصر المملوكي، ص ٢٥٥.

وكان يدرّس في تلك المدارس القرآن والحديث والتفسير والعقائد وغيرها، كما توجد مدارس اختصت بمذاهب معينة، مثل المدرسة الشافعية التي بناها الأمير خيرى بك أحد فقهاء الشافعية بالمدينة وكلف السمهودي بالتدريس بها، وهناك المدرسة الحنفية التي بناها أحد أمراء الشام، وهي ما تعرف بمدرسة الأزكوجية.

وقد زالت آثار كل المدارس التي عرفت في العصر المملوكي في المدينة المنورة وذلك خلال التوسّعات التي تمت بالمسجد النبوي.

ومن العلماء من درس بالمدارس ومنهم من درّس بالنازل، وفيما يلي بيان ذلك:

أ - التدريس في المدارس:

١ - المدرسة الأزكوجية :

بنى هذه المدرسة يازكوج^(١) أحد أمراء الشام في مكان دار الخليفة أبي بكر الصديق عليه السلام وكان يُدرّس بها المذهب الحنفي وبينها وبين دار الخليفة عثمان عليه السلام الطريق إلى البقيع^(٢). ومن الذين درسوا بها:

— محمد بن أبي بكر الكازروني (ت ٧٥١هـ / ١٣٥٠م)، فقد تولّى تدريس الفقه على المذهب الحنفي فيها^(٣).

٢ - المدرسة الباسطية:

أنشأها الزيني عبد الباسط (ولد ٧٨٤هـ / ١٣٨٢م) صاحب المدرسة الباسطية بمكة^(٤) وكانت في دار أبي

(١) هو سيف الدين يازكوج الاسدي ولي قلعة حلب في عهد صلاح الدين الأيوبي. المراغي: (أبو بكر بن الحسين)، تحقيق النصرة، ص ١٢٠.

(٢) المطري: (محمد بن أحمد)، التعريف بما آتست الهجرة، ص ٣٦؛ ويذكر السمهودي أن دار أبي بكر خلف المدرسة جهة المشرق. وفاء الوفاء، ج ٢، ص ٧٣١.

(٣) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤٦٣.

(٤) كان ذلك حين اشترى داراً بمكة على يسار الحرم سنة ٨٣٤هـ / ١٤٣٠م) وكلف أحد موظفي السلطة بالإشراف على عمارة هذه المدرسة وبدأ ذلك سنة ٨٣٥هـ / ١٤٣١م)، وانتهى العمل بها بعد عام من بدايته، وأحكم بناءها وجعل لها شبائيك تطل على الحرم، وبها خلاوي للفقراء، واستعملت بمثابة سكن للوافدين من الأعيان للحج، ولها أوقاف عيّن لها من يباشرها، وقد ظلت هذه المدرسة تقوم بدورها ضمن مدارس مكة إلى ما بعد فترة الدراسة، وقيل أنها بقيت إلى القرن الرابع عشر الهجري قبل التوسعة السعودية للحرم الشريف، وقد سمي =

مطيع^(١) بالمدينة ، وذلك سنة (٨٤٠هـ / ١٤٣٦م) حينما حجَّ آخر حجَّاته، وأقام عليها مدرسة مواجهة للمدرسة الأشرفية^(٢)، وقيل أنه بناها لأجل علي بن إبراهيم العجمي الشيرازي الشافعي (ت ٨٦٠هـ / ١٤٥٥م)^(٣) وعيَّنه مشرفاً عليها، وقد بدأ عمارتها سنة (٨٥٣هـ / ١٤٤٩م)، وكانت تدرِّس العلوم الشرعية، والخط،^(٤) ومن الذين درسوا بها:

— قام برهان الدين إبراهيم بن فتح الدين بن صالح بالتدريس في المدرسة الباسطية المدنية، ثم استقرَّ في مشيختها بعد السيد علي (لعله السمهودي)^(٥)، وقد استضاف بالمدرسة الباسطية المحدث المؤرخ السخاوي^(٦).

٣- المدرسة الجوبانية:

بناها جوبان بنتدوان أبو سعيد بن خزندا نائب المملكة القاءانية بالمدينة سنة (٧٢٤هـ / ١٣٢٣م)، وكانت بباب الرحمة، وقد وصفها السخاوي بأنه: "ليس بالمدينة مدرسة ولا رباط ولا دار أحسن بناءً وأتقن"^(٧).

— وقد تقلَّد التدريس بها عبد السلام الثاني العز بن محمد الكازروني، ولم تسعفنا المصادر عن الكتب التي كان يدرسها ولا طريقة تدريسه، إلا ما ذكره السخاوي أنه كان يتكلم في المدرسة "مع سكون وسكوت"^(٨).

=الباب المؤدي إلى المسجد بقرها بباب الباسطية. ابن فهد: عمر بن محمد، تحاف الوري، ج ٤، ص ٥٩، ٦٣-٦٤؛ باسلامة: حسين عبد الله، تاريخ عمارة المسجد الحرام بما احتوى من مقام إبراهيم وبئر زمزم والمنبر وغير ذلك، (ط ٣)، (تامة، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م)، ص ١٣٠-١٣١؛ ج ٤، ص ٢٤-٢٦.

(١) السمهودي: وفاء الوفاء، ج ٢، ص ٧٢٣.

(٢) المصدر السابق، ج ٢، ص ٦٤٣؛ بدرشيني: أوقاف الحرمين، ص ٨٨.

(٣) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٢٧١؛ بدرشيني: أوقاف الحرمين، ص ٨٨.

(٤) السخاوي: الضوء اللامع، م ٣، ج ٥، ص ١٥٨.

(٥) التميمي: الطبقات السنية في تراجم الحنفية، ص ٣٦٢.

(٦) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٨٦-٨٧؛ الشوكاني: البدر الطالع، ج ١، ص ٢٤.

(٧) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٢٤٩.

(٨) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٧٥؛ المزيني: الحياة العلمية في القرنين السابع والثامن الهجريين، ص ١٣٠.

٤ — المدرسة الزمنية:

— بناها شمس الدين بن الزمن، وكان قد أرسل لعمارة المسجد النبوي سنة (٨٨٦هـ/١٤٨١م)، وأشرف عليها وعلى التدريس بها علي بن عبد الله السمهودي (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م) بعد أن توفي من أنشأها قبل بدء العمل فيها^(١).

٥ — المدرسة الشهابية :

تنسب هذه المدرسة إلى الملك المظفر شهاب الدين غازي بن الملك العادل سيف الدين بن بكر بن أيوب بن شادي (ت ٦٤٥هـ/١٢٤٧م)^(٢)، ومقرها بجوار المسجد النبوي في المكان المعروف بدار أبي أيوب الأنصاري.

ومن درس بها من علماء الأسر العلمية:

— أبو عبد الله محمد بن فرحون (ت ٧٢١هـ/١٣٢١م)، وقد وُصف بأنه: "مدرساً فاضلاً"، وقد كان الشيخ محمد بن فرحون يدرس بالمدرسة الشهابية، ثم انتقل إلى التدريس بالمسجد النبوي، بسبب خلاف بينه وبين القاضي سراج الدين^(٣).

— وقد تولّى ابنه البدر عبد الله بن فرحون (ت ٧٦٩هـ/١٣٦٧م) التدريس بها إضافةً إلى تصدّره مدرساً للمالكية بالحرم النبوي أكثر من خمسين سنة، وحدث ودرّس وأفاد، وإليه انتهت الرياسة بالمدينة النبوية^(٤).

— وقد تصدّى للتدريس أيضاً أخوه علي بن محمد بن فرحون (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، فكان يدرّس "مختصر ابن الحاجب" في الفقه المالكي، ويحضر مجلسه الكثير من العلماء.

وكانت طريقة الشيخ نور الدين علي بن محمد بن فرحون فريدة في كثرة الفوائد والأشعار التي يثّنها خلال الدرس، وكان ذلك مشتهراً عنده، مما حدا إلى شيخه القاضي السراج الدمنهوري (ت ٧٢٦هـ/١٣٢٥م) أن يشير على الطلبة بصيد هذه الفوائد، فكان

(١) الأنصاري: (ناجي محمد)، التعليم في المدينة المنورة، ص ٢٥٤.

(٢) النهروالي: قطب الدين محمد بن أحمد، الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، (ط . د)، (دار الكتب)، ص ٢٤٣.

(٣) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٥٦٤.

(٤) ابن فرحون: (إبراهيم بن علي)، الديباج المذهب، م ١، ص ٤٠١؛ المصدر السابق، ج ٢، ص ٨٧.

إذا جلس في درس يقول للطلبة: "إذا حضر الفقيه نور الدين، فأحضروا معكم الدواة والورق حتى تقيّدوا من أشعاره واستشهاده"^(١)، وإذا علمنا أن السراج توفي سنة (٧٢٦هـ/١٣٢٥م)، فيكون عمر النور أبي الحسن علي بن محمد بن فرحون لم يبلغ الثلاثين عند وفاته.

٦- المدرسة الكلبرجية:

يرجع تاريخ هذه المدرسة إلى سنة (٨٣٨هـ/١٤٣٤م)، أنشأها السلطان شهاب الدين أبو المغازي أحمد شاة، سلطان (كلبرجة) بالهند، و فكرة إنشائها يرجع إلى زمن يسبق ذلك، فقد ذكر ابن فهد أن السلطان شهاب الدين هذا بعث بصحبة المراكب القادمة لجدّة مالا جزيلاً؛ ليعمر له مدارس بمكة والمدينة والقدس، فكانت مدرسة مكة (الكلبرجية) أسبق في الظهور، وعمرت في سنة (٨٣١هـ/١٤٢٧م) وكمل عمارتها في سنة (٨٣٢هـ/١٤٢٨م)^(٢).

أما مدرسة المدينة، فقد تأخّر إنشاؤها إلى سنة (٨٣٨هـ/١٤٣٤م)، وكانت تقع بالقرب من باب الرحمة^(٣)، وهو من أشهر أبواب المسجد النبوي، واختيار هذا الباب لإتاحة الفرصة للطلاب للورود عليها وكذلك الوافدين على المدينة، ممن لا يعرف دروبها ولا يتعد عادة أبعد من المسجد النبوي.

وقد تم وقف هذه المدرسة على الشيخ طاهر بن أحمد الخجندي (ت ٨٤١هـ/١٤٣٧م)، وجعلها لذريته من بعده^(٤)، فهو الشيخ طاهر أول من تولى مشيختها وحدث بها ودرّس^(٥).

(١) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ٢٦٩.

(٢) ابن فهد: إتحاف الوري، ج ٤، ص ٤٥، ٦٤٣.

(٣) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٣٦؛ الجابري: الحياة العلمية في الحجاز، ص ٤١٣.

(٤) المقرئ: درر العقود، ج ٢، ص ٢٠٠؛ ابن فهد: معجم الشيوخ، ص ١١٨.

(٥) ابن تغري بردي: الدليل الشافي، ج ١، ص ٣٥٨.

٧ — المدرسة المزهرية:

تعود لصاحبها الزيني كاتب السر بمصر، وقد أنشأها من جهة باب الرحمة من المسجد النبوي، وقد أشرف عليها علي بن عبد الله السمهودي (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م) بعد أن توفي منشئها وصاحبها قبل بدء العمل فيها، فقام بالإشراف عليها والتدريس بها^(١). وكانت المدرسة تحوي أماكن لسكنى العلماء والطلبة، فقد ذكر السخاوي أنه نزل بها سنة (٩٠٢هـ/١٤٩٦م)^(٢).

٨ — المدرسة الأشرفية:

هي المدرسة التي أنشأها الأشرف قايتباي في سنة (٨٨٧هـ/١٤٧٢م)، بين بابي السلام والرحمة في أعقاب الحريق الذي نشب بالمسجد النبوي، وقد كانت ملاصقة للمسجد النبوي، وأقيمت على أرض دار الشباك والمدرسة الجوبانية بعد أن قام بهدمها ابن الزمن، وفي سنة (٨٨٩هـ/١٤٧٤م)، أرسل السلطان خزانة كبيرة من الكتب والمصاحف، وجعلها وقفاً بالمدرسة على طلبة العلم، وقد جعل الإشراف على هذه المدرسة وما بها من كتب للسمهودي^(٣).

المدارس بمكة المكرمة:

وقد امتد أثر هذه الأسر العلمية خارج المدينة، فقد تولّى عدد من أفرادها الإشراف والتدريس في تلك المدارس، ومن المدارس التي تقع خارج المدينة نذكر ما يلي:

١ — المدرسة الجمالية [اليوسفية]:

أنشأها ناظر الخاص يوسف بن عبد الكريم بن بركة الجمال السعدي^(٤) سنة (٨٥٧هـ/١٤٥٣م)، بمكة وولّى إشرافها في أول إنشائها إلى محمد بن أبي بكر المراغي (ت ٨٥٩هـ/١٤٥٤م) وقد كان يدرس فيها بعد صلاة الفجر ولارتباطه بالتدريس في

(١) العيدروسي: النور السافر، ص ٥٩؛ الأنصاري (ناجي محمد)، التعليم في المدينة المنورة، ص ٢٥٤.

(٢) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٣٦؛ بدرشيني: أوقاف الحرمين، ص ٨٨.

(٣) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٣٦؛ الجابري: الحياة العلمية في الحجاز ص ٤١٤.

(٤) هو يوسف بن عبد الكريم السعدي القاهري، نشأ تحت كنف أبيه فأحضر له ممن يعلمه القرآن والكتابة، حيث برع فيها كما برع في علم الحساب، وولي وزارة القاهرة، له مآثر حسنة منها عمارة المدرسة الفخرية، توفي سنة

(٨٦٢هـ/١٤٥٧م). السخاوي: الضوء اللامع، ص ٥٣، ج ١٠، ص ٣٢٢-٣٢٣.

المدرسة الزمامية بعد العصر، درس بها في سنة (٨٥٧هـ/١٤٥٣م) واستمر يدرّس بها ويحدّث بالكتب الستة إلى أن مات^(١).

٢- المدرسة الزمامية:

أنشأ هذه المدرسة الطواشي خشقدم بن عبد الله الظاهري الزمام في سنة (٨٣٥هـ/١٤٣١م)، وموقعها عند دار العجلة شمال المسجد الحرام بمكة^(٢).

وقد ولي التدريس بها الشيخ محمد بن أحمد الخجندي (ت ٨٩٩هـ/١٤٩٣م) وكان ذلك مدة من الزمان، لكنه أعرض عنها لعدم رغبته في الإقامة بغير بلده، وربما كان ذلك في دخوله مكة سنة (٨٩٤هـ/١٤٨٨م)^(٣).

* المدارس بالقاهرة:

وكذلك كان لبعض علماء هذه الأسر المدنية اشتغال بالتدريس ببعض مدارس القاهرة، وهذا يؤكد البعد العلمي للأسر العلمية الذي لا يعتدّ بفواصل حدودية تمنع من الاتصال بالعلماء وطلاب العلم في البلاد. وأهم هذه المدارس:

المدرسة الصالحية:

أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل في القاهرة بين القصرين، وكان ذلك في سنة (٦٣٩هـ/١٢٤١م)، وانتهى العمل بها سنة (٦٤١هـ/١٢٤٣م) وهي أول مدرسة أنشئت بمصر للمذاهب الأربعة^(٤)، ورثب الملك نجم الدين بها دروساً للفقهاء المنتمين لهذه المذاهب الأربعة، وكان بها مساكن للطلبة^(٥).

(١) ابن فهد: معجم الشيوخ، ص ٢٢١؛ الشماع: القبس الحاوي، ج ٢، ص ١٥٨؛ الجابري: الحياة العلمية في الحجاز، ص ٣٩٨؛ الدهاس: فواز علي بن جنيد، المدارس في مكة خلال العصرين الأيوبي والمملوكي، (ط ١)، (دار القاهرة، ٢٠٠٦م)، ص ٢٦.

(٢) ابن فهد: إتحاف الوري، ج ٤، ص ٦٤ - ٦٥؛ المرجع السابق، ص ٨٦.

(٣) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤١٦.

(٤) المقرئ: تقي الدين أحمد بن علي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار "الخطط المقرئية" (د. ط)، (مكتبة الآداب، د. ت)، ج ٤، ص ٣٦؛ السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (د. ط)، (دار الفكر العربي، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م)، ص ٢٠٩، ٢٣٠.

(٥) العراقي: الذيل على العبر، ق ١، ص ٢٠٥؛ المزي: الحياة العلمية في القرنين السابع والثامن الهجريين،

ومن أبرز الذين عملوا بها: الشيخ علي السمهودي (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م) حيث
تقرر تعيينه معيداً^(١) في الحديث بجامع ابن طولون^(٢)، وفي الفقه بالصالحية^(٣).

* المدارس باليمن

تولّى محمد بن أبي بكر المراغي (ت ٨٥٩هـ/ ١٤٥٤م)، التدريس بالمدرسة
(السابقة)^(٤) بزييد باليمن، وقد لقي كل الترحيب من ملوكها أثناء إقامته بها.

التدريس في المنازل:

لم يقتصر التعليم في المدينة المنورة على الحلقات التي كانت بالمسجد النبوي والمساجد
الأخرى والمدارس وغيرها من المؤسسات التعليمية، بل كان هنالك تعليم يدور في المنازل
وبأشكال مختلفة، ذلك إن بعض الأسر ذات الاهتمام بالعلم والتعليم اعتمدت على نفسها في
تعليم أبنائها وبناتها بمنازلهم^(٥).

(١) عاد في اللغة: رجع، واستعاد الشيء فأعاده، والمعيد هو مرتبة ثانية بعد المدرس، وذلك أن المدرس يلقي
الدرس وينصرف ويأتي المعيد ويعيد للطلاب ما ألقاه المدرس للإحسان والفهم. والمعيد يترتب عليه واجب
أكبر في سماع وفهم الدرس حتى يتمكن من تفهيم من لم يفهم، وإزالة لبس من فهم جزءاً. الرازي:
مختار الصحيح، ص ٤٦٠ - ٤٦١؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٥، ص ٤٣٦؛ السبكي: معيد النعم ومبيد
النقم، ص ١٠٨.

(٢) جامع ابن طولون: بناه الأمير أبو العباس أحمد ابن طولون، في موضع يعرف بجبل يشكر، وكان ذلك بعد بنائه
للقطائع سنة (٢٦٣هـ/ ٨٧٦م)، وبنى الجامع في سنة (٢٧٧هـ/ ٨٧٩م)، وفي عهد المنصور حسام الدين عمر
الجامع وبلطه وبيضه، ورتب فيه درساً للفقهاء على المذاهب الأربعة، ودرساً للتفسير، ودرساً للحديث، ودرساً
للطب، ثم جدد الأمير يلغا في سنة (٧٦٧هـ/ ١٣٦٥م)، درساً فيه سبعة قراء، ودرسين للحنفية وقد أجزل
العطاء لطلابه. المقرئ: تقي الدين أحمد بن علي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار الخطط
المقرئية" ج ٤، ص ٣٦؛ السيوطي: حسن المحاضرة، ج ٢، ص ٢١٥؛ المزيني: الحياة العلمية في القرنين السابع
والثامن الهجريين، ص ١٥٠ - ١٥١.

(٣) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٢٨٠؛ الضوء اللامع، ج ٣، ص ٥، ج ٥، ص ٢٤٦؛ السمهودي: خلاصة الوفاء،
ج ١، ص ١٠.

(٤) ويقال لها مدرسة مريم نسبة إلى زوجة الملك المظفر صاحب اليمن، مريم بنت الشيخ العفيف. انظر: الخزرجي:
علي بن الحسن، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، تحقيق: محمد بسيوني، (القاهرة، مطبعة الهلال،
١٣٢٩هـ/ ١٩١١م)، ج ١، ص ٣٤٨.

(٥) الجابري: الحياة العلمية في الحجاز، ص ٤١٥؛ العيكان: (طرفة)، الحياة العلمية والاجتماعية في مكة، ص ٧٩.

كذلك عُمرت منازل بعض فقهاء الأسر العلمية بالدروس ومجالس العلم، فقد تخصصت بعض الأسر بالمدينة بهذه المجالس والدروس ودعوة كبار العلماء والطلاب إليها، مثل أسرة الزرندي وابن فرحون والكاذروني وكثيرين غيرهم من أبناء الأسر الأخرى. وكانت هذه المجالس العلمية تعقد للاستزادة من العلم، خاصة وأن بعض العلماء أقعدهم المرض وكبر السن عن مزاولة التدريس في المسجد أو المدارس، فكانوا يجتمعون في منزل أحد العلماء لمناقشة بعض المسائل الفقهية أو الإجابة على أسئلة الطلاب. كما كانت هذه المجالس تُعتبر فرصاً لالتقاء العلماء والطلاب وتبادل الإنتاج الفكري فيما بينهم^(١)، وقد ساهمت مجالس علماء المدينة في تفسير بعض الأحاديث وتوضيح كثير من المسائل ومناقشتها مع زوار المدينة من علماء بغداد والمغرب والبلاد الإسلامية الأخرى، وذلك ضمن جلسات علمية^(٢).

وقد كان العالم صاحب الجلسة العلمية هو الذي يحدد مواعيد الدرس حسب ما يناسبه، كما يختار الموضوع حسب حاجة الناس إليه، فقد يكون هنالك موضوع ساعة فيبحثونه في تلك الجلسة ويتبادلون فيه وجهات النظر، وقد كان بعض أولي الأمر يحضرون هذه الدروس^(٣)، ومن العلماء الذين اشتهروا بإقامة المجالس الخاصة ودروس المنازل وعقد حلقات العلم:

— أحمد بن عبد الله بن فرحون (ت ٨٩٣هـ/١٤٨٧م)، فقد درّس بمنزله، وتوافد عليه طلبة العلم ومحبيه^(٤).

— وكان طاهر بن أحمد الخجندي (ت ٨٤١هـ/١٤٣٧م) ممن يدرّس بمنزله، فقد قرأ عليه التقي بن فهد في منزله بالمدينة في ربيع الآخر من سنة (٨٢٠هـ/١٤١٧م) بعض

(١) سندي: هدى، موارد السمهودي، ص ٥٣، ٥٦.

(٢) علي السيد علي: الحياة الثقافية في المدينة، ص ٢٢٣.

(٣) سندي: هدى، موارد السمهودي، ص ٥٤.

(٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١١٧.

من "مسند الطيالسي"^(١)، وكذلك قرأ عليه عمر بن محمد النفطي^(٢) سنة ٨٣٧هـ/١٤٣٣م^(٣).

ولم يكن تدريس الشيخ طاهر بمنزله بسبب كبره وسنه، فإن التقي بن فهد، سمع منه في سنة عشرين وله خمسون سنة، أي وهو كهل لم يصل إلى سن يعجز فيه عن التدريس بالحلقات، وهذا يدل على أن الشيخ طاهراً كان محباً لتدريس الطلاب حريصاً على إفادتهم. — ومحمد بن عبد العزيز الكازروني (ت ٨٤٩هـ/١٤٤٥م)، درّس بمنزله واستفاد منه طلبة العلم^(٤).

— ومنهم عمر بن محمد الكازروني (ت ٨٦٥هـ/١٤٦٠م)، لازم إلقاء الدروس في منزله، واستفاد منه طلبة العلم^(٥).

— وكذلك محمد بن محمد المراغي (ت ٨٩١هـ/١٤٨٦م)، اشتغل بتدريس الحديث في بيته^(٦).

مجالس الإملاء:

تعتبر مجالس الإملاء إحدى طرق التدريس المعروفة، ويمكننا اعتبار المجالس التي كان يملئ فيها الرسول ﷺ ما يتنزل من آيات القرآن على كتاب الوحي، هي أول مجالس الإملاء، وقد سمح فيها ﷺ لبعض الصحابة بكتابة الحديث النبوي بين يديه^(٧).

وقد انتقلت هذه الطريقة التعليمية عن المحدثين من القرن الثالث الهجري إلى الآخرين، ومنذ ذلك الحين غدا أسلوب الإملاء هو الأسلوب الشائع لدى المعلمين

(١) ابن فهد معجم الشيخ، ص ٩٣، ٢٨١؛ السخاوي: الضوء اللامع، م ٣، ج ٦، ص ١٢٦ - ١٢٧؛ الشماخ:

القيس الخاوي، ج ٢، ص ٢٩ - ٣٤.

(٢) هو عمر بن أحمد بن محمد بن أحمد النفطي، أحد شهود الحرم، وكان يسافر وكيلاً لأمير المدينة سليمان بن عزيز،

(ت ٨٨١هـ/١٤٧٦م). السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٣٣١.

(٣) المقرئ: درر العقود، ج ٢، ص ٢٠٠؛ المصدر السابق، ج ١، ص ٤٦٧.

(٤) المصدر السابق، ج ٢، ص ٥٢٣.

(٥) المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٥٢؛ سندي: (هدى)، موارد السمهودي، ص ٥٤.

(٦) السخاوي: وجيز الكلام، ج ٣، ص ٩٨٥؛ الشماخ: القيس الخاوي، ج ٢، ص ٣٠٤.

(٧) الراجحي: شرف الدين علي، مصطلح الحديث وأثره على الدرس اللغوي عند العرب، (ط ١)، (دار النهضة

العربية، ١٩٨٣م)، ص ٢٦.

والمُتعلِّمين^(١)، وتتلخّص هذه الطريقتان في أن يقوم المدرّس بإلقاء درسه ويكتب الطلاب خلفه، وكلما انتهى من فقرة أوقف الإملاء ليشرحها ويناقشها مع طلابه للتوضيح، ومن ثمّ يدوّن الطلاب هذه الشروح، وتلك المناقشات التوضيحية على هوامشهم، وفي النهاية يقرأ الطالب ما دوّنه ليقيم المعلم بالتصحيح^(٢)، وقد ظهر في المدينة من علماء الأسر من اشتغل بالإملاء، ومن هؤلاء:

أسرة ابن فرحون:

— كان البرهان إبراهيم بن علي بن فرحون (ت ٧٩٩هـ/١٣٩٦م) ممن يكتب الإملاء، كتب للشيخ أبي عبد الله محمد بن علي بن جابر الهواري "عجالة الراجز"، وكتب له الهواري الإجازة^(٣).

أسرة المراغي:

— وقد أملى الزين المراغي كتاب "صحيح مسلم"، كما أملى "أمالى التنوخي"^(٤).

أسرة الخجندي:

— كان الشيخ أحمد بن محمد الخجندي (ت ٨٠٢هـ/١٣٩٩م) ممن يملّي بالحرم النبوي، ويعد كتابه "شرح البردة" من أماليه، وهو شرح مختصر جمعه بعض تلامذته من إملائه في الحرم النبوي^(٥).

دور المرأة في مجالس العلم وأثرها الديني في المدينة المنورة:

لا يخفى علينا اهتمام الإسلام بأمر تعليم المرأة خاصة في أمور دينها ودنياها، فلم يفرّق بينها وبين الرجل في هذا الأمر، وخير دليل على ذلك اهتمام الرسول ﷺ بأمر تعليم النساء، بل كان يخرج إليهن ويعلمهن ويحبب عليهن أسلّتهن، وكتب الحديث بما الكثير الذي

(١) السنيدي: عبد العزيز ابن راشد، الحياة العلمية في مكة في القرنين الثاني والثالث الهجريين، (رسالة دكتوراه غير منشورة، مقدمة إلى كلية العلوم الاجتماعية، قسم التاريخ والحضارة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م)، ص ١٦٨-١٦٩.

(٢) شلي: موسوعة النظم والحضارة الإسلامية "التربية الإسلامية نظمها فلسفتها، تاريخها"، ج ٥، ص ٣٧٤-٣٧٥.

(٣) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٨١.

(٤) ابن فهد: معجم الشيوخ، ص ٣٨٥-٣٨٦.

(٥) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ٢، ص ٢٩٨.

يؤيد هذا القول، وقد بينت لنا كتب السيرة النبوية والتاريخ أن السيدة عائشة رضي الله عنها كانت من أفقه النساء، وكان كبار الصحابة يستفتونها في بعض الأمور.

وفي العصر المملوكي لم تفقد المرأة مكانتها العلمية والدينية، بل كان لها دورها وتأثيرها الديني في مجتمع المدينة، حتى أن كثيراً من علماء الحجاز أفردوا لها فصولاً مستقلة في مؤلفاتهم للحديث عنها وعن دورها العلمي^(١).

وقد ذكرت كتب التراجم أسماء لعالمات كثر في العصر المملوكي، وتحدثت عن نشاطهن العلمي، خاصة وأن أغلبهن انحدر من بيوت علم وأدب، مما جعلهن يحظين بقدر كبير من التعليم على أيدي أفراد هذه الأسر من الآباء والأجداد والأزواج والإخوة وغيرهم من محارمهن.

وكان للمرأة دور مهم في إقامة مجالس علمية خاصة، يحضرها بعض العلماء والشيوخ ويستمعون إليهن ومن هؤلاء على سبيل المثال:

فممن اشتهر من النساء من أسرة الكازروني:

— رقية بنت محمد بن محمد أم الفضل الكازرونية (ت ٨٥٨هـ / ١٤٥٤م)، كان لها سماع على زوجها وأجاز لها جماعة^(٢).

— سارة بنت محمد بن محمد الكازروني، كانت مشتهرة بالعلم ولذلك ترجم لها السخاوي في التحفة^(٣).

أسرة المراغي:

— أما أشهر المحدثات من بيت المراغي، فكانت فاطمة بنت أبي اليمن المراغي، وقد أخذ عنها جماعة من العلماء وطلبة العلم^(٤).

(١) سندي: هدى، موارد السهودي، ص ٥٥. ولمعرفة المزيد عن الدور العلمي الذي قامت به المرأة في الحجاز انظر مؤلفات ابن فهد كالدركمين وكتاب الجابري الحياة العلمية في الحجاز.

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٦م، ج ١٢، ص ٣٦.

(٣) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١٥٤.

(٤) المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٦٣؛ الضوء اللامع، ج ٤م، ج ٧، ص ١٩٩.

— أسماء بنت أبي بكر المراغي، التي حدثت وسمع منها الفضلاء، وقد أخذ منها
التقي بن فهد^(١).

أسرة التستري (الششتري):

— وممن حفظت لنا كتب التراجم أسماءهن من النساء الآتي انشغلن بالعلم: أم
الحسن بنت أحمد بن محمد التستري، حيث استجاز أبوها لها من العفيف المطري (ت
١٦٥هـ/١٤٦٠م)، ولم يكن العفيف المطري وهو - المحدث البارع - أن يميز من ليس
أهلاً للإجازة، مما يشير إلى تضلعه في العلوم الشرعية.

(١) المصدر السابق، ٦م، ج ١٢، ص ٦.

ثالثاً — المذاهب الفقهية ودورها في إثراء الحياة الدينية بالمدينة:

لقد استطاع العلماء في المدينة من الأسر العلمية المختلفة ومن سواها وبمختلف مذاهبهم أن يؤثروا على الحياة الدينية في المدينة، وعلى امتداد العصر المملوكي كانت حلقات العلم بالمسجد النبوي والمدارس المختلفة وبالأربطة ومنازل العلماء تعجُّ بالدارسين. وقد استطاع العلماء أن ينشروا المذاهب المختلفة، ويدرسونها من خلال هذه المؤسسات، مما أدَّى إلى انتعاش هذه المذاهب، وكان ذلك على حسب العلماء الذين يدرسونها، والمدارس التي خصصت لكل مذهب، والأوقاف التي أوقفت عليها، مما جعل بعض المذاهب تسود على غيرها وتتفاوت في كثرة أتباعها كما سيتضح لنا.

ويعتبر المذهب الإمامي الإثناعشري (وهو المذهب الرئيسي للشيعة)، أكثر المذاهب شيوعاً وانتشاراً في المدينة المنورة، في الفترة التي سبقت العصر المملوكي وبدايته، فقد كان للعصر المملوكي نصيب في أن يشهد انتشار وسيادة هذا المذهب^(١).

* أما بالنسبة للمذاهب السنية (الشافعي، والمالكي، والحنفي، والحنبلي) فقد انتشر المذهب الشافعي^(٢) دون بقية المذاهب الأخرى في المدينة، فقد كان الكثير من القضاة والأئمة والخطباء في المدينة من فقهاء هذا المذهب، للحدّ الذي اقتصر فيه القضاء في ذلك الوقت على القاضي الشافعي، ولاشك أن هذا الأمر كان إرضاء للسلطة المملوكية أيضاً، والتي احتل القاضي الشافعي لديها مكانة عالية بالقاهرة، وكان بقية القضاة تحت إمرته.

ويدعم هذا القول أنه إذا القينا نظرة على الأسر العلمية التي هي محور بحثنا وجدنا أن أغلبها شافعية المذهب على سبيل المثال أسرة المطري، وإن تحوّل بعض أفرادها للمذهب الحنبلي نتيجة للتزواج والاختلاط، وكذلك أسرة ابن صالح التي تولّت قضاء الشافعية والخطابة والإمامة في ذلك العهد، وأسرة المراغي التي سيطرت على القضاء الشافعي طوال

(١) لمزيد من المعلومات انظر: كتاب موقف ابن تيمية من الأشاعرة، عبد الرحمن بن صالح الحمود، (ط١)، (مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م).

(٢) لقد أدخل السلطان الظاهر بيبرس نظاماً جديداً على القضاء بأن ولى من كل مذهب قاضياً وعهد لكل واحداً منهم أموراً، وبذلك صار لكل مذهب قاضي قضاة. انظر: المقرئ: المواعظ والاعتبار، ج٢، ص ٩٢.

العصر المملوكي، وأسرة الكازروني أيضاً، كذلك أسرة السمهودي التي أنجبت أحد علماء المذهب الشافعي.

ومن أكثر الأسر اهتماماً بالمذهب الشافعي كانت أسرة الكازروني، فجلُّ علماء الأسرة ممن حفظ "الحاوي" للقزويني و "المنهاج" للنووي، ولها اشتغال بشروح أمهات كتب المذهب، فمنهم الجمال محمد الكازروني (ت ٨٤٣هـ / ١٤٣٩م) قام بكتابة "شرح لفروع ابن الحداد"، و"شرح لشرح التنبيه"، و"اختصار للمفتي مختصر التنبيه"، وكان أبوه الصفي مهتماً بتصحيح المسائل على مذهب الشافعية، وكتب مؤلفات في ذلك على ما سبق بيانه في الأثر العلمي.

وفي حين غلب الحديث والإقراء على أسرة التستري، إلا أن بعض أفراد هذه الأسرة كان له مشاركة في العلوم الشرعية الأخرى، فكان الشهاب أحمد بن محمد التستري (ت ٨٧٧هـ / ١٤٧٢م) مشاركاً في الفقه، ويمكن أن ندرك مذهبه الفقهي من تعليمه الأولي، فقد حفظ "المنهاج" في صغره، وهو من أمهات كتب الشافعية^(١).

كما نجد أيضاً بعض أئمة المذاهب الفقهية الأخرى يحرصون على الأخذ من علماء هذه الأسرة الشافعية، فهذا هو إمام المذهب المالكي محمد بن أحمد بن مجاهد درس على القاضي محمد بن أحمد التستري الشافعي^(٢).

وجدير بالذكر أن أتباع المذهب الشافعي معظمهم قادم من مصر والشام وفارس، وقد بدأ انتشاره في المدينة في منتصف القرن السابع على أنقاض المذهب الإمامي الذي أخذ ينحسر شيئاً فشيئاً^(٣).

أما المذهب المالكي، فهو الثاني من حيث الانتشار في المدينة بالرغم من أن الإمام مالك بن أنس ظهر في المدينة، غير أن مذهبه انتشر في بلاد المغرب والأندلس^(٤)، ولكنه ما لبث أن عاد وانتشر، ويرجع الفضل في ذلك لله ثم لمحمد بن فرحون (والد البدر عبد الله) وأبو عبد الله القصري.

(١) السخاوي: الضوء اللامع، ١م، ج ٢، ص ١٧١.

(٢) ابن فرحون: (إبراهيم بن علي)، الديباج المذهب، ٢م، ص ١٩٤.

(٣) المصدر السابق، ١م، ص ٥٦.

(٤) المدريس: المدينة المنورة في العصر المملوكي، ص ١٩٦.

ولما مات ابن فرحون سنة (٧٢١هـ/١٣٢١م)، تولى التدريس ابنه عبد الله بمرسوم من السلطان للاستمرار في تدريس المذهب المالكي، وعاد للمذهب نشاطه وظهوره^(١).

وعمل في ذلك عملاً عظيماً، مما يرجوا به من الله الثواب، قال: "وكان لي في ظهور مذهب مالك ونشره بالمدينة عمل عظيم، أرجو به من الله الثواب الجسيم، والنعيم المقيم، فإنه لم يكن له ظهور من قبل ذلك بسنين، فالحمد لله على ما أعطى ومنع، وضيق ووسع، ولو أذكر لك ما قاسيت في ذلك الوقت وبعده من أهل الشر والحسد والبغي، لو قفقت على صبر عظيم وعلى خطب جسيم، ...، والنصر مع الصبر"^(٢).

وقد ذكر برهان الدين إبراهيم دور عبد الله بن فرحون في إظهار المذهب المالكي وأثر ذلك على الإمامية قائلاً: "وبهمته وسياسته أزال الله تعالى أحكام الطائفة الإمامية من المدينة، فعزلت قضائهم، وانكسرت شوكتهم، وخمدت نارهم"^(٣).

ويعتبر برهان الدين إبراهيم بن فرحون من أعلام المذهب المالكي فقد ساهم أيضاً في إظهار وانتشار المذهب المالكي، وذلك بما ألقاه من دروس، وبما ألفه من مؤلفات من أشهرها الديباج المذهب في أعيان المذهب المالكي^(٤).

وبهذا تعتبر أسرة ابن فرحون من الأسر العلمية التي أسهمت في نشر وذيوع هذا المذهب.

وجاءت أسرة السخاوي، والتي هي أيضاً من أتباعه، فساهمت في هذا الانتشار، وقد تولى أحد أفرادها قضاء المالكية وسار فيه سيرة حميدة من السياسة والتواضع والعفة، ونصر كلمة الحق، وكان ذلك في النصف الثاني من القرن التاسع^(٥).

(١) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ٩٥-٩٦.

(٢) المصدر السابق، ص ١٠٠.

(٣) ابن فرحون: (إبراهيم بن علي)، الديباج المذهب، م ١، ص ٤٠٢.

(٤) المزيني: الحياة العلمية في القرنين السابع والثامن، ص ٢٢٧.

(٥) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤٣٩-٤٤٠؛ الضوء اللامع، م ٤، ص ١١٠-١١١؛ المدريس: المدينة

النورة في العصر المملوكي، ص ٢٢٤. (انظر وظيفة القضاء لأسرة السخاوي).

ويُلي مذهب المالكية في المدينة مذهب الإمام أبي حنيفة، وأتباع هذا المذهب جاؤوا من شمال العراق والدولة العثمانية وما وراء النهر والهند^(١).

وقد ظهر مذهب الحنفية بالمدينة المنورة حوالي سنة (٧٢٣هـ/١٣٢٣م)، وذلك حينما حضّ شمس الدين بن العجمي جماعة من الطلبة الشافعية بأن يدرسوا ويتفقهوا في مذهب أبي حنيفة، فأجابوا طلبه، وتفقهوا في المذهب، وصاروا أئمة في ذلك الوقت، وانتفع الناس بعلمهم^(٢).

ومن الأسر العلمية التي برعت في هذا المذهب أسرة الزرندي التي تولت قضاء الحنفية طوال عصر المماليك، وكان نور الدين الزرندي هو أول قضاة الحنفية بالمدينة وتولاه سنة (٧٦٧هـ/١٣٦٥م)^(٣)، وقد تحوّل بعض أفراد هذه الأسرة إلى المذهب الشافعي.

فعلى الرغم أن جلّ أسرة الزرندي حنفية، إلا أن أحد أفراد الأسرة وهو السراج عبد اللطيف بن محمد الزرندي (ت ٨١٧هـ/١٤١٤م) كان قد اشتغل بالمذهب الشافعي، خلافاً لأبيه الحنفي، وورث منه ذلك ذريته، فكان ابنه محمد أبو الفضل كمال الدين شافعي المذهب، وكذلك كان حفيده عبد اللطيف بن محمد بن عبد اللطيف الزرندي شافعيًا، اشتغل بـ: "المنهاج" للنووي وغير ذلك من كتب الشافعية، كما تقدم في تعليمهم.

— كما كان عبد العزيز بن عبد السلام الزرندي أيضاً شافعيًا هو وابنه عمر كذلك، في حين كان ابن عمه عبد الرحمن بن أحمد الزرندي مشغولاً بالمذهب الحنفي كسائر الأسرة^(٤).

— وكذلك كان عبد الله بن أحمد الزرندي (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م) فقد اشتغل في شبابه بـ: "التنبيه"، و"الحاوي" في الفقه الشافعي، وصار شافعيًا، ونزل الشام، وقرأ على شيخ الشافعية بها إبراهيم بن سباع الفزاري^(٥)، كذلك كان المحب محمد بن النور علي بن

(١) ابن فرحون: (إبراهيم بن علي)، الديباج المذهب، ١م، ص ٥٦.

(٢) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ٩٣ - ٩٤.

(٣) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٣٢؛ المدير: المدينة المنورة في العصر المملوكي، ص ٢٣١.

(٤) السخاوي: الضوء اللامع، ٢م، ج ٤، ص ٥٢.

(٥) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١٥٩؛ ج ٢، ص ١٧ - ١٨.

يوسف بن الحسن شافعيًا، وكذلك كان ابنه التاج عبد الوهاب شافعيًا^(١)، في حين كان عبد السلام عبد الواحد بل ومحمد أبناء عبد الوهاب الزرندي حنفيين^(٢)، ولم يأخذ طريق أبيه وجده في (التشفيع) إلا ابنه الآخر معاذ بن عبد الوهاب الزرندي^(٣).

ومن الأسر الحنفية أيضاً أسر الخجندي التي تولّت قضاء الحنفية وإمامتها بالمسجد النبوي، ويعتبر جلال الدين الخجندي من أعلام المذهب الحنفي.

فقد انتعش المذهب الحنفي بالمدينة بعد أن نزلها الجلال أحمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد الخوجندي (ت ٨٠٢هـ/١٣٩٩م)، حيث كان قد حصل أصول وفروع المذهب على كبار حنفية العالم في رحلاته الكثيرة، وما أن نزل بالمدينة، حتى صار إمام الحنفية بها^(٤).

أما المذهب الحنبلي فهو أقل المذاهب إتباعاً في المدينة في ذلك الوقت، وقد ظهر هذا المذهب ببغداد ثم انتشر في كثير من بلاد الشام وغيرها^(٥).

ومما يلفت الانتباه أن الشيخ عبد الله بن محمد بن روزبة الكازروني، وهو أخو الصفي وعبد السلام، سمع على إبراهيم بن رجب السلمي شيئاً من الدراية في اختصار الرعاية^(٦)، وهو كتاب في الفقه الحنبلي، فالرعاية من أدق الكتب التي تحشد الروايات النادرة عن الإمام أحمد التي لا تكاد توجد في الكتب الكثيرة، وصفه الشيخ نجم التقي أحمد بن حمدان الحرافي (ت ٦٩٥هـ/١٢٩٥م)، وقد شرحه الشيخ محمد بن الإمام شرف الدين هبة الله بن عبد الرحيم البارزي (ت ٧٣٨هـ/١٣٣٧م)، وسمّاه "الدراية لأحكام الرعاية"^(٧).

(١) الزرندي: (نور الدين علي)، المرور بين العلمين، ص ٢٤؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج ٣، ص ٥٨، ص ١٠٨.

(٢) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٢٢٣.

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٥، ص ١٠، ص ١٦١.

(٤) بدر: (عبد الباسط)، الحياة الثقافية في المدينة المنورة في العصر المملوكي، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ع ٣، ص ١٢٢.

(٥) ابن فرحون: (إبراهيم بن علي)، إبراهيم، الديباج المذهب، م ١، ص ٥٦.

(٦) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٨٠.

(٧) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ١، ص ٥٦٠، ٦٧٨.

وسماع عبد الله بن محمد الكازروني للرواية يشير إلى اهتمام منه بالمذهب الحنبلي
رغم أن أكثر الأسرة شافعية، وله نظائر كما مر به شأن الشيخ عبد العزيز بن محمد ابن
أخت العفيف المطري والذي درس المذهب الحنبلي، إضافة إلى المذهب الشافعي.

المبحث الثاني: أثر الأسر في الحياة السياسية.

لقد سطعت شمس العصر المملوكي على المدينة، وكان يحكمها الأشراف الإمامية، فقد كانت الخطبة والقضاء في المدينة قبل المماليك والأيوبيين باسم المتولي من العبيدين حتى قطع صلاح الدين الأيوبي ذلك، وأقام الخطبة للخليفة العباسي في سنة (٥٦٧هـ/١١٧١م)، ثم انقرضت في نفس السنة دولة العبيدين، وأظهر صلاح الدين السنة بمصر، وولّى قاضياً من الشافعية، وبني لهم مدرسة وأعزّ البلاد بعد ذلك، وأما أرض الحجاز، فلم يتيسّر له ذلك فيها؛ لانشغاله بأمر الجهاد مع الصليبيين وغير ذلك^(١).

وقد تحكّم الفقهاء الشيعة في أمور المدينة الدينية، ومُورست البدع، وتعرّض أهل السنة للأذى، وقد ذكر ابن فرحون في نصيحة المشاور الكثير من تلك الممارسات التي كان يفعلها الفقهاء والأمرء من آل سنان وغيرهم ممن اتبعوا هذا المذهب من بدع في المسجد النبوي^(٢).

ولما قامت الدولة المملوكية على أعقاب الدولة الأيوبية بمصر والشام، كان معظم أمراء المدينة من الحسينيين من أتباع المذهب الإمامي، إلا أنهم أظهروا الاتجاه إلى المذهب السني رغبة في استرضاء السلطة المملوكية التي كان لحيثتها ونفوذ علمائها أثر كبير في إضعاف شأن فقهاء الإمامية، فقد منع آل سنان قضاة الإمامية من التعرض للأحكام وعقد الأنكحة وأمروا قضاة أهل السنة بذلك^(٣).

ويمكن أن نعتبر أن ذلك كان بداية التحول السني في المدينة المشرفة، وقد كان هذا مع قدوم المجاورين السنة ومقدم العديد من العلماء ممن رزقوا القوة والحكمة، فمع بداية القرن الثامن الهجري انتقل القضاء إلى أهل السنة، وكان ذلك في عهد الأمير أبي غانم منصور بن جهماز بن شيحة، والذي كانت إمرته في الفترة (٧٠٠ - ٧٢٥هـ).

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٥٦، ج ٢، ص ٣٣٠؛ الجاسر: رسائل في تاريخ المدينة، ص ١٤١ - ١٤٢.

(٢) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ٢١١؛ المديرس: المدينة المنورة في العصر المملوكي ص ١٨٩.

(٣) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ٢٢٥؛ المرجع السابق، ص ١٩٥.

١٣٠٠-١٣٢٤م^(١)، في عهد السلطان المملوكي الناصر قلاوون، ومع قدوم صاحب ابن حنا أحمد بن محمد بن علي بن حسن (ت ٧٠٤هـ/١٣٠٤م)^(٢).

يبين هذا الأمر العلامة ابن فرحون، فيقول على ما عاصره: "ولقد أدركت جماعة المجاورين والخدماء، لا يقرؤون كتبهم، ولا يسمعون حديث نبيهم ﷺ، إلا خفية حتى قدم صاحب ابن حنا رحمه الله، وأقام بالمدينة في سنة (٧٠١هـ/١٣٠١م) فقام على آل سنان ... فهابوا مكانه من السلطان، واستعملوا التقية، حتى زعموا أنهم رجعوا كلهم سنية، وكان يأتيه من البقيع قوافل بالقمح والدقيق والأرز وأنواع الحبوب، فيعطي منه الخدماء والمجاورين، ويمنع رؤساء الإمامية وكبار الشرفاء المقيمين، حتى شهدوا على أنفسهم أنهم سنية، ولا يحكمون بأحكام البدعة..."^(٣).

إلا أننا يمكن أن ندرك أن أول التحول الفعلي للحالة السياسية للمدينة كان من خلال تقليد القضاء لرجل سني، وكان أول القضاة من أهل السنة هو سراج الدين عمر بن أحمد بن الخضر الأنصاري الدمنهوري الشافعي (ت ٧٢٦هـ/١٣٢٥م)، وكان أول أمره خطيباً، وكان يؤذى في خطبته من الإمامية، رغم أنه احتال، فتزوج ابنة القيشاني رئيس الإمامية، إلا أن سلطانه لم يتعدّ الخطابة، فإنه كان يعقد الأنكحة للسنة، ويفصل في الخصومات بغير أمر ولا نهي، ومع ذلك لم يرض عنه الإمامية بل تسلطوا على من يذهب إليه من المجاورين، حتى رُفِعَ الأمر إلى الناصر محمد بن قلاوون، فجاء المرسوم بتقليده القضاء.

وكان السراج رجلاً عاقلاً، علم أنه لا يستقر له الأمر مع الرافضة إلا بالمدارة، فأبى أن يتولى القضاء حتى حضور الأمير منصور بن جهاز، مدارة لهم، فأذن له بشرط عدم تغيير شيئاً من أحكام الإمامية ولا حكاهم.

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٥٦.

(٢) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ٢٤.

(٣) الجاسر: رسائل في تاريخ المدينة، ص ١٤٢-١٤٣.

وبهذا الذي فعله، بدأ التحول السني للمدينة في الظهور، حيث خرج الأمر من كونه تجمعاً سنياً بغير قيادة سياسية إلى وضع سياسي قائم أشبه بأوضاع الأقليات السياسية بحكم منفصل جزئياً عن عموم الدولة، وإن لم يكن بالصورة الكاملة.

واستمرّ الحال على ذلك، فكان السراج يحكم بين المجاورين وأهل السنة، وآل سنان يحكمون في بلادهم على جماعتهم، واستمرّ الحال كذلك حتى مات السراج، وقد تقلّد القضاء أربعين سنة^(١).

ولما تولّى بعده الشرف أبو الفتح محمد بن محمد الأميوطي، كان قد بدأ الزمان يتغير وتقوى سلطة السنة بالمدينة المشرفة، فشدد على الأشراف، وسطا على الإمامية، ووبّخهم في المحافل، وقد دام في القضاء (١٧) سنة إلى أن توفي سنة (٧٤٥هـ/١٣٤٤م)، فتولّى بعده التقي عبد الرحمن بن عبد المؤمن الهوريني فاستناب عميد أسرة ابن فرحون البدر عبد الله بن فرحون، وبحسن سياسة ابن فرحون أعرض الناس عن قضاة الإمامية، واعتزلوهم، وأخذت البدعة وأظهرت السنة، وأصبح أمر المدينة في يد سلاطين المماليك بالقاهرة يولون ويعزلون أنى شاءوا، وليس لأمراء المدينة شيء في الأمر ولا مشورة، بل كان وجودهم فقط ملء الفراغ وشغل المنصب اسمياً، بينما اليد الطولى والسلطة الفعلية لسلاطين القاهرة^(٢).

ولقد استطاعت الأسر العلمية التي استقرت في المدينة المنورة إبان عصر المماليك أن تؤثر وتتأثر بما يجري في المدينة من أحداث سياسية وغيرها، ذلك أن أفراد هذه الأسر قد انصهروا في مجتمع المدينة وأصبحوا المكونين لهذا المجتمع مع الآخرين يتفاعلون معه إيجاباً وسلباً، ويسري عليهم ما يسري على غيرهم، وكأفراد من هذا المجتمع، كان لابد أن يتأثر أفراد هذه الأسر علماء كانوا أو أشخاصاً عاديين - بنظام الحكم أو بالإمارة آنذاك، ويتواجهون معها أحياناً في بعض الأمور موافقة ومخالفة، فكان لا بد من وجود نوع من التعايش والنصح والأمر والنهي، سواء كان ذلك مع الحكام الإمامية، أو مع سلاطين الدولة

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٣٣٠؛ الجهني: (ليلي)، رحلة بن بطوطة المسماة "تحفة النظر في غرائب الأمصار لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي الطنجي"، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ٥٤، ص ١٣٨.

(٢) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٢٩.

المملوكية وكبار رجالاتها، وفيما يلي عرض لأهم هذه المواقف السياسية التي كانت إبان ظهور الأسر المدنية.

أسرة المطري

أهم ما قام به علماء الأسر هو نشر العلم الشرعي بين أبناء المدينة والاهتمام بأحوالهم وأوضاعهم، فقام الشيخ جمال المطري بالتمكين للسنة، فوهب نفسه لخدمة المجاورين وغيرهم من أبناء المدينة لكونهم من أهل السنة^(١).

وكان الشيخ فيه من الشدة في الدين على الأشراف ما كان في ظهير الدين وزيادة^(٢)، ولما سعى في مشيخة الحرم (صفي الدين جوهر)، وأُعْطِيَهَا تَسَلُّطَ أهل الشر^(٣) على الشيخ جمال الدين، لما كان بينه وبين جوهر من شيء ألقاه بعض الناس، فشغب على الشيخ جمال بكثرة القول والقليل وتوعده ثم أنجاه الله منهم^(٤).

وهذا يشير إلى ما كان يقوم به الشيخ جمال من توطيد مذهب أهل السنة، وهو كان بجهود فردية لا عن تنسيق جماعي، وإنما كان أهل العلم محبين للسنة مناوئين للطريقة الشيعية التي جثمت على المدينة عقوداً قبل الحكم المملوكي، فتوافق هذا مع رغبة الممالك في التوطيد لأهل السنة شيئاً فشيئاً ولا شك أن جهود العلماء أمثال المطري رسخت هذا الأمر شيئاً فشيئاً، حتى أنعم الله على أهل المدينة بزوال هذا المذهب ورجوع المدينة إلى السنة فالحمد لله.

وقد حاول بعض الأشراف إخراج المجاورين السنة من المدينة عدة مرات، من ذلك ما كان من أبناء التتار وزحفهم إلى بلاد الشام: فظن الناس أن السلطان الناصر قلاوون سينشغل بذلك فلن يحج، فكانت فرصة للأشراف للتسلط على أهل السنة فقالوا، نغتالهم ونقتلهم ونطيب المدينة منهم، وقد ذهب الشيخ جمال الدين إلى ابن الشيخ أبي الربيع وسأله

(١) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ١٨٧.

(٢) المصدر السابق، ص ٤٦-٤٧.

(٣) لم تذكر المصادر من هم هؤلاء، لكن لما كان الشيخ جمال الدين محسناً للوافدين والواردين منقبضاً عن الشر وأهله، فلا شك أن هؤلاء لابد أن يكونوا من المنازعين للشيخ عقدياً أو التزاماً والأظهر الأول أنهم كانوا من الشيعة.

(٤) المصدر السابق، ص ٤٦-٤٧.

فتفرس أبو الربيع بمحجي السلطان للحج وانتشر ذلك، ووافق أن قدم السلطان للحج فقويت به السنة وانقمع الأشراف مما هموا به، وقد حاول الأشراف بعد وفاة جمال الدين المطري أن يعيدوا التركيبة الشيعية للمدينة ثانية بإخراج المجاورين السنة، ففي سنة (٧٤٢هـ/١٣٤١م)، وبعد وفاة خادم ثابت بن جهماز^(١)، فما كان من أمر محنة العفيف المطري مع هذا الأمير، أمر ثابت بإخراج جميع المجاورين غنيهم وفقيرهم من المدينة، وأنظرهم ثلاثة أيام ليتجهزوا فيها وصمم على ذلك، ثم تركهم في يوم خروج العفيف من السجن بعد شفاعات، وكان العفيف مانعاً للأمير من التسلط عليهم ومن قبله أبوه الجمال المطري، وهو يشيد إلى مكانة أتباعه وسياسة لأسرة المطري في المدينة، ولم تنته محنة المجاورين إذ شوش عليهم ابن جهماز وطلب عشرة آلاف درهم من أحد عشر نفرًا، وألزمهم بالخروج من المدينة إن لم يدفعوها، وخرجوا إلى قباء، ثم طلع القاضي شرف الدين الأميوطي إلى الأمير وتكلم معه كلاماً غليظاً وقال: "أنا أول من يسافر معهم، فرجع الأمير عن رأيه، وبعث إليهم فدخلوا المدينة آمنين"^(٢).

وقد قرب السلاطين والأمراء بعض العلماء والفقهاء خاصة أبناء الأسر العلمية لثقتهم بهم واهتماماً بشأنهم، فاستعانوا بهم في قضاء بعض الأمور، وأخذ رأيهم في تعيين بعض الموظفين لديهم، والاستعانة بعلمهم في كثير من القضايا.

وقد كان بعض العلماء يحجم عن تلبية بعض دعواتهم أو الاعتذار عن تولي بعض وظائفهم، لا شيء إلا رغبة في الآخرة وإعراضاً عن الدنيا، ومنهم من يوّلّى هذه المناصب إقامة للسنة ودفعاً للبدعة، فمن ترك فإنه ترك بدين، ومن تولى تولى إقامة الدين، رحم الله الجميع، ومن أمثلة من توّلّى منهم المناصب بأمر السلطان:

(١) هو الأمير ثابت بن جهماز تولى إمارة المدينة نيابة عن أخيه ودي بن هبة الله بن جهماز بن منصور بن شيجه، مات مقتولاً بالمدينة سنة (٧٤٣هـ/١٣٤٢م). المقرئ: المقفى الكبير، تحقيق: محمد اليعلاوي، (ط١)، (دار الغرب الاسلامي، ١٤١١هـ/١٩٩١م)، ج٢، ص١٣؛ عبد الغني: تاريخ أمراء المدينة، ص٢٧٨.

(٢) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص١٥٣؛ المدريس: المدينة المنورة في العصر المملوكي، ص١٣٩ - ١٤٠.

— رضي الدين محمد بن عبد الرحمن المطري المكنى بأبي حامد (ت ٨١١هـ/١٤٠٨م)، تولّى قضاء المدينة وخطابتها وإمامتها^(١)، وكان ذلك من قبل السلطان قايتباي في القاهرة، وقد وقّع على ذلك التكليف الشريف حسن بن عجلان^(٢) بعد توقيع السلطان بمصر عليه^(٣)، وقد جاء هذا الأمر من مصر إلى الأمير بمكة، وكان أبو حامد المطري في ذلك الوقت بالطائف فتوجه مباشرة من مكة إلى المدينة، وكان ذلك بصحبة الشريف أحمد بن حسن بن عجلان^(٤) وعساكره والمماليك الذين أتوا من مصر، واستقر بالمدينة مباشرة الوظائف التي كُلف بها^(٥).

أسرة الزرندي

— تولى نور الدين علي بن يوسف الزرندي (ت ٧٧٢هـ/١٣٧٠م)^(٦) منصبي القضاء والحسبة، وقد أعلن المرسوم بالوظيفتين في يوم واحد على دكة المؤذنين بعد صلاة الجمعة في أول سنة (٧٦٧هـ/١٣٦٥م) يحمل توقيع الشريف ولم يسعَ الزرندي في طلب هذه الوظائف، بل قيّضها الله وساقها إليه تسخيراً لعباده الذين يحتاجون لعلم هذا الرجل وحنكته^(٧).

(١) الفاسي: العقد الثمين، ج ٢، ص ١٠٦.

(٢) هو حسن بن عجلان بن رميثة بن أبي غني ابن قتادة الحسني، أمير مكة ونائب السلطنة بالبلاد الحجازية، كانت مدة إمارته (٣٢) سنة، له مآثر كثيرة كبناء الأربطة، وتعمير البيمارستان المنصوري إلى غير ذلك من الأعمال الخيرية، توفي سنة (٨٢٩هـ/١٤٢٥م). السخاوي: الضوء اللامع، م ٢، ج ٣، ص ١٠٣-١٠٤.

(٣) المقرئ: السلوك، ج ٤، ق ١، ص ٧٦.

(٤) هو أحمد بن حسن بن عجلان بن رميثة بن قتادة الشريف الحسني المكي، نشأ بمكة وأشركه أبوه مع أخيه بركات في إمارة مكة وبعد موت أبيه توجه إلى زيد من بلاد اليمن فمات هناك سنة (٨٤٢هـ/١٤٣٨م).

السخاوي: الضوء اللامع، م ١، ج ١، ص ٢٧٤.

(٥) الفاسي: العقد الثمين، ج ٢، ص ١٠٧.

(٦) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ١، ص ١١٦-١١٧؛ كبريت: الجواهر الثمينة، ج ١، ص ٣٢٣.

(٧) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ١٠٦.

وقد كان ذلك في عهد أمير المدينة عطية بن منصور بن جهاز، وتم هذا التعيين بواسطة وسعي من يلغا الناصري في عهد السلطان الناصر حسن بن قلاوون^(١)

— وقدم سعد بن محمد الزرندي (ت ٨٦٨هـ / ١٤٦٣م)^(٢) وكان قاضياً للحنفية بالمدينة، إلى القاهرة أكثر من مرة في أيام الظاهر جقمق شاكياً حاله وديناً عليه، فأعطاه وأنعم عليه بألف دينار؛ ليوفي دينه، ولكن بعد أن تأكد، وتحقق منه عن سبب الدين^(٣).

— وقد عاون محمد بن عمر الزرندي (ت ٨٨٩هـ / ١٤٨٤م)^(٤) في جمع وتحصيل أوقاف الحرم مع من عينه الظاهر جقمق لهذا الغرض^(٥).

أسرة ابن فرحون:

— كما حصل علي بن محمد بن فرحون (ت ٧٤٦هـ / ١٣٤٥م)^(٦)، على وظيفة لأخيه، وكان له وجاهة وشأن على أمراء المدينة، ولا ترد حاجته لديهم، فكان بذلك مقصداً لذوي المطالب وأصحاب الحاجات^(٧).

من ذلك أنه استطاع أن يحصل على مرسوم سلطاني بتعيين أخيه عبد الله في التدريس في المدرسة الشهابية، حيث أنه سافر إلى مصر سعيّاً وراء هذه الوظيفة، وطلب المساعدة على قضاء هذا الأمر من الشيخ أبي عبد الله بن جابر الوادي آشي، والشيخ أبي عبد الله بن الحداد فطلب منه القاضي تقي الدين الأخنائي^(٨) إثبات كفاءة أخيه لهذا المنصب،

(١) الزرندي: (نور الدين علي)، المرور بين العلمين، ص ٤٨؛ حسن: منى عبد الغني، أهم معالم الحضارة الإسلامية

في مجتمع المدينة المنورة في العصر المملوكي "مجلة كلية الدراسات الإنسانية"، س ٢٠٠٤م، ع ٢٢، ص ٢٦٨.

(٢) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٣٩٢.

(٣) الزرندي: (نور الدين علي)، المرور بين العلمين، ص ١٤؛ السخاوي: وجيز الكلام، ج ٢، ص ٧٦٢.

(٤) السخاوي: الضوء اللامع، م ٤، ج ٨، ص ٢٥٩.

(٥) الزرندي: (نور الدين علي)، المرور بين العلمين، ص ٢٢.

(٦) الصفدي: أعيان العصر، ج ٣، ص ٥٠٨؛ ابن حجر: الدرر الكامنة، ج ٣، ص ١٠٩.

(٧) ابن فرحون: (إبراهيم بن علي)، الديباج المذهب، م ٢، ص ١١٣؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٩٥.

(٨) هو محمد بن أبي بكر السعدي المصري، له مؤلفات حسنة ومفيدة، تولى قضاء القضاة المالكية بمصر، توفي سنة

(٧٥٠هـ / ١٣٤٩م). ابن فرحون: (إبراهيم بن علي)، الديباج المذهب، م ٢، ص ٣٠٠.

فقدّم له محضراً بذلك وشهدا عليه، ورجع علي بن فرحون وهو يحمل مرسوم تعيينه بالمدرسة الشهابية بتوقيع من السلطان الناصر محمد بن قلاوون^(١) رحمه الله.

أسرة الخجندي:

— تولّى جلال الدين أحمد بن محمد الخجندي (ت ٨٠٢هـ / ١٣٩٩م)^(٢) وظيفة تعليم وتدرّس الأمير يلبغا^(٣).

أسرة ابن صالح:

— بعث الظاهر برقوق^(٤) إلى عبد الرحمن ناصر الدين بن التقي ابن صالح (ت ٨٢٦هـ / ١٤٢٢م)، بالخلعة^(٥) والولاية بالمدينة وكان ذلك في سنة (٧٩٢هـ / ١٣٨٩م) فهنّته أهل المدينة وعلمائها بهذه الولاية، والتي كانت تضم القضاء والإمامة وشؤون المسجد النبوي^(٦).

— وكان لبعض الأمراء سلطة تعيين بعض المدرسين، فقد قرّر الأمير (خير بك) الصلاح محمد بن أبي الفتح بن صالح مدرساً لتدرّس الشافعية بالمدينة^(٧).

(١) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ٤٨٨ بدر: (عبد الباسط): الحياة الثقافية في المدينة المنورة

في العصر المملوكي، "مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة"، ٥٤، ص ٧٠.

(٢) الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، ج ٢، ص ١٢٨؛ ابن حجر: إنباء الغمر، ج ٢، ص ١١٦؛ الشّماع: القيس الحاوي، ج ١، ص ٢٢٩.

(٣) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١٥٢؛ الضوء اللامع، م ١، ج ٢، ص ١٩٩.

(٤) هو السلطان المملوكي الظاهر أبو سعيد سيف الدين برقوق، تولى الحكم سنة (٧٨٤هـ / ١٣٨٩م)، وتوفي سنة (٨٠١هـ / ١٣٩٨م). ابن دقماق: إبراهيم بن محمد ابن أيّدر العلائي، الجوهر الثمين في سيرة الخلفاء والملوك والسلاطين، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، (د. د. ط)، (جامعة أم القرى، مركز البحث وإحياء التراث الإسلامي، د. ت)، ص ٤٥٧.

(٥) الخلعة نوع من الملابس الخارجية أو ما يسمى بالعباءة، أو الرداء الذي كان السلطان يلبسه لموظفيه أو ولاته أو وزرائه إعراباً عن رضائه عليهم. ل. أ. ماير: الملابس المملوكية، ترجمة: صالح الشيني، (د. د. ط)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ت)، ص ١٠١ - ١١٤؛ صابان: سهيل، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، (د. د. ط)، (مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م)، ص ١٠٣.

(٦) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٤٩.

(٧) السخاوي: الضوء اللامع، م ٥، ج ٩، ص ١٠٤.

أسرة الكازروني:

— كان مسدّد بن محمد الكازروني (٨٧٣هـ/١٤٦٣م) وجيهاً؛ مما أهله ليكون أحد شهود الحرم ويعاون في جمع مال دشيشة^(١) الظاهر جقمق، وكان العمل في هذه الوظيفة، يتطلّب له قدر من الوجاهة، وكان مسدّد وجيهاً^(٢).

ومن المناصب السياسة المهمة في العصر المملوكي ما يتعلق بالعلم وأهله هو ما يقال له (ديوان الإنشاء)، والذي أوكلوا مهمته إلى كبار الأدباء، وذلك لصياغة الرسائل السلطانية والحكومية، وقد بين القلقشندي في موسوعته "صبح الأعشى" في بيان صفة الرسائل في العهد المملوكي فذكر أنه: "يأتي في ابتداء المكاتب براءة الاستهلال المطلوب في كل فن من فنون الكلام"^(٣).

وقد وجد بالمدينة من علماء الأسر من تخصص في هذا الجانب فعلى سبيل المثال :

أسرة الكازروني:

— أختصّ عبد السلام بن محمد الكازروني (ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م) بكتابة الشكاوي والمحاضر لذوي الحاجات، والتي كانت ترسل للبلدان بسبب الحكام وغيرهم، وكان قد بلغ من البراعة في الكتابة إلى الإيجاز مع اشتمال المكتوب على كامل المعنى، فكان يكتب الأسطر القليلة الوافية بالمقصود، بل كان يعيب الإكثار في عشرة أسطر أو سبعة^(٤)، مما يدلّ على تمكّنه في هذا الجانب، وإذا أُتيح لمثل عبد السلام الكازروني الالتقاء بالسلطان لكان رئيساً أو مقدماً (لديوان الإنشاء) لأجل ذلك.

(١) الدشييش: هي في الأصل حسو يتخذ من بر مرضوض، وكان يطلق على أوقاف الحرمين الشريفين أوقاف الدشايش مع أن الأوقاف كانت لإطعام أهالي الحرمين الدشييشة. الرشيدى: أحمد، حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولي إمارة الحاج، تحقيق: ليلي عبد اللطيف أحمد، (ط . د)، (القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٨٠م)، ص ٢٢؛ بيومي: محمد علي فهم، مخصصات الحرمين الشريفين في مصر إبان العصر العثماني، (ط ١)، (دار القاهرة، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م)، ص ٦٥؛ بدرشيني: أوقاف الحرمين، ص ٥٢.

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٥، ص ١٠، ١٥٥-١٥٦.

(٣) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٦، ص ٢٧٧.

(٤) الفاسي: العقد الثمين، ج ٥، ص ٤٢٩؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٧٣.

— وما يبين أيضاً التردّي في الحالة السياسية في ذلك الوقت - خاصة إبان إمارة آل ججاز والطفيل - ما جرى لأبي الفرج المراغي من دبوس^(١) من أشرف آل طفيل بن منصور، وهو زعيم الذين تجرّؤوا على المسجد النبوي، والحجرة النبوية وأخذ جملة من قناديلها، وكان شديد البأس مما جعل أمير المدينة يفض الطرف عنه خوفاً من بأسه، فقام دبوس بطلب كسوة من الحرم فرفض المراغي طلبه، فدخل دبوس المدينة متخفياً، وحاول النيل من أبي الفرج بضربه وهو في صلاة العشاء من باب السلام، ولكنه لم يستطع قتله، وجرح جرحاً يسيراً، وسعى الشريف محمد بن عجلان خلفه، حتى أدركه، وقتله تحت جبل غير، وكان ذلك سنة (٨٦٢هـ/١٤٥٧م)^(٢).

— من ذلك أيضاً حينما مات محمد الكمال أبو الفضل المراغي (ت ٧٤٣هـ/١٤٣٩م) مقتولاً من قبل شريف رافضي طالبه بدين لشخص توفي وأوصى المراغي أن يحصل ذلك الدين فماتل في ذلك، فلما ضيق المراغي عليه قتله الشريف، وكان سليمان^(٣) أمير المدينة حينذاك غائباً، وانتشر الخوف بين أهل المدينة، فخرج نائبه حيدرة^(٤) وراء القاتل فلم يتمكن منه، فأشار أبو الفتح المراغي لأخيه ناصر الدين أبي الفرج ليأتي بالنصرة من القاهرة، فذهب ولم يخله السلطان جقمق، وأعدَّ له جيشاً عالي التكلفة حيث بلغ تجهيزه (٣٠٠٠) دينار، وكان ذلك بصحبة أحد الأمراء، وسلخوا طريق البحر، وبقي الجند مع أميره مدة سنتين، واستطاعوا أن يمسكوا بجماعة من أنصار الشريف ولكنهم لم

(١) هو: دبوس بن سعيد الحسيني الطفيلي، من شرفاء آل الطفيل بن منصور، رأس المتحرّين على الحجرة النبوية في أخذ بعض من قناديلها. السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٣٣١.

(٢) المصدر السابق، ج ١، ص ٣٣١.

(٣) هو سليمان بن عزيز بن هياز بن هبة بن ججاز الحسيني، تولى إمارة المدينة سنة (٨٤٢هـ/١٤٣٨م)، واستمر في الولاية إلى أن مات سنة (٨٤٦هـ/١٤٤٢م). المصدر السابق، ج ١، ص ٤٢١؛ عبد الغني: تاريخ أمراء المدينة، ص ٣٠٤.

(٤) هو حيدرة بن دوغان بن جعفر بن هبة بن ججاز بن شيحة، ناب على المدينة سنة (٨٤٠هـ/١٤٣٦م)، عن أميرها سليمان بن عزيز، ثم استقل على الأمانة بعد موته، توفي سنة (٨٤٦هـ/١٤٤٢م). ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ١٥، ٢٠٢.

يظفروا بالقاتل، وبقي الجيش دعماً لأهل السنة، واستطاع أن يردع الآخرين عن تكرار مثل هذا الفعل^(١).

أسرة السمهودي:

— استطاع نور الدين علي بن عبد الله السمهودي (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م) أن يحتل مكانة علمية واجتماعية في المدينة، مما جعل السلاطين والأمراء وكبار رجال الدولة يولونه الاهتمام والتقدير ويشركونه في المسائل العامة في المدينة، كبناء المسجد النبوي، وما يتعلق بذلك من تحديد الأمور الدقيقة كحجرة السيدة عائشة^(٢) - رضي الله عنها - والمنبر النبوي^(٣).

وقد سافر السمهودي إلى القاهرة بعد حريق المسجد النبوي سنة (٨٨٦هـ/ ١٤٨١م)، والتقى بالسلطان الأشرف قايتباي ونظراً لمكانة السمهودي لديهم وأهميته عندهم، فقد جاءت هذه الزيارة بالعديد من الفوائد للمدينة، ومن ثمَّ لمؤرخها السمهودي تمثلت هذه الفوائد في الآتي:

— أحسن السلطان إليه غاية الإحسان وأمر له بمرتب، وأوقف على المدينة كتباً من أجله، وقد كان الوقف من السلطان وغيره^(٤).

— تعويض مكتبات الحرم المدني عما احترق من المصاحف والكتب الدينية المختلفة وغيرها، وأن ترسل في صحبة السمهودي، وقد اجتمع من الكتب أكثر مما احترق، كما عين ناظراً للحرم النبوي للإشراف على عمارة المسجد النبوي^(٥).

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤٥٥.

(٢) والحجرة الشريفة هي المكان الذي دفن فيه الرسول ﷺ في بيت أم المؤمنين السيدة عائشة - رضي الله عنها - وما حوله. الفيروز آبادي: المغام المطابة، ج ٣، ص ١٣٢٣.

(٣) المنبر النبوي: كان للنبي ﷺ جذع نخلة إذا أطال القيام في الخطبة اتكأ عليه، ثم صنع له منبر من الخشب له درجتان ويقعد على الثالثة، فوجد فيه النبي ﷺ راحة ففارق الجذع إلى هذا المنبر، فحن الجذع إلى النبي ﷺ وحزن على فراقه، وكان طول المنبر ذراعين وعرضه ذراع، وقد جدد هذا المنبر وطور على مدى السنوات، وقد احترق ليلة حريق المسجد سنة (٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م)، في جملة ما احترق، ثم أعيد تجديده مرة أخرى. المصدر السابق،

ج ٢، ص ٤٩١، ٤٩٣، ٤٩٥؛ السمهودي: وفاء الوفاء، ج ٢، ص ٣٩٠ - ٣٩١.

(٤) السمهودي: خلاصة الوفاء، ج ١، ص ١٣؛ الشوكاني: البلد الطالع، ج ١، ص ٤٧١.

(٥) علي السيد علي: الحياة الثقافية في المدينة، ص ٢٤٤.

— استطاع أن يحصل على موافقة السلطان بسعي منه على سد السرداب المواجه للحجرة الشريفة، وقد كانت المصلحة في سدها، كما حقق الأشرف قايتباي أمنيته، وهي إزالة ما تراكم من آثار البناء داخل الحجرة المطهرة في سنة (٨٦٨هـ/١٤٦٣م)^(١).

— عينه الأشرف قايتباي ناظراً للمدرسة الأشرفية التي أنشأها بالمدينة، وكذلك على المكتبة والمدرسة المزهرية، فقد اهتم السلاطين والأمراء في تلك الفترة من حكم المماليك بمكتبات الحرم خاصة ومكتبات المدينة على وجه العموم^(٢)، كذلك اهتم الأشرف قايتباي بمكتبة المدرسة الأشرفية التي أنشأها حين أوقف عليها مجموعة ضخمة من الكتب^(٣)، وعندما قام الأمير داود عيسى بن عمر شيخ عرب هواره بزيارة المدينة أثناء حجه أوقف عدة كتب من ضمنها كتاب "فتح الباري في شرح صحيح البخاري"^(٤)، وقد سلمت للسمهودي ليضمها إلى "خزانة الكتب" بالمدرسة الأشرفية التي كان ناظراً عليها، وبقيت هذه المكتبة عامرة بالكتب حتى قيام الدولة العثمانية بنصف قرن، حيث كانت مقتنياتها في تزايد مستمر^(٥). الأمر الذي يدل على اهتمام السلاطين بالمدارس والمكتبات، فتعيينه للسمهودي مشرفاً على المدرسة والمكتبة دليل على هذا الاهتمام، حيث أراد أن يضمن لمدرسته ومكتبته أحسن المدرسين والمشرفين، ووجد في السمهودي ضالته.

— تزايدت ثقة السلطان قايتباي في السمهودي فولاه الإشراف على الأموال والصدقات والهبات التي كانت ترسل من قبل السلطان قايتباي نفسه ومن غيره من الملوك كالأمير داود بن عيسى بن عمر شيخ هواره^(٦)، كما كانت صلته بهذا السلطان قوية جداً،

(١) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٣، ص ٥٤٧؛ الجاسر: رسائل في تاريخ المدينة، ص ٤٦.

(٢) الجاسر: السمهودي أشهر مؤرخي المدينة، "مجلة العرب"، ج ٣، ص ٧، ص ١٦٣.

(٣) العصامي: عبد الملك بن حسين بن عبد الملك، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، (د. ت)، (المطبعة السلفية، د. ت)، ج ٤، ص ٤٥.

(٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٢٨٥.

(٥) العيدروسي: النور السافر، ص ٩٨؛ علي السيد علي: الحياة الثقافية في المدينة، ص ٢٦٣؛

(٦) الأنصاري: (ناجي محمد)، التعليم في المدينة المنورة، ص ٢٥٤؛ بدر: (عبد الباسط)، الحياة الثقافية في المدينة في

العصر المملوكي، "مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة"، ص ٥٤، ص ٧٨.

تجاوزت توزيع الصدقات والهبات على أهل المدينة إلى اختيار من يراه من علماء المدينة؛ ليتولى وظائف علمية ودينية بالإحساء^(١).

— استطاع السهمودي أن يرفع عن كاهل أهل المدينة دفع المكوس^(٢) وتعويض أميرها وذلك بتوسطه لدى السلطان عندما حج سنة (٨٨٤هـ/١٤٧٩م) فأحسن السلطان إلى أهل المدينة، وأجاب طلب السهمودي في ذلك^(٣).

(١) السخاوي: الضوء اللامع، م٣، ج٥، ص٢٤٧؛ الجاسر: السهمودي أشهر مؤرخي المدينة، "مجلة العرب"، ج٣، ص٧، ص١٦٤.

(٢) المكوس: هي الجباية أو الضريبة التي تأخذ من بضائع التجار. القلقشندي: صبح الأعشى، م٣، ص٥٣٦-٥٣٩.

(٣) الجاسر: رسائل في تاريخ المدينة، ص٢٨.

المبحث الثالث: أثر الأسر في الحياتين الاجتماعية والاقتصادية

أولاً: أثر الأسر العلمية في الحياة الاجتماعية.

إن دراسة الآثار الاجتماعية تختلف كثيراً عن دراسة الآثار السياسية، حيث إن الآثار السياسية تتسم بالتبديل والتغير من آن لآخر ولا تدوم على حالة واحدة، بينما تظل الآثار الاجتماعية على شيء من الثبات أو التغير البطيء، وهذا الأمر هو السبب في شح الآثار الاجتماعية بين سطور المصادر التي بين أيدينا، حيث يراها بعضهم من الأمور العادية المستقرة، فالحياة التي عاشها الأجداد لا تختلف كثيراً عما سيعيشه الأحفاد.

وقد كان مجتمع المدينة في العصر المملوكي خليط من أجناس شتى، فبالإضافة إلى الأشراف، وهم الذين ينتسبون إلى الخليفة علي بن أبي طالب عليه السلام، ومن هؤلاء آل الحسن بمكة، وآل الحسين بالمدينة، ومنهم كان أمراء المدينتين المقدستين (مكة والمدينة)، وجدت فئات أخرى من أهل البلد الأصليين وغيرهم من المجاورين والذين اختلطوا مع نسل وذريات من بقي من البيوت العريقة من المهاجرين والأنصار^(١)، وكان أصحاب الوظائف الدينية، كالقضاة والخطباء والقراء والمؤذنين والأئمة يمثلون فئة اجتماعية، تلي في الأهمية والمرتبة فئة الأشراف، ثم بقية فئات المجتمع من أرباب الوظائف الأخرى^(٢).

وما يهمننا دراسته هنا هو فئة من علماء الأسر العلمية، ممن كان مشاركاً في الحياة الاجتماعية بتأثير كبير واضح، وإلا فالكل كان له صلة مع أفراد مجتمعهم تربطهم به علاقة وثيقة يتوجها التآخي والمحبة وبذل النفس والتضحية، والتعاون، وما أشبه ذلك من صفات حميدة.

(١) بدر: عبد الباسط، التاريخ الشامل للمدينة، (ط١)، (مكتبة رحاب المعرفة، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م)، ج ١، ص ١٠٩؛ البلادي: عاتق بن غيث، علي طريق الهجرة "رحلات في قلب الحجاز"، (ط٢)، (دار مكة، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م)، ص ١١٧.

(٢) باقاسي: عائشة عبد الله عمر، مكة والمدينة في منتصف القرن الرابع حتى منتصف القرن السادس الهجري، (رسالة دكتوراه، غير منشورة، مقدمة لكلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، جامعة أم القرى، ١٤١٣ - ١٤١٤هـ) ص ١٦٣؛ حسن: (مضى)، أهم معالم الحضارة الإسلامية في مجتمع المدينة في العصر المملوكي، "مجلة الدراسات الإنسانية"، ع ٢٢، ص ١٦٢.

كما كان الرباط الاجتماعي بين العلماء بعضهم بعضاً رباطاً وثيقاً، ولا أدلّ على ذلك من وجود عبارات التآخي والتواد في تراجم علماء المدينة من أهل السنة، كما في ترجمة الجمال المطري أنه صاحب الشيخ محمد بن إبراهيم المؤذن^(١)، كما صاحب أيضاً ناصر الدين نصر عطا الله^(٢).

وكان الجمال المطري ممن اتصف بالكثير من الصفات الاجتماعية الجميلة، فكان ملازماً لخدمة المجاورين فقد بلغ الغاية في الإحسان للمحتاجين جامعاً للمحاسن والفضائل قال عنه ابن فرحون: "لم يأت بعده مثله ولا علمت فيمن كان في عصرنا من له فضله"^(٣).

وكانوا يعينون بعضهم البعض في بناء دور أعوانهم وأصدقائهم مما يخفف عنهم الكثير من مؤونتها، وكان بعضهم يقوم بالإحسان إلى من يحتاج في خفاء وستر^(٤)، فعلى سبيل المثال قام محمد بن أحمد بن عثمان بن عبد الغني التستري وأبيه بخدمة الشيخ أبي بكر الشيرازي^(٥).

لقد اتّسمت علاقة الأسر العلمية مع المجتمع المدني بالآداب الحسنة والأخلاق القويمة، فكان فيهم تودّد وحسن صحبة للناس، وحسن وعظ مع وقار وهيبة، فكانوا يأمرّون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويتسابقون على مواساة الفقير ويرحمون الشيخ الكبير ويقبلون عثرة الضعيف والصغير^(٦).

وفي المقابل حرص أهل المدينة والقادمون إليها على قصد أبناء الأسر العلمية للاستفادة بعلمهم والاستئناس بهم والسلام عليهم.

وقد تفاعل المزيج السكاني بالمدينة في الأوجه الاجتماعية المختلفة، من أفراح وأتراح، وعادات وملابس ومطاعم ومشارب، ومن مصاهرات واحتفالات، إضافة إلى السلوك

(١) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ٣٣ - ٣٤.

(٢) الفيروزآبادي: المغنم المطابة، ج ٣، ص ١٣٠٧ - ١٣٠٨.

(٣) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ١٤٩.

(٤) المصدر السابق، ص ١١٧، ١١٩.

(٥) المصدر السابق، ص ١١٢؛ علي السيد علي: الحياة الثقافية في المدينة المنورة، ص ١٧١.

(٦) المصدر السابق، ص ٢٠٢ - ٢٠٣؛ آل مشاري: (منى)، المجاورون في الحرمين في العصر المملوكي، ص ٩١ -

الاجتماعي العام، والذي كان يظله ما يتعلمه المدنيون من علمائهم، ولاسيما أفراد الأسر العلمية، وفيما يلي إطلالة على بعض ذلك.

الزواج والمصاهرة:

لم تختلف عادات الزواج عما يعهده المسلمون في كل عصر، فإذا أراد الرجل التزوّج، فإنه يذهب أهل الزوج إلى منزل أهل العروس، ويتبادلون معهم الخطب والثناء، معددين مفاخر الأسرتين، ثم يتم العقد ويقدم المهر لأهل العروس، ومن ثم تقام الوليمة في منزل الزوج ويحدّد بعد يوم الدخول ثم تقام الولائم للرجال والنساء ليلة الزفاف وقبلها وبعدها، ويتم العقد عادة في المسجد^(١)، ويقوم بإتمام عقد القران قاضي القضاة وغالباً ما يكون شافعي المذهب، ولا يمنع ذلك أن تختار الأسرة القاضي الذي يعقد قران أبنائها من المذهب الذي ينتمون إليه^(٢).

وإذ رُزق أحدهم بمولود، فتقام العقيقة يوم الولادة، وربما كرّرت من قبل الموسرين في اليوم السابع، ويسمى المولود في هذا اليوم، وعندما يبلغ الأربعين يوماً يُكسَى الطفل الجميل من الثياب وكل أنواع الزينة ويذهب به إلى المسجد النبوي الشريف^(٣). ولم تكن ثمة عصبية قبلية تمنع من الزواج، فكل من ثبت أنه أهل للزواج، فإنه لا ينظر إلى تعصّب جنس أو لون، فقد تزوّج أبو عبد الله بن فرحون، وهو تونسي الأصل من أكبر بنات الشريف عبد الواحد الحسيني الثابت النسبة بالقاهرة^(٤).

(١) بدرشيني: مظاهر الحياة الاجتماعية في مكة والمدينة إبان القرن الثامن الهجري من خلال كتب الرحالة، "مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة"، ٨٤، ص ١٨١.

(٢) عدوان: عادات وتقاليد الزواج في مكة المكرمة والمدينة المنورة زمن سلاطين المماليك ٦٤٨-٩٢٣هـ / ١٢٥٠-١٥١٧م، "مجلة الجمعية التاريخية السعودية"، ٣، ص ٥٤، ص ٦١.

(٣) البتوني: محمد ليب، الرحلة الحجازية، (ط ٢)، (القاهرة، مطبعة الجمالية، ١٣٢٩هـ)، ص ٢٦٠؛ حسن: (مئى)، أهم معالم الحضارة الإسلامية في مجتمع المدينة المنورة في العصر المملوكي "مجلة الدراسات الإنسانية"، ٢٢٤، ص ١٧٥؛ بدرشيني: مظاهر الحياة الاجتماعية في مكة والمدينة إبان القرن الثامن الهجري من خلال

كتب الرحالة، "مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة"، ٨٤، ص ٨٢-٨٣.

(٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٥٦٢-٥٦٣.

وكان أهل الحرمين لا يمانعون من زواج بناتهم من غير أهل البلاد إذا كان على درجة رفيعة من العلم والخلق^(١).

وقد اغتبط أولاده بهذه النسبة الشريفة التي ألحقهم بها والدهم، يقول البدر عبد الله ابنه: "وكان في تزوّج أبي بالشريفة البر التام بنا، إذ ألحقنا بنسب النبي ﷺ وصيرنا من ذريته إجماعاً، وشرفاء عند أكثر العلماء"^(٢).

وما يلفت النظر في الزيجات التي تحدث بين أهل المدينة زواج الأسر العلمية بعضها من بعض إذ تعد المصاهرات أهم أواصر الترابط والتمارُج بين الأسر؛ لذا ارتبطت الأسر العلمية التي عاشت في العصر المملوكي بعلاقات مصاهرة واسعة، ولاشك أن هنالك بين هذه الأسر مصالح تعود على هذه الأسر بهذا الزواج، فقد يكون الزواج بينها أحياناً تطلع إلى رفع الشأن والمكانة خاصة، وأن بعض الأسر العلمية تبوأ أعلى المناصب وأرفعها بالمدينة المنورة مما يجعل لها مردوداً اجتماعياً^(٣).

وقد يكون السبب في هذه المصاهرات العلاقات الوثيقة التي تنشأ بين الشيخ وتلميذه وبين زملائه من الشيوخ ومعرفة بعضهم البعض معرفة عميقة تجعلهم يقدمون على المصاهرة، وقد ارتبط بعض أفراد هذه الأسر بمصاهرات من بقية المجاورين الآخرين خاصة العلماء منهم وطلبة العلم كما سيأتي بيانه^(٤).

أسرة المطري:

— صاهرت أسرة المطري أسرة السخاوي التي يجمعها بها الأصل المصري، فقد تزوجت أم كلثوم شقيقة محمد الكمال أبي الفضل المطري بالقاضي شمس الدين السخاوي^(٥).

(١) عدوان: عادات وتقاليد الزواج في مكة المكرمة والمدينة المنورة في زمن سلاطين المماليك، "مجلة الجمعية التاريخية" ع ٥٤، س ٣، ص ٤٦.

(٢) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٥٦٣.

(٣) عدوان: عادات وتقاليد الزواج في مكة المكرمة والمدينة المنورة في زمن سلاطين المماليك "مجلة الجمعية التاريخية السعودية"، س ٣، ع ٥٤، ص ٤٧ - ٤٨.

(٤) المديرس: المدينة المنورة في العصر المملوكي، ص ١٦٢.

(٥) السخاوي: الضوء اللامع، م ٥٥، ج ٩، ص ٢٢٥؛ المرجع السابق، ص ١٤٦.

أسرة الزرندي:

— تزوّج عبد العزيز بن عبد السلام الزرندي (ت ٨٦٣هـ/١٤٥٨م) من سارة ابنة أبي الفتح الزرندي، أخت سعد وسعيد قضاة المدينة، وأنجبت له عمر وعدة إناث^(١).

— كما تزوّج علي بن يوسف الزرندي (ت ٨٩٢هـ/١٤٨٦م) زينب ابنة القاضي سعد الدين بن محمد الزرندي (ت ٨٦٨هـ/١٤٦٣م)، وأنجبت له أبا الفرج بن علي بن يوسف، وقد ماتت زينب في حياته إذ قيد السخاوي وفاتها في سنة بضع وثمانين^(٢).

— وكان محمد بن عبد الوهاب الزرندي (ت ٨٣٨هـ/١٤٣٤م) ثلاثة من البنات هن عائشة وزينب وفاطمة؛ فأما عائشة فقد تزوجت من القاضي خير الدين السخاوي بن القصبي، وقبله الخطيب شمس الدين الريس رئيس المؤذنين بالمدينة، وقبله أبو الفضل المحب المطري، وأما زينب، فقد تزوّجها أبو الفرج المرغي، وفارقها، وأما فاطمة ثالثة بنات أبي الفتح، فتزوّجها أبو الفضل محمد المراغي، وماتت بعد مقتله بقليل^(٣).

— كما صاهر عبد الوهاب بن محمد الزرندي الجمال الكازروني (ت ٨٤٣هـ/١٤٣٩م) على ابنته، فولدت له ابنه محمداً^(٤).

— وزوّج محمد بن عمر الزرندي (ت ٨٨٩هـ/١٤٨٤م) أخته رقية إلى السيد السمهودي^(٥).

— وقد تزوّج البهاء محمد بن محمد الزرندي (ت ٨٢٢هـ/١٤١٩م) بابنة الجمال الكازروني واستولدها أولاداً^(٦) هم عبد الرحمن وعبد الباسط وأبو الفضائل^(٧).

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٨٣.

(٢) المصدر السابق، ج ١، ص ٣٩٢.

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، م ٦، ج ١١، ص ٢٢٧؛ الأنصاري: (عبد الرحمن)، تحفة الخبير والأصحاب، ص ١١.

(٤) السخاوي: الضوء اللامع، م ٤، ج ٨، ص ١٣٧.

(٥) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٥٥٥؛ المصدر السابق، م ٢، ج ٤، ص ٢٩٨؛ م ٤، ج ٨، ص ٢٥٩.

(٦) المصدر السابق، م ٥، ج ٩، ص ١٦٦-١٦٧.

(٧) المصدر السابق، م ٢، ج ٤، ص ٣١، ١٤٥.

أسرة ابن فرحون:

— وتزوج محمد بن صالح بن إسماعيل الشمس الكناني ابنة البدر عبد الله بن محمد بن فرحون فولدت له (محمداً) الشمس (ت ٨١٤هـ/١٤١١م)^(١).

أسرة الخجندي:

— تزوج أحمد بن محمد الخجندي (ت ٨٠٢هـ/١٣٩٩م) عائشة ابنة شيخه نور الدين علي الزرندي^(٢).

— فيما زوج الشيخ أحمد ابنته (أمة الله)، وكانت كما يصفها السخاوي: (عابدة خيرة)^(٣)، وقد تزوجها الشرف أبو الفتح المراغي، وظلت معه طيلة حياة أبيها، فلما مات طلقها، وتزوجت بعده بالشيخ عبد الرحمن بن أحمد النفطي (ت بعد ٨١٩هـ/١٤١٦م)^(٤).

— كما تزوج الشمس محمد بن أحمد الخجندي من ابنة البرهان الششتري وأنجب منها أربعة من أولاده^(٥).

— وتزوج كذلك الشمس محمد بن إبراهيم الخجندي (ت ٨٧٠هـ/١٤٦٥م) من ابنة أبي الهدى بن التقي الكازروني^(٦).

— وتزوج الشهاب أحمد بن محمد الخجندي (ت ٨٨١هـ/١٤٧٦م) ابنة أخت الشيخ أبي الفتح بن صالح^(٧).

— كما تزوج ابنة الشهاب أحمد بن محمد الخجندي أحد شيوخ أسرة المراغي وهو محمد بن محمد المراغي (المولود في سنة ٨٦٥هـ/١٤٦٠م) واستولدها^(٨).

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٨٦.

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، م ١، ج ٢، ص ١٩٩.

(٣) المصدر السابق، م ١، ج ٢، ص ١٩٩-٢٠٠.

(٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١١٧.

(٥) المصدر السابق، ج ٢، ص ٤١٥-٤١٦.

(٦) السخاوي: الضوء اللامع، م ١، ج ١، ص ١١٩.

(٧) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤٣٠.

(٨) المصدر السابق، ج ١، ص ١٣٠.

— وتزوَّج البرهان إبراهيم بن محمد الخجندي (ت ٨٩٨هـ/١٤٩٢م) ابنة الشيخ محمد المراغي^(١).

أسرة ابن صالح:

— وقد صاهر محمد بن إسماعيل بن صالح الشيخ عبد الله بن محمد بن فرحون على ابنته، كما تقدّم، وأنجبت له الشمس محمد بن صالح (ت ٨١٤هـ/١٤١١م)^(٢).

— وتزوَّج محمد بن سعيد بن صالح من ابنة البدر ابن فرحون قاضي المالكية (ست الشرف) في آخر القرن التاسع^(٣).

ومن المصاهرة في غير الأسرة ما كان من شأن ابنتي عبد الرحمن بن القاضي أبي عبد الله بن صالح (ت ٨٩١هـ/١٤٨٦م)، فقد تزوّج بواحدة قاسم الغزي ومات عنها، وترك أولاداً منها فخلفه عليها عبد الله الفاكهي، والأخرى واسمها ست الحسن تزوّج بها الجمال محمد بن عبد العزيز الفيومي، واستولدها زين الحرمين وفارقها، فتزوَّجها مملوك ابن عمها إبراهيم بن صالح واستولدها^(٤).

— وكذلك صاهر محمد بن عبد الوهاب الهواري (ت ٨٧٣هـ/١٤٦٨م) أبا الفتح محمد بن صالح (ت ٨٦٠هـ/١٤٥٥م) على ابنته، واستولدها أبا السعادات، وهو سعيد بن محمد بن عبد الوهاب^(٥).

— كما صاهره أيضاً أحمد بن سعيد الجريري على ابنته (ت ٨٤٩هـ/١٤٤٥م)^(٦) واستولدها سعيداً.

(١) السخاوي: الضوء اللامع، ١م، ج ١، ص ٢٤؛ وجيز الكلام، ج ٢، ص ٦١٨.

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، ٥م، ج ٩، ص ٨٦.

(٣) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤٧٩.

(٤) المصدر السابق، ج ٢، ص ١٥١.

(٥) المصدر السابق، ج ١، ص ٤٠٤.

(٦) المصدر السابق، ج ١، ص ١٠٧.

— وكان لأبي الفتح محمد بن عبد الرحمن بن صالح ابنة أسماها
(سعادة) كانت متزوجة من الشيخ أحمد الحريري، ولما توفي تزوجها عثمان بن
أبي بكر فخر الدين السندبيسي المصري المقرئ المكتب نزيل طيبة^(١).

أسرة الكازروني:

لقد كانت المصاهرة بين أسرتي (الكازروني) و(المراغي) ظاهرة في المجتمع المدني في
أوقات متفرقة.

— فقد تزوج الصفي الكازروني ابنة أبي الفرج المراغي المدني^(٢).

— وتزوج أبو السعادات بن أبي الفرج الكازروني ابنة الشيخ أبي الفرج المراغي^(٣).

— وصاهر أبو اليمن المراغي الشيخ العز عبد السلام الكازروني فتزوج خديجة ابنته،
وهي أم أولاده^(٤).

— وقد تزوج أبو الفتح محمد الكازروني فاطمة بنت أبي اليمن المراغي، وكانت
هذه المصاهرة خيراً على الأسرة، فقد سمع أولادها وأحفادها منها^(٥)، بل كان أحفادها
ينسبون لها، فيقال أسباط فاطمة ابنة أبي اليمن المراغي^(٦).

— ومن غير الأسرة تزوج والد محمد الكمال أبو الفضل: رقية ابنة الشيخ محمد بن
تقي الكازروني^(٧).

— وقد تزوج محمد بن مسدد الكازروني أم هاني ابنة الزين أبي بكر بن الفرج
المراغي^(٨).

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٢٤١.

(٢) المصدر السابق، ج ١، ص ٢٨٧.

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، م ٥٥، ج ٩، ص ٢٧٢.

(٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٧٣.

(٥) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٦، ص ١١، ص ٩٠.

(٦) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٢٩٨-٢٩٩.

(٧) السخاوي: الضوء اللامع، م ٤٤، ج ٧، ص ١٦٢.

(٨) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١٥٤.

— كما تزوّج أبو بكر بن فتح الدين الكازروني بأم كلثوم أخت البرهان الخجندي، وأنجب منها محمداً وأبي الفتح^(١).

أسرة التستري (الششتري):

وقد صاهرت (أسرة التستري): أسرة ابن صالح، فقد تزوّج الشرف محمد التستري ابنة ناصر الدين عبد الرحمن بن صالح، فكان سبطاً لكل من الشهاب أحمد بن محمد الشرف والشمس محمد بن محمد الشرف.

أسرة السمهودي:

— تزوّج علي بن عبد الله السمهودي (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م) من أخت الشيخ محمد بن عمر بن الحب الزرندي ثم فارقها، وبعدها تزوّج أخت الشيخ محمد المراغي وهي ابنة شيخه أبي الفرج المراغي (ت ٨٨٠هـ/١٤٧٥م)، ثم فارقها بعد ذلك، ولم يرزق منها بأولاد^(٢).

أسرة السخاوي:

— وقد تزوّج محمد بن أحمد السخاوي (ت ٨٩٥هـ/١٤٨٩م) ابنة الحب المطري (ت ٨٥٦هـ/١٤٥٢م) وأنجبت له أحمد ومحمد وغيرهما^(٣).
— كما تزوّج محمد بن الحب السخاوي ابنة أبي الفضل بن الحب المطري^(٤).

(١) السخاوي: الضوء اللامع، م ٦، ج ١١، ص ٩٠.

(٢) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٢٨٤؛ المصدر السابق، م ٣، ج ٥، ص ٢٤٥.

(٣) المصدر السابق، م ٤، ج ٧، ص ١١٠-١١١.

(٤) المصدر السابق، م ٥، ج ٩، ص ١٩٨.

مشاركة الأسر العلمية في بعض المشاريع الخدمية:

قام علماء الأسر بالمدينة بعمل المشروعات ذات الطابع الاجتماعي، والتي تخدم الصالح العام، وتوفر سُبل العيش، ومن ذلك ما يضيق المجال بذكره، وعلى سبيل المثال لا الحصر:

— ما قام به القاضي شهاب الدين أحمد المطري الذي أحيا بئر رومة في أسفل وادي العقيق؛ حتى يتهياً لأهل المدينة الحصول على الماء، وكانت البئر قد خربت وتعطلت لقدمها، فأعاد حفرها وعمارتها سنة (٧٥٠هـ/١٣٤٩م)^(١).

— كما جدّد عبد الرحمن بن علي الزرندي (ت ٨١٧هـ/١٤١٤م) البئر التي اشتهرت بين المدينتين بزمرم على يمين الطريق إلى العقيق^(٢).

— كذلك ما قام به عز الدين يوسف الزرندي (ت ٧١٧هـ/١٣١٧م)، الذي سكن رباط الأصهباني، فعمره، وردّه إلى أهله حسب شرط الوقف بعد أن كان منزلاً للنساء والفتيات، وكان الرباط قد تغير من كثرة الدخان والوقيد، فقام عليه الشيخ فعمره وأخرج منه النساء وأعادّه إلى أهله^(٣). وهم الرجال دون غيرهم حسب نص الوقف.

ومن أهم ما قام به أفراد الأسر العلمية في معاونة أهل المدينة في مصابهم:

ففي حريق المدينة سنة (٨٨٦هـ/١٤٨١م)، والذي وقع في ثلث الليل الآخر من ليلة الإثنين ثالث عشر رمضان سنة ست وثمانين وثمانمائة، كان للشمس محمد بن أحمد بن موسى السخاوي (ت ٨٩٥هـ/١٤٨٩م) اليد البيضاء في إخماد حريق المدينة^(٤)، وإن لم تذكر لنا المصادر الكيفية التي عالج بها هذا الحريق، إلا أنه كان في تلك الفترة متولياً لقضاء المالكية بها وكان كثير المال، مما واسى به أسر الضحايا وقام بذلك بماله وجاهه.

(١) علي السيد علي: الحياة الثقافية في المدينة، ص ١٦٧.

(٢) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٤٢.

(٣) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ١٠٤-١٠٥؛ الفيروز آبادي: المغام المطابة، ج ٣،

ص ١٣٢٠، ١٣٢٢؛ المديرس: المدينة المنورة في العصر المملوكي، ص ١٤٧.

(٤) السخاوي: الضوء اللامع، م ٤، ج ٧، ص ١١٠-١١١.

— كما كان لعلي بن عبد الله السمهودي (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م) اليد الطولى في إعادة ما تهدم من المسجد النبوي بسبب هذا الحريق، وذلك بالشفاعة لدى السلطان كما سبق في الأثر السياسي.

ومن الخدمات الجليلة التي ساهم فيها علماء بعض الأسر:

الأوقاف^(١):

حث الإسلام على فعل الخير والتعاون على البر والتقوى قال تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾^(٢)، وفي العصر المملوكي كثرت الأوقاف بشكل ملحوظ، خاصة الموقوفة على الحرمين الشريفين، ذلك أن سلاطين المماليك حرصوا على القيام بكل ما يؤكد زعامتهم على العالم الإسلامي، وأنهم حماة الحرمين الحاديين على مصالحهما^(٣)، وذلك يقربهم إلى المسلمين، فليس هنالك أحب إلى المسلم من بلاد الحرمين، لذلك أوقفوا الكثير من الأوقاف عليهما، وحذا حذوهم الأمراء وكبار رجال الدولة، بل النساء المقتدرات حذت حذو سلاطين المماليك في كثرة الإحسان إلى أهل المدينة، فأوقفن ما استطعن وقفه على المسجد النبوي، وأربطة المدينة ومساجدها^(٤).

وكان الوقف غالباً بدافع الحب لمدينة الرسول ﷺ، فمنهم من أوقف قرىً بأكملها على المسجد النبوي وخدّامه، كما فعل السلطان الناصر محمد، فقد أوقف قريتين في مصر على المسجد النبوي^(٥)، كما أوقف السلطان قايتباي منشآت كثيرة بالمدينة منها المدرسة

(١) الوقف لغة: الحبس، يقال: وقف الأرض على المساكين أي حبسها ومنعها من أن تُباع أو تُوهب أو تُورث. واصطلاحاً: حبس الأصل من جانب المالك له على جهة معينة من جهات الخير وتسييل الثمرة، تقريباً إلى الله. ابن منظور: لسان العرب، ٦م، ص ٤٧٧؛ حريز: سليم، الوقف دراسات وأبحاث، (د. ط)، (بيروت، ١٩٩٩م)، ص ٥-٧؛ القحطاني: راشد سعد راشد، أوقاف السلطان الأشرف شعبان على الحرمين، (د. ط)، (الرياض، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م)، ص ١٩.

(٢) القرآن الكريم: سورة آل عمران، آية (٩٢).

(٣) أمين: محمد محمد، الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ٦٤٨ - ٩٢٣هـ / ١٢٥٠ - ١٥١٧م، (ط ١)، (القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٨٠م)، ص ١٠٥ - ١٠٦.

(٤) حسن: (مئ)، أهم معالم الحضارة الإسلامية في مجتمع المدينة المنورة في العصر المملوكي، "مجلة كلية الدراسات الإنسانية"، ع ٢٢، ص ٢١٦ - ٢١٧.

(٥) بدرشيني: أوقاف الحرمين، ص ٨٦ - ٨٧.

الأشرية والرباط، إضافة إلى الصدقات التي تصدق بها على أهل الحرمين من خدام ومؤذنين وفراشين^(١).

وقد اشتركت الأسر العلمية ممثلة في بعض أفرادها في هذا الفضل الكبير فقد وقف أفراد منهم بعض الأوقاف مثل الأربطة والكتب وما سوى ذلك، كما قام كثير منهم بتحصيل أموال الأوقاف من شتى البقاع، ومنهم من كان يلي نظارة بعض الأوقاف، وهذه كلها مما ساهم بدوره في الترابط الاجتماعي وسد حاجة المحتاج والتعليم وغير ذلك، ومن هؤلاء:

أسرة ابن فرحون:

— كان الوقف على المدرسة الشهابية يقتضي اشتغال الطلاب بالعلم، وحضور الدرس، يدل على ذلك أن عبد الله محمد بن فرحون لما نزل بها كان لا يشتغل بغير نفسه، إلا أنهم ألزموه بحضور الدرس لأجل المسكن^(٢)، وهذا يشير إلى أنه من لا يحضر الدرس كان لا يستحق السكنى بالمدرسة شرط الواقف.

— كما كانت هناك أوقاف للأشراف، ومن هذه الأوقاف ما يقال له وقف (بلقيس)، وهو الوقف الذي كان يصرف لابنة أبي عبد الله بن فرحون (ت ٧٢٢هـ / ١٣٢٢م)، فقد أوقف أبو محمد ولده نقيب الأشراف^(٣) على هذا النسب لما تزوج أبوه بابنة الشريف عبد الواحد الحسيني، فصار يصرف لابنته (مباركة) حتى ماتت^(٤).

أسرة الكازروني:

— كان وقف الدشيشة من الأوقاف التي أقامها السلاطين المماليك ليصرف ريعها على الحرمين الشريفين، أوقفه السلطان المملوكي جقمق، ثم أضاف إليه السلطان قايتباي، فصار يعرف بالدشيشة الكبرى، كما شمل وقف الدشيشة لاحقاً أوقاف السلطان الغوري،

(١) سندی: هدی، موارد السمهودی، ص ٧٦.

(٢) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٥٦٢.

(٣) النقيب هو العريف وشاهد القوم، واستخدمت لفظة نقيب بدلالات مختلفة، كرتبة عسكرية في الجيوش الإسلامية، واستخدم أيضاً بمعنى رئيس الطائفة أو زعيمها، وكان في الغالب يضاف إلى نقيب اسم الطائفة التي يتزعمها مثل نقيب الأشراف ونقيب الأمراء وغير ذلك. الباشا: الفنون الإسلامية، ج ٣، ص ١٢٩٧.

(٤) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ٢٦٥.

وكانت الدشيشة تصرف لأهالي الحرمين، وكان النظر في توزيعها يكون موكولاً لأحد العلماء الثقات^(١).

— ومن تولّاها من الأسر المدنية مسدّد بن محمد الكازروني، كان متميزاً بالعلم والوجاهة، فوكل إليه التكلم في دشيشة الظاهر جقمق^(٢).

أسرة السمهودي:

— أوقف الشيخ علي بن عبد الله السمهودي (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م) ثروته وعقاراته على ثلاثة أشخاص من أسرته السماهدة، وعيّن لكل واحد منهم نصيباً معلوماً مسطراً في وثيقة الوقف، وهم من إخوانه جاءوا للمدينة بعد وفاته^(٣).

أما تحصيل الأوقاف، فقد عمل فيه الكثير من أفراد الأسر العلمية، كما يأتي عند الكلام على (الحرف والمهن) بالمدينة.

دور الأسر العلمية في بناء وإصلاح الأربطة:

— اشتهر من أسرة الكازروني عميدها محمد بن روزبة (ت ٧٥١هـ / ١٣٥٠م) بالعمل في إنشاء الربط وعمارتها^(٤).

— كما شاركت أسرة التستري في إنشاء الأربطة، فقد قام عميد الأسرة الثاني الشمس محمد بن أحمد التستري ببناء رباط بالقرب من المسجد النبوي، أسماه (عش الصالحين)^(٥)، وقد ذكر ابن فرحون أن الله نفع بهذا الرباط^(٦).

وقد يكون هذا الرباط مخصصاً للفقراء من المتزهدين، كما ينبئ عن شيء من ذلك تسميته بعش الصالحين، ولأن الأربطة إنما تبنى غالباً للفقراء والمحتاجين، وهذا الاتجاه من

(١) بيومي: مخصصات الحرمين، ص ٦٥-٦٦.

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، ٥م، ج ١٠، ص ١٥٥-١٥٦.

(٣) الأنصاري: (عبد الرحمن)، تحفة الخمين والأصحاب، ص ٢٧٢.

(٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤٧٥.

(٥) السمهودي: خلاصة الوفاء، ج ٢، ص ٢٠٢.

(٦) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ١١٠-١١٢.

الشيخ محمد لبناء الرباط هو ما تلقاه من أخلاق عن الشيخ الشيرازي والذي اكتسب من آدابه منذ صغره^(١).

— رباط الأصفهاني:

يعود إنشاء هذا الرباط إلى الوزير جمال الدين محمد بن أبي المنصور الأصفهاني أو الأصبهاني المعروف بالجواد، وكان وزيراً لبني زنكي، ولم تحدّد لنا المصادر تاريخ وقفه، إلا أن الوزير جمال الدين قد توفي سنة (٥٥٩هـ/١١٦٣م)، فيكون تاريخ وقف هذا الرباط متقدماً على ذلك التاريخ، وكان مقره في دار الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه المقابلة لباب عثمان من المسجد النبوي^(٢).

— كما قام يوسف بن الحسن الزرندي (ت ٧١٢هـ/١٣١٢م) بإصلاح وترميم رباط الأصفهاني بعد خرابه^(٣)، ورده إلى أهله على شرط واقفه؛ أي لفقراء العجم، بعد أن كان منزلاً للنساء والفتيان، ومن سكنه جدة المؤرخ ابن فرحون (ت ٧٦٩هـ/١٣٦٧م)، والتي أخبرت حفيدها بأنها كانت ساكنة فيه مع بناتها، وجماعة من أهلها، وكان الرباط قد اسودّ، وتغير بالدخان والوقيد فيه، حتى قام به الشيخ الزرندي رحمه الله فعمره^(٤).

— ومما ينبه عليه أنه كان بعض من أفراد أسرة الزرندي ينفق على الأربطة، فقد كان عبد العزيز بن عبد السلام الزرندي (ت ٨٦٣هـ/١٤٥٨م) يفرض لكل رباط بالمدينة أوان الرطب نخلة^(٥).

* المهن والحرف الاجتماعية:

أفرزت الحالة الاجتماعية وما بها من مظاهر في المدينة المنورة بعض المهن التي كان يمتثلها أهل المدينة، ومنهم أفراد الأسر العلمية، من هذه المهن ما كان مرتبطاً بالمسجد النبوي والحياة الاجتماعية عموماً، فمن ذلك:

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤٢٠-٤٢١.

(٢) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ١٠٤-١٠٥؛ السهودي: وفاء الوفاء، ج ٢، ص ٦٩٠.

(٣) الفيروز آبادي: المفاهيم المطابة، ج ٣، ص ١٣٢٠-١٣٢١.

(٤) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ١٠٤-١٠٥.

(٥) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ٣٧، ج ٢، ص ١٨٣.

الشهود^(١) (شهود الحرم):

اعتبرت وظيفة الشاهد في العصر المملوكي رابع الوظائف الديوانية، كما أنه اعتبر من كتاب الأموال ونحوها، ومهمته أن يشهد بمتعلقات الديوان نفيًا وإثباتًا^(٢).

وقد عمل بهذه المهنة من أفراد الأسر العلمية :

— مسدد بن محمد الكازروني (ت ٨٧٣هـ / ١٤٦٨م)^(٣).

الإصلاح بين الخصوم:

(الصلح خير) والإصلاح بين الناس مهمة عظيمة، درج عليها المقتفون لآثار النبي ﷺ والذي شرع لنا الإصلاح بين الناس، وقام بنفسه ﷺ بذلك، وعلم الصحابة هذا الأمر وحثهم عليه، ولا يزال في القضاء هكذا، يكون ثمة هيئة (للنظر) والإصلاح بين الناس.

— وقد قام بهذا الأمر محمد بن أحمد السخاوي (ولد ٨٤٢هـ / ١٤٣٨م)، أجمع الناس أن له عقل حكيم وسياسة، فعمل في الإصلاح بين الأخصام^(٤).

— كذلك عمل أخوه الشهاب أحمد بن محمد السخاوي (ت ٩٠٩هـ / ١٥٠٣م)، حيث وكل إليه الصلح بين الأخصام^(٥).

مؤدّب الأطفال:

هي وظيفة هامة ترتقي بصاحبها إلى مكانة عالية، وتخلع عليه ثوباً من العظمة^(٦)، إذ المؤدّب ما هو إلا مدرّس يقوم بتعليم الأطفال وتحفيظهم كتاب الله وبعض الأذكار والأحاديث، وتعليمهم شيء من أمور الفقه، كالوضوء والصلاة وشيء من القراءة والكتابة حتى يصلوا إلى مستوى معيّن من العلم^(٧)، يؤهلهم للانضمام لحلق العلم في المسجد الحرام أو

(١) الشاهد في اللغة من شهد شهادة، وشهد الشاهد عند الحاكم أي بين ما يعلمه وأظهره، والشهادة هي الخبر القاطع، وقد استعملت بمعنى الشاهد العدل في القضاء أو على وثيقة أو أداء عمل. ابن منظور: لسان العرب،

٣م، ص ٤٨٥؛ الباشا: الفنون الإسلامية، ج ٢، ص ٦١٨.

(٢) السبكي: معبد النعم، ص ٦٣ - ٦٤؛ ولمعرفة بقية الوظائف انظر: القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٥، ص ٤٣٧.

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، ص ٥٣، ج ١٠، ص ١٥٥ - ١٥٦.

(٤) المصدر السابق، ص ٥٣، ج ٩، ص ٤٨ - ٤٩.

(٥) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١٣٥.

(٦) شلي: التربية الإسلامية نظمها وفلسفتها، ص ٦١؛ الجابري: الحياة العلمية في الحجاز، ص ٣٢٠.

(٧) الأبراشي: التربية الإسلامية، ص ١٣٩.

المدارس أو الانصراف إلى ميادين الحياة العامة والعمل بإحدى الوظائف بها، وعادة ما كان يجتمع المؤدّب بتلاميذه في الكتابيب الملحقة بالمسجد النبوي أو بالمساجد الأخرى بالمدينة.

— من هؤلاء أفراد من أسرة التستري (الششتري)، فقد قام عبد الرحمن بن عبد الله التستري (ت ٨٨٧هـ / ١٤٨٢م) بوظيفة (مؤدّب الأطفال) بالحرمين، وكان الشيخ عبد الرحمن من المشتغلين بالعلم^(١)، ولعل اتجاهه للعمل على تأديب الأطفال هو ما اشتهر عن هذه الأسرة بالزهد في تقلد المناصب.

المؤقت^(٢):

هو الشخص الذي يقوم بمعرفة أوقات الصلاة، بناءً على ما عنده من معرفة بعلم الميقات وجهة القبلة^(٣).

ومن أفراد الأسر العلمية الذين عملوا بالميقات:

— أحمد بن خلف المطري، عمل بالتوقيت والآذان في المسجد النبوي وخلفه أبناءه من بعده^(٤).

— ومن اشتغل بالفلك (علم الهيئة) وتدرّس (الميقات) أبو عبد الله محمد بن فرحون (ت ٧٢٢هـ / ١٣٢٢م)، جلس بالمدرسة الشهابية لتدريسه، فكثّر عليه المشتغلون بذلك العلم، بحيث انقطع وقته مع المشتغلين به حتى لا يكاد يتركونه وحرار في الخلاص منهم، فلم يكن له بدٌّ من ترك الاشتغال به حرصاً على وقته ولاسيّما، وقد كان يجب أن يشتغل بعلوم الشريعة، غير أن قلة المشتغلين بالميقات جعلته يشتهر به دون علوم الشريعة، ويؤكد ذلك ما حكاه هو من أنه سمع شخصاً من العوام يقول لجلسائه يوماً: "ما رأيت أعلم

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٣٥.

(٢) الوقت في اللغة: مقدار من الزمان، والتوقيت والتأقيت: أن يجعل للشئ وقت يختص به، وشرعاً: الزمن الذي عينه الشارع لأداء الصلاة فيه، كالأوقات التي عُيّنت للصلوات الخمس، بشرط أن تُؤدى في الجزء الأول من الوقت. ابن منظور: لسان العرب، م ٦، ص ٤٧١؛ عبد النعم: محمود عبد الرحمن، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، (د. ط)، (القاهرة، دار الفضيلة، د. ت)، ج ٣، ص ٤٩٠-٤٩١.

(٣) السبكي: معيد النعم ومبيد النقم، ص ١١٥.

(٤) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ١٥٠.

من هذا المنجم، قال: فقلت في نفسي: لقد أسأت باشتهاري بهذا العلم حتى أطلقه عليّ هذا الاسم فتركت الاشتغال به" (١).

— كما عمل في الميقات وتميّز به أبو الفضل محمد بن أبي عبد الله بن صالح (ت ٨٩١هـ / ١٤٨٦م) (٢).

النسابة:

النسابة أو التّسابُّ البليغ العالم بالنسب، وكان أبو بكر الصديق ﷺ رجلاً نسابة (٣).

— وكان جمال الدين محمد بن أحمد المطري (ت ٧٤١هـ / ١٣٤٠م) نسابة عارفاً بأنساب العرب (٤).

تحصيل (٥) أوقاف الحرمين:

وهي وظيفة يقوم صاحبها بتحصيل واستخلاص الأموال من الأوقاف التي أوقفت على الحرمين، داخل مكة والمدينة أو خارجهما في بلاد أخرى، تحت إشراف إدارة مستقلة تتبع لأوقاف الحرمين. وقد عمل بها:

أسرة الزرندي:

— باشر محمد بن عمر الزرندي (ت ٨٨٩هـ / ١٤٨٤م) في دشيشة الظاهر جقمق (٦).

(١) المصدر السابق، ص ٢٦٤ - ٢٦٥؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٥٦٢.

(٢) المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٩٦؛ الضوء اللامع، م ٦، ج ١١، ص ١٢٩.

(٣) التّسابُّ هو القرابة، والجمع أنساب، ويكون في الآباء خاصة، وانتسب ذكر نسبه، ونسبه ينسبه إلى أبيه إذا رفعه في نسبه إلى جده الأكبر، ورجل نسيب ذو حسب ونسب. ابن منظور: لسان العرب، م ٦، ص ١٧٥.

(٤) المطري: (محمد بن أحمد)، التعريف بما أنسه به الهجرة، ص ٢، ٨.

(٥) حصل في اللغة الحاصل من كل شيء: ما بقي وثبت وذهب ما سواه، وقد يكون من الحساب والأعمال ونحوها.

ابن منظور: لسان العرب، م ٢، ص ٩٩.

(٦) السخاوي: الضوء اللامع، م ٤، ج ٨، ص ٢٥٩.

— أسرة الخجندي:

— توجه محمد بن أحمد الخجندي (ت ٨٩٩هـ/١٤٩٣م) إلى (الدولة العثمانية) في استخلاص أوقاف الحرمين في سنة (٨٩٧هـ/١٤٩١م)، ثم عاد في موسم التي تليها^(١).

أسرة ابن صالح:

— اشتهرت أسرة ابن صالح بتحصيل أوقاف الحرم النبوي من الدولة العثمانية، وقد أثر الرحلة للروم عن الزكي محمد بن أبي الفتح بن صالح (ت ٨٨٢هـ/١٤٧٧م) للنظر في أوقافها^(٢).

— وقد سافر في حياته ابنه أبو الفضل وأبو العز محمد كذلك، لكن يبدو أنه لم يتعلم من أبيه في هذا الصدد، فقد ذكر السخاوي عنه أنه: "أجحف فيما طلب تأديته من أوقافهم التي هناك جداً، ولم يرض عنه واحد من الفريقين"^(٣).

ورغم ذلك فلم يكن يحصل لنفسه على كبير شيء من ذلك، فقد تزايد فقره وتشّت أمره، كما قال السخاوي.

— وقد رحل الابن الثالث لأبي الفتح بن صالح، وهو محمد الشمس إلى البلاد العثمانية أيضاً^(٤)، وكان ذلك بسبب التحصيل أيضاً، إذ كان هذا مقتصد دخول أسرة ابن صالح للبلاد العثمانية عادة، كما تقدم.

— وقد رحل أخوه أيضاً مجد الدين محمد ابن أبي الفتح بن صالح إلى البلاد العثمانية سنة (٨٩٥هـ/١٤٨٩م)^(٥)، يبدو ذلك كان لتحصيل الأوقاف كما تقدم.

أسرة التستري (الششتري):

— مَن عمل بذلك محمد بن أحمد التستري (ت ٩٢٣هـ/١٥١٧م) وهذه الوظيفة جديدة على هذه الأسرة، فلم يزل أفراد هذه الأسرة يؤثرون الخمول على التصدر، إلا أن

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤١٥-٤١٦.

(٢) المصدر السابق، ج ١، ص ٣١.

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، م ٥٥، ج ٩، ص ٢٢٦.

(٤) السخاوي: الضوء اللامع، م ٥٥، ج ٩، ص ١٠٤.

(٥) المصدر السابق، م ٥٥، ج ٩، ص ١٠٤.

الشمس محمد بن الشهاب (ابن شرف الدين)^(١) وكأنه أُلِّت به ضائقة مالية اضطرته السفر
للتحصيل، ولذلك ترجمه السخاوي لهذه القصة بقوله: "وعاد وقد ترقَّع حاله"^(٢).

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤٣٦.
(٢) السخاوي: الضوء اللامع، م ٤، ج ٧، ص ٨٢.

ثانياً: أثر الأسر العلمية في الحياة الاقتصادية.

تراوحت الأوضاع الاقتصادية في المدينة المنورة بين الاستقرار والاضطراب، شأنها في ذلك شأن الأوضاع السياسية التي كان لها أثراً مباشراً على الأوضاع الاجتماعية وبالتالي الاقتصادية، فالاستقرار السياسي معناه النمو والازدهار في الحياة الاقتصادية، وعلى عكسه الاضطراب الذي يؤدي إلى خلق الأزمات الاقتصادية، وبالتالي يتفشى الفقر والجوع وتسوء الحالة الاقتصادية، ومن ثم الاجتماعية^(١).

وتعتبر الزراعة هي العماد الأول للحياة الاقتصادية في المدينة لخصوبة تربتها، ولتوفر المياه بها من عيون وينابيع ومياه جوفية، كما تستخدم آبار المدينة في سقي الأراضي والمواشي، وكان لمعظم أهل المدينة بساتين صغيرة تسقى من آبار حفرها أصحابها^(٢).

ومن أهم الحاصلات الزراعية التمر، الذي يعتبر المحصول الرئيسي في المدينة^(٣)، وهناك محاصيل أخرى أهمها الحبوب، ويأتي الشعير في مقدمتها ثم الذرة والقمح وبعض الخضروات والفاكهة من العنب والرمان وغيرها^(٤).

أما المورد الاقتصادي الثاني لأهل المدينة، فهو خدمات الزائرين في الموسم كالحج والزيارة، فهم يؤجرون لهم المنازل والجمال ويبيعونهم اللبن والماء والتمر والخطب^(٥).

أما الصناعات في المدينة فقد كانت بسيطة لا تتعدى ما يحتاجه المزارع في حقله ومنزله، وما تتطلبه الحروب من أدوات؛ كالصناعات المعدنية كالقؤوس ورؤوس الرماح والسيوف والقدور والصحون، كما انتشرت صناعة الحلبي والصابغة، كذلك انتشرت الصناعات الخشبية مثل الأثاث كالكراسي والمناضد وأبواب البيوت والنوافذ والمحاريب

(١) بدر: (عبد الباسط)، ملامح الأدب في المدينة المنورة في العصر المملوكي، "مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة"، ٩٤، ص ٣١.

(٢) السليمان: علي بن حسين، العلاقات الحجازية زمن سلاطين المماليك، (د. ط)، (د.م)، ١٣٩٣هـ/١٩٣٧م، ص ٢٢٠.

(٣) حسن: (من)، أهم معالم الحضارة الإسلامية في مجتمع المدينة المنورة في العصر المملوكي، "مجلة كلية الدراسات الإنسانية" ٢٢٤، ص ١٧٣.

(٤) بدر: (عبد الباسط)، التاريخ الشامل للمدينة، ج ١، ص ١٠١؛ البلادي: عاتق، على طريق الهجرة "رحلات في قلب الحجاز"، (ط ٢)، (دار مكة، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م)، ص ١٢٠.

(٥) الجهني: ليلى، المدينة المنورة في رحلة العبدري، "مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة"، ع ٣، ١٩٧.

والصناديق المنزلية، وما يلحق بها من صناعة الحصر والسلال^(١)، ومن أشجار النخيل ذات الوفرة قامت صناعات على سعفه مثل الزنايل والحبال وما إلى ذلك^(٢).

أما التجارة في المدينة المنورة، فقد ارتبطت إلى حد كبير بمواسم الحج والزيارات إذ أن تجار المدينة كانوا يتعاملون مع الحجاج والتجار الذين يمرون بالمدينة في طريقهم إلى بلادهم أو لزيارة المسجد النبوي، فكانت تجري عمليات البيع والشراء في أسواق المدينة^(٣)، وقد ساعد موضعها على الطرق التجارية بين اليمن والشام على تنشيط حركة التجارة فيها، فصارت استراحة للقوافل من جهة، وسوقاً محلية يعرض فيها التجار بضاعتهم على أهلها^(٤)، وقد ذكر ابن جبير أثناء رحلته للحجاز: "أنه ما من سلعة على وجهه الأرض ولا ذخيرة من الذخائر إلا وهي موجودة بها طوال أيام الموسم"^(٥). وهذا دليل على رواج التجارة بالمدينة أثناء الموسم.

كما ساعد قرب المدينة من ميناء ينبع^(٦) على أهميتها التجارية، فقد ازدهر هذا الميناء في عهد المماليك، وزادت أهميته الاقتصادية، وصار سوقاً تجارية عظيمة، وميناء للمدينة بل من موانئ الحجاز التي يعتمد عليها في جلب تجارتها ومحطة للسفن التجارية الآتية من الهند^(٧).

(١) بدر: (عبد الباسط)، التاريخ الشامل للمدينة المنورة، ج ١، ص ١٠٦-١٠٧.

(٢) المالكي: بلاد الحجاز، ص ١٠٣.

(٣) المرجع السابق، ص ١٠٢.

(٤) بدر: (عبد الباسط)، التاريخ الشامل للمدينة المنورة، ج ١، ص ١٠١.

(٥) ابن جبير: الرحلة، ص ٩٧.

(٦) يبعد عن المدينة بمسافة ١٥٠ كيلو متر، ويعتبر الميناء الثاني بعد ميناء جدة على البحر الأحمر والمحطة البرية والبحرية لحجاج مصر والشام خاصة لمن أراد أن يزور مسجد رسول الله ﷺ قبل الحج. بدرشيني: أوقاف الحرمين، ص ٧٢.

(٧) الجابري: الحياة العلمية في الحجاز، ص ٨٤-٨٥.

ومن أفراد الأسر العلمية الذين عملوا بالتجارة:

— ولعل أشهر من اشتهر بالتجارة من آل الكازروني هو عبد العزيز بن مسدد الكازروني، فكان له وعي في أمر الدنيا، وصفه السخاوي بأنه كان: (ذا درية في الدنيا مقبلاً على تحصيلها)^(١)، وذكر شاهداً لذلك بأنه اشترى نخلاً بنحو ألف دينار^(٢).

— وكان الشيخ علي بن عبد الله السمهودي (٩١١هـ/١٥٠٥م) يتاجر، ويتكسب بالبيع والشراء، وقد يكون دخل في معاملات مع عامل الشريف مما جعله يمتلك ثروة عظيمة^(٣).

وقد تاجر بعض الأسر مع بعضها، فهاهو علي بن يوسف الزرندي (ت ٨٩٢هـ/١٤٨٦م)، كانت له حديقتان؛ واحدة تسمى العليقة بقاء، والثانية تسمى البقع بالعوالي، باع نصفها لإبراهيم الخجندي وصهره إبراهيم الرئيس^(٤).

خازن الكتب:

هو حافظ المكتبة وأمينها، ويأتي في طليعة القائمين على العمل في خزائن الكتب في مدارس المدينة في العصر المملوكي، وتعتبر من الوظائف الهامة في ذلك العصر، فلا يتولاها إلا كبرى الشخصيات أو أحد كبار العلماء^(٥)، ولذلك اهتم السلاطين والأمراء وغيرهم من المسؤولين باختيار خازن الكتب أو أمين المكتبة بأنفسهم، وحتى يتأكدوا أنه يصلح لهذا المنصب، ويكون عوناً للطلاب والباحثين في إرشادهم لما يحتاجون إليه من مراجع وحتى يضمنوا المحافظة على الكتب وترتيبها والعناية بها^(٦).

ومن أهم أفراد الأسر العلمية الذين عملوا بهذه المهنة:

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٨٨-١٨٩.

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٢، ص ٢٣٥.

(٣) السمهودي: خلاصة الوفاء، ج ١، ص ٣؛ الشماع: القيس الخاوي، ج ١، ص ٥٠٢.

(٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٣٠٨.

(٥) علي السيد علي: الحياة الثقافية في المدينة، ص ٢٥٣.

(٦) سندي: هدى، موارد السمهودي، ص ٦٦.

— ومحمد بن محمد المراغي (ت ٨١١هـ/١٤٠٨م)، خلف كتباً كثيرة جداً، وقد أتلفت الأرضة معظمها^(١).

— كذلك اقتنى الشرف محمد بن أبي بكر المراغي (ت ٨٥٧هـ/١٤٥٣م)، الكثير من الكتب^(٢).

— علي بن أحمد السمهودي (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م)، فقد ولّاه الأشرف قايتباي الإشراف على خزانة الكتب في مدرسته بالمدينة^(٣).

الخطاط - الناسخ:

النساخة والخطاطة مهنة تختصُّ بنسخ كتب العلم وبيعها أو إهدائها أو وقفها^(٤)، وكثيراً ما كانت تحوي خزائن الكتب على أكثر من ناسخ لنسخ ما يطلب منهم نظير أجر يُدفع لهم، فاندفع لممارستها عدد كبير من طلاب العلم أو المجاورين، خاصة من كان منهم رقيق الحال، فاتخذوها مهنة يتعيشون منها، مما أثرى مكاتب المدينة وخزائن المكتبات بمدارسها بالعديد من المؤلفات^(٥).

وقد نوّه الفقهاء على أهمية هذه المهنة، وبيّنوا الشروط التي يجب توافرها فيمن يشتغل بها؛ كمرعاة الأمانة والدقة في العمل، ونسخ المفيد النافع، وعدم السهو والحذف بدافع سرعة الإنجاز، فهذا يعتبر خيانة لله ومضيعة للعلم^(٦).

(١) ساعاتي: صور الحياة العلمية في القرن التاسع الهجري من خلال الضوء اللامع، ص ٣٦.

(٢) علي السيد علي: الحياة الثقافية في المدينة المنورة، ص ٢٦٨.

(٣) علي السيد علي: الحياة الثقافية في المدينة، ص ٢٦٩.

(٤) ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد الحضرمي، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر،

(ط ١)، (إحياء التراث العربي، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م)، ج ١، ص ٤٢٠؛ المديرس: المدينة المنورة في العصر

المملوكي، ص ١٠٥.

(٥) شلي: التربية الإسلامية، ص ١٦٤ - ١٦٥؛ علي السيد علي: الحياة الثقافية في المدينة المنورة، ص ٢٥٥.

(٦) السبكي: فعيد النعم ومبيد النقم، ص ١٣١.

وكان بعض العلماء ينسخون لأنفسهم رغبة في اقتناء ما نسخوه من كتب، كما كان بعضهم يكتب وينسخ لغيره من العلماء خدمة واحتساباً للأجر^(١). ومن بين أفراد الأسر العلمية الذين مارسوا النسخة:

أسرة المطري:

— ممن كتب بخطه الحافظ عفيف الدين عبد الله المطري (ت ٧٦٥هـ / ١٣٦٣م)^(٢).

— وكذلك كان حال ابن أخته العفيف المطري عبد العزيز بن يحيى بن عبد السلام بن محمد البصري المغربي المدني (ت ٧٥٢هـ / ١٣٥١م)، وقد كتب بخطه أجزاء اطلع عليها السخاوي^(٣).

أسرة الزرندي:

— وُصف خط عبد السلام بن عبد الوهاب الزرندي (ت ٩٠٩هـ / ١٥٠٣م) بالجيد، وقد كتب بخطه أشياء، وتكسب منه، وكتب بعض تصانيف السخاوي^(٤).

أسرة ابن فرحون:

— ومن امتن النسخة الفقيه الفاضل محمد بن فرحون (ت ٧٢٢هـ / ١٣٢٢م)، جاء إلى مكة وقت حج، ولم يكن لديه من النفقة سوى ما أعدّه في الطريق، وقد اشتهر بحسن الخط مع الصحة والضبط، فالتمس منه بعضهم نسخ "الروضة" للنووي ففعل، وكان يستعين بما يحصل له^(٥).

والظاهر أن ولده أبا محمد قد اطلع على هذه النسخ لا حقاً، فقد ذكر أنها انتقلت مع بعض الشافعية إلى المدينة، وأنها كانت موقوفة في المدرسة الشهابية مع نسخة أخرى نفسها بعد إقامته في المدينة^(٦).

(١) الجابري: الحياة العلمية في الحجاز، ص ٢٨١.

(٢) السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج ٦، ص ١٠٣؛ ابن فهد: لحظ الألفاظ، ص ١٤٣.

(٣) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٩٠.

(٤) المصدر السابق، ج ٢، ص ١٧٢؛ الضوء اللامع، ج ٢، ص ٤٠٦.

(٥) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٥٦٢.

(٦) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ٢٦٣.

وهذا يشير إلى أنه استمر زمناً في النسخ، حتى بعد مقدمه ونزوله بالمدينة.

— وقد نسخ البرهان إبراهيم بن علي بن فرحون (ت ٧٩٩هـ/١٣٩٦م)، نظم "عجالة الراجز" في علوم العربية، وقرأها على ناظمها أبي عبد الله محمد بن علي بن جابر الهواري، وانتهى من نسخه في سنة (٧٥٦هـ/١٣٥٥م)^(١)، أي وهو ابن (٢٦) سنة.

أسرة الخجندي:

— كانت المدرسة الباسطية تدرّس الخط للطلاب، وممن درس بها (الخط) وجوده بها محمد بن غياث بن طاهر الخجندي (ت ٨٧٩هـ/١٤٧٤م)، كما درّس بها الخط أيضاً أخوه الأكبر محمد بن إبراهيم الخجندي (ت ٨٧٠هـ/١٤٦٥م)^(٢).

— كما اشتهر بحسن الخط من أسرة الخجندي البرهان إبراهيم بن أحمد الخجندي (ت ٨٥١هـ/١٤٤٧م)، فقد وصف بحسن الخط والمحاسن^(٣).

— كذا اشتهر عبد الله بن إبراهيم الجلال الخجندي (ت ٨٦٣هـ/١٤٥٨م) بجمال الخط وحسنه^(٤).

أسرة ابن صالح:

— ممن عُرف بالخط والنسخ واهتمامه به من أسرة ابن صالح: أبو زكريا يحيى بن عبد الرحمن ابن صالح (ت بعد ٨٤٩هـ/١٤٤٥م) فقد كتب الكثير بخطه، فرأى السخاوي مجموعاً من ذلك "الخصال المكفرة" لابن حجر، انتهى من كتابتها في سنة (٨٢٨هـ/١٤٢٤م) و"الإجابة لما استدركته عائشة على الصحابة" للزركشي، انتهى منها في سنة (٨٣٤هـ/١٤٣٠م)^(٥).

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٨١.

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، م ٤، ج ٨، ص ٢٧٧-٢٧٨.

(٣) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٦٣-٦٤؛ وجيز الكلام، ج ٢، ص ٦١٨.

(٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٥-١٦.

(٥) السخاوي: الضوء اللامع، م ٥، ج ٩، ص ٢٣١.

أسرة الكازروني:

— كتب عبد الله بن عبد الوهاب الكازروني رسالة السخاوي الموسومة بـ:
"القول البديع" غير مرة^(١).

— وأما الصفي أحمد بن محمد الكازروني (ت ٨٦٤هـ/١٤٥٩م)، فقد كان يكتب
الكتب بنسخه وخطّ يده ويصحّحها، وقد رأى السخاوي شيئاً من ذلك، فرأى من ذلك
كتاب "الدراية في اختصار الرعاية" للبارزي، وكتب رسالة "الواسطي" بالخانكة بدمشق ثم
قرأها على أبي العباس بن حسن بسماعه لها على الذهبي بسماعه من المؤلف وذلك ليصحّح
النسخة^(٢).

— وقد وُصف حفيده نور الدين علي الكازروني بأنه كان: "حسن الخط،
والعقل"^(٣)، وجمع (حسن الخط) و (حسن العقل) له دلالة على الكمال المعنوي المزين بالخط
وهو من الكمالات الظاهرة.

وقد كتب بخطه الحسن هذا تصانيف للسخاوي^(٤)، من ذلك أكثر من نسخة من
"المقاصد الحسنة"، وحسن خطه كان مدعاة للمدح في التعريف به، ومن أجمل ما قيل في
ذلك قول السيوطي عنه: "فاق أقرانه، وسابق المقصّر ببيانه، ومجيد المسطر ببيانه"^(٥).

— وكذلك كان أبو السعادات الجلال محمد بن محمد ناصر الدين الكازروني أخو
علي معتنياً بالكتابة بيده، ولاسيما لما نزل مصر فكتب جملة من "أمالي" الحافظ ابن حجر^(٦).
— وكذلك أخوه الشمس محمد بن محمد الكازروني، ذكر السخاوي أنه كتب
بخطه أشياء^(٧).

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٥٧؛ الضوء اللامع، م ٣، ج ٥، ص ٣١-٣٢.

(٢) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١٣٦-١٣٧.

(٣) السخاوي: وجيز الكلام، ج ٢، ص ١٠٢٠.

(٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٢٩٨؛ الضوء اللامع، م ٣، ج ٦، ص ٨.

(٥) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٢٩٨.

(٦) السخاوي: الضوء اللامع، م ٥، ج ٩، ص ١٩٧-١٩٨.

(٧) المصدر السابق، م ٥، ج ٩، ص ١٩٨.

— ويعُدُّ عبد السلام بن محمد بن روزبة الكازروني من الخطّاطين المبرزين من أسرة الكازروني، فقد كان يكتب خطاً حسناً، فكتب للشيخ تقي الدين السبكي كتاب شرح "المنهاج" للنووي، كما كتب كتاب "المفتخر على كل مختصر" لمحمد بن عثمان الصرحدي^(١)، وقد وُصِفَ خطه بأنه: "الخط الجيد"^(٢)، ووصف نسخه بالإيجاز مع إفادة المعنى، بل كان يعيب الإكثار في المحاضر عن عشرة أسطر أو سبعة^(٣)، وربما كتب الإجازات التي أجازها العلماء لبنيه، كما كتب إجازة البدر بن الخشاب لابنه أبي الوفاء محمد^(٤).

— ومن أسرة الكازروني أيضاً اشتهر العفيف أحمد بن مسدد بحسن الخط، مع تعانیه النثر والنظم بما يستحسن، فجمع بين جمال الصورة والمعنى^(٥).

— وقد كتب أحمد بن محمد الكازروني مؤلف السخاوي "القول البديع" وسمعه منه^(٦).

— وكذا كتب أخوه محمد بن محمد الكازروني كتاب "المقاصد الحسنة" للسخاوي بخطه^(٧).

أسرة التستري (الششتري):

— نسخ أحمد بن الجمال عبد الله التستري "قصيدة ابن عياش" في القراءات، وكان ذلك في سنة (٨٣٣هـ/١٤٢٩م)^(٨).

— كما كتب أحمد بن محمد التستري "إجازة" العفيف المطري لولديه بيده^(٩)، وذلك من حرصه أن يحصل هذه الشهادة لأولاده.

(١) الفاسي: العقد الثمين، ج ٥، ص ٤٢٨-٤٢٩.

(٢) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٧٣.

(٣) الفاسي: العقد الثمين، ج ٥، ص ٤٢٨-٤٢٩.

(٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٥٢٢.

(٥) السخاوي: الضوء اللامع، ج ١، ص ٢٢٥.

(٦) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١٤٧.

(٧) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٥، ص ٢٨٥-٢٨٦.

(٨) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١١٧؛ المصدر السابق، ج ١، ص ٣٧٠.

(٩) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١٣٣.

التجليد والتذهيب:

لقد ازدهر فن التجليد والتذهيب في العصر المملوكي، نتيجة لازدهار الوراقة وصناعة الكتب والاتجار بها^(١)، وقد ارتبط عمل المجلد بالكتاب إذ أنه يصنع أغلفة الكتب^(٢)، وكان عليه أن يراعي الأمانة في عمله، ويتقي الله في طالب العلم، ولا يقوم بتجليد الكتب المضللة عديمة الجدوى والفائدة^(٣)، وقد اقترن التذهيب بالتجليد، ويقتصر عمل المذهب على تذهيب وتطعيم المخطوطات بصفائح الذهب، ويأتي بعد الخطاط والمجلد من حيث الأهمية^(٤).

وكانت مصادر الكتب التي يقومون بتجليدها وتذهيبها تأتيهم من النساخ الذين حرصوا على مظهر الكتاب وجودة تجليده وتذهيبه؛ ليكون ملائماً لقيمتها العلمية حتى يدر عليهم مردوداً طيباً من الإرباح^(٥)، أو من بعض العلماء الذين يهتمون بجمع الكتب، أو من طلاب العلم الذين لهم الحاجة للكتاب^(٦).

وقد تخصص أعلام من العصر المملوكي من بين أفراد الأسر العلمية في صناعة التجليد والتذهيب وعلى وجه الخصوص من أسرة ابن فرحون منهم:

— عبد العزيز بن علي بن فرحون كان يعمل مجلداً، وهي حرفة أبيه^(٧).

— والشمس محمد بن علي بن فرحون (ت ٨٩١هـ/١٤٨٦م)، كان يعرف بابن المجلد، فقد عمل بالتجليد وهي حرفة أبيه وأخيه، بالرغم من أنهم من مشاهير العلماء خاصة في علم الحديث وقضاء المذهب المالكي^(٨)، مما يؤكد أن هذه الحرفة حرفة أهل العلم والمقبلين عليه.

(١) الباشا: الفنون الإسلامية، ج ٣، ص ١٠٢٤؛ الجابري: الحياة العلمية في الحجاز، ص ٢٨٧.

(٢) ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج ١، ص ٤٢٠؛ شلي: التربية الإسلامية، ص ١٧٠.

(٣) السبكي: معيد النعم ومبيد النقم، ص ١٣٢.

(٤) الباشا: الفنون الإسلامية، ج ٣، ص ١٠٧٢.

(٥) الجابري: الحياة العلمية في الحجاز، ص ٢٨٠، ٢٨٧.

(٦) ساعاتي: صورة الحياة العلمية في القرن التاسع الهجري من خلال الضوء اللامع، ص ١٩.

(٧) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٨٤؛ علي السيد علي: الحياة الثقافية في المدينة، ص ٢٥٧؛ الجابري:

الحياة العلمية في الحجاز، ص ٢٨٨.

(٨) علي السيد علي: الحياة الثقافية في المدينة، ص ٢٥٧.

الدَّهَانُ:

وهو الذي يدهن أو يطلي الجدران أو الأسقف أو غيرها بالدهان، وهي حرفة تدل على الترف والرخاء والعمارة، وقد يُطلى الدَّهَانُ باللون وقد يزخرف أو يصور، وقد يزاول بعض الدَّهَانِينَ عمل الخطَّاطِينَ والخزَّافِينَ إذا طلي الآنية الخزفية بالدهان^(١).

ويشترط فيمن يمارس هذه المهنة أن يكون متقناً لعمله، ولم يقتصر عمل الدَّهَانِينَ في العصر المملوكي على المسجد النبوي، بل شمل منازل الموسرين الذين يحرصون على تبييض منازلهم وتزيينها بالنقوش والحروف الجميلة^(٢).

وقد اشتهر من أبناء الأسرة العلمية بالعمل بهذه المهنة منهم:

— صالح بن إسماعيل بن صالح (ت ٧٨٥هـ / ١٣٨٣م)، كان صانعاً مميّزاً متقناً لعمله، يشتغل بالتبييض في الحرم الشريف^(٣).

الطَّب:

من زاول هذه المهنة من الأسر العلمية:

— محمد بن عبد الله الكازروني (ت ٧٧٧هـ / ١٣٧٥م)، كان يمارس تجبير الأعضاء^(٤).

(١) الباشا: الفنون الإسلامية، ج ٢، ص ٥١٧-٥١٨.

(٢) المديرس: المدينة المنورة في العصر المملوكي، ص ١٠٤.

(٣) ابن فرحون: (أبو محمد عبد الله)، نصيحة المشاور، ص ٨٩-٩٠.

(٤) علي السيد علي: الحياة الثقافية في المدينة المنورة، ص ٢١٣.

من خلال دراسة موضوع الأسر العلمية، نجد أن هذه الدراسة توصّلت إلى مجموعة من النتائج نذكر منها:

أن النسب مطلب جليل حضّت الشريعة على معرفته وتعلمه، والتعرف على نسب الأسر العلمية يفيدنا فوائد عديدة، منها معرفة الأسر التي قدمت من الشرق والغرب للمدينة المشرفة طلباً للجوار في المدينة والحرم النبوي الشريف، فجاء من مصر خمس أسر هي (المطري، وابن صالح، والمراغي، والسمهودي، والسخاوي) وجاء من فارس ثلاث أسر هي: (الزرندي، والكازروني، والتستري)، وأسرة من تونس هي (ابن فرحون)، وأخرى من تركيا، وهي (الحجندي)، وأن هذا الاتساع الجغرافي يشير إلى أن المدينة كانت تجذب العلماء، وكان المناخ مهياً لنشوء الأسر من كافة الجهات.

كما اتضح لنا أن كثيراً من الأسر العلمية يعود في حقيقته إلى أصوله العربية، من الأسر المهاجرة، والتي عادت إلى المدينة النبوية، فنشرت العلم، وأحييت الشريعة طيلة العصر المملوكي.

كذلك أشارت الدراسة أن بعض هذه الأسر تلتقي في النسب بالنسب الشريف كأسرة السمهودي، كما ألحقت المصاهرة لابن فرحون بالنسب الشريف، حين تزوّج إحدى الشريفات بالمدينة، وبعض منها يلتقي بنسب الأنصار مثلما التقت أسرة الزرندي مع عكرمة بن أنس بن مالك الذي ينتمي إلى بني النجار من الخزرج.

كما بيّن البحث تباين عدد العلماء الذين ظهوروا في الأسر العلمية، فبينما ظهر في بعض الأسر عشرات العلماء خلال فترة البحث بالمدينة المشرفة، نجد في المقابل أسر ظهر منهم ما دون العشرة، بل لم نجد من ظهر من أسرة السمهودي في البحث مكاناً وزماناً إلا فرداً واحداً، رغم انتشار أفرادها خارج المساحة المكانية والزمانية، ومع ذلك لم يتباين التأثير العلمي كثيراً، فربّ فرد بأمة، فهاهو السيد السمهودي، قلّ من لم يقرأ عليه من أهل المدينة، في حين يكون الكثير من علماء الأسر منجماً عن الناس يقل تلاميذه.

وأوضحت الدراسة أن بعض الأسر العلمية قدمت إلى المدينة المنورة طلباً للعلم، بعد أن تنقلت بين مختلف البلاد من أجله إلى أن استقرت بالمدينة، مثل أسرتي الزرندي والخجندي، كما قدمت بعض الأسر من أجل العلم والمجاورة بالمدينة مثل أسرة المطري الذي بعث به للميقات وابن صالح الذي عمل مريضاً بالحرم، كما أن بعض الأسر جاءت للزيارة أو الحج، ثم استقرت بالمدينة مثل أسرة المراغي والسهمودي، وكانت مدة المجاورة تبعاً لراحة الأسر وظروفها، فمنهم من امتدت به المجاورة إلى آخر عمره، وقد أقام بعض منهم خمسين عاماً بالمدينة، ومنهم من كان يذهب ويعود إليها.

كما تبين من خلال البحث أن الكثير من أفراد الأسر العلمية في بداية قدومهم إلى المدينة سكنوا الأربطة، ومنهم من استأجر دوراً قرب المسجد النبوي، وبعضهم أقام بالمدارس التي كانت تخصص سكناً لطلابه مثل المدرسة الشهابية، وقد أنجب أفراد الأسر العلمية أبناء نشأوا نشأة صالحة على درب آبائهم، ولا غرو فقد ولدوا في مدينة رسول الله ﷺ، وترعرعوا بقرب مسجده ﷺ، فالتزموا بالأخلاق الفاضلة في جواره، وهم يؤدون صلواتهم ويتعبدون فيه، ومن لم ينجب من أفراد الأسر العلمية كالسهمودي مثلاً ترك الكثير من الآثار الخيرة التي انتفع بها طلبة العلم من كتب وما سواها.

كما أكدت الدراسة على تبادل أبناء الأسر العلمية المعرفة والعلم فيما بينهم فقد درّس بعض علمائها أبنائها الذين صاروا علماء من بعدهم، كما تعلّم بعض أبنائها على يد آبائهم.

وأشار البحث على أهمية المسجد النبوي ودوره في مسيرة التعليم في المجتمع المدني بل تعدّى هذا الدور إلى خارج المدينة إذ كان هذا المسجد جامعة مفتوحة لنشر العلوم الإسلامية، وقد اجتمع فيه العلماء وطلاب العلم من جميع أصقاع العالم الإسلامي، وهم يمثلون مختلف المذاهب.

وتبين من البحث أن الاهتمام بعلم الحديث ظهر في جُل الأسر، وربما كانت الكتب الستة ولا سيما "صحيح البخاري" أكثر ما يعتنون به من الكتب الأمهات، كذلك كان الفقه الشافعي هو الغالب على تعليم الأسر، حتى من درّس الفقه الحنفي، لم يخلُ من مطالعات شافعية، أما الفقه الحنفي، فقد اشتهر في أسرتي الزرندي والخجندي، كذلك ظهر

إهتمام بالمذهب المالكي من خلال أسرة ابن فرحون، أما المذهب الحنبلي، فلم يظهر كمذهب يهتم به الأسر، إلا أفراد منهم بصفة خاصة لا عامة، أما بقية العلوم من التفسير والقراءات، والتاريخ، والمنطق، والكيمياء، وغيرها، فلم تخلُ اهتمامات الأسر العلمية منها. ومن الملاحظ أيضاً أن أفراد الأسر العلمية لم يقتصرُوا في الدراسة على علماء الأسر، بل كان طلبهم على كل وارد من المدينة سوى من التقوه في رحلاتهم، وحيث كانت المدينة ملتقى علماء الشرق والغرب ولاسيما في الموسم، ولذا فلم يحتاج الكثير منهم للرحلة في طلب العلم، واكتفوا بعلماء المدينة والواردين عليها، وكانوا كثر في كل علم وفن.

وقد بينت الدراسة أن ظهور الإجازة كشهادة علمية معتمدة تعادل الشهادات العلمية في وقتنا الحاضر، ولم تكن تعطي للجماعة، بل كانت تعطي للفرد، فيعطىها الشيخ للطالب إذا تحقق من فهمه لما درسه، ولا تمنح تلك الشهادة إلا بعد التأكد من كفاءة الدارس وأنه أهل لها، وقد يحصل الطالب على عدة إجازات، ومن عدد من الشيوخ. وأظهرت الدراسة أنه لم نجد كماً كبيراً من علماء المدينة قد رحل لطلب العلم، وقد خلّص البحث أن ذلك عائد إلى عدة عوامل منها:

تبين من البحث أن الوارد على المدينة من علماء الآفاق كثير، وذلك لمكانتها الدينية فلا نجد حاجاً لبيت الله الحرام أو معتمراً إلا وهو زائر لمسجد رسول الله ﷺ وهذا يجعل المدينة تغص بعلماء الآفاق طيلة العام، مما لا يحتاج ساكنها من طلبة العلم الرحلة للطلب، فما عليهم إلا الجلوس في المسجد النبوي، والتعرف على العلماء والواردين.

وأثبتت الدراسة أن المدينة لم تخلُ في سني العهد المملوكي من علماء في علوم مختلفة في الحديث واللغة العربية وغيرها، مما لم تنشط هم طلاب العلم مع ذلك إلى الرحلة للإقامة، فجلُّ ما يريدونه يجدونه بغير مشقة السفر، ويتضح ذلك من علماء الإجازة بالمدينة، وقد تكون ثمة عوامل أخرى من الحالة الاقتصادية وغيرها مما لم تنشط معهم الهمم للرحلة للطلب، كما كان الحال في مختلف البلدان.

وتوصّلت الدراسة إلى أن البلدان التي زارها بعض علماء الأسر العلمية هي مكة المكرمة، فكانت مقصداً أساسياً للحج، ولطلب العلم والمجاورة، وكذلك مصر و اليمن والشام وبيت المقدس والهند.

وظهر أيضاً من خلال البحث أن أكثر رحلاتهم كانت لطلب علمي الحديث والفقه، لكن هذا لا يعني أنهم لا ينتهزون الفرصة لطلب ما سوى ذلك من العلوم كاللغة وغيرها، في حين رحل بعضهم لغير الطلب.

وبدراسة النتاج العلمي للأسر العلمية، دلّ البحث على أن النتاج العلمي للأسر المدنية استوعب العلوم الشرعية من التفسير والقراءات والحديث والفقه والتوحيد، فلم يطغ فرع على فرع، وكلاً على حسب ميوله واهتماماته.

فأوضحت الدراسة أنه كان اهتمام الأسر الشافعية بالتصنيف على المذهب الشافعي، والأسر المالكية بالتأليف في المذهب المالكي، وهذا متوقع، إلا أنه ظهر من الكازورنيين الشافعية من صنف في التفسير معتمداً على كتاب تفسير مالكي، مما يؤيد كون العلم بغية لأفراد الأسر بغض النظر عن الاتجاه المذهبي، فالحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق بها.

كذلك أوضح البحث أنه قد كثرت تصنيف (المشيخات) في نطاق الأسر العلمية، وهذا يشير إلى علو علم الحديث في المدينة النبوية، وكثرة طلابه بها. أما المجال اللغوي، فأبانت الدراسة أن جلّ الأشعار والكتابات الأدبية يدور بعضها حول المدينة، كالمفاخرة بين قباء والعوالي، وهذا النوع الذي مزج بين العلوم الشرعية واللغوية والتاريخية لا يحسنه إلا أهل المدينة من العلماء الأدباء، فهي ثلاثة مصنفات في مصنف واحد.

أما الدراسات الاجتماعية، فقد ظهر أن (تاريخ المدينة) هو الأبرز في المصنفات التاريخية لعلماء الأسر، وكان دافع ذلك واضحاً من سكانهم الحرم الشريف، ومجاورتهم بطيبة الطيبة، فرأوا أنه من الواجب أن يقدموا هذه المصنفات لتلك الأرض المباركة التي ترعرعوا بها.

في حين أن البحث بين أنه لا توجد مصنفات جغرافية صرفة في العلوم الاجتماعية، إلا أن الكثير من المصنفات التاريخية واللغوية حملت العديد من المعلومات الجغرافية، التي يمكن أن نصنفها كتباً جغرافية من هذا الباب، وبعضها ارتبط باللغة بطرف، وحمل الوصف الجغرافي داخل مباحثه أيضاً.

وبدراسة أثر الأسر العلمية على الحياة العامة، دلّ البحث في أثر الأسر العلمية على الحياة الدينية أن الكثير من أفراد الأسر العلمية تولّوا مختلف الوظائف الدينية، بحيث تكون الوظيفة أشبه بالموقوفة على الأسرة، يتوارثها الأبناء عن الآباء، مثال ذلك بقاء وظيفة الآذان في أسرة المطري، كما توارث أفراد أسرة ابن صالح قضاء الشافعية، وتخصّصت أسرة الخجندي في وظيفة الإمامة والخطابة، كما استمرّ قضاء المالكية في أسرة ابن فرحون زمناً طويلاً، وقضاء الحنفية الذي ظل ينتقل بين أفراد أسرة الزرندي طوال العصر المملوكي.

كما أظهرت الدراسة أهمية منصب القضاء في العصر المملوكي، حيث تأتي وظيفة القاضي من حيث الأهمية بعد والي المدينة مباشرة، وقد تولّى كثير من أبناء الأسر العلمية منصب القضاء على مختلف المذاهب، مما يوحي بالمكانة السامية التي تبوأها أبناء الأسر العلمية.

وأكدّ البحث على انتشار المذاهب الدينية المختلفة في المدينة المنورة، وكان لعلماء الأسر العلمية الفضل في ذيووعها وانتشارها، وذلك بتدريسهم لها من خلال حلقات المسجد النبوي أو بالمدارس أو بالأربطة أو بمنازهم، مما ساهم في إثراء الحياة الدينية بظهور هذه المذاهب وانتشارها.

كما أشار البحث إلى تحوّل بعض العلماء من مذهب لآخر في تلك الفترة بما فيهم أبناء الأسر العلمية.

وبيّنت الدراسة أن تكوين مجتمع أهل المدينة من أجناسه المتعددة شكل خليطاً له طابعه الخاص ومؤثراته في الحياة الاجتماعية.

أما عن أثر الأسر في الحياة السياسية، فقد تبين مدى التكاثر الذي ظهر بين العلماء ولاسيّما من الأسر المدنية التي مهدت للتوطيد للمذهب السني بالمدينة، فكان العلماء مقياساً للهوية، والمنطلق السياسي الذي التفّ حوله أهل السنة، وأثّرت الأسر العلمية في

تغيير وضع القضاء والخطابة، باعتبارهما من الوظائف التي تبعت السلطان بمصر، فكان السلطان إذا ثبت لديه أهلية عالم ما، فإنه غالباً يأمر بعده بتولية ابنه أو أحد أفراد أسرته، فكان الاستقرار في ذلك ناشئاً عن توارث العلم في الأسر العلمية.

وظهر كذلك من خلال الدراسة أن الأسر العلمية حافظت على هبة العلم ضد سطوة الأمراء ممن جار، مما مكن أكثر لتأثيرهم العلمي في المجتمع.

وعن أثر الأسر في الحياتين الاجتماعية والاقتصادية، توصلت الدراسة إلى ارتباط معظم الأسر العلمية فيما بينها برباط المصاهرة، وقد كان هذا الرباط الاجتماعي أحياناً بدافع التطلع للرفعة والمكانة التي وصل إليها بعض الأسر التي تبوأ مناصب هامة بالمدينة المنورة، كما كان للتوافق المذهبي والأصول التي ينتمون إليها أثر كبير في هذه المصاهرة، كما أن العلاقة التي كانت تنشأ بين الشيخ وتلميذه كثيراً ما كانت تُتَوَجَّج بالمصاهرة، وقد صاهر أفراد الأسر العلمية بعض المجاورين الآخرين بالمدينة وطلبة العلم، وصاهر بعض منهم الأشراف الحسينيين بالمدينة.

وأشارت الدراسة إلى انصهار الأسر العلمية في مجتمع المدينة، وأصبحوا من صميم ذلك المجتمع، وقد قام بعض العلماء الخبيرين من أبناء هذه الأسر بالكثير من الأدوار الاجتماعية التي تخدم الأفراد والجماعات وتوفر سبل العيش في مجتمع المدينة، مثل حفر الآبار أو تجديد وتعمير ما خرب منها، ومن إنشاء الأربطة وتعميرها، والصلح بين الخصوم، وكذلك ما كان لهم من دور في رفع آثار حريق المسجد النبوي، ونحو ذلك من النوائب والملمات.

كما أشارت الدراسة إلى احتراف بعض أفراد الأسر العلمية الحرف كالتجارة، وتحصيل أموال الأوقاف، وبيع الكتب والمتاجرة بها، إضافة إلى مهنة النساخة وتجليد وتهذيب الكتب.

وحمدى لله أولاً وأخيراً ظاهراً وباطناً على ما أعان ووفق،،،



المخطوطات:

* أبو زيد : بكر.

— طبقات النسابين، مخطوط في مكتبة الحرم المكي، رقم: ٣٩.

* الخجندي: محمد بن أحمد (ت بعد ٩٢٠هـ/١٥١٤م).

— رسالة عن صلاة الرغائب، مخطوط بمكتبة الملك عبد العزيز،

رقم: ٢٥٤/٢٠٠.

* الزرندي: محمد بن يوسف (ت ٧٤٧هـ/١٣٤٦م).

— بغية المراتح على طلب الأرباح، مخطوط بمكتب الملك عبد العزيز

بالمدينة، رقم ٦٥٨.

* السخاوي: محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢هـ/١٤٩٦م).

— تراجم العلماء والمحدثين، مخطوط بمكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة، رقم

١٧٨١.

* السمهودي: علي بن عبد الله (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م).

— الجواهر الشفاف في فضائل الإشراف، مخطوط بمركز البحث العلمي

وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، رقم: ٥٦، تاريخ تراجم، ومكتبة

الحرم المكي، رقم: ٣٩.

* الكازروني: أحمد بن محمد (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م).

— تفسير اليسير، مخطوط بمكتبة الملك عبد العزيز، المدينة، رقم: ١٥٥.

* المتوفي: أحمد بن محمد بن محمد بن عبد السلام.

— البدر الطالع من الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، (مخطوط بمكتبة

الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة، رقم ٢٨/٩٠٠).

المصادر :

* القرآن الكريم.

* ابن أبي نقطة: أبي بكر محمد بن عبد الغني الحنبلي (ت ٦٢٩هـ / ١٢٣١م).

— تكملة الإكمال، تحقيق: عبد القيوم عبد الرب النبي، (ط ١)، (مكة،

جامعة أم القرى ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م).

* ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم (ت

٦٣٠هـ / ١٢٣٢م).

— الكامل في التاريخ، راجعه: محمد يوسف الدقاق، (ط ١)،

(بيروت، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م).

— اللباب في تهذيب الأنساب، (د. ط)، (القاهرة، عني بنشره مكتبة

القدس، حسام الدين القدسي، ١٣٥٧هـ).

* ابن الجزري: شمس الدين محمد بن محمد (ت ٨٣٣هـ / ١٤٢٩م).

— غاية النهاية في طبقات القراء، عني بنشره ج. براجستراسر، القاهرة،

١٩٣٢م).

* ابن العراقي: أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين (ت ٨٢٦هـ / ١٤٢٢م).

— الذيل على العبر في خبر من غير، تحقيق: صالح مهدي عباس، (ط ١)،

(بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م).

* ابن العماد: أبي الفلاح عبد الحي الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ / ١٦٧٨م).

— شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: لجنة التراث العربي، (د .

ط)، (منشورات دار الأوقاف، بيروت، د.ت).

* ابن القاضي: أحمد بن محمد المكناسي (ت ١٠٢٥هـ / ١٦١٦م).

— درة الحجال في أسماء الرجال، تحقيق: محمد الأحمد أبو النور، (د.ط)،

(المكتبة العتيقة، دار التراث، القاهرة، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م).

* ابن إياس: محمد بن أحمد المصري (ت ٩٣٠هـ/١٥٢٣م).

— بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى، (القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٨١م).

* ابن بطوطة: محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي (ت ٧٣٩هـ/١٣٣٨م).

— الرحلة، "تحفة النظر في غرائب الأمصار" (ط ٣)، (بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م).

* ابن تغري بردي: جمال الدين أبي المحاسن يوسف (ت ٨٧٤هـ/١٤٧٠م).

— الدليل الشافي على المنهل الصافي، تحقيق: محمد شلتوت، (د. ط)، (مكتبة الخانجي، د. ت).

— النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (د. ط)، (وزارة الثقافة والإرشاد القومي، د. ت).

* ابن جبير: محمد بن أحمد الكنتاني البلسي (ت ٦١٤هـ/١٢١٧م).

— الرحلة، (د. ط)، (دار صادر، بيروت، د. ت).

* ابن حبيب: حسن بن عمر بن الحسن عمر (ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م).

— تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، تحقيق: محمد محمد أمين، (د. ط)، (الهيئة المصرية العامة، ١٩٧٦م).

* ابن حجر: شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م).

— الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد سيد جاد، (د. ط)، (مطبعة المدني، د. ت)؛ وطبعة القاهرة، دار الكتب الحديثة، ١٩٦٦م.

— المجموع المؤسس للمعجم المفهرس، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٦م).

— إنباء الغمر بأنباء العمر، تحقيق: حسن حبشي، (د. ط)، (القاهرة، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م).

— ذيل الدرر الكامنة، تحقيق: عدنان درويش، (د. ط)، (القاهرة، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م).

— فتح الباري بشرح صحيح البخاري، (دار المعرفة، بيروت، د. ت).

* ابن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد (ت ٢٤١هـ / ٨٥٥م).

— مسند الإمام أحمد بن حنبل، (مكة، مكتبة الباز).

* ابن حوقل: أبي القاسم النصيبي (ت ٣٦٧هـ / ٩٧٨م).

— صورة الأرض، (د. ط)، (القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، د. ت).

* ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد الحضرمي المغربي (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م).

— العبر، وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر، (ط ١)،

(إحياء التراث العربي، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م).

* ابن دقماق: إبراهيم بن محمد ابن أيدير العلائي (ت ٨٠٩هـ / ١٤٠٦م).

— الجوهر الثمين في سيرة الخلفاء والملوك والسلطين، تحقيق: سعيد عبد

الفتاح عاشور، (د. ط)، (جامعة أم القرى، مركز البحث وإحياء التراث

الإسلامي، د. ت).

* ابن طولون: شمس الدين محمد (ت ٩٥٣هـ / ١٥٤٦م).

— متعة الأذهان من التمتع بالإقران بين تراجم الشيوخ والأقران، تحقيق:

صلاح الدين خليل الموصلي، (ط ١)، (بيروت، دار صادر، ١٩٩٩م).

* ابن عباد: إسماعيل (ت ٣٨٥هـ / ٩٩٥م).

— المحيط في اللغة، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، (ط ١)، (عالم

الكتب، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م).

* ابن عبد البر: أبي عمر يوسف (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م).

— جامع بيان العلم وفضله، (د. ط)، (بيروت، دار الكتب العلمية).

* ابن فرحون: إبراهيم بن علي بن محمد المدني (ت ٧٩٩هـ / ١٣٩٧م).

— إرشاد السالك إلى أفعال المناسك، تحقيق: محمد بن الهادي أبو الأحناف،

(ط ١)، (الرياض، مكتبة العبيكان، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م).

— الديباج المذهب في معرفة علماء المذهب، تحقيق: علي عمر، (ط ١)،

(مكتبة الثقافة الدينية، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م).

* ابن فرحون: عبد الله بن محمد المالكي (ت ٧٦٩هـ / ١٣٦٧م).

— نصيحة المشاور وتعزية المجاور، قابل أصوله واعتنى به: حسين محمد

شكري، (ط ١)، (المدينة المنورة، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م).

* ابن فهد: تقي الدين محمد بن محمد (ت ٨٧١هـ / ١٤٦٦م).

— لحظ الألفاظ بذييل طبقات الحفاظ، نشره: محمد أمين دمج، (د.ط)،

(بيروت، د.ت).

* ابن فهد: عمر بن محمد بن محمد الهاشمي المكي (ت ٨٨٥هـ / ١٤٨٠م).

— إتحاف الوري بأخبار أم القرى، تحقيق: فهد محمد شلتوت، (ط ١)،

(مكة، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى،

د.ت).

— معجم الشيوخ، تحقيق: محمد الزاهي، (د.ط)، (الرياض، منشورات

اليمامة، د.ت).

* ابن قاضي شهبة: أبي بكر بن أحمد بن محمد (ت ٨٥١هـ / ١٤٤٧م).

— طبقات الشافعية، تحقيق: عبد العليم خان، (د.ط)، (بيروت، دار

الندوة، ١٩٨٧م).

* ابن ماجه: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٣هـ / ٨٨٦م).

— سنن ابن ماجه، صححه وخرج أحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، (د.ط)،

(دار إحياء الكتب العربية، د.ت).

* ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ / ١٣١١م).

— لسان العرب، (ط ١)، (لبنان، بيروت، دار صادر، ١٩٩٧م).

* أبو الفداء: عماد الدين إسماعيل بن الأفضل علي (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م).

— تقويم البلدان، (د.ط)، (د.م، د.ت).

* أبو داود: سليمان بن الأشعث السجستاني (٢٧٥هـ/٨٨٨م).

— سنن أبي داود، تحقيق: محمد جمال الدين عبد الحميد، لبنان، دار إحياء التراث العربي؛ وطبعة أخرى بتحقيق: محمد عبد العزيز الخالدي، (ط١)، (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م).

* الأصبخري: إبراهيم بن محمد الفارسي (ت ٣٤٦/٩٥٧م).

— المسالك والممالك، تحقيق: محمد جابر عبد العال، و محمد شفيق غربال، (د.ط)، (وزارة الثقافة، ١٣٨١هـ/١٩٦١م).

* الأنصاري: عبد الرحمن بن عبد الكريم (ت ١١٩٧هـ/١٧٨٢م).

— تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من أنساب، تحقيق: محمد العروسي المطوي، (د.ط)، (تونس، المكتبة العتيقة، ١٩٧٠م).

* البخاري: أبي عبد الله محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ/٨٧٠م).

— الصحيح، (ط١)، (دار الفكر، ١٤١١هـ/١٩٩١م)؛ وطبعة أخرى (ط١)، (الرياض، دار السلام، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م).

* البغدادى: صفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق (ت ٧٣٩هـ/١٣٣٨م).

— مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق: علي محمد البجاوي، (ط١)، (لبنان، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر، ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م).

* البكري: عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي (ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م).

— معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا، (ط٣)، (عالم الكتب، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).

* الترمذي: محمد بن عيسى (ت ٢٩٧هـ/٩٠٩م).

— سنن الترمذي، تحقيق: كمال الحوت، (لبنان، بيروت، دار الكتب، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م).

* التميمي: تقي الدين بن عبد القادر (ت ١٠٠٥هـ/١٥٩٦م).

— الطبقات السنية في تراجم الحنفية، تحقيق: عبد الفتاح الحلو، (القاهرة، ١٩٧٠م).

* التنبكي: أحمد بابا (ت ١٠٣٦هـ/١٦٢٦م).

— كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، تحقيق: محمد مطيع، (د.ط)،
(المملكة العربية السعودية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،
١٤٢١هـ/٢٠٠٠م).

* التهانوي: محمد علي الفاروقي (ت بعد ١١٥٨هـ/١٧٤٥م).

— كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: لطفي عبد البديع،
(د.ط)، (د.م، د.ت).

* الجزري: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني.

— اللباب في تذهيب الأنساب، (د.ط)، (دار صادر، بيروت،
١٤٠٠هـ/١٩٨٠م).

* الحاكم: أبي عبد الله النيسابوري (ت ٤٠٥هـ/١٠١٤م).

— المستدرک علی الصحیحین، تحقیق: مصطفی عبد القادر عطا، (ط ١)،
(بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ/١٩٩٠م).

* الحميري: محمد عبد المنعم (ت ٧٢٢هـ/١٣٢٢م).

— الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، (ط ١-٢)،
(بيروت، لبنان، ١٩٧٥، ١٩٨٤م).

* الخزرجي: علي بن الحسن (ت ٨١٢هـ/١٤٠٩م).

— العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، تحقيق: محمد بسيوني،
(القاهرة، مطبعة الهلال، ١٣٢٩هـ/١٩١١م).

* الدوادار: بيرس.

— زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، تحقيق: زبيدة محمد عطا، (د.ط)، (د.
م، د.ت).

* الذهبي : شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م).

— سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، (ط ٢) (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م).

— المعجم المختص بالحدثين، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، (طائف، ١٩٨٨م).

* الرازي، أبو بكر محمد عبد القادر (ت ٦٦٦هـ / ١٢٦٧م).

— المعجم الوسيط: (د. ط)، (المكتبة الإسلامية، د. ت).

— مختار الصحاح، (د. ط)، (دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت).

* الرشيدى: أحمد.

— حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولي إمارة الحاج، تحقيق: ليلي عبد اللطيف أحمد، (ط. د)، (القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٨٠م).

* الزبيدي: محمد مرتضى الحسيني (ت ١٢٠٥هـ / ١٧٩٠م).

— تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد العليم الطحاوي، (د. ط)، (د. م، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م).

* الزرندي: نور الدين علي بن محمد (ت ٧٧٢هـ / ١٣٧٠م).

— المرور بين العلمين في مفاخرة الحرمين، تحقيق: محمد العيد الخطراوي، (ط ١)، (المدينة المنورة، دار التراث ١٤٠٧هـ / ١٩٩٨م).

* السبكي : تاج الدين عبد الوهاب (ت ٧٧١هـ / ١٣٦٩م).

— طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق عبد الفتاح الحلو، ومحمود الطنجاوي، (القاهرة، ١٩٦٤م).

— معيد النعم ومبيد النقم، تحقيق: محمد علي النجار و أبو زيد شلي وآخرون، (ط ١)، (دار الكتاب العربي، مصر، القاهرة، ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م).

— معجم الشيوخ، تحقيق: بشار عواد معروف و رائد يوسف العنكي و مصطفى إسماعيل الأعظمي، (ط ١)، (دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٤م).

* السخاوي: محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢ هـ / ١٤٩٦ م).

— الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، (د. ط)، (دار الكتاب العربي، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م).

— التبر المسبوك في ذيل السلوك، (د. ط)، (مكتبة الكليات الأزهرية، د. ت).

— التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، (ط ١)، (لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م).

— الذيل على رفع الإصر، تحقيق: جودة هلال، و محمد محمود صبح، (د. ط)، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠ م).

— الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، (د. ط)، (دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د. ت).

— وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام، تحقيق: بشار معروف و عصام فارس الحرساني و أحمد الخطيمي، (ط ١)، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م).

— الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، تحقيق: إبراهيم باجس عبد المجيد، (ط ١)، (دار ابن حزم، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م).

* السمعاني: أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت ٥٦٢ هـ / ١١٦٦ م).

— الأنساب، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى اليماني، (د. ط)، (بيروت، د. ت).

* السمهودي: علي بن عبد الله (٩١١ هـ / ١٥٠٥ م).

— جواهر العقدين في فضل الشرفين، تحقيق: موسى بناي العليلي، (بغداد، مطبعة العاني، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٤ م).

— خلاصة الوفاء بأخبار دار المصطفى، (ط ١)، (دمشق، المكتبة العلمية، ١٣٩٢ هـ).

— الغماز على اللماز في الأحاديث المشهورة، تحقيق: محمد إسحاق السلفي، (ط ١)، (الرياض، دار اللواء، ١٤٠١هـ/١٩٨١م).

— وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، (د. ط)، (د. م، د. ت).

* السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (٩١١هـ/١٥٠٥م).

— الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، (د. ط)، (المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر، د. ت).

— بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة، ١٩٦٤م).

— تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، تحقيق: محمد أيمن بن عبد الله الشيراوي، (د. ط)، (دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م).

— حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (د. ط)، (دار الفكر العربي، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م).

— نظم العقيان في أعيان الأعيان، (د. ط)، (نيويورك، ١٩٢٧م).

* الشماع: زين الدين عمر بن أحمد الحلبي (٩٣٦هـ/١٥٢٩م).

— القبس الحاوي لغرر ضوء السخاوي لأهل القرن التاسع؛ تحقيق: حسن إسماعيل مروة و خلدون حسن مروة، (ط ١)، (بيروت، دار صادر، ١٩٩٨م).

* الشوكاني: محمد بن علي (١٢٥٠هـ/١٨٣٤م).

— البدر الطالع، بمحاسن من بعد القرن السابع، (د. ط)، (دار المعرفة، بيروت، د. ت).

* الصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك (٧٦٤هـ/١٣٦٢م).

— أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق: علي أبو زيد وآخرون، (ط ٢)، (دمشق، دار الفكر، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م).

— الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وَ تركي مصطفى، (ط ١)،

(دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م).

* الصيرفي: الخطيب الجوهري علي بن داود (ت ٩٠٠هـ/١٤٩٤م).

— نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، تحقيق: حسن حبشي،

(د.ط)، (مطبعة دار الكتب، ١٩٧١م).

* الطبري: علب بن عبد القادر (ت ١٠٧٠هـ/١٦٥٩م).

— الأراج المسكي في التاريخ المكي وتراجم الملوك والخلفاء، تحقيق: أشرف

أحمد الجمال، (ط ١)، (المكتبة التجارية، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م).

* الطبراني: سليمان اللخمي.

— المعجم الأوسط، (د.ط)، (بغداد، الدار العربية، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م).

* العامري: يحيى بن أبي بكر اليميني (ت ٨٩٣هـ/١٤٨٧م).

— الرياض المستطابة في جملة من روي في الصحيحين من الصحابة، (ط ١)،

ضبطه وصححه: عمر الديراوي أبو حجلة، (بيروت، مكتبة المعارف،

١٩٧٤م).

* العصامي: عبد الملك بن حسين بن عبد الملك (ت ١١٠١هـ/١٦٨٩م).

— سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، (د. ت)، (المطبعة السلفية،

د.ت).

* العيدروسي: عبد القادر بن عبد الله الحسيني (ت ١٠٣٨هـ/١٦٢٨م).

— النور السافر عن أخبار القرن العاشر، تحقيق: أحمد حالو، محمود الارناؤوط

وَ أكرم البوشي، (ط ١)، (دار صادر، بيروت، د. ت).

* الغزي: نجم الدين محمد بن محمد بن محمد (ت ١٠٦١هـ/١٦٥٠م).

— الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، تحقيق: جبرائيل سليمان حيور، (د.

ط)، (الناشر محمد أمين، دمج وشركاه، د. ت).

- * الفاسي: محمد بن أحمد الحسيني المكي (ت ٨٣٢هـ / ١٤٢٨م).
 — ذيل التقييد في رواة السنن المسانيد، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٠م).
 — العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق: فؤاد سيد، (د . ط)، (القاهرة، ١٣٨١هـ / ١٩٦٢م).
 * الفيروز آبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ / ١٤١٤م).
 — القاموس المحيط، (د. ط)، (دار الجليل، د. ت)،
 — المغامم المطابة في معالم طابة، (ط ١)، (د. م، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م).
 * القرافي: بدر الدين محمد بن يحيى (ت ١٠٠٨هـ / ١٥٩٩م).
 — توشيح الديباج وحلية الابتهاج ، تحقيق علي عمر، (ط ١)، (القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م).
 * القرمانلي: أحمد بن يوسف (ت ١٠١٩هـ / ١٦١٠م).
 — أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، تحقيق: أحمد حطيط وَ فهمي سعد (ط ١)، (د . م، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م).
 * القزويني: ذكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م).
 — آثار البلاد وأخبار العباد، (د. ط)، (بيروت، دار صادر، ١٩٩٨م).
 * القلقشندي: أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م).
 — صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، (القاهرة، المؤسسة المصرية العامة، د. ت)،
 * الكازروني: أحمد بن مسدد الزبيري المدني (ت ٨٨٦هـ / ١٤٨١م).
 — الحدايق الغوالي في قباء والعوالي، تحقيق: محمد بن محمد فال العلوي الشنقيطي، (ط ١)، (المدينة المنورة، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م).
 * المراغي: أبو بكر بن الحسين بن عمر العثماني (ت ٨١٦هـ / ١٤١٣م).
 — تحقيق النصره بتلخيص معالم دار الهجرة، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان، (ط ١)، (المدينة المنورة، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م).

* المطري: الجمال محمد بن أحمد (ت ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م).

— التعريف بما آنتست الهجرة من معالم دار الهجرة، (د. ط)، (د. م، ١٤٠٢هـ).

* المقدسي: أبو عبد الله محمد (ت ٣٨٧هـ/ ٩٩٧م).

— أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، (ط ٢)، (لیدن، ١٩٠٩م).

* المقرئزي: تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م).

— درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، تحقيق: محمد الجليلي، (ط ١)، (بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م)؛ وطبعة أخرى بتحقيق: محمد كمال الدين عز الدين علي، (ط ١)، (عالم الكتب، بيروت، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م).

— السلوك لمعرفة دول الملوك، (ط ٢)، صححه ووضع حواشيه: محمد مصطفى زيادة، (القاهرة، مطبعة لجنة التأليف، ١٩٥٧م)، وطبعة أخرى بتحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا، (ط ١)، (١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م).

— المقفي الكبير، تحقيق: محمد السعلاوي، (ط ١)، (دار الغرب الإسلامي، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م).

— المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار "الخطط المقرئزية"، (د. ط)، (مكتبة الآداب، د. ت).

* النهروالي: قطب الدين محمد بن أحمد (ت ٩٩٠هـ/ ١٥٨٢م).

— الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، (ط. د)، (دار الكتب).

* النووي: أبي زكريا محي الدين بن شرف (ت ٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م).

— تقريب النووي، مطبوع مع تدريب الراوي للسيوطي، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، (بيروت، دار الفكر، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م).

— تهذيب الأسماء واللغات، (د. ط)، (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، د. ت).

— رياض الصالحين، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، (ط ٣)، (بيروت،

دمشق، المكتب الإسلامي، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م).

* حاجي خليفة: مصطفى بن عبد الله الحنفي (ت ١٠٦٧هـ/١٦٥٦م).

— كشف الظنون عن الأسماء في كتب الفنون، (دار الفك، ١٤٠٢هـ—

١٩٨٢م).

* طاش كبري زادة: أحمد بن مصطفى (ت ٩٦٢هـ/١٥٥٤م).

— مفتاح السعادة ومصباح الزيادة في موضوعات العلوم، تحقيق: كامل

كامل بكري و عبد الوهاب أبو النور، (د. ط)، (دار الكتب الحديثة، عابدين،

د. ت).

* كبريت: محمد بن عبد الله الحسيني (ت ١٠٧٠هـ/١٦٦٠م).

— الجواهر الثمينة في محاسن المدينة، تحقيق: عائض الراددي، (ط ١)، (فهرسة

مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٨هـ).

* مسلم: أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ/٨٧٤م).

— الصحيح، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (مكة، المكتبة الفيصلية).

* ياقوت الحموي: شهاب الدين أبي عبد الله بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م).

— معجم البلدان، (ط ١)، (بيروت، دار صادر، ١٩٩٣م).

المراجع :

* أبو زيد: علي.

— البديعيات في الأدب العربي "نشأتها، تطورها، أثرها، (ط ١)، (عالم الكتب،

بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).

* أبو زيد: سهام مصطفى.

— الحسبة في مصر الإسلامية من الفتح العربي إلى نهاية العصر المملوكي،

(د. ط)، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م).

*الإبراشي: محمد عطية.

— التريية الإسلامية وفلاسفتها، (ط٣)، (إحياء الكتب العربية،

١٣٩٥هـ/١٩٧٥م).

*الأزهري: محمد البشير ظافر.

— طبقات المالكية"اليواقيت الثمينة في أعيان مذهب عالم المدينة"، (ط١)،

(القاهرة، الأوقاف العربية، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م).

*الأنصاري: ناجي محمد حسن عبد القادر.

— التعليم في المدينة المنورة من العام الهجري الأول إلى ١٤١٢هـ—، (ط١)،

(د.م، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م).

*الباشا: حسن (ت ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).

— الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، (د. ط)، (دار النهضة

العربية، القاهرة، ١٩٦٦م).

*البتوني: محمد لبيب (ت ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م).

— الرحلة الحجازية، (ط٢)، (القاهرة، مطبعة الجمالية، ١٣٢٩هـ—)،

*البغدادي: إسماعيل باشا (ت ١٣٣٩هـ/١٩٢٠م).

— هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون، (د. ط)،

(لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م).

— إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون،

(د. ط)، (دار الفكر، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م).

*البلادي: عاتق بن غيث.

— على طريق الهجرة "رحلات في قلب الحجاز"، (ط٢)، (دار مكة،

١٤١٣هـ/١٩٩٣م).

* الجابري: خالد محسن.

— الحياة العلمية في الحجاز خلال العصر المملوكي "٦٤٨ - ٩٢٣هـ /
١٢٥٠ - ١٥١٧م"، (مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي،
١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م).

* الجاسر: حمد.

— رسائل في تاريخ المدينة، (ط ١)، (المملكة العربية السعودية، ١٣٩٢هـ /
١٩٧٢م).

* الحضري: محمد.

— إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء، تحقيق: يوسف بريوي وسمير عطار، (ط ١)،
(دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م).

* الخطيب: محمد عجاج.

— أصول الحديث علومه ومصطلحاته، (ط ٤)، (دار الفكر، بيروت، لبنان،
١٤٠١هـ / ١٩٨١م).

* الخياري: أحمد ياسين أحمد.

— تاريخ معالم المدينة المنورة، قديماً وحديثاً، (ط ١)، (المدينة، نادي المدينة
الأدبي، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م).

* الدهاس: فواز علي بن جنيدب.

— المدارس في مكة خلال العصرين الأيوبي والمملوكي، (ط ١)، (دار القاهرة،
٢٠٠٦م).

* الدهمان: محمد أحمد.

— معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، (ط ١)، (دار الفكر، دمشق،
١٤١٠هـ / ١٩٩٠م).

— عمارة وتوسعة المسجد النبوي عبر التاريخ، (ط ١)، (المدينة، نادي المدينة
المنورة الأدبي، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م).

* الراجحي: شرف الدين علي.

— مصطلح الحديث وأثره على الدرس اللغوي عند العرب، (ط ١)، (دار النهضة العربية ١٩٨٣م).

* الزركلي: خير الدين (ت ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م).

— الأعلام، (ط ٥)، (د. م، ١٩٨٠م).

* السليمان: علي بن حسين.

— العلاقات الحجازية زمن سلاطين المماليك، (د. ط)، (د. م، ١٣٩٣هـ / ١٩٣٧م).

* الشامخ: محمد عبد الرحمن.

— التعليم في مكة والمدينة آخر العهد العثماني، (ط ٢)، (دار العلوم الرياض، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م).

* الصياد: فؤاد عبد المعطي.

— المغول في التاريخ، (د. ط)، (مكتبة الشريف، ١٩٧٥م).

* الطحان: محمود.

— تيسير مصطلح الحديث، (ط ٩)، (الرياض، مكتبة المعارف، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م).

* العبيكان: طرفة عبد العزيز.

— الحياة العلمية والاجتماعية في مكة في القرنين السابع والثامن للهجرة، (د. ط)، (الرياض، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م).

* علي السيد علي:

— الحياة الثقافية في المدينة المنورة عصر سلاطين المماليك "٦٤٢-٩٢٣هـ"، (ط ١)، (عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م).

* القحطاني: راشد سعد راشد.

— أوقاف السلطان الأشرف شعبان على الحرمين، (د. ط)، (الرياض،
١٤١٤هـ/١٩٩٤م).

* الكتاني: محمد بن جعفر.

— الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة، (ط١)، (دار الكتب
العربية، بيروت، لبنان، ١٣٣٢هـ).
ل. أ. ماير:

— الملابس المملوكية ترجمة: صالح الشبيبي، (د. ط)، (الهيئة المصرية العامة
للكتاب، د. ت).

* المبار كفوري: صفى الرحمن.

— الرحيق المختوم، (د. ط)، (دار المؤيد، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م).

* المديرس: عبد الرحمن.

— المدينة المنورة في العصر المملوكي "٦٤٨ - ٩٢٣هـ/١٢٥٠ - ١٧١٧م"،
(ط١)، (مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية،
١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).

* المزيني: عبد الرحمن بن سليمان.

— الحياة العلمية في القرنين السابع والثامن الهجريين، (جدة، دار العلم،
١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).

* المشيقح: إبراهيم بن حمود.

— تاريخ أم القرى ومكانة المرأة العلمية من خلال الدر الكمين، (ط١)، (د.
م، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م).

* المعلمي: عبد الله بن عبد الرحمن.

— أعلام المكيين "من القرن التاسع إلى القرن الرابع عشر الهجري"، (ط١)،
(مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م).

* الهاشمي: السيد أحمد.

— ميزان الذهب في صناعة شعر العرب، (مكة، مكتبة عباس الباز،
١٣٩٩هـ).

* الهندي: محمد طاهر بن علي.

— المغني في ضبط أسماء الرجال ومعرفة كنى الرواة وألقابهم وأنسابهم، (د.
ط)، (لبنان، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م).
* الهيلة: محمد الحبيب.

— التاريخ والمؤرخون بمكة من القرن "٣ — ١١ هـ" (ط١)، (مكة، مؤسسة
الفرقان للتراث الإسلامي، ١٩٩٤م).

* الوكيل: محمد السيد.

— الأمويون بين الشرق والغرب، (ط١)، (دار القلم، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م).
* أمين: محمد محمد.

— الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر "٦٤٨ - ٩٢٣ هـ/١٢٥٠ -
١٥١٧ م"، (ط١)، (القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٨٠م).
* باسلامة: حسين عبد الله (ت ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م).

— تاريخ عمارة المسجد الحرام بما احتوى من مقام إبراهيم وبئر زمزم والمنبر
وغير ذلك، (ط٣)، (تامة، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م).
* بدر: عبد الباسط.

— التاريخ الشامل للمدينة، (ط١)، (مكتبة رحاب المعرفة،
١٤١٤هـ/١٩٩٣م).
* بطاينة: محمد ضيف الله.

— تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، (ط١)، (دار الفرقان، عمان،
١٤٠٤هـ/١٩٨٤م).

* بيومي: محمد علي فهم.

— مخصصات الحرمين الشريفين في مصر إبان العصر العثماني، (ط ١)، (دار القاهرة، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م).

* حريز: سليم .

— الوقف دراسات وأبحاث، (د. ط)، (بيروت، ١٩٩٤م).

* حمدان: عاصم حمدان علي.

— المدينة المنورة بين الأدب والتاريخ، (ط ١)، (دار العلم للطباعة والنشر، المملكة العربية السعودية، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م).

* رزق: محمود.

— موسوعة عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي، (د. ط)، (القاهرة، مكتبة الأدب، ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م).

* رضا كحالة: عمر.

— معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، (ط ١)، (مؤسسة الرسالة، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م).

* رضوان المدني: عباس بن محمد السيد.

— مختصر رب الأرباب بما أهمل في لب الباب من واجب الأنساب، (د. ط)، (مصر، مطبعة المعاهد، ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م).

* ساعاتي: يحيى محمود.

— صورة الحياة العلمية في القرن التاسع الهجري من خلال الضوء اللامع للسخاوي، (د. ط)، (دار العلوم، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م).

* شاكر: مصطفى.

— التاريخ العربي والمؤرخون، (ط ١)، (د. م، ١٩٩٠م).

* شلي: أبو زيد.

— موسوعة النظم والحضارة الإسلامية "التربية الإسلامية نظمها فلسفتها، تاريخها"، (ط ٦)، (مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٨م).

*الشملان: نورة.

— المتنبى الإنسان والشاعر، (د. ط)، (مصر، ١٩١١-١٩١٢م)

*صابان: سهيل.

— المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، (د. ط)، (مكتبة الملك

فهد الوطنية، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م).

*عاشور: سعيد عبد الفتاح و سعد زغلول عبد الحميد، و أحمد مختار العبادي.

— دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية، (د. ط)، (دار المعرفة

الجامعية، ٢٠٠٤م).

*عبد الغني: عارف أحمد.

— تاريخ أمراء المدينة المنورة، (د. ط)، (دار كنان للطباعة والنشر، د. ت).

*عبد اللطيف: عبد الشافي محمد.

— العالم الإسلامي في العصر الأموي " ٤١ - ١٣٢هـ / ٦٦١ - ٧٥٠م"،

(٣ط)، (دار الاتحاد التعاوني، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م).

*عبد المنعم: شاكر محمود.

— ابن حجر العسقلاني ودراسة مصنفاته ومنهجه وموارده في كتابه الإصابة،

(د. ط)، (دار الرسالة للطباعة، بيروت، د. ت).

*عبد المنعم: محمود عبد الرحمن.

— معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، (د. ط)، (القاهرة، دار الفضيلة،

د. ت).

*علي الجارم: ومصطفى أمين.

— البلاغة الواضحة، (د. ط)، (مصر، دار المعارف، ١٩٦٤م).

*مالكي: سليمان عبد الغني.

— بلاد الحجاز منذ بداية عهد الإشراف حتى سقوط الخلافة العباسية في

بغداد، (د. ط)، (الرياض، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).

* محمد محمد أمين، و ليلي علي إبراهيم.

— المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية، (د.ط)، (القاهرة، د.ت).

* مخلوف: محمد بن محمد.

— شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، (ط ١)، (دار الكتاب العربي،

بيروت، ١٣٤٩هـ).

* مزاحم: عبد الله بن محمد.

— كتاب قضاة المدينة المنورة من "٩٦٣ - ١٤١٨هـ"، (ط ١)، (مكتبة العلوم

والحكم، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م).

* نواب: عواطف محمد يوسف.

— الرحلات المغربية والأندلسية "مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين

السابع والثامن الهجريين" (د. ط)، (الرياض، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م).

* الموسوعة العربية العالمية، (ط ٢)، (مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع).

* ياغي، إسماعيل أحمد.

— الحضارة الإسلامية وآثارها في الغرب، (ط ٢)، (مكتبة العبيكان،

١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).

الرسائل الجامعية:

* آل عمرو: محمد عبد الله محمد.

— التعليم في الحجاز في العصر المملوكي "٦٤٨ - ٩٢٣هـ/١٢٥٠ -

١٥١٧م)، (رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، كلية

التربية بمكة المكرمة، جامعة أم القرى، ١٤١٨هـ).

* آل مشاري: منى حسن محمد مقرن.

— المجاورون في مكة والمدينة في العصر المملوكي "من ٦٤٨هـ/١٢٥٠م إلى

٩٢٢هـ/١٥١٧م"، (رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ، الدراسات

العليا، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، ١٤٠٩هـ).

* السنيدي: عبد العزيز ابن راشد.

— الحياة العلمية في مكة في القرنين الثاني والثالث الهجريين، (رسالة دكتوراه غير منشورة، مقدمة إلى كلية العلوم الاجتماعية، قسم التاريخ والحضارة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م).

* المطري: محمد بن أحمد.

— التعريف بما آتست الهجرة من معالم دار الهجرة، تحقيق: عبد الله سليمان اللهيبي، (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك عبد العزيز، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم تاريخ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).

* باقاسي: عائشة عبد الله عمر.

— مكة والمدينة في منتصف القرن الرابع حتى منتصف القرن السادس الهجري، (رسالة دكتوراه، غير منشورة، مقدمة لكلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، جامعة أم القرى، ١٤١٣ - ١٤١٤هـ).

* بدرشيني: أحمد بن هاشم.

— أوقاف الحرمين الشريفين في العصر المملوكي، (رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م).

* سندي: هدى محمد سعيد.

— موارد السمهودي ومنهجه التاريخي في كتابه وفاء الوفاء ياخبار دار المصطفى، (رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).

الدوريات:

* الأنصاري: عبد الرزاق بن فراج.

— معجم ما ألفت عن المدينة المنورة "مجلة العرب"، (سنة ٣١، رجب شعبان، ١٤١٦هـ/ ديسمبر، يناير ١٩٩٦/٩٥م).

* الجاسر: حمد.

— السمهودي أشهر مؤرخي المدينة، "مجلة العرب"، (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، رمضان ١٣٩٢هـ/ تشرين، أكتوبر ١٩٧٢م).

* الجهني: ليلي.

— رحلة بن بطوطة المسماة "تحفة النظار في غرائب الأمصار لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي الطنجي" مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ع ٥٠.

— المدينة المنورة في رحلة العبدري، "مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة"، ع ٣٠.

* الطاسان: محمد صالح.

— الوظائف الدينية والإدارية بالمسجد الحرام في عهد دولة المماليك، "مجلة العصور" م ٥٠، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

* المزيني: عبد الرحمن بن سليمان.

— الحياة العلمية في مكة والمدينة خلال القرنين السابع والثامن الهجريين، "مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة" (شوال، ذو الحجة، ١٤٢٣هـ/ ديسمبر، فبراير، ٢٠٠٣م، ع ٣٠).

* باز: عبد الكريم علي.

— ناظر الحرم في العصر المملوكي، "مجلة جامعة أم القرى للبحوث العلمية"، (س ٣، عام ١٤١١، ع ٥٠).

* بدر: عبد الباسط عبد الرزاق.

— الحياة الثقافية في المدينة المنورة في العصر المملوكي، "مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة"، (ربيع الثاني، جماد الآخرة ١٤٢٤هـ —/يونيو، أغسطس، ٢٠٠٣م، ع ٥).

— ملامح الأدب في المدينة المنورة في العهد المملوكي "مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة"، (ربيع الثاني، جمادي الآخرة ١٤٢٥هـ، ع ٩).

* بدرشيني: أحمد بن هاشم.

— مظاهر الحياة الاجتماعية في مكة والمدينة إبان القرن الثامن الهجري من خلال كتب الرحالة، "مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة"، (محرم، ربيع الأول، ١٤٢٥هـ / مارس، مايو، ٢٠٠٤م، ع ٨).

* حسن: منى عبد الغني.

— أهم معالم الحضارة الإسلامية في مجتمع المدينة المنورة في العصر المملوكي (٦٤٨-٩٢٣هـ / ١٢٥٠-١٥١٧م)، "مجلة كلية الدراسات الإنسانية"، (٢٠٠٢م، ع ٢٢).

* عدوان: أحمد محمد.

— عادات وتقاليد الزواج في مكة المكرمة والمدينة المنورة زمن سلاطين الماليك "٦٤٨-٩٢٣هـ / ١٢٥٠-١٥١٧م"، "مجلة الجمعية التاريخية السعودية"، (ذو القعدة، ١٤٢٢هـ / يناير، ٢٠٠٢م، س ٣، ع ٥).